



رئيس مجلس الإدارة

حميد فرج حمادي

رئيس التحرير

أ.د. علي حداد

هيئة التحرير

د. رهبة أسودي حسين

علي عبد جاسم

رنا صباح خليل

الهيئة الاستشارية

أ.د. ناجي عباس التكريتي

أ.د. صاحب جعفر أبو جناح

أ.د. نبيلة عبد المنعم داود

أ.د. ناجية عبد الله إبراهيم

أ.د. نائل حنون

أ.د. جواد مطر الموسوي

التصحيح الطباعي

سعاد حسين ياسر
هادي صبيح فاضل

الترجمة

ليث هادي أمانة

التصميم والإخراج الفني

رائد مهدي صالح

عنوان المراسلة: جمهورية العراق / بغداد - الأعظمية

حي تونس / دارالشؤون الثقافية العامة / ص.ب ٤٠٣٢

هاتف ٤٤٣٦٠٤٤ / فاكس: ٤٤٦٧٦٠

البريد الإلكتروني: dar-iraqculture@yahoo.com

الموقع الإلكتروني: www.darculture.com

رقم الايداع في المكتبة الوطنية (١٠٠) لسنة ٢٠١٤ م

٤

هذا العدد

- المرأة في نهج البلاغة
أ.م.د. عماد الدين عبد الرزاق ٥
- التفسيرات القرآنية عند الإمامين العسكريين (عليهما السلام)
م.د. هدى ناجي عبيد البديري ٢٥
- الشريف المرتضى - سيرته وأثره على الحركة العلمية في بغداد
م. رشاد عيسى فارس ٣٥

دراسات فكرية

- مكانة الأندلس في التواصل الحضاري
أ.د. وجدان فريق عناد ٤٧
- الجوانب الاجتماعية في كتاب البخلاء للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)
أ.م.د. أحلام محسن حسين ٦٣
- ولاية عثمانيون مصلحون في تاريخ مدينة بغداد
أ.م.د. كمال رشيد خماس العكيلي ٧٥

دراسات في الحضارة
وتجلياتها

- فكر الدكتور محمد عابد الجابري بين التراث والمعاصرة
أ.د. مجيد مخلف طراد ٨٥
- جعفر عباس حميدي (مؤرخاً)
م.م. مازن قاسم مهلهل ٩٥

التراث في دراسات
المفكرين المعاصرين

المحتوى

- العلامات المائية في المخطوطات الإسلامية
د. محمد عزيز الوحيد ١٠٣
- المصنفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ
أ.م.د. إيمان صالح مهدي ١١٧
- مخطوطة (أمراض المعدة)
م.د. نهاد نعمة مجيد ١٣٣
- مخطوطة (أمراض المثانة والكلى)
م.د. سندس زيدان خلف الشجيري ١٤٧
- بشار عواد ومنهجه في تحقيق كتاب التكملة
أ.م.د. زينب كامل كريم ١٦٧

**ملف العدد
في المخطوطات
و تحقيقها**

- النتاجات العلمية والأدبية في كتاب الفوائد البهية للكنوي (ت ١٣٠٤هـ)
أ.د. فاطمة زبار عنيزان ١٧٧
- تحليل منهج وموارد طبقات المفسرين للسيوطي
أ.م.د. آلاء نافع جاسم ١٨٥

**قراءات
في كتب التراث**

- لامية العرب للشنفرى
أ.م.د. صبيح مزعل جابر ٢٠١

دراسات أدبية

- هاشمية الأنبار في ضوء التنقيبات الأثرية
د. سعدي إبراهيم الدراجي ٢٠٩
- قلعة أربيل - دراسة في المصادر الاثرية والتاريخية
م.د. لقاء شاكر خطار ٢٢٥

معالم تراثية

رئيس التحرير



يؤسس التعاون بين الجهات التي تهتم بالشأن الثقافي وتسعى إلى تكريس حضوره في أفق التلقي والتداول المعرفي المتاح فاعلية حيوية جديرة بالإشادة، كونها ترسخ اليقين في أن العمل الثقافي مساحة للتواصل ومدّ الجسور بين أكثر من جهة، وبما يؤكد المسعى الحصيف نحو إعلاء شأن هذا العمل وترسيخ أدواره في بنية المجتمع المنشود.

وتمثلاً لهذه الرؤية فقد تهيأ لدار الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة ومركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد أن يقيما بينهما أكثر من وشيجة تعاون ثقافي عبر اللقاءات والندوات المشتركة بينهما، وبما يمكن عدّه مثلاً طيباً لما ينبغي أن يكون عليه التواصل والعمل المشترك بين الجهات ذات النشاطات المعرفية المتناظرة.

ويأتي هذا العدد الخاص من (المورد) ليضاف إلى تلك الأنشطة المعرفية المشتركة، فهو يتضمن بين دفتيه الأبحاث العلمية التي أنجزها التدريسيون في مركز إحياء التراث، هذا المركز الذي تأسس منذ النصف الثاني من سبعينات القرن الماضي، ولا يزال يواصل عطاءه العلمي الرصين في مجال العناية بالتراث العلمي العربي، وتشخيص حضوره على نحو متميز، تتواصل مع ما كانت عليه البحوث والدراسات والمؤتمرات والندوات التي دونت في سفر هذا المركز الحافل بالعطاء العلمي الخلاق الذي تركت بصماتها فيه أجيال من الباحثين العراقيين الذين احتوتهم أقسامه البحثية المتعددة.

يتضمن هذا العدد مقداراً طيباً من الأبحاث التي أنجزها كتّابها على وفق ماتهيأ لهم من أدوات منهجية وإمكانات معرفية في القراءة والكشف والتحليل. وهي تتناول جوانب مختلفة من آفاق التراث العربي الإسلامي وقضاياها التاريخية والأدبية ونصوصه التي جرى تحقيقها من قبل أولئك الباحثين. وقد سعينا إلى تبويب تلك الأبحاث في مجالاتها بحسب محتوى كل منها واشتغالاته.

المرأة في نهج البلاغة

أ.م.د. عماد الدين عبد الرزاق العباسي*



المقدمة :

لم ينل كتاب بعد القرآن الكريم من الشرح والتفسير والترجمة الكلية والجزئية ما ناله كتاب (نهج البلاغة) الذي يضم بين دفتيه جملة مما جمعه الشريف الرضي (٤٠٦هـ) من كلام أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) من خطب ورسائل ومواظ ووصايا وحكم أثبتتها الرضي على شكل فصول^(١). ولم يكن عمله هذا الأول من نوعه فقد سبقه الكثير ممن حاولوا جمع كلام الإمام علي (ع)^(٢)، ولكنها كانت محاولات غير متكاملة أو مجتزأة؛ أما عمل الشريف الرضي فقد برز به السابقين واللاحقين لأنه جاء بترتيب وتنظيم مختلف تماماً، وقد أتمه سنة (٤٠٠هـ) معتمداً على الكثير من المصادر التي صرح ببعضها بين ثنايا الكتاب ومنها ما لم يصرح به لكنه ماثوث في كتب الأدب والتاريخ والسير السابقة للرضي.

تناول كلام الإمام علي (ع) في نهج البلاغة مواضيع شتى منها: التوحيد، والإيمان، والنبوة، والمعاد، والحقوق، والإمامة، والعدالة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلاة، والصوم، والزكاة، والجهد، والأمانة، وسياسة الحكم والحاكم، والاهتمام بالرعية، وغيرها. وما يهمنا في هذا البحث هو كلامه عن المرأة ومناسبة الكلام ومعناه والهدف منه وتفسيره. وقد أحصينا المواضيع التي جاء فيها لفظ: امرأة ونساء أينما وردت؛ ولكننا آثرنا أن نبحث في حديثه في المواضيع التي أشكلت على البعض، أو التي أثار بعض الجهال وأصحاب الأغراض ومُدعي حقوق المرأة الكثير من اللغط حولها.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



● خطاب المرأة في نهج البلاغة

نسبت للإمام علي (ع) الكثير من الأحاديث حول النساء، لكننا التزمنا اطمئناناً بما وثقه الشريف الرضي في كتاب نهج البلاغة وبعنوان البحث، ولم نطلب سواه من المستدركات^(٣)، وسنوردها بحسب تسلسل كلامه (ع) من النهج: ١- ومن خطبة له (ع) في الحث على الجهاد وذم القاعدين: «يَا أَشْبَاهَ الرَّجَالِ وَلَا رَجَالَ! حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ»^(٤).

هذه الخطبة وردت في ذم القاعدين المتخلفين عن القتال من أهل الكوفة، وليس في ذم النساء عموماً؛ فوصفهم الإمام (ع) بأن أحلامهم كأحلام الأطفال وعقول النساء، وجاء هذا التشبيه لغلبة عواطف النساء وأهوائهن على عقولهن؛ فإذا اتبع الرجال هواهم وأضاعوا عقولهم صاروا مثل النساء اللواتي يتبعن أهواءهن. و «الحجال: جمع حجلة وهي بيت يزين بالستور والثياب والأسرة»^(٥).

٢- ومن خطبة له (ع) في الحث على الجهاد وذم القاعدين: «وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَاحِهَا وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ، فَيَنْتَزِعُ جِجَاهَهَا، وَقُلُوبَهَا وَقَلَائِدَهَا، وَرُعْتَهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْإِسْتِرْجَاعِ وَالْإِسْتِرْحَامِ»^(٦).

المعاهدة: ذات العهد، وهي الذمية. والحجل: الخلخال، والقلوب جمع قلب وهو السوار المصمت، و رعثها شئونها، والاسترجاع قوله: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، والاسترحام: أن تناشده الرحم، و انصرفوا وافرين: أي تامين^(٧).

وأخو غامد هذا هو: «سفيان عوف من بني غامد، وهم قبيلة في اليمن، دعاه معاوية وجهزه بجيش كثيف، وقال له: امض حتى تغير على الأنبار والمدائن، واقتل من ليس على مثل رأيك، وأخرب كل ما تمر به من قرى، وانهب الأموال وهو أوجع للقلب... وامتثل سفيان وقتل ونهب ودمر، وملأ القلوب رعباً... ولما عاد إلى معاوية قال له: «كنت عند ظني بك»^(٨).

٣- ومن كلام له (ع) في ذم أهل العراق: «أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَمَاتَ قِيَمُهَا وَطَالَ تَأْيِمُهَا وَوَرِثُهَا أَبْعَدُهَا»^(٩).

جاء كلامه (ع) بعد معركة صفين بعد أن أصبح النصر قاب قوسين أو أدنى؛ ثم تخاذل القوم ورضخوا للتحكيم، فوبخهم أمير المؤمنين وشبههم بالمرأة الحامل في استعدادهم للقتال، وإتمامهم لوازم النصر كإتمامها، ورجوعهم عن عدوهم بعد إشرافهم على الظفر يشبه إملاص المرأة الحامل التي أتمت كل استعدادها للولادة ثم تملص حملها، وكما أن هذا الأمر غير طبيعي للمرأة؛ أي عملية الإسقاط، فإنه غير معتاد أيضاً عند الجيوش التي قاربت على النصر وسحق العدو ومحقه. ثم مات زوج المرأة التي أملت، وطال تأيمها أي حرمانها من الأزواج، وورثها الأبعد من الأقارب أو من لا نسب بينها وبينه. وهكذا يشبه الإمام الناكثين بهذه المرأة التي استحققت طول الغربة والضعف والذلة، ويشبه عدم طاعتهم له الجاري مجرى موته عنهم لعدم وجود الولد والزوج؛ فأخذ عدوهم الذي هو أبعد الناس عنهم ما لهم من البلاد، واستحقاقهم ذلك بسبب تقصيرهم عن مقاومته^(١٠).

٤- ومن كلام له (ع) بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء: «مَعَايِشَ النَّاسِ، إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ، نَوَاقِصُ الْحُطُوطِ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ. فَأَمَّا نَقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ، وَأَمَّا نَقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ إِمْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ، وَأَمَّا نَقْصَانُ حُطُوطِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ. فَاتَّقُوا شَرَّ النِّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، وَلَا تَطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعَنَّ فِي الْمُنْكَرِ»^(١١).

لعل هذا الكلام للإمام علي (ع) من أكثر الأحاديث التي أثارت جدلاً كبيراً وخصوصاً في عصرنا هذا؛ حيث اجتهد الكثير من الجهال، ومن أصحاب النوايا السيئة، وتبارى آخرون من مدعي الدفاع عن حقوق المرأة في لي المعنى الذي أراده الإمام علي (ع) في هذا الكلام؛ بل حاول البعض أن يربطوا بين كلام الإمام علي وإشارة الشريف الرضي إلى أنه قد وقع بعد الفراغ من حرب الجمل وأن يسوقوا المراد والغرض إلى امرأة بعينها، وفاتهم أن هذا الكلام لا يجاوز حديث النبي (ص) معنئ، ولا يختلف عنه لفظاً بقوله (ص): «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعِشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ» قُلْنَ: وَمَا نَقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلُ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نَقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تُصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نَقْصَانِ دِينِهَا»^(١٢). وهذه الخطبة واحدة من الأحاديث المعدودة التي تعرضت للنقد والتحليل

من زوايا مختلفة. وفي كل الأحوال فإن الكلام الذي ورد فيها لا يدل على أي حط من مقام وكرامة المرأة، ولا ينفي المساواة والتناظر بين المرأة والرجل في الصفات والجدور الإنسانية؛ إلا أنه ينفي التشابه بين الطرفين في كثير من النواحي الفيزيولوجية والبيولوجية والتفكير والعواطف والأحاسيس والحقوق والواجبات والوظائف، في الوقت الذي يمتلك كل منهما الوسائل واللازم الخاصة بتحمل المسؤوليات والواجبات الملقة على عاتقه؛ كما أن هنالك تمايزاً في الحالة النفسية والبدنية أوجب هذا الاختلاف بينهما.

وفي هذا بيان واضح إلى أن النساء لسن بصفة واحدة، فمنهن الصالحات وهن المؤمنات، ومنهن الشريرات وهن الفاسقات والكافرات. وعلى المؤمن أن يجتنب النساء الشريرات، ولا يستسلم للنساء الصالحات؛ بل يكون حذراً من انزلاقهن إلى الحرام. وإذا كن صالحات فلا يطيعهن في كل شيء، لأن إطاعتهن في كل مطلب يشجعهن على التمادي في الطلب، حتى يطلبن المنكر^(١٣). وللبحث في مضامين كلام الإمام يستلزم الأمر الإجابة على السؤال التالي: هل أن مفهوم النقص في كلام الإمام علي يعد ظلماً تكوينياً أم تشريعياً؟، وجواباً على هذا السؤال يجدر القول أن المقصود من «النقص» ليس التقليل من القيمة الإنسانية؛ بل بيان حدود المرأة في مقابل الرجل والتي لها رمزية في النقص الكمي وليس النوعي الذي يعد معيار القيم. والنقص بالمعيار المذكور ليس بمعنى أنها ظلمت في نظام الخلق، والتشكيل، والمؤسسات القانونية والتشريع، ولم تعط حقها والإمكانات اللازمة لنضجها وتكاملها، والتي يجب أن توضع في خدمتها، وبعبارة أخرى فإن الله سبحانه لم يهمل المرأة في نظام التكوين والتشريع بين الخلق، ولم تُخلق المرأة على خلاف الحكمة والمصلحة^(١٤).



وإذا ما أخذنا بنظرة القرآن الكريم للمرأة من منظور علم الإنسان؛ فإننا نلاحظ بجلاء المساواة بين الرجل والمرأة بأربعة أبعاد: المساواة في الأصل والجذر في الخلق، والمساواة في قوة المنظومة القيمية، والمساواة في القدرة على الإتقان والتطور، والمساواة في الحقوق الإنسانية. وجدير بالانتباه أن مسألة الاختلاف بين المرأة والرجل واحدة من أعجب روائع الخلق؛ فنفس هذه الاختلافات هي التي تشكل أرضية الجذب والانجذاب والحب والتعاون وتوجد فهماً وإدراكاً متقابلاً بين المرأة والرجل. وما تم تصويره عن المرأة في نهج البلاغة هو طرح ذو بعد واحد للوجه الكامل للمرأة في القرآن؛ فقد تحدث القرآن الكريم عن المرأة بعنوان النموذج العالي للإيمان وأيضاً بعنوان النموذج العالي للكفر، ومن خلال النظر إلى الطرفين والبعدين لموضوع المرأة، ولأجل فهم مظهر ووجه وشخصية المرأة في نهج البلاغة يجب الرجوع إلى القرآن، وبالمقارنة مع القرآن يمكن النهوض بدراسة نهج البلاغة^(١٥).

وبالعودة إلى كلام الإمام (ع) وبدءاً بموضوعة نقصان الإيمان فقولته: «فَأَمَّا نَقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَتَعُوْذُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامٍ حَيِّضِهِنَّ»، وهذا ما لا يمكن عده نقصاناً في المرأة؛ بل بيان لأمر واقع غير قابل للإنكار. وبناءً على هذا فإن المقصود من عبارة «نواقص الإيمان» في كلام الإمام ليس الاختلاف في الإيمان بمعنى الإيمان والاعتقاد بالله والرسول والأصول والفروع الاعتقادية الأخرى؛ لأن ذلك الإيمان واحد لدى المرأة والرجل، والله وحده يستطيع تحديد ميزانه؛ بل إن الإيمان الذي أشار إليه أمير المؤمنين (ع) هو حصة المرأة من العمل والعبادات وقلة نصيبها بشكل قهري في أيام الحيض^(١٦).

وفي حين يستطيع الرجل ممارسة العبادات في كل وقت، نجد أن المرأة تقعد عن الصلاة والصيام في أيام الحيض، وهي تشكل نحواً من ربع حياتها. وسبب ذلك أن المرأة أثناء الحيض تعاني من تبدلات عضوية ونفسية تجعلها غير مهية لممارسة العبادات، ويفصل في ذلك قوله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى» (البقرة: ٢٢٢)^(١٧).

ويمكن التعويل على رأي ابن ميثم البحراني والعلامة الخوئي في تبرير هذا الكلام؛ بما أن الصلاة والصيام هي شعار المؤمن، ويمثل الابتعاد عنهما خلاً في الإيمان؛ فإن ترك النساء صلاتهن وصيامهن في أيام خاصة يتم بأمر الله؛ فإذا صح أن ترك الصلاة والصيام يبعث على ضعف الإيمان فهذا ليس لمن هو مأمور بترك الصلاة والصيام فهذا العمل نفسه عبادة؛ بل يكون مبعث ضعف للذين يتركون الصلاة تمرداً وإهمالاً عن طريق العقل والقصد؛ فإن تركهن للصلاة والصيام في هذه الأيام جاء تنفيذاً لأمر الشرع المقدس الذي سلبهن هذا التكليف في هذه الأيام^(١٨).

وحاشا لله أن يظلم عباده فقد جبر سبحانه هذا النقص بأشكال مختلفة، مثل: سرعة حلول سن التكليف، وبلوغها قبل الرجال؛ نظراً لأن النساء تُشرع الصلاة لهن قبل الرجال بست سنوات، ولا حيض لهن عند الحمل والإرضاع، وفي هذه الفترة لا عذر لهن في ترك الصلاة. وكُتِبَ لهن غفران زلاتهن أثناء الحمل والولادة، ورُفِعَتَ عنهن التكاليف المجهدة مثل الجهاد والمهر ونفقة العيال وسوى ذلك^(١٩).

وعطفاً على الموضوع الثانية في قوله (ع): «وَأَمَّا نَقْصَانُ حُظُوْظِهِنَّ فَمَوَارِيْثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيْثِ الرِّجَالِ» فمن الواضح أن المقصود هنا

بالحفظ هو الإرث، والحصة من أموال المورثين، وهي إشارة إلى الآيتين الشريفتين: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» (النساء: ١٧)، و«فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (النساء: ١٧٦).

وطبقاً لقول العلامة الطباطبائي (رض) فإن: «حاصل هذا الوضع والتشريع العجيب أن الرجل والمرأة متعاكسان في الملك والمصرف، فللرجل مُلك ثلثي ثروة الدنيا وله مصرف ثلثها، وللمرأة مُلك ثلث الثروة ولها مصرف ثلثها؛ وقد لوحظ في ذلك غلبة روح التعقل على روح الإحساس والعواطف في الرجل، والتبدير المالي بالحفظ والتبديل والإنتاج والاسترباح أنسب وأمس بروح التعقل، وغلبة العواطف الرقيقة والإحساسات اللطيفة على روح التعقل في المرأة، وذلك بالمصرف أمس وألصق، فهذا هو السر الذي اعتبره الإسلام في باب الإرث والنفقات بين الرجال والنساء»^(٢٠)، ويضيف العلامة الطباطبائي: «إن الرجال فضلوا على النساء بروح التعقل الذي أوجب تفاوتاً في أمر الإرث وما يشبهه، لكنها فضيلة بمعنى الزيادة، وأما الفضيلة بمعنى الكرامة التي يعتني بشأنها الإسلام فهي التقوى أينما كانت».

أي أن المهر ونفقات المعيشة ونفقات الأولاد تقع على عاتق الرجل وجوباً حتى في حالة حصول المرأة على مال وفير عن طريق الإرث أو طرق أخرى؛ أي أن الإمام لم يرد التقليل من قيمة المرأة لأن سهم إرثها قليل، بل أراد القول أن الدين يعطي المرأة هذا المال ولكن بمسؤولية الرجل بعنوان مهر ونفقة^(٢١).

وبالتأكيد فإن الشرع المقدس لم يشمل جميع مسائل الإرث^(٢٢).

وأما الموضوعة الثالثة قوله: «وَأَمَّا نَقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ إِمْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ»؛ فإذا كانت شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد فلأن العواطف تغلب عليهن، وربما تقع المرأة تحت تأثير عواطفها وأحاسيسها فتشهد لمنفعة شخص وبضرر آخر^(٢٣). ولتعلق موضوع الشهادة بمصير الناس وبأرواحهم وبالحياة والموت وحقوق الناس في كثير من مفاصل الحياة فكان لابد من سد الثغرات أي سد طريق الخطأ والشبهة لدفع أي ضرر محتمل. ويمكن تحسس بعض الأسباب المقنعة التي جعلت الشرع الحنيف يعدل شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد، ومنها: وجود الأحاسيس والعواطف القوية لدى النساء، وتأثير عواطفهن على القضاء وشهادتهن، وكون النساء أكثر عرضة للانفتاح، ولا يستطعن التركيز في أمر واحد، والنسيان الناشئ من تأثير الأحاسيس والعواطف والخجل والحياء لديهن يستوجب أن تكون شهادة امرأتين مساوية لشهادة رجل واحد^(٢٤).

على أن هذا السياق في شهادة النساء لا يسري على جميع مسائل الشهادة؛ ففي مواضع كثيرة تكون شهادة النساء حتى بدون أن تتعدد مساوية لشهادة الرجال، وهذه المواضع هي التي تعرف بأنها موضوعات تختص بشهادة واعتراف النساء أنفسهن، مثل: شهادة المرأة فيما يخص أيام حيضها أو أيام طهرها، ونسبة الطفل الذي في بطنها والقضايا المالية والديون والعذرية، وغير ذلك^(٢٥).



إن هذا التفاوت في القوى العقلية والعاطفية غير قابل للإنكار، ويرى المختصون أن المقصود هو العقل النظري والتحليلي والافتراضي والفلسفي والعقل السياسي- الاجتماعي لدى الرجال الذي يعد نطاقه وقدراته أكبر وأوسع وليس العقل العملي؛ لأن النساء في العقل العملي لسن ضعافاً؛ بل ربما يتغلبن على الرجال أحياناً، وعلماء النفس يهتمون بهذه المسألة فتقول السيدة (لامر): «إن قوة العقل عند المرأة ناقصة؛ لأن العاطفة تتلاعب بقوتها، ونحن النساء في ذروة الفطنة والإدراك السريع لا علاقة لأفكارنا بالمسائل الاجتماعية»، وهذا فيما عدا التفاوت العاطفي؛ لمتعة النساء بعواطف أكبر كونهن يحملن رسالة الأم والزوجة^(٢٦).

ويرى الدكتور الكرباسي أن: «مما يدل على أن المراد ليس نقصان العقل الذي هو القوة المدركة؛ بل المراد به قوة الذاكرة، إن للعقل معاني متعددة منها العلم والذي هو قبالة غيبوبته، وقد شاع استعمال اللفظ فيما له ارتباط بحقيقة أخرى ولو بأدنى مناسبة، وذلك من باب أنه من مستلزماته، ومن تلك مفردة (العقل) المستخدمة هنا في قوة الذاكرة بدلا من القوة المدركة... واتضح أن المراد بنقصان العقل هو قلة الذاكرة، وليس كما ذهب إليه المغرضون الذين أرادوا التلاعب بالألفاظ ليس لصالح الرجل بل لضرب الإسلام والانتقاص من المرأة، وإلا فإن في النساء منهن راجحات العقول على الرجال كما يشهد بذلك التاريخ ومواقف النساء المسلمات على عهد الرسول (ص) والأئمة الأطهار» (ع)^(٢٧).

ثم كون شهادة اثنتين منهن كشهادة واحد منهم في الأموال وفي غيرها تفصيل، فقال الشيخ المفيد في (مقننته): «وتقبل شهادة امرأتين مسلمتين مستورتين فيما لا يراه الرجال كالعذرة وعيوب النساء والحيض والنفاس والولادة والاستهلال والرضاع، وإذا لم يوجد على ذلك إلا شهادة امرأة واحدة مأمونة قبلت شهادتها فيه... ولا تقبل شهادة النساء في الطلاق والنكاح الحدود، ولا تقبل شهادتهن في رؤية الهلال... وتقبل شهادة امرأة واحدة في ربع الوصية ولا تقبل في جميعها»^(٢٨).

ومن الاختلافات الأخرى الموجودة بين المرأة والرجل هو الاختلاف في مجال الإنفعالات؛ فيعتقد علماء النفس أن النساء أسرع وأكثر انفعالاتاً من الرجال، ويرى البروفسور (ريك): «أن المرأة والرجل يختلفان عن بعضهما من حيث التركيز الكلية، علاوة على ذلك فإن الأحاسيس الموجودة ومقياس انفعالاتهما لن يكون متماثلاً ولا يشير إلى رد فعل واحد في مواجهة الأحداث والوقائع»، وتقول جينا لمبروز: «إن ما يحفز المرأة على اتخاذ قراراتها هو إحساساتها القلبية وليس استعداداتها العقلية»^(٢٩). بعبارة أخرى؛ فإن نقصان عقل المرأة بتمام عقل الرجل، ويُرمم ويُجبر النقصان العاطفي للرجل بالتمام العاطفي للمرأة، وفي هذه الحالة فإن المرأة والرجل يصنعان مع بعضهما الإنسان الكامل^(٣٠).

الاختلاف الآخر بين المرأة والرجل هو الاختلاف في اتخاذ القرار؛ فالمرأة تجد عدة طرق لحل المشكلة؛ لذا فهي ليست قادرة على التركيز والتقرير. كما أن النساء عندما يرغبن في تأسيس علاقة فإنهن يملن أكثر إلى أن يُشركن الآخرين في اتخاذ القرار على عكس الرجال الذين يمتلكون القدرة

السريعة للتركيز الكامل على المشكلة أو المسألة ويشرعون بالتقرير ثم يستعدون لتبديل قرارهم بناءً على معلومات الآخرين، وهذه المسألة توجد اختلافاً في مشورة النساء والرجال. ومثلما أن المسؤوليات الطبيعية والعمل الفطري للمرأة يحد من انجازها لبعض من الأعمال كالجهاد والحكم والقضاء، إلا أن المجال السياسي مفتوح أمامها للفعاليات والمشاركات الاجتماعية الأخرى. كما أشركها الرسول الأكرم (ص) في النشاطات الاجتماعية مثل البيعة ومسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والهجرة واللجوء السياسي والحركات الاجتماعية الأخرى^(٣١).

وقوله (ع): «فَاتَّقُوا شَرَّ النِّسَاءِ وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَلَا تَطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ» يستفاد منه وجوب الحذر من شرار النساء ولزوم مراعاة جانب الاحتياط في التعامل مع النساء الصالحات أيضاً؛ ثم يبين دليل هذا الكلام: إذا أطاع رجل زوجته بشكل كامل ونفذ كل ما تأمر به فمن الممكن أن تأمره في أمور خاطئة لا تختص به وحده^(٣٢). ومن البديهي أن عدم طاعتهم في المعروف ليس بمعنى أنه (عمل صالح)، إذا كانت دعوتهم للخير وأنتم تخالقونهم؛ بمعنى: «ليس ينهي عن فعل المعروف وإنما هو نهي عن طاعتهم أي لا تفعلوه لأجل أمرهم لكم به بل افعلوه لأنه معروف والكلام ينحو نحو المثل المشهور لا تعط العبد كراعاً فيأخذ ذراعاً»^(٣٣).

بل إن الهدف من ذلك هو أن قبول اقتراحهن لا يجب أن يكون بصورة تسليم بلا قيد أو شرط في مقابلهن، وبتعبير آخر: اعملوا المعروف لكونه معروفاً، وليس بعنوان تسليم بدون قيد أو شرط في مقابل زوجاتكم ولا تجعلوهن يتجرأن وينتظرن

أحياناً الاستسلام لرغباتهن غير المقبولة. فهدف الخطبة ليس ترك المعروف؛ بل هدفها أن لا يكون عملكم بشكل طاعة بلا قيد أو شرط^(٣٤).

إن المحصلة العامة لهذه المباحث في هذا الكلام: هي أن النواقص الثلاثة التي نسبت في هذه الخطبة إلى المرأة كان الهدف الكلي لأمر المؤمنين (ع) منها هو الإشارة إلى الخصائص السامية لحياة الرجل والمرأة وليس الاختلاف بين الشخصية الإنسانية للمرأة والرجل لوجود دلائل كافية ضمّنها (ع) فيها أن القصد من نقصان الإيمان والعقل وسهم الإرث ليس بشكل كلي لأن إسناد مثل هذه النقوص إلى النساء مخالف للقرآن؛ فقد عدّ القرآن الجميع مخلوقاً ومركباً من الجميع، وبناء على هذا سيكونون مثل الجميع ما عدا الذي يكون أكثر ثقافة، وفي هذا ليس هناك بيان أكثر كمالاً وبلاغاً من هذا.

لقد وحد الإسلام بكل وضوح وبشكل قطعي الهوية الإنسانية للمرأة والرجل، والنصوص القاطعة للقرآن في بيان وحدة الهوية الإنسانية للرجل والمرأة ليست قابلة للخدش والشك. ومن جملة الآيات التي توضح هذه الوحدة:

آية التساوي في الخلقة: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (الحجرات: ١٣).

آية التساوي في نيل الأجر على أساس العمل: «فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثَى» (آل عمران: ١٩٥).

آية تساوي المرأة والرجل في اكتساب القيم والصفات السامية: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَ



الْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (الأحزاب: ٣٥).

فالمرأة والرجل خلقا من جوهر وذات واحدة، وجوهر المرأة والرجل واحد وليست المرأة فرعاً من الرجل ولا زيادة عليه ولا متطفلة؛ بل إن الله خلق أولاً المرأة من نفس الذات والأصل الذي خلق منه جميع الرجال والنساء^(٣٥).

ومن خلال التدبر في الآيات السابقة يتضح وبدون أدنى إبهام أن الرجل والمرأة متحدان من حيث الشخصية والصفات والأوصاف العليا والقيم. وإن إهانة وتحقير المرأة أو إسناد إهانتها وتحقيرها إلى الإسلام ناتج عن عدم الاطلاع على المضامين الكثيرة للآيات التي جاءت في القرآن، وهذا هو البعد الإنساني والهوية الشخصية للمرأة من منظور الإسلام.

ومما تقدم يبدو جلياً أن هدف الإمام علي (ع) في هذه الخطبة لم يكن الحط من شأن المرأة وكرامتها؛ بل بيان الاختلافات التي بين الرجال والنساء في القيام بالعبادات والإرث والشهادة.

٥- ومن كلام له (ع) في توبيخ أصحابه: «وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ أَنْ لَوْ حَمَسَ الْوَعْيُ، وَحَمِيَ الضَّرَابُ، قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبْلَيْهَا، وَإِنِّي لَعَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمَنْهَاجَ مَنْ نَبِيِّ، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ لَقُطَّةً لَقُطًا»^(٣٦)

قوله (ع): «انفراج المرأة عن قبلها أي: وقت الولادة»^(٣٧). أو بكلام آخر إن المراد هو تشبيه القوم بالنساء حال الولادة، حينما تكون المرأة في أضعف حالاتها، ويستبد بها غيرها من النساء، ويراد

بهذا التشبيه الإخبار عن أصحابه بأنهم ضعاف متخاذلون^(٣٨)، وقال بعض الشراح أن: القصد من هذا التشبيه هو استثارتهم ليرجعوا إلى الأنفة والحمية.

٦- ومن خطبة له (ع) في تحذير الناس من الغفلة: «إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا وَإِنَّ السَّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ»^(٣٩).

أراد أمير المؤمنين (ع) بقوله: «وإن النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها» بيان أن لكل مخلوق شأنًا يشغله وأمرًا يليه؛ فذكر على سبيل المثال أن البهائم من الحيوانات تُعَدُّ الحصول على الطعام مهما الأول؛ أما الحيوانات المفترسة فمُنشغلة بالعدوان على سواها وهذا جُلُّ همها. ثم يعرج بالحديث عن النساء ويذكر أن ما يهمهن هو «زينة الحياة الدنيا» التي فسرها القرآن الكريم بأنها «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» ثم يردفها سبحانه: «وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا» (الكهف ٤٦)، «والبقيات الصالحات» هي على قول ابن عباس: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»، وعنه أيضاً أنها: «الصلوات الخمس». ومن المؤكد أن رأيه هذا في النساء لم يكن على سبيل التعميم؛ بل اختص به النساء اللواتي ابتعدن عن جوهر الإسلام وأصبح همهن المال والذهب والفضة والحياة الدنيا وزخرفها، وتركن عقولهن ورغبن في إتباع الشهوات، وفوتن الباقيات الصالحات.

ويروي ابن أبي الحديد بعض اللطائف لبعض الحكماء عن النساء فيقول: «نظر حكيم إلى امرأة مصلوبة على شجرة فقال: ليت كل شجرة تحمل مثل هذه الثمرة. ومرت امرأة بسقراط وهو

يتشرق في الشمس فقالت: ما أقبحك أيها الشيخ! فقال: لو أنكن من المرائي الصدئة لغمني ما بان من قبح صورتني فيكن. ورأى حكيم امرأة تعلم الكتابة فقال: سهم يُسقى سماً ليرمي به يوماً ما. ورأى بعضهم جارية تحمل ناراً، فقال: نار على نار، والحامل شر من المحمول. وقيل: لسقراط أي السباع أحسن؟ قال المرأة. و تزوج بعضهم امرأة نحيفة، فقيل: له في ذلك، فقال: اخترت من الشر أقله. ورأى بعض الحكماء امرأة غريقة قد احتملها السيل، فقال: زادت الكدر كدراً والشر بالشر يهلك^(٤٠). وبما أن الزينة من لوازم النساء، وتمثل منشأ خداع للرجل ونوعاً من بضاعة وفتنة المرأة؛ لذا فإن هذا السلاح من أخطر الأسلحة التي يواجهها الرجال، والتي لا تبخل النساء في استخدامها^(٤١).

٧- و من وصية له (ع) لعسكره بصفين قبل لقاء العدو: «وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَائِكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْءَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوْ الْهَرَاوَةِ، فَيَعِيرُ بِهَا وَعَقِبَهُ مِنْ بَعْدِهِ»^(٤٢). قوله (ع): «لَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى»، أي: لا تحركوهن، والفهر: الحجر، والهرادة: العصا^(٤٣). وقد كانت المرأة في الماضي إذا تكلمت أمام السلطان أو الحاكم فلا يحاسبها كما يحاسب الرجل؛ بل يقول إنها امرأة والمرأة تتكلم بعاطفتها، وهذه من صفات المرأة إذا أثرت حفيظتها؛ فمن صفة النساء إذا أثرت حفيظتهن، أنهن يسترسلن في التفوه بأنواع الكلام، دون أن يستطعن كبج جماح أنفسهن وعاطفتهن.

وهنا نجد أن الإمام كان متحيزاً للمرأة أكثر من أي عقيدة مادية، وقد استنكر العنف والتعرض للنساء تحت أي ظرف، حتى في حالة سوء التصرف والإهانة^(٤٤).

٨- ومن كتاب له (ع) إلى معاوية جواباً: «وَمَنَا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَمَنْكُمْ حَمَلَةُ الْحَطَبِ»^(٤٥).

والمراد واضح فإن قوله (ع): «ومنا خير نساء العالمين يعني فاطمة، نص رسول الله (ص) على ذلك، لا خلاف فيه. و منكم حمالة الحطب، هي أم جميل بنت حرب بن أمية، امرأة أبي لهب الذي ورد نص القرآن فيها بما ورد»^(٤٦).

٩- ومن وصيته (ع) للحسن (ع): «وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعَزْمُهُنَّ إِلَى وَهْنٍ، وَأُكْفِفُ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحَبَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَبَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَافْعَلْ. وَلَا تَمْلِكِ الْمَرْءَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْءَ رِيحَانَةً، وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ. وَلَا تَعُدْ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لغيرها. وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الْكَرْبِ»^(٤٧).

هذه الفقرة من وصية له لابنه الحسن نقلنا منها ما يخص النساء، فيها قوله: «وَإِيَّاكَ وَ مُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ»؛ لأن المرأة غالباً ما تحب أن تشارك زوجها الرأي في جميع المواقف لو أُتيح لها ذلك، وقد تكون على صواب في كثير من آرائها خصوصاً النساء المميزات بالرأي السديد والفتنة المشهودة، ولكن أغلب النساء يملن إلى استغلال هذه المشورة خصوصاً إذا حققت المشورة هدفها المنشود؛ فتحاول أن تفرض رأيها في كل شيء



فتمحو شخصية الزوج، ويأخذها الغرور والزهو والعجب فلا ترى لرأي زوجها في قادم الأمور مقاما حتى لو كان مصيباً.

وقوله (ع) «فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ» الأفن بالسكون: النقص، والمتأفن: المتنقص، يقال: فلان يتأفن فلانا أي يتنقصه ويعيبه. ومن رواه إلى «أفن» بالتحريك فهو ضعف الرأي، أفن الرجل يأفن أفناً أي ضعف رأيه والوهن: الضعف. وأراد أن مشاورة النساء من فعل عجزه الرجال^(٤٨). لذا فإن الأحاسيس والعواطف الشديدة مثلما يمكن أن تؤثر في اتخاذ القرار عند الرجل فإنها تؤثر في المرأة أيضاً؛ بيد أنها تؤثر في اتخاذ المرأة لقراراتها أكثر على أساس العواطف والأحاسيس قبل أن تأخذ الجوانب العقلانية بنظر الاعتبار ولهذا السبب يقول الإمام علي(ع) في وصيته لابنه الحسن(ع): «فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ»^(٤٩). بيد أن: «مثل هذا الكائن اللطيف لا يستطيع أن يكون طرفاً للمشورة في المسائل المهمة، ومعلوم أيضاً أن كل حكم عام له استثناءات، وما من عام إلا وقد خصّ، وفي هذا المورد ثمة نساء يملكن من العزم والإرادة والرأي الثاقب بحيث يوازين الرجال من أهل الخبرة، أضف إلى ذلك أن القضايا العاطفية والأحاسيس النفسانية تتغلب على النساء، وهذا هو الأمر الذي يتغلب عليهن في مقام المشاورة»^(٥٠).

وربما يعود نهى النبي (ص) بقوله: «شاوروهن وخالفوهن»^(٥١) وقول علي إلى أن أكثر النساء كانت تحمل مشورتها على مشورة الجاهلية؛ فقد كانت أكثر النساء آنذاك بمعزل عن العلم وتجارب الحياة التي لا ذنب لها في ذلك؛ حيث تقع مسؤولية تعليمها وتربيتها على الرجل^(٥٢). والنظر إلى ضرورة المشورة يدلنا على أنها

من الأصول العامة للمعارف الاجتماعية الإسلامية ولا فرق في أصل الضرورة بين الرجل والمرأة. والواضح أن الإمام ينهى عن مشاورة النساء اللواتي خطف بريق الدنيا وزينتها عقولهن، وانشغلن بالأحاسيس الطفولية الساذجة، والبعيدات عن متابعة الأمور السياسية اليومية^(٥٣). وإلا فقد جاء في القرآن الكريم: «وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ» (الشورى: ٣٨)، و«وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» (آل عمران: ١٥٩)، و«فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا» (البقرة: ٢٣٣). وهو (ع) العارف والعالم بظاهر القرآن المجيد وباطنه وتفسيره وتأويله.

وقد قال(ع) في المشاورة: «مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرَّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا»^(٥٤).

وقوله (ع): «لَا غِنَى كَالْعُقْلِ، وَلَا فَقْرَ كَالْجُهْلِ، وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ، وَلَا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ»^(٥٥). وقال(ع): «وَلَا إِيْمَانُ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ وَلَا حَسَبٌ كَالْتَوَاضُعِ وَلَا شَرَفٌ كَالْعِلْمِ وَلَا عِزٌّ كَالْجُلْمِ وَلَا مُظَاهَرَةٌ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ»^(٥٦).

وقوله (ع): «لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رضي الله عنه وَ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ: لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى فَإِذَا عَصَيْتُكَ فَأَطِيعْنِي»^(٥٧).

ومن كلام له(ع): «فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ حُكْمُ جَهْلَتُهُ فَأَسْتَشِيرُكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا»^(٥٨).

ومن خطبة له(ع): «فَلَا تَكْفُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلِ»^(٥٩).

ومن كلام له(ع): «فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ الْإِمَاءِ»^(٦٠).

ومن عهده (ع) إلى مالك الأشتر لما ولاه مصر: «وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ»^(٦١).

ومن كلامه (ع): «وَالْإِسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ. وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَعْنَى بِرَأْيِهِ»^(٦٢).

إذن فهو أعرف الناس بقيمة وأهمية وجدوى المشاورة، وقد ورد عنه (ع) أنه قال: «إِيَّاكَ وَمَشَاوِرَةَ النِّسَاءِ، أَلَّا مِنْ جُرِّبَتْ بِكَمَالِ عَقْلٍ»^(٦٣)، حيث قيّد (إياك ومشاورة النساء) بجملة (من جربت بكمال عقل)، وهذا يعود إلى نوع النساء؛ وإلا فما الفائدة من المشاورة مع الرجال من ذوي الأحاسيس والتجارب القليلة^(٦٤). ولم يكن قصد الإمام من عدم المشاورة مع النساء في شؤون الأسرة أو الأمور التي يكن فيها هن صاحبات الرأي؛ بل في أمور السياسة وبعض المسائل الاجتماعية التي تشكل عليها^(٦٥). وقد جاء في الحديث الشريف: «اتَّعَمَرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ»؛ أي شاوروا النساء في بعض الأمور التي تكون من اختصاص ومعرفة النساء أكثر^(٦٦).

وحديث الإمام علي (ع) هذا يوحي إلى أن المشاورة مع النساء ليست حراماً وعلامة على عدم الثقة وعدم اهتمام الإسلام برأي المرأة؛ بل إلى حقيقة مهمة أن في ذلك العصر لم تكن النساء تمتك اطلاعاً كافياً على مسائل مهمة مثل تسيير الأمور السياسية، فقد كان الشعور بالانتقام والتفوق وطلب السلطة ما يزال مستشرياً لديهم؛ لذا فإن المشاورة مع هذا النوع من النساء ليست في مصلحة الدولة والنظام الإسلامي^(٦٧)، ولم تتوافر النساء على مكنة التحليل الصحيح للأحداث فكن يتمسكن

بظاهر الأخبار^(٦٨). وقد ثبت من خلال التجربة وعلى مد التاريخ أنه كلما ترك الرجال زمام الدولة لنساء البلاط؛ فإن هذه الدولة تؤول إلى الفساد وعدم الاستقرار والضعف والسقوط، وهذا ما حصل لدول الخوارزمشاهيين والصفويين والقاجاريين والبهلويين و...^(٦٩).

وعن نظرية (داخل المجلس وخارجه إدارة الرجل) يقول العلامة جعفري: «إن نظام الأسرة في الإسلام، نظام شورى مع إدارة ومسؤولية الرجل»^(٧٠).

وقوله (ع): «وَكَفَّفَ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكِ إِيَّاهُنَّ» إشارة إلى الآية الشريفة: «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (النور: ٣١).

وقوله (ع): «وَكَفَّفَ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ» فيعني به فاكفف عليهن بعض أبصارهن. ثم ذكر فائدة الحجاب، ونهاه أن يدخل عليهن من لا يوثق به، وقال إن خروجهن أهون من ذلك، لأن من تكن تلك صفته يتمكن من الخلوة ما لا يتمكن منه من يراهن في الطرقات. «وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ»، أي: حجبهن عن الغرباء؛ حيث لا فرق بين أن يطلق لهن السراح في

الخروج حيث أردن، وبين أن يدخل عليهن عاهر فاجر؛ أي أن خروج النساء من البيت أهون من دخول شخص غير موثوق عليهن، لأن من تكون هذه صفته يتمكن من الخلوة معهن في البيت بدون رقيب، بينما لا يتمكن من ذلك إذا رآهن في الطريق^(٧١).

ثم قال (ع): «وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَافْعَلْ». ويروى أنه: «كان لبعضهم بنت حسناء فحج بها، و كان يعصب عينيها، ويكشف للناس وجهها، فقليل له في ذلك، فقال: إنما الحذر من رؤيتها الناس لا من رؤية الناس لها»^(٧٢).

وقوله: «وَلَا تَمْلِكِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا»، أي لا تدخلها معك في تدبير ولا مشورة، ولا تتعديين حال نفسها وما يصلح شأنها^(٧٣).

وقد اتفقت المذاهب الإسلامية قولاً واحداً على أن المرأة لا يجوز أن تتولى^(٧٤) الإمارة والسلطان، وفي الحديث: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»^(٧٥).

فقد اختلفوا في توليها القضاء، فقال أبو حنيفة: «يجوز أن تتولى المرأة القضاء في حقوق الناس دون حقوق الله أي الحقوق العامة»، وقال غيره لا يجوز إطلاقاً. وقوله: «فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ»، أي إنما تصلح للمتعة واللذة، وليست

وكيلاً في مال، ولا وزيراً في رأي^(٧٦). فهي «رِيحَانَةٌ» للركة والحنان، «وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ» تتصرف فيما يخص الرجل نيابة عنه^(٧٧). إذن فإن قصد أمير المؤمنين أيضاً هو النهي عن تكليف المرأة في الأمور الشخصية والمالية للزوج وتسخيرها لخدمته^(٧٨).

فلا يجب على المجتمع «أن يثقل كاهلها بمهمات جسام تنوء بحملها وتخرجها من طور الحب والحنان والخصن الدافئ للزوج والأسرة إلى مجتمع التقنية والآلة تحت شعار المساواة المزيفة،

فخسرت الزوجة نفسها وزوجها وبيتها، ولم يربح المجتمع منها شيئاً وإن كان قد استغلها في مجال الدعاية المبتذلة فقد خسرناها كإنسانة وكامرأة باحتقارها لها وتسخيرها. ولذلك فإن الإسلام أراد للمرأة أن تكون سيدة بيتها فتحمل مكانتها الأصلية في الحياة، هذه المكانة التي تحفظ لها هيبتها وتعطيها الدور الإنساني الكبير كزوجة ومربية للأجيال^(٧٩).

فالرجال: «أكثر أهلية في تأمين العيش والحماية والمواجهة، وهنّ أكثر إطاعة للحبّ والعاطفة والعشق باتجاه الخير، وأشدّ انسجاماً في طباعهنّ مع تحمّل الشدائد والصعاب في سبيل بلورة الجمال الإلهي، وتجسيد قدر منه على الأرض، لتكون بذلك مرآة لعكس صورة معبرة عن الرحمة، والحبّ، والوفاء، وغيرها من القيم الجمالية»^(٨٠).

وقد نهى النبي (ص) عن تمكين المرأة من الإمارة، لأنها إذا حكمت تحكم بهواها، فتشيع في الأرض الفساد، وهذا من علامات آخر الزمان وقيام الساعة. وقال النبي (ص): «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها. وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نساءكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»^(٨١). وقال الإمام علي: «ومن أمارات الساعة: أمارة النساء والصبيان وكثرة السرايري وارتفاع البنيان. ولا تقوم الساعة حتى تشتغل الرجال، والنساء بالنساء»^(٨٢).

وقد تنبه علماء النفس إلى وصية الإمام علي إلى ابنه الحسن التي تعود إلى ألف وأربعمئة سنة بقوله: «وَلَا تَمْلِكِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا

فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ» أَنَّ النِّسَاءَ إِذَا حُمِلَتْ بِأُمُورٍ فِي حُدُودِ طَاقَتِهَا فَإِنَّهَا تَوْفِرُ لَهَا التَّحْمِلَ النَّفْسِيَّ، وَأَوْصُوا أَنْ لَا تَكْلِفَ الْمَرْأَةَ قَدْرَ الْإِمَّاكِ بِأَعْمَالٍ تَثْقِلُ كَاهِلَهَا، وَأَنْ تَكُونَ الْأُمُورُ فِي حُدُودِ طَاقَتِهَا حَتَّى لَا تَخْتَلُ وَتَضْطَرِبَ سَلَامَتُهَا النَّفْسِيَّةَ^(٨٣).

ثم أكد الوصية الأولى، فقال: «وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا»، بعد قوله: ولا تملكها من أمرها ما جاوز نفسها. ثم نهاه أن يطمعها في الشفاعات؛ فكرامة المرأة أن تبقى امرأة، وأن تضع نفسها حيث وضعتها الطبيعة، ولا تتطفل على وظائف الرجل^(٨٤).

«وَأَيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرَةٍ»، حيث ينهى الإمام في موعظته حول معاملة المرأة الرجل من التماذي في الغيرة على النساء والزوجة، فيسيء الظن بهن بدون سبب، فإن ذلك يولد فيهن رد فعل سيئاً، فخير الأمور الوسط، وكل شيء في محله جميل. يقول (ع): «وَأَيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الْكَرْبِ»، فإذا كانت المرأة سوية بريئة؛ فإن شدة الضغط عليها قد يولد الانفجار، فتتميل إلى الشذوذ وإلى سلوك سبل الريب^(٨٥). فللرجل أن يغار على المرأة بصيانتها من التبرج ومخالطة المشبوهين، أما الغيرة برجم الظنون فإنها تشجع المرأة السقيمة على الخيانة، وتغري البريئة بها، وتقول في نفسها كنت أحرص على ثقته بأمانتي وعفائي، أما وقد أصبحت عنده في مكان الريب فلم يبق ما أحرص عليه^(٨٦).

١٠- «الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلُوةٌ لِلْسَّبَةِ»^(٨٧).

يرى بعض من فسر هذا الحديث الذي ذهب مثلاً أن الإمام قد شبه المرأة بالعقرب لأنها «تسرع

الغضب على الرجل، وتجحد معروفه لأمر تافه، وقد تؤذيه بكلمة موجعة، وحركة نابية بلا سبب موجب ومعقول، فأوصاه الإمام بأن يصبر عليها، ويتحملها على علاقتها، لأنها مهما تكن فهي أخف وخير من العقرب التي لا يمكن معها العيش بحال»^(٨٨). وقريب من هذا الحديث نجده أيضاً في نهج البلاغة بقوله: «مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا. يَهْوِي إِلَيْهَا الْغَرُّ الْجَاهِلُ وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ»^(٨٩)، وقد ورد أيضاً بلفظ: «أما بعد، فإنما مثل الدنيا مثل الحية: لين مسها، قاتل سمها، فأعرض عما يعجبك فيها»^(٩٠).

وقد روى ابن أبي الحديد بضع روايات عن حكماء ومؤيدين وفلاسفة فيها من الطرافة والظرافة أكثر مما فيها من الشرح والتفسير لهذا الحديث، وهذه العبارة ليست ذماً بأي حال بل هي إنذار للرجل من أن تخدعه امرأة^(٩١).

ولربما يكون تشبيه المرأة بالعقرب بسبب الكلام الشبيه بلدغة العقرب لبعض النساء السليطات، وهو عادة ليس من باب الحقد والعداوة؛ بل يعود إلى نشأتها وتربيتها وثقافتها وحالتها النفسية. ويبدو أن الإمام علي (ع) قد ضرب هذا المثل من باب الدعابة، والمؤكد أنه قد جاء في مناسبة خاصة غير معلومة بالنسبة لنا خصوصاً إذا ما قورنت بأحاديث وخطب التوحيد والوعظ والوصايا والتنبيه والتحذير الجدية. وهذا التشبيه يجمع بين اللطافة والغرابة؛ فقد جمع بين تشبيه المرأة بالعقرب، وحلاوة لسعتها، والمعروف أن لسعة العقرب مؤلمة جداً فأين الحلاوة في ذلك؟. ولربما يكون القصد من وراء ذلك هو التشجيع على تحمل المرأة على كل حال، وإن كنا نرى أن هذا الحديث إلى الدعابة أقرب.



١١- وَقَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاجِلُ وَلَا يُطْرَفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْصِفُ يُعْدُونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْمًا وَصَلَّةَ الرَّجِمِ مَنًّا وَالْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ الْإِمَاءِ وَإِمَارَةُ الصَّبِيَّانِ وَتَدْبِيرُ الْخَصِيَّانِ»^(٩٢).

هذا الحديث يتضمن جانباً من الغيبيات التي اختص الله بها نبيه (ص) ثم علّم بها النبي الإمام علي، والتي تُنبئ بما سيحل في قادم الزمان بعد رسول الله (ص)، وهذا ما حصل ويحصل إلى يومنا هذا، ومما قال ابن أبي الحديد في شرحه: «فعند ذلك يكون السلطان والحكم بين الرايا بمشورة الإمام... إلى آخر الفصل وهو من باب الإخبار عن الغيوب وهي إحدى آياته والمعجزات المختص بها دون الصحابة»^(٩٣). أي: إن النساء يسيطرن على الحاكمين، ويطمعن في إدارة البلاد، ويشفعن بالمجرمين، ومن يهدي إليهن النفيس والثمين^(٩٤).

١٢- «غِيَرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ، وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيْمَانٌ»^(٩٥).
إن مفردة الكفر في الشريعة الإسلامية تستخدم في أكثر من موضع ولها أكثر من معنى، وليس بالضرورة أن يكون المقصود الكفر بالله حاشا لله؛ إنما غالباً ما يكون القصد هو عدم شكر الله وإيفائه الحمد على النعم التي أنعم على الإنسان بها، والرضا بما قسم له. ويرى البعض أن المعنى المراد بكفر المرأة ينحصر في علاقتها بزوجها ونظرتها وسلوكها وأحاسيسها عندما تغلب عليها الغيرة من الضرة، وأن: «المرأة تغار من ضررتها وشريكاتها في الزوج بحكم الغريزة والفطرة، فإن هي صبرت وعاتبت بالحسن، بل ومنّت بفضلها على الزوج دون أن تغضب الله في شيء، فلا بأس عليها ولا إثم

في غيرتها وحرقتها، بل هي مأجورة مشكورة عند الله والناس، وإن قامت ولم تقعد تعدت حدود الله فهي مجرمة آثمة. أما غيرة الرجال على المرأة فهي من الإيمان ونهي عن التهلك والفجور شريطة أن لا تتعدى الغيرة حدها المعقول»^(٩٦). أي: «إن المرأة بدافع غيرتها على زوجها قد تنساق وراء عاطفتها، فتتصور أن زوجها يمكن أن يتزوج عليها، فخير سبيل للتفرد به هو أن تفقره أو تمنعه من مغادره الدار، أو تصمه بالريبة في كل نظره ينظرها، مما يسبب لها فساد حياتها الزوجية ويعود عليها بالضرر والسوء. ولذلك نهاها الإمام (ع) عن هذه الغيرة المحرمة، واعتبرها كفراً بالنعمة التي أنعمها الله عليها. وإذا كانت الغيرة تصل إلى حد تنسى معه الله سبحانه بل و تتحدى معها أوامره تعالى ونواهيه بشكل علني وسافر وعن سابق توجه وإطلاع، فإنها تعني أنها في حالة غيرتها وثورتها لا تعترف بسلطان الله سبحانه ولا تخضع لأوامره و زواجره... ولعل هذا أقرب إلى ما يرمى إليه الإمام علي (ع) من كلمته الماثورة: «غيرة المرأة كفر»^(٩٧). وغيرة الرجل التي هي إيمان؛ غيرته على ميلها لرجل أجنبي، وأما ميلها إلى زوج لها قبل بمعنى مدحها له بصفات ليست في الأخير فيغيّر زوجها فليس بإيمان بل من الكفر»^(٩٨).

ويربط آخرون بين أفضلية الرجل وعقله وتماسكه الذي يجعل غيرته في موضعها كونه يغار على عرضه وحريمه وأهله ضد أي انتهاك ويجتهد في المحافظة عليهم، وبين نقصان عقل المرأة وقلة صبرها وتعويلها على الأوهام والخيال، فالقياس عنده العقل ونقصانه، «المرجع في هذا إلى العقل والتماسك، فلما كان الرجل أعقل وأشدّ تماسكاً كانت غيرته في موضعها، وكانت واجبة عليه، لأن

النهي عن المنكر واجب، وفعل الواجبات من الإيمان، وأما المرأة فلما كانت أنقص عقلاً وأقل صبراً كانت غيرتها على الوهم الباطل والخيال غير المحقق، فكانت قبيحة لوقوعها غير موقعها، وسماها (ع) كفوراً لمشاركتها الكفر في القبح فأجرى عليها اسمه. وأيضاً فإن المرأة قد تؤدي بها الغيرة إلى ما يكون كفوراً على الحقيقة كالسحر فقد ورد في الحديث المرفوع أنه كفر وقد يفضي بها الضجر والقلق إلى أن تتسخط وتشتم وتتلفظ بألفاظ تكون كفراً لا محالة^(٩٩)، وترك الغيرة فإنها باب الطلاق^(١٠٠).

ولعل «من آثار تكريم المرأة ما غرسه الإسلام في المسلمين من الغيرة، ونقصد بالغيرة تلك العاطفة التي تدفع الرجل لصيانة المرأة عن كل مُحَرَّم أو شين أو عار»^(١٠١).

وهناك من يرى أن غيرة النساء في مقابل العلاقات غير المشروعة للرجال واجب عليها، وإن لا تبقى ساكنة فلا تحرك ساكناً، وليس أمامها إلا التوكل على الله؟! فالتعاليم الإسلامية تضع على كاهل المرأة الكثير من المسؤوليات التي توجب عليها التصدي للانحرافات والأفعال المشينة التي تصدر هنا أو هناك مع قدرتها على التغيير والتصدي، وقد صرح القرآن بهذه الحقيقة في الآية المباركة: «الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» (التوبة: ٧١). عليه لو قدر للمرأة المسلمة أن تردع زوجها عن العلاقات غير المشروعة وجب عليها العمل بمسؤولياتها الشرعية؛ فإذا تساهلت في هذه القضية الحساسة فحينئذ يقع اللوم عليها لتقاعسها في القيام بواجباتها^(١٠٢).

والغيرة لغة واصطلاحاً وعرفاً لها معانٍ مختلفة بحسب واقع الحال، ولكن يبدو أن الأصل في شرح هذا الحديث هو ربطه بالعلاقة بين الزوج والزوجة

وإن حاول البعض الاستطرد في إيجاد معانٍ أخرى للغيرة لهذا الحديث كالحسد عند المرأة؛ إلا أنه يعود إلى الكلام عن كون المقصود بالغيرة هنا العلاقة الزوجية أو سواها. ويمكن القول مثلاً أن الشريعة قد ذمت الغيرة غير المبررة للرجل ومصادق ذلك كلام أمير المؤمنين الذي أشرنا إليه سابقاً «وَأَيُّكَ وَالتَّغَايُرُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرَّيْبِ» فإنها عدت غيرة المرأة في غير موضعها كفوراً. والأكد أن المقصود في كلام أمير المؤمنين ليس غيرة المرأة الخفيفة اللطيفة المحببة؛ بل الغيرة الملتبسة بالأنانية والأوهام والظنون التي تتحول إلى شك وارتياب يكون مدعاة إلى تنغيص الحياة الزوجية وربما تفكيك الأسرة وضياعها.

١٣- «الصلاة قربان كل تقى وألحج جهاد كل ضعيف ولكل شيء زكاة وزكاة البدن الصوم وجهاد المرأة حسن التبعل»^(١٠٣).

البعل هو الزوج لقوله تعالى: «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ» (البقرة: ٢٢٨)، وحسن التبعل هو حسن المعاشرة، وطاعته، وحفظه في حضوره وغيابه، والتزيين له، وتحمل أعباء الأسرة وتربية الأولاد، والصبر على مشاق الحياة إلى جانب زوجها و«حسن تبعلها الطاعة والعفة، والتدبير والقناعة بالميسور، وترك المنّة على الزوج ومعاتبته، وأن توافقه فيما يرضي الله، وتُجمل في الغيرة... ونحو ذلك مما يسد منافذ الهموم، والغموم، والظنون»^(١٠٤). وقد ورد في الحديث الشريف الكثير من الأحاديث التي تحث على وجوب طاعة الزوج وتشير إلى الأجر الذي تتحصل عليه المرأة من وراء طاعتها لزوجها.

١٤- «خيار خصال النساء شرار خصال الرجال الزهو والجبن والبخل فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكّن من نفسها وإذا كانت بخيلة حفظت مالها



وَمَالَ بَعْلَهَا وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرَقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
يَعْرِضُ لَهَا»^(١٠٥).

لعل هذا الكلام للإمام علي (ع) من الأحاديث التي تفسر نفسها بنفسها وتشرح عباراتها بعضها بعضاً فهي واضحة الغرض والمغزى. وللاختلافات الكثيرة بين الرجل والمرأة فإن بعض الصفات التي تعد أفضل صفات المرأة هي بالضرورة أسوأ الصفات عند الرجل. وقد عدَّ الإمام ثلاثاً من هذه الصفات عند المرأة: «الزهو والجبن والبخل».

فأحسن ما في المرأة عفتها، وتدبير منزلها، ومشاركتها الرجل في آلامه، والتعاون معه بالصبر على كل حال. والزهو الذي يقبح في الرجال ويذم هو ممدوح وحسن في النساء؛ لأنه حصن لعفافها كما قال الإمام، وبه أوصى؛ فالمرأة التي لا تستهين بنفسها يدفعها إعجابها بنفسها أن لا تمكن أحداً منها، وهي صفة جيدة في المرأة على عكس المرأة الدنيئة التي تسلم نفسها لكل طالب بلا مقابل. ومثله الجبن فإنه يردع الجبان والجبانة عما يجهلان من العواقب، وهو من أفضل الصفات، لأن المرأة التي تدعي الجرأة تضع نفسها في مواضع الخطر دون أن تحترس، وبما أنها ضعيفة، فهي بذلك تعرض نفسها للمهالك، ولو كانت تخاف لتجنبت أماكن الخطر، ولحسبت لكل أمر ألف حساب. أما بخل المرأة فهو كرم وسخاء على الزوج والأولاد، وبما أن السعي وراء زينة الدنيا يحتاج إلى المزيد من المال الذي يرهق كاهل الرجل؛ كانت المرأة البخيلة أفضل من المسرفة، لأنها بذلك تحافظ على ما لها ومال زوجها وأسرته^(١٠٦).

أما الرجل فعلى العكس مما ذكر سابقاً فهو يسمو بتواضعه وترفعه عن سفاسف الأمور ووضيعها؛

مع الحفاظ على وقاره وكرامته واحترامه واعتباره. ومن فضائله ان يكون شجاعاً مقداماً مهاباً جسوراً بالحق. وأن يكون كريماً سخياً جواداً. على ان ما ذكر من الفضائل للرجل لا يجب أن تتجاوز المعقول والمقبول، وغلا تحول التواضع إلى ذل، والشجاعة إلى تجاوز وتهور واعتداء، وصار كرمه تبذيراً وإسرافاً.

* الهوامش:

(١) ينظر: الأصول الأولى لخطب وكتب وحكم الإمام علي في نهج البلاغة، مجلة ثقافتنا، ع ١١، ٢٠١٢، ص ١١٧-١٢٣.

(٢) ينظر: تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي، ص ٤٠٨-٤٠٩، ومستدرک نهج البلاغة، هادي آل كاشف الغطاء. ونهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة، محمد باقر المحمودي.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢: ص ٢٧٠-٢٧١.

(٤) المصدر السابق، ج ٢: ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٥) المصدر السابق، ج ٢: ص ٢٧٠.

(٦) المصدر السابق، ج ٢: ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٧) المصدر السابق، ج ٢: ص ٢٧٧-٢٧٨.

وفي ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، ج ١: ص ٣٨٤.

(٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٦: ص ٢٤٨.

(٩) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، ج ٢: ص ١٩٥-١٩٦.

وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٦: ص ٢٤٨.

(١٠) المصدر السابق، ج ٦: ص ٣٠٦.

(١١) رواه البخاري في صحيحه، ص ٣٤٢.

(١٢) ينظر: المرأة في الإسلام ومن خلال نهج

- البلاغة، لبیب بیضون . (۲۷) شمس المرأة لا تغيب، الكرباسي، ص ۳۳- ۳۴ .
- (۱۳) جامعه شناسی زبان در تبیین جایگاه (۲۸) المقنعة، الشيخ المفيد، ص ۷۲۷ .
- اجتماعی زن در خطبه ۸۰ نهج البلاغه، شرمين (۲۹) ينظر: زن در نهج البلاغه، پیام زن، قسمت نظریگی، ص ۱۱۵ .
- (۱۴) زن در نهج البلاغه، پیام زن، قسمت اول . (۳۰) المصدر السابق .
- (۱۵) آیا زنان ناقص العقل هستند، گروه پاسخ (۳۱) المصدر السابق .
- به شبهات . (۳۲) ينظر: زن از دیدگاه نهج البلاغه، ص ۹۷ .
- (۱۶) المرأة في الإسلام ومن خلال نهج البلاغة، لبیب (۳۳) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ۶: بیضون . ص ۳۰۶-۳۰۷ .
- (۱۷) ينظر: زن در نهج البلاغه، سمیه محمدی . (۳۴) ينظر: زن از دیدگاه نهج البلاغه، ص ۹۹ .
- (۱۸) المصدر السابق. وينظر: زن از دیدگاه نهج (۳۵) روان شناسی زن در نهج البلاغه، مریم معین البلاغه، ص ۸۰-۸۱ .
- وشمس المرأة لا تغيب، الكرباسي، ص ۲۳-۳۳ . (۳۶) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ۷: (۱۹) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ج ۴: ص ۴۸ .
- ص ۲۲۱-۲۲۲ . (۳۷) المصدر السابق، ج ۷: ص ۴۸-۵۱ .
- (۲۰) المصدر السابق، ج ۴: ص ۲۲۳ . (۳۸) ذم أمير المؤمنين للنساء، موقع الشيخ علي آل محسن .
- (۲۱) ينظر: زن از دیدگاه امام علی، ص ۸۵ . (۳۹) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ۹: وجمال المرأة وجلالها، جوادي آملی، ص ۳۲۳ .
- (۲۲) آیا زنان ناقص العقل هستند، گروه پاسخ (۴۰) المصدر السابق، ج ۹: ص ۱۰۵-۱۰۷ .
- به شبهات . (۲۳) ينظر: زن از دیدگاه امام علی، ص ۹۵ . (۴۱) زن در نهج البلاغه، نجوی صالح الجواد، ص ۹۰ .
- (۲۴) ينظر: زن در نهج البلاغه، سمیه محمدی . (۴۲) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ۱۰: ص ۶۶ .
- (۲۵) آیا زنان ناقص العقل هستند، گروه پاسخ (۴۳) المصدر السابق، ج ۱۰: ص ۶۷ .
- به شبهات . (۲۶) زن در نهج البلاغه، پیام زن، قسمت دوم . (۴۴) جایگاه و حقوق زن در نهج البلاغه، سکینه





- صارمى وحسن مجيدى، ص ٣١-٤٢ .
- (٦٥) المصدر السابق، ص ٥٣ .
- (٤٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٥ : (٦٦) المصدر السابق، ص ٥٤ .
- ص ١١٤ .
- (٦٧) المصدر السابق، ص ٨٩ .
- (٤٦) المصدر السابق، ج ١٥ : ص ١٢٤ .
- (٦٨) المصدر السابق، ص ٥٨ .
- (٤٧) المصدر السابق، ج ١٦ : ص ٢٦٧ .
- (٦٩) المصدر السابق، ص ٦٣ .
- (٤٨) المصدر السابق، ج ١٦ : ص ٢٦٨-٢٦٩ .
- (٧٠) المصدر السابق، ص ٥٧ .
- (٤٩) زن در نهج البلاغة، پیام زن، قسمت دوم .
- (٧١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد،
- (٥٠) نفحات الولاية، ناصر الشيرازي، ج ٩ :
- ج ١٦ : ص ٢٦٨ . وفي ظلال نهج البلاغة، الشيخ
- ص ٦٠١-٦٠٢ .
- مغنية، ج ٥ : ص ٢٥٣ . والمرأة في الإسلام ومن خلال
- (٥١) ينظر في صحة الحديث: في ظلال نهج البلاغة،
- نظر: شرح نهج البلاغة، لبيب بيضون .
- الشيخ مغنية، ج ٥ : هامش ص ٢٥٣ . وقد ضعفه
- بعض العلماء، وحكم عليه آخرون بالوضع .
- (٥٢) المصدر السابق، ج ٥ : ص ٢٥٢-٢٥٣ .
- (٧٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد،
- ج ١٦ : ص ٢٦٨ .
- (٥٣) ينظر: زن از دیدگاه نهج البلاغة، ص ٥٠ .
- (٧٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد،
- ج ١٦ : ص ٢٦٩ .
- (٥٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٨ : ص ٢٩٧ .
- (٧٤) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية،
- ج ٥ : ص ٢٥٣ .
- (٥٥) المصدر السابق، ج ١٨ : ص ٢٩٠ .
- (٧٥) صحيح البخاري، الحديث ٤٤٢٥، ص ١٩٢٠ .
- (٥٦) المصدر السابق، ج ١٨ : ص ٣٣٧ .
- (٧٦) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد،
- ج ١٦ : ص ٢٦٨ .
- (٥٧) المصدر السابق، ج ١٩ : ص ١٢٨ .
- (٥٨) المصدر السابق، ج ١١ : ص ٧ .
- (٧٧) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية،
- ج ٥ : ص ٢٥٥ .
- (٥٩) المصدر السابق، ج ١١ : ص ٦٨ .
- (٦٠) المصدر السابق، ج ١٨ : ص ٣٢٧ .
- (٧٨) زن از دیدگاه نهج البلاغة، ص ١٤٠ .
- (٦١) المصدر السابق، ج ١٧ : ص ٢٦ .
- (٧٩) مع المرأة في نهج البلاغة، فتحية مصطفى عليوي،
- ص ١٧٢-١٧٣ .
- (٦٢) المصدر السابق، ج ١٩ : ص ١٧ .
- (٦٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج ١٠٣ : ص ٢٥٣ .
- (٨٠) مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام .
- (٦٤) ينظر: زن از دیدگاه نهج البلاغة، ص ٥٢ .

- (٨١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الحديث (٩٣) المصدر السابق، ج١٨: ص٣٢٨ .
- ٢٦٦ ، ص٥٢٩ . تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٨ . ص١٤٤ .
- (٨٢) ينظر: المرأة في الإسلام ومن خلال نهج البلاغة، لبيب بيضون .
- (٩٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٨: ص٣٥٨ .
- (٩٦) في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية، ج٦: ص١٨٠ - بيضون .
- (٨٣) زن در نهج البلاغة، پیام زن، قسمت دوم . ١٨١ .
- (٨٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ، ج١٦: ص٢٦٩ . وفي ظلال نهج البلاغة ، ج٥: ص٢٥٥ بيضون .
- (٨٥) ينظر: المرأة في الإسلام ومن خلال نهج البلاغة، لبيب بيضون .
- (٩٨) بهجة الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستري، ج١٤: ص٣٠١ .
- (٨٦) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية، ج٥: ص٣٥٥ .
- (٩٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٨: ص٣٥٨ .
- (١٠٠) المصدر السابق، ج١٨: ص٣٧٠ .
- (٨٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٨: ص٢٩٧ .
- (١٠١) ماذا عن المرأة، نور الدين عتر، ص٢٩ .
- (٨٨) في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية، ج٦: ص١٠٢ .
- (١٠٢) هل يرى أمير المؤمنين أن غير المرأة ورفضها للزواج الثاني كفر؟ ٦٥٠ .
- (٨٩) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص٦٥٠ .
- (٩٠) المعجم المفهرس لنهج البلاغة، محمد دشتي وسيد كاظم محمدی، ص١٨٦ .
- (١٠٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٨: ص٣٧٠ .
- (١٠٤) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية، ج٦: ص٢٠٢ .
- (٩١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ج١٨: ص٢٩٧ وما بعدها .
- (١٠٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٩: ص٣٨ .
- (١٠٦) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، مغنية، ج٦: ص٢٩٣ - ٣١٠ . وجمال المرأة وجلالها، ص٣٢٥ .
- (٩٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٨: ص٣٢٨ . ٢٩٤ .

التفسيرات القرآنية

عند الإمامين العسكريين (عليهما السلام)

م.د. هدى ناجي عبيد البديري * 

• المقدمة:

انطلاقاً من قول الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي: أهل بيتي، ما إن تمسكتُم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، ألا وإنَّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(١). أثرتُ أن أفرد بحثاً للحديث عن العلاقة الوطيدة بين القرآن الكريم والإمامين العسكريين (عليهما السلام).

لقد غني أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عناية بالغة بتفسير القرآن الكريم، فكان كل منهم صاحب مدرسة في التفسير، ومن المقطوع به أنهم أدركوا في القرآن وأعلم بعمومه وخصوصه، ومطلقه ومقيدته، وناسخه ومنسوخه، وكان سيد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أعلم من سائر الصحابة بحقائق القرآن ودقائقه، ومحكمه ومتشابهه، ويعلم وقت نزول آياته حسبما صرح به (عليه السلام)^(٢).

والتفسير لغة: الفسر: البيان، فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسراً وفسره: أبانه، والتفسير مثله، ابن الاعرابي: التفسير والتأويل والمعنى واحد، وقوله عز وجل: (وأحسن تفسيراً) (الفرقان/ ٣٢)، الفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر، واسفسته كذا أي سألته أن يفسره لي ... وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه، فهو تفسرته^(٣).

• نماذج من تراث الإمام علي الهادي (عليه السلام) التفسيري:
قال يحيى بن هرثمة: مرض المتوكل فنذر إن عوفي ليتصدقن بدراهم كثيرة.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

فعوفي، فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم فرجا فبعث الى علي الهادي (عليه السلام) فسأله فقال: يتصدق بثلاثة وثمانين دينارا. فقال المتوكل: من أين لك هذا؟

فقال: من قوله تعالى (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين) (التوبة/ ٢٥) والمواطن الكثيرة هي هذه الجملة، وذلك لأن النبي (صلى الله عليه وآله) غزا سبعا وعشرين غزوة، وبعث ستاً وخمسين سرية، وآخر غزوة له يوم حنين. فعجب المتوكل من هذا الجواب، وبعث اليه بمال كثير. فقال الإمام (عليه السلام): هذا الواجب فتصدق أنت بما احببت (٤).

وروى العياشي باسناده عن حمويه، عن محمد بن عيسى قال: سمعته يقول: كتب اليه إبراهيم بن عنبسة - يعني الى علي بن محمد (عليه السلام) - إن رأى سيدي ومولاي أن يخبرني عن قول الله: (يسئلونك عن الخمر والميسر) (البقرة/ ٢١٩) فما الميسر جعلت فداك؟ فكتب (عليه السلام): كل ما قومر به فهو الميسر وكل مسكر حرام (٥).

وروى باسناده عن أيوب بن نوح بن دراج قال: سألت أبا الحسن الثالث (عليه السلام) عن (الجاموس) وأعلمته أن أهل العراق يقولون أنه مسخ، فقال: أو ما سمعت قول الله: (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين) (الانعام/ ١٤٤).

وروى العياشي: باسناده عن موسى بن محمد بن علي عن أخيه أبي الحسن الثالث عن الجاموس وأعلمته أن أهل العراق يقولون أنه مسخ، فقال: أو ما سمعت قول الله (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين).

قال موسى بن محمد الرضا: لقيت يحيى بن أكثم في دار العامة، فسألني عن مسائل، فجئت الى أخي علي بن محمد (ع)، فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني

وبصرني طاعته، فقلت: جعلت فداك إن ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لافقية فيها (٦). فضحك (ع) ثم قال: فهل افقيته؟ قلت: لا، لم أعرفها. قال (ع): وما هي؟

قلت: كتب يسألني عن قول الله: (قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) (النمل/ ٤٠) أنبي الله كان محتاجا الى علم أصف؟ وعن قوله: (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) (يوسف/ ١٠٠) أسجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟ وعن قوله: (فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب) (يوسف/ ٩٤) من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب النبي (ص) فقد شك؟ وإن كان المخاطب غيره فعلى من اذا انزل الكتاب؟ وعن قوله: (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) (لقمان/ ٩٤) ماهذه الأبحر وأين هي؟ وعن قوله: (وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين) (الزخرف/ ٧١) فاشتتهت نفس آدم (ع) أكل البر فأكل واطعم (وفيها ما تشتهي الأنفس) فكيف عوقب؟

وعن قوله: (أو يزوجهم زكرانا واناثا) (الشورى/ ٥٠) يزوج الله عباده الذكران وقد عاقب قوما فعلوا ذلك؟ وعن شهادة المرأة جازت وحدها، وقد قال الله (واشهدوا ذوي عدل منكم) (الطلاق/ ٢) ؟

قال (ع): اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، وأنت وعين بحرون، ونحن كلمات الله التي لاتنفذ ولا تدرك فضائلنا (٧). وأمّا الجنة فان فيها من المأكّل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وأباح الله ذلك كله لآدم (ع)، والشجرة التي نهى

الله عنها آدم عليه السلام وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد اليهما أن لا ينظرا الى من فضل الله خلائقه بعين الحسد، فنسي ونظر بعين الحسد، ولم يجد له عزما^(٨).

وأما قوله (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) (الشورى / ٥٠) أي يولد له ذكور، ويولد له أناث، ويقال لكل اثنين مقرنين زوجان، كل واحد زوج، ومعاذ الله أن يكون عني الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم (ومن يفعل ذلك يلق أثاما، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا) (الفرقان / ٢١) ان لم يتب.

قدم الى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فاراد أن يقيم عليه الحد فاسلم. فقال يحيى بن أكتم: الإيمان يمحو ما قبله. وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود. فكتب المتوكل الى علي بن محمد النقي يسأله. فلما قرأ الكتاب كتب: يضرب حتى يموت. فانكر الفقهاء ذلك، فكتب اليه يسأله العلة. فقال: بسم الله الرحمن الرحيم (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) (غافر / ٨٤). فأمر المتوكل فضرب حتى مات^(٩).

كتب ملك من ملوك الروم الى خليفة من خلفاء بني العباس كتابا يذكر فيه: إنا وجدنا في الانجيل أنه من قرأ سورة خالية من سبعة أحرف حرم الله تعالى جسده على النار، وهي: الثاء والجيم والحاء والزاء والشين والظاء والفاء، فأننا طلبنا هذه السورة في التوراة فلم نجدها، وطلبناها في الزبور فلم نجدها، فهل تجدونها في كتبكم؟ فجمع العلماء وسألهم في ذلك فلم يجيبوا عن ذلك إلا النقي علي بن محمد بن الرضا (عليهم السلام) فقال: إنها سورة الحمد فأنها خالية من هذه السبعة أحرف. فقيل: الحكمة في ذلك؟ فقال: إن الثاء من الثبور، والجيم من الجحيم، والحاء

من الخيبة، والزاي من الزقوم، والشين من الشقاوة، والظاء من الظلمة، والفاء من الفرقة أو قيل من الافة فلما وصل الى قيصر وقرأ فرح بذلك فرحا شديدا، واسلم لوقته ومات على الإسلام^(١٠).

نادى المتوكل يوما كاتبنا نصرانيا أبا نوح، فانكروا الكنى للكتابيين، فاستفتي، فأختلف عليه.

فبعث الى أبي الحسن فوقع عليه (بسم الله الرحمن الرحيم تبث يدا أبي لهب) (المسد / ٢٥). فعلم المتوكل أنه يحل ذلك، لأن الله قد كنى الكافر^(١١).

وروى العياشي: باسناده عن موسى بن محمد بن علي عن أخيه أبي الحسن الثالث (عليه السلام) قال: الشجرة التي نهى الله آدم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد اليهما أن لا ينظر الى من فضل الله عليه وعلى خلائقه بعين الحسد، ولم يجد الله له عزما^(١٢).

أما الإمام أبو محمد الحسن العسكري (عليه السلام) فكان من أئمة المفسرين، وقد أثر عنه تفسير خاص عرف بتفسير الإمام العسكري^(١٣).

ومن جملة الخدمات العظيمة التي قدمها الإمام العسكري (عليه السلام) الى الأمة الإسلامية ما ألقاه من دروس في التفسير مما عنده من العلم، وذلك على شكل محاضرات كانت تملئ على الحسن بن خالد البرقي أو على شخصين من الشيعة الإمامية، كانا قد لجئا اليه (عليه السلام) وحسب هذه فإن هذه الحلقات دامت سبع سنين، كان الإمام خلالها يلقي مما عنده حول تفسير الآيات وتأويلها، وكانوا يكتبون كل ما يدي (عليه السلام)^(١٤).

• التفسير المنسوب اليه:

ونسب الى الإمام أبي محمد العسكري (عليه السلام) التفسير المسمى (بتفسير العسكري) وقد حامت حوله الظنون، واحتفت به الشكوك، فأثبتته قوم أنه



له ونفاه عنه آخرون^(١٥). ولا يخفى أنَّ القول قد اختلف قديما وحديثا حول هذا التفسير الحاضر المنسوب اليه، فكثير من الأعاضم عدوه من الكتب المعتمدة بين الشيعة الإمامية، كالصدوق والطبرسي والراوندي وابن شهر اشوب والكركي والشهيد الثاني والمجلسي الأول والثاني والحر العاملي والفيض الكاشاني والبحراني والحويزي العروسي والحسن بن سليمان والشيخ الأنصاري والطبسي وغيرهم، ورده قسم آخر منهم كابن الغضائري والعلامة الحلي والتفرشي والداماد والارديلي والقهبائي والبلاغي والخوئي، وتامل فيه آخرون قائلين إنَّ شأن هذا التفسير شأن الروايات الواردة عنهم (عليهم السلام) يريدون بذلك أنَّه لابدَّ من التحقق في صحة ما ورد فيه، فما كان منه معتبر الاسناد فمقبول وإلا فمردود^(١٦)

ومن الواضح أنَّ كل ما قيل أو يقال، يرتبط بهذا التفسير الموجود برواية الشيخ الصدوق عن المفسر الاسترابادي، وإلا فإنَّ التفسير الذي كتبه وجمعه الحسن بن خالد البرقي من إملاء الإمام وكان عدد مجلداته مائة وعشرين مجلدا، كما صرح به ابن شهر اشوب فلا كلام فيه. لانه لم يكن لذلك عين ولا أثر، ولم يضعف ابن خالد البرقي حتى يكون فيه كلام، بل وثقه علماء الرجال كلهم، ومنهم الرجالي الكبير أحمد بن العباس النجاشي^(١٧).

● **المعتمدون عليه:** اعتمد على التفسير جماعة من كبار علماء الإمامية، وآمنوا بصحة نسبته الى الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام، منهم: الشيخ الصدوق / الشيخ الطبرسي / المحقق الكركي / الشهيد الثاني / محمد تقي المجلسي / ابن شهر اشوب / المحقق اغابزرك. فهؤلاء الأعلام لم يشكوا في نسبة هذا التفسير الى الإمام، وأرسلوا نسبته اليه ارسال المسلمات^(١٨).

● **سنده:**

أما سند هذا التفسير وبعض الخصوصيات فقد تصدر الكتاب، وهذا نصه: قال محمد بن علي بن محمد بن جعفر بن دقاق حدثني الشيخان الفقيهان:

أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان، وأبو محمد جعفر بن محمد بن علي القمي، قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم المفسر الاسترابادي الخطيب رحمه الله، قال: حدثني أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، وأبو الحسن علي بن محمد بن سيار، وكنا من الشيعة الإمامية قالا كانا أبوانا إماميين، وكانت الزيدية هم الغالبون في استرباد، وكنا في إمارة الحسن بن زيد العلوي الملقب بالداعي الى الحق، إمام الزيدية وكان كثير الاصغاء اليهم يقتل الناس لسعائياتهم، فخشيناهم على أنفسنا فخرجنا باهالينا الى حضرة الإمام أبي محمد الحسن بن علي بن محمد أبي القائم عليه السلام وانزلنا عيالنا في بعض الخانات، ثم استأذنا على الإمام الحسن بن علي، فلما رأنا قال: مرحبا بالآويين الينا الملتجئين الى كنفنا، فقد تقبل الله سعيكما، وأمن روعتكما، وكفاكما أعداءكما، فانصرفا امنين على أنفسكما وأموالكما، فعجبنا من قوله ذلك مع أنَّا لم نشك في صدق مقاله، فقلنا: فماذا تأمرنا أيها الإمام أن نصنع في طريقنا الى أن ننتهي الى بلد خرجنا منه، وكيف ندخل من ذلك البلد، ومنه هربنا، وطلب سلطان البلد لنا حثيث، ووعيده إيانا شديد^(١٩)؟

فقال (عليه السلام): خلفا علي وليكما هذين لأفيدهما العلم الذي يشرفهما الله به، ثم لا تحفلا بالسعاة، ولا بوعيد المسعي اليه فإن الله عز وجل يتم السعادة، ويلجئهم الى شفاعتكم

فيه عند من قد هربتم منه. قال أبو يعقوب وأبو الحسن: فائتمروا بما أمرا وخرجنا، وخلفنا هناك فكنا نختلف اليه، فيلقانا ببر الأبناء، وذوي الارحام الماسية، فقال لنا ذات يوم: إذا أتاكم خبر كفاية الله عز وجل أبويكما، واخزائه أعداءهما، وصدق وعدي إياهما جعلت من شكر الله عز وجل أن أفيدكما تفسير القرآن، مشتملا على بعض أخبار آل محمد (ص)، فيعظم الله تعالى شأنكما، قالوا: ففرحنا، وقلنا: يابن رسول الله فإذا نأتي بجميع علوم القرآن ومعانيه، قال: كلا إن الصادق علم ما أريد أن اعلمكما بعض أصحابه ففرحنا بذلك وقالوا: يابن رسول الله قد جمعت علوم القرآن كله، فقال: قد جمعت خيرا كثيرا، وأوتيت فضلا واسعا، ولكنه مع ذلك أقل قليل أجزاء علم القرآن، إن الله عز وجل يقول (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) (الكهف / ١٠٩) ويقول: (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) (لقمان / ٢٧) وهذا علم القرآن ومعانيه، وما اودع من عجائبه، ولكن القدر الذي اخذته فقد فضلك الله به على كل من لا يعلم كعلمك، ولا يفهم كفهمك^(٢٠). قالوا: فلم نبرح من عنده حتى جاءنا فيج قاصدا من عند أبويننا بكتاب، يذكر فيه أن الحسن بن زيد العلوي قتل رجلا بسعاية أولئك الزيدية، واستصفى ماله، ثم أتته الكتب من النواحي والأقطار المشتمة على خطوط الزيدية بالعدل الشديد والتوبيخ العظيم، يذكر فيه أن ذلك المقتول كان أفضل زيدي على ظهر الأرض، وإن السعاة قصدوه لفضله وثروته، فشكر لهم وأمر بقطع أنافهم وآذانهم، وأن بعضهم قد مثل به لذلك وآخرين قد هربوا، وأن

العلوي ندم واستغفر، وتصدق بالأموال الجليلة بعد أن رد أموال ذلك المقتول على ورثته، وبذل لهم أضعاف دية المقتول، واستحلهم، فقالوا: أما الدية فقد أحللناك منها، وأما الذم فليس إلينا إنما هو إلى المقتول، والله الحاكم، وأن العلوي نذر لله عز وجل أن لا يتعرض للناس في مذهبهم، وفي كتاب أبويهما أن الداعي إلى الحق الحسن بن زيد قد أرسل إلينا ببعض ثقافته، بكتابه وخاتمه بأمانه لنا، وضمن لنا رد أموالنا، وجبر النقص الذي لحقنا فيها، وإنا صائران إلى البلد ومنجزات ما وعدنا^(٢١). فقال الإمام: إن وعد الله حق، فلما كان اليوم العاشر جاءنا كتاب أبويننا أن الداعي إلى الحق قد وفى لنا بجميع عداوته، وأمر لنا بملزمة الإمام العظيم البركة، الصادق الوعد، فلما سمع الإمام بهذا قال: هذا حين إنجازي ما وعدتكم من تفسير القرآن، ثم قال: قد وظفت لكما كل يوم شيئا منه تكتبانه، فالزمانني، وواظبا على توقير الله تعالى من السعادة حظوظكما، فأول ما أملى علينا أحاديث في فضل القرآن وأهله، ثم أملى علينا التفسير بعد ذلك، فكتبنا في مدة مقامنا عنده، وذلك لسبع سنين نكتب في كل يوم مقدار ما ننشط له^(٢٢).

- اختلاف العلماء في التفسير الموجود:

وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في التفسير المنسوب اليه (عليه السلام) فمنهم من قبله وأخذ عنه ومنهم من رده، وهذه خلاصة ما قيل في ذلك:

- إن المفسر الأسترابادي ضعيف كذاب

قال ابن الغضائري: إن محمد بن القاسم المفسر الأسترابادي - الذي روى عنه الصدوق - ضعيف كذاب. أقول: قد قرّر في محلّه أنّه لا اعتبار

بتضعيفات ابن الغضائري، وقد أجاب المحدث الخبير الميرزا النوري عن هذا الإشكال قائلاً:

١- إنَّ الصدوق الآخذ عن محمد بن القاسم المصاحب الذي قد أكثر منه النقل عنه من هذا الكتاب في كتبه، وما يذكره الا ويعقبه بقوله: رضي الله عنه أو رحمه الله، وقد يذكره مع كنيته كيف خفي عليه ضعفه وكذبه، وعرفه الغضائري بعد قرون؟^(٢٣).

٢- كيف يروي الصدوق عن هذا الكذاب الضعيف في أكثر كتبه ويكثر عنه، وحتّى في كتابه من لا يحضره الفقيه، ثم يصرح في أول كتاب الفقيه قائلاً:

ولم أقصد فيه قصد المصنّفين في إيراد جميع ما روه، بل قصدت الى إيراد ما أفتي وأحكم بصحّته وأعتقد فيه أنه حجة فيما بيني وبين ربي تقدس ذكره وتعلت قدرته، وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة عليها المعول واليه المرجع^(٢٤).

- الراويان لهذا التفسير مجهولا الحال:

قال العلامة الحلي (رحمه الله): في الخلاصة عند ذكر محمد بن القاسم: روى عنه أبو جعفر بن بابويه، ضعيف كذاب، روى عنه تفسيراً يرويه عن رجلين مجهولين: أحدهما يعرف بيوسف بن محمد بن زياد، والآخر علي بن محمد بن يسار^(٢٥).

وكيف يقال: إنهما مجهولا الحال في حين أنّ الشيخ الصدوق - كما أشرنا اليه في أول السند - والعلامة الطبرسي في أول الاحتجاج، يصرحان بأنهما كانا من الشيعة الإمامية، نعم، إنهما غير معروفين، وأين هذا من جهل حالهما؟^(٢٦).

٣- إنَّ هذا التفسير مروي عنهما عن أبيهما عن الهادي (عليه السلام)

وقال ابن الغضائري أيضاً: إنَّ يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن يسار يرويان هذا

التفسير عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث (عليه السلام). أقول: لقد أشرنا الى سند هذا الكتاب ولم نجد لهذا الادّعاء، محلاً، لأنَّ الصدوق رحمه الله نقل هذا التفسير عن المفسر الإسترابادي، قال: حدثني أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد وأبو الحسن علي بن محمد بن سيّار، ولم يكن في السند ما يدل على أنهما روياه عن أبيهما عن الإمام الهادي (عليه السلام) بل روياه عن الإمام العسكري (عليه السلام)^(٢٧).

٤- التفسير يشتمل على أحاديث منكورة وأخبار كاذبة، ومن جملة الإشكالات الواردة على هذا التفسير، هو أنّه اشتمل على أحاديث منكورة وأخبار كاذبة، وإسناده الى المعصوم اختلاق وافتراء. أقول: وهذا الإشكال أيضاً يرجع أصله الى ابن الغضائري وليته أشار الى بعض هذه الأكاذيب والمنكرات، نعم، يمكن أن يكون قد عني بذلك بعض المعاجز الغريبة في هذا الكتاب، ولم تذكر في باقي الكتب^(٢٨).

وقال التستري مشككا بصحة هذا الكتاب: لو لم يكن هذا الكتاب جعلاً لنقل هذه العجيبة التي نقلها عن النبي وأمير المؤمنين وباقي الأئمة عليهم السلام ولرواها علماء الإمامية^(٢٩).

- نماذج من التفسير المنسوب الى الإمام العسكري (عليه السلام)

فسر الإمام العسكري (عليه السلام) سورة الحمد وقوله عزّ وجلّ (بسم الله الرحمن الرحيم): بقوله (عليه السلام): ((الله هو الذي يتأله اليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق وعند انقطاع الرجاء من كلّ من دونه وتقطع الأسباب من جميع من سواه فيقول:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أي استعين على أموري كلّها بالله الذي لاتحق

العبادة إلا له، المغيث إذا استغيث والمجيب إذا دعي^(٣٠). قال الإمام (عليه السلام) وهو ما قال رجل للصادق (عليه السلام): يا بن رسول الله دلني على الله ما هو، فقد أكثر المجادلون عليّ وحيروني؟ فقال له: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: بلى. فقال: هل كسرت بك حيث لاسفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: بلى.

قال: فهل تعلق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: بلى. قال الصادق (عليه السلام): فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا منجى، وعلى الإغاثة حين لا مغيث^(٣١).

- الافتتاح بالتسمية عند كل فعل:

قال الصادق (عليه السلام): ولربما ترك في افتتاح أمر بعض شيعتنا (بسم الله الرحمن الرحيم)^(٣٢) فيمتحنه الله بمكروه، لينبّهه على شكر الله تعالى والثناء عليه، ويمحو عنه وصمة تقصيره عند تركه قول: (بسم الله الرحمن الرحيم).

لقد دخل عبد الله بن يحيى على أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين يديه كرسي فأمره بالجلوس فجلس عليه، فمال به حتى سقط على رأسه، فاوضح عن عظم رأسه وسال الدم فأمر أمير المؤمنين (عليه السلام) بماء، فغسل عنه ذلك الدم. ثم قال: ادن مني فدنا منه، فوضع يده على موضحته - وقد كان يجد من ألمها ما لا صبر له معه - ومسح يده عليها وتفل فيها فما هو إلا أن فعل ذلك حتى اندمل وصار كأنه لم يصبه شيء قط^(٣٣). قال أمير المؤمنين (عليه السلام): يا عبد الله، الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمنحهم التسليم لهم طاعاتهم ويستحقون عليها ثوابها.

فقال عبد الله بن يحيى: يا أمير المؤمنين وإنا لا

نجازي بذنوبنا إلا في الدنيا؟ فقال نعم ما سمعت قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): الدنيا سجن المؤمن، وجنّة الكافر يطهر شيعتنا من ذنوبهم في الدنيا بما يبتليهم به من المحن، وربما يغفره لهم، فإنّ الله تعالى يقول (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) (الشورى / ٣٠) حتّى إذا وردوا القيامة توفرت عليهم طاعاتهم وعباداتهم.

وإن أعداء محمد وأعداءنا، يجازيهم على طاعة تكون منهم في الدنيا - وإن كان لا وزن لها لأنه لا إخلاص معها - حتى إذا وافوا القيامة، حملت عليهم ذنوبهم وبغضهم لمحمد (صلى الله عليه وآله) وخيار أصحابه، فقفزوا لذلك في النار^(٣٤).

- نماذج من تراث الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) التفسيري:

روى الثقة الأمين أبو هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي محمد (عليه السلام) فسألته عن قول الله عز وجل: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) (فاطر / ٣٢) فقال: أنّها وردت في آل محمد (صلى الله عليهم وآلهم) فالظالم لنفسه الذي لا يقر بالإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والسابق بالخيرات بإذن الله الإمام (عليه السلام) قال أبو هاشم: فدمعت عيناى وجعلت أفكر في نفسي ما أعطى الله آل محمد (صلى الله عليهم وآلهم) فنظر إلى الإمام وقال: عظم ما حدثك به نفسك من عظم شأن آل محمد، فاحمد الله، فقد جعلك الله متمسكا بحبهم تدعى يوم القيامة بهم إذا دُعي كل إنسان بإمامه، فابشر يا أبا هاشم فإنك على خير^(٣٥).

وسأل محمد بن صالح الأرمني الإمام أبا محمد (عليه السلام) عن قول الله عز وجل (لله الأمر من قبل ومن بعد) (الروم / ٤) فقال الإمام أبو محمد (عليه السلام): له الأمر من قبل أن يأمر به، وله الأمر من بعد أن يأمر بما يشاء، فقلت في نفسي، هذا قول الله (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (الاعراف / ٥٤) فنظر إلي الإمام وتبسم ثم قال: له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين^(٣٦).

وروى سفيان بن محمد الصيفي، قال: كتبت إلى الإمام أبي محمد (عليه السلام) أسأله عن (الوليعة) في قول الله عز وجل (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) (التوبة / ١٦) وقلت في نفسي: من يرى المؤمن ها هنا؟ فرجع الجواب: الوليعة التي تقام دون ولي الأمر، وحدتكت نفسك عن المؤمنين من هم في هذا الموضع، فهم الائمة الذين يؤمنون بالله فنحن هم^(٣٧).

قال أبو هاشم: كنت عند أبي محمد (عليه السلام) فسأله ابن صالح الأرمني عن قول الله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) (الاعراف / ١٧٢) قال الإمام أبو محمد (عليه السلام): ثبتت المعرفة، ونسوا ذلك الموقف، وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه، ولأمن رازقه. قال أبو هاشم: فجعلت أتعجب في نفسي من عظيم ما أعطى الله وليه، وجزيل ما حمله، فأقبل أبو محمد علي، فقال: الأمر أعجب مما عجبته منه يا أبا هاشم وأعظم، ما ظنك بقوم من عرفهم عرف الله، ومن أنكرهم أنكر الله، فلا مؤمن إلا وهو بهم مصدق، وبمعرفتهم موقن^(٣٨).

* الهوامش:

- (١) الإمام الصادق من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، ص ٣٩.
- (٢) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، ص ١٠٣.
- (٣) لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ) ج ٥/ ص ٥٥.
- (٤) الإمام علي الهادي (عليه السلام) علي محمد علي دجيل ص ٣٩.
- (٥) أعلام الهداية الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ج ١٢، لجنة التأليف ص ٢١٩.
- (٦) أعلام الهداية الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ج ١٢، ص ٢١٩.
- (٧) الإمام علي الهادي (عليه السلام) علي دجيل ص ٤٠.
- (٨) المصدر نفسه، ص ٤٤.
- (٩) الإمام علي الهادي (عليه السلام) علي دجيل ص ٤٩.
- (١٠) المصدر نفسه، ص ٥١.
- (١١) الإمام علي الهادي (عليه السلام) علي دجيل، ص ٥١.
- (١٢) أعلام الهداية، ج ١٢، ص ٢١٩.
- (١٣) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٣.
- (١٤) حياة الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الإمام الحسن العسكري محمد جواد الطبسي، ص ١٤٩.
- (١٥) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٦.
- (١٦) حياة الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الإمام الحسن العسكري، ص ١٤٩.
- (١٧) المصدر نفسه، ص ١٥٠.
- (١٨) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

* قائمة المصادر والمراجع:

- (١٩) المصدر نفسه، ص ١٠٧ .
- (٢٠) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٨ .
- (٢١) المصدر نفسه ص ١٠٨ .
- (٢٢) المصدر نفسه ص ١٠٩ .
- (٢٣) حياة الإمام العسكري لمحمد جواد الطوسي، ص ١٥٢ .
- (٢٤) المصدر نفسه، ص ١٥٢ .
- (٢٥) المصدر نفسه، ص ١٥٣ .
- (٢٦) المصدر نفسه، ص ١٥٣ .
- (٢٧) المصدر نفسه، ص ١٥٣ .
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ١٥٤ .
- (٢٩) المصدر نفسه، ص ١٥٥ .
- (٣٠) التفسير المنسوب الى الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليهم السلام)، تحقيق الشيخ محمد الصالحي الانديمشكي، ص ١ .
- (٣١) المصدر نفسه، ص ١ .
- (٣٢) المصدر نفسه، ص ٢ .
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ٢ .
- (٣٤) التفسير المنسوب الى الإمام الحسن بن علي العسكري (عليهم السلام)، ص ٣ .
- (٣٥) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٣ و ١٠٤ .
- (٣٦) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٥ .
- (٣٧) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٥ .
- (٣٨) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٥ .
- القرآن الكريم .
- أعلام الهداية الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ج ١٢، المجمع العالمي لأهل البيت، قم المقدسة، الطبعة الاولى، ١٤٢٢ هـ .
- الإمام الصادق من المهد الى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، الطبعة الأولى، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
- الإمام علي الهادي (عليه السلام) علي محمد علي دخيل (ب، ط)، (ب، ت) .
- التفسير المنسوب الى الإمام أبي الحسن بن علي العسكري (عليهم السلام)، تحقيق الشيخ محمد الصالحي الانديمشكي، منشورات ذوي القربى، قم ١٣٨٤ هـ .
- حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل باقر شريف القرشي، دار الكتاب الاسلامي (ب، ت) .
- حياة الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، محمد جواد الطوسي، الناشر مؤسسة بوستان كتاب قم، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٨٢ هـ .
- لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ)، دار صادر بيروت (ب، ت) .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي .



Coraanic interpretations when military Imams

(peace be upon them)

By: Dr. Hoda Naji al Budairi



Abstract

rovided the center from the words of the Prophet Muhammad (may Allah bless him and his family): ((I am one who does not in you two weighty things: the Book of Allah and Aatarta: my family, once Thompsktm them will not go astray after me at all, except that they will not live apart untillrDA Ali pelvis)) (1). It preferred to be singled out in search of the talk about the close of the Koran and military relationship Imams (peace be upon them) Altazamamna first themes of the conference Koran and Hadith Sciences.

Has taken care of Imams of Ahlul Bayt (peace be upon them) great attention to interpretation of the Koran, every one of them is the owner of a school of interpretation, and lump it because they know what the Koran and know Bamomh and _khasos, and absolute and unrestricted, and copier and copied, and was a master strain Immaculate Imam Commander of the Faithful (peace be upon him) know of other realities of the Koran and the prophet Dakkaigah, and the court and similar, and he knows the time of the descent of verses as stated by the (peace be upon him) (2).



مجلس الشورى الإسلامي

الشريف المرتضى

سيرته وأثره على الحركة العلمية في بغداد

م. رشاعيسى فارس*



● المقدمة :

الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (٣٥٥-٤٣٦هـ) عالم ومتكلم وشاعر وأديب يكاد يجمع مؤلفو عصره على الإشادة بذكره وما كان يتمتع به من جلال الشخصية وتعدد المواهب والشهرة وعلو المكانة بين علماء وأدباء عصره وقد نص كثير منهم على انه كان من أئمة المسلمين في الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام ومن ابرز من نبغ في علوم العربية والنقد والأدب ورواية الشعر وإخبار العرب وذكروا العديد من مؤلفاته في هذه المجالات كما نوهوا بديوان شعره وبما احتوى من نتاج ثرية.

● المبحث الأول: - سيرته:

هو الشريف المرتضى ذو الحسين - أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى الأبرش بن محمد الأعرج بن موسى أبي سبحة بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب (عليهم السلام)^(١).

يعرف بالسيد المرتضى والشريف المرتضى وعلم الهدى وذو المجدين ويكنى بأبي القاسم^(٢). ولد في بغداد سنة (٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م) في دار أبيه بمحلة باب المحول في الجانب الغربي من بغداد «الكرخ» الواقعة بين نهر الصراة غربا، ونهر كرخايا شرقا ومحلة الكرخ جنوبا^(٣) في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع لله العباسي، من اسرة عريقة النسب سامية الشرف تتمتع بمنزلة اجتماعية وأدبية عالية^(٤).

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



وكان أبوه عالماً وزعيم الطالبين ونقيبهم^(٥) وكان أبوه سيداً عظيماً مطاعاً جليل القدر، مسموع الرأي رمزا للخير وكانت هيئته كما يقول ابن تغري بردي (أشد من هيئة الحكماء)^(٦)

وكان معظماً لدى دار الخلافة البويهية لانه كان سفيراً للخير بينها وبين دار الخلافة العباسية حتى لقبه بهاء الدولة البويهية (ت، ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) بالطاهر الأوحى ذي المناقب^(٧) لجمعه مناقب شتى ومزايا رفيعة جمّة، فهو فضلاً عن كونه علوي النسب، هاشمي الأرومة انحدر من تلك السلسلة الطاهرة فإنه كان نقيب الطالبين وعالمهم وزعيمهم، جمع إلى رئاسة الدين و زعامة الدنيا لعلو همته وسماحة نفسه، وعظيم هيئته وجليل بركته. وإلى ذلك أشار ابن مهنا في «عمدة الطالب» بنقله عن الشيخ أبي الحسن العمري النسابة «أن الشريف أبا أحمد أجل من وضع على رأسه الطليسان وجر خلفه رمحا (أراد: أجل من جمع بينهما) وكان قوي المنّة شديد العصبية، يتلاعب بالدول، ويتجراً على الأمور»^(٨)

وأمه فاطمة بنت الحسن (أو الحسين) بن أحمد بن الحسن بن علي بن عمر الاشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥م)^(٩).

كان جده المرتضى الثاني لأمه الملقب بالنصر الكبير (ت، ٣٠٤ هـ / ٩١٦م) ثالث ملوك الدولة العلوية بطبرستان^(١٠).

أما أخوه الشريف الرضي، فيقول النجاشي: مات لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة (٤٣٦

هـ / ١٠٤٤م) وصلى عليه ابنه في داره ودفن فيها، وتوليت غسله ومعى الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز^(١١). قيل ونُقل جثمانه بعد ذلك من بغداد إلى كربلاء ليُدفن بالقرب من مرقد الإمام الحسين عليه السلام^(١٢). ويؤيد ذلك ما ذكره ابن ميثم (المتوفى ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠م). إذ يقول في شرحه لنهج البلاغة: دفن السيد الرضي مع أخيه المرتضى إلى جوار جده الحسين عليه السلام^(١٣).

ولكن يستبعد القزويني نقل الجثمان إلى كربلاء، ويقول بأن هذا القول «على شهرته لا ينهض بقيام الدليل على نقله»^(١٤).

وذلك بسبب تضارب الروايات التاريخية في ذلك إضافة إلى عدم وجود موضع لبقبره في مدينة كربلاء، وإنما هناك مزار له في مدينة الكاظمية^(١٥). أما ولده فقد جاء في كتاب «أدب المرتضى»^(١٦). أنجب المرتضى ولداً كناه «أبا محمد» وكان حريصاً على تربيته تربية عالية ولكنه فيما ظهر لي (كذا يقول مؤلف الكتاب) لم يكن على شيء من العلم لأنه لم يذكر في تراجم أعلام الإمامية.

نشأ الشريف المرتضى في ظل هذه الأسرة الدينية النبيلة ذات الواجهة العالية والشرف الكبير فكان المرتضى وارثاً للزعامة العلوية، كما تؤكد قصائد شعره المبكرة^(١٧).

وقد حرصت أسرته على تعليمه منذ نعومة إظفاره فقد أخذته أمه إلى فقيه الإمامية محمد بن نعمان المعروف بالمفيد (ت، ٤١٣ هـ / ١٠٢٢م) ليتعلم الفقه، ومن البعيد أن يكون قد درس الفقه قبل أن يتلق مقداراً من العلوم الأدبية والتي تُعد مقدمة

للفقه. وتُراثه العلمي دليل صادق على أنه بذل قصارى جهده منذ الصغر في طلب العلم بحيث أصبح مرجعاً في الفقه والكلام في سن السابعة والعشرين وكان يرجع إليه بعد ذلك الإمامية وغيرهم من البلاد الإسلامية المختلفة عبر الرسائل والكتب^(١٨). ثم يتعلم الأدب والبلاغة وهو صبي لم يتجاوز الخامسة عشرة من العمر على يد عبد العزيز بن عمر أو ابن محمد المعروف بابن نباته السعدي (ت، ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م) وكان السعدي هذا كما يقول الثعالبي (من فحول شعراء العصر وأحاديهم وملكو رق المعاني)^(١٩). وتشير عبارات المؤرخين وتعليقاتهم ان المرتضى كان ذكياً وطموحاً، مثابراً للعلم مؤثراً لمجالسة العلماء منذ حداثة سنه^(٢٠).

لقد عين والد المرتضى نقيباً للطالبيين وفق مرسوم خاص صادر من الخليفة سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ م وعين المرتضى واخوه الرضي نائبين عن ابيهما^(٢١). وقد توثقت علاقة المرتضى بعدد من سلاطين وامراء بني بويه وفق ماتؤكد مجموعة كبيرة من قصائد ديوانه^(٢٢).

كان الشريف المرتضى ربع القامة نحيف الجسم أبيض اللون حسن الصورة. اشتهر بالبذل والسخاء والإغضاء من الحساد والأعداء، وقد منى بكثير من هؤلاء، وديوانه طافح بالشكوى منهم والايصاء بالتجاوز عنهم والكف عن مقارعتهم^(٢٣).

توفي المرتضى لخمس بقين من شهر ربيع الأول «سنة ٤٣٦ / ١٠٤٤ م» ببغداد، وصلى عليه ابنه في داره، ودفن فيها عشية ذلك اليوم، ثم

نقل بعد ذلك إلى كربلاء ودفن بجوار أجداده عند قبر أبيه وأخيه الرضي وجده إبراهيم^(٢٤). ابن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام). دَرَس هو وأخوه الشريف الرضي اللّغة والمبادئ عند ابن نباته السعدي والفقه والأصول لدى الشيخ المفيد وتتلّمذ على يد أبي عبد الله المرزباني في الشعر والأدب ويروي عنه أكثر رواياته في كتاب الأمالي ويروي كذلك فيه عن أبي القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق، وأبي الحسن علي بن محمد الكاتب، وله أساتذة وشيوخ آخرون في الحديث والفقه والعلوم الأخرى^(٢٥).

وكان ممن يحضر مجالس درسه وحلقاته العلمية أبو العلاء المعري، فقد سكن في بغداد، وعندما عاد من العراق إلى المعرة سنة (٤٠٠ هـ) سأله كيف وجدت السيد المرتضى؟ فقال : لو جئته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار^(٢٦).

● المبحث الثاني : مكانته العلمية : أقوال العلماء فيه :

لقد أطراه كلّ من ترجم له وتعرّض لسيرته بأجمل العبارات وأجزلها، وأحكم الجمل وأفضلها، مفصّحة عن أدبه وشعره وفضائله، اخترنا منها جُملاً يسيرة، وهي:

يقول الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م)

ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل، وهو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلّى مع محتده الشريف ومفخره المنيف، بأدبٍ ظاهر، وفضل باهر، وحظّ من جميع المحاسن وافر، ثم هو أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن



غبر، على كثرة شعرائهم المفلّحين: كالجمّاني وابن طباطبا وابن الناصر وغيرهم، ولو قلت: إنّه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أجريه من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القدح، الممتنع عن القدح، الذي يجمع إلى السلسلة متانةً، وإلى السهولة رصانةً، ويشتمل على معانٍ يقرب جناها، ويبعد مداها^(٢٧).

ويقول الباخرزي (ت ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م):

وأنا إذا مدحته كنت كمن قال لذكاء: ما أنورك! ولخُصارة^(٢٨). ما أغزرك! وله شعر إذا افتخر به أدرك من المجد أقاصيه، وعقد بالنجم نواصيه، وإذا نسب انتسب رقة الهواء إلى نسيبه، وفاز بالقدح المعلي في نصيبه، حتّى إذا أنشد الراوي غزلياته بين يدي العزّهة^(٢٩)، لقال له من العزّ: هات، وإذا وصف فكلّاه في الأوصاف أحسن من الوصائف والوصاف، وإن مدح تحيّرت فيه الأوهام بين مادح وممدوح، له بين المتراهنين في الحلبتين سبق سابق مروح، وإن نثر حمدت منه الأثر، ورأيت هناك خرزات من العقد تنفض، وقطرات من المزن ترفض، ولعمري إنّ بغداد قد أنجبت به فبواته ظلالها، وأرضعته زلالها، وأنشقت شمالها، وورد شعره دجلتها فشرب منها حتّى شرق، وانغمس فيها حتّى كاد يقال: غرق، فكلّما أنشدت محاسن كلامه تنزهت بغداد في نضرة نعيمها، واستنشقت من أنفاس الهجير بمراوح نسيمها^(٣٠).

وقال ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م):

كان رحمه الله عالماً أديباً، وشاعراً مفلّحاً، فصيح النظم، ضخّم الألفاظ، قادراً على القريض، متمصّفاً في فنونه، إن قصد الرقة في النسيب أتى بالعجب

العُجاب، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يُشَقُّ فيه غباره، وإن قصد في المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطع أنفاسها على أثره، وكان مع هذا مترسلاً ذا كتابة قويّة، وكان عفيفاً شريف النفس، عالي الهمة، ملتزماً بالدين وقوانينه، ولم يقبل من أحد صلةً ولا جائزة حتّى إنّه ردّ صلات أبيه، وناهيك بذلك شرف نفس^(٣١).

وقال ابن خلكان شمس الدين أبو العباس (ت، ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)^(٣٢).

كان نقيب الطالبين وكان إماماً في علم الكلام والأدب.

أما الذهبي، شمس الدين (ت، ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م)^(٣٣) فقد قال: ديوان المرتضى كبير وتواليفه كثيرة، وكان صاحب فنون.

وذكره الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت، ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)^(٣٤) فقال:

كان فاضلاً ماهراً أديباً متكلماً، له مصنفات جمة على مذهب الشيعة.

وعند يوسف بن يحيى الصنعاني (ت ١١٢١هـ / ١٧٠٩م) هو:

فاضل، تزاحمت مناقبه، وغلبت في حلبة الفخار مناقبه، فهو يفتخر بغير الشعر كأبيه، وإنّما رقّ لعصابة الشعر ففصلها بلالئ فكرته لكلّ نبيه، وما رضي في مواشاته بغير سبق، فأضحى رأس الصناعة ومن ينكر يُضرب على الفرق، فنظم ما هو أعقب من المنثور، وأبهى من العسجد في جيد اليعفور، معاني كمعاني الشعب طيباً، وكمنزلة الربيع من الزمان حبيباً، لا تملّحها رتوت الشعر في إنشادها^(٣٥).

ووصفه السيّد محسن الأمين (١٣٧١هـ / ١٩٥١م) فقال: كان أوحده علماء عصره، وقرأ على أجلاء الأفاضل، فكان أديباً بارعاً متميّزاً، وفقياً متبحراً، ومتكلماً حاذقاً، ومفسراً لكتاب الله وحديث رسوله محلقاً، وأخفت مكانة أخيه المرتضى العلميّة شيئاً من مكانته العلميّة، كما أخفت مكانته الشعريّة شيئاً من مكانته الشعريّة (٣٦).

ولم تكن آراء المتأخرين فيه لتقل عما سبق قوله (٣٧).

● المبحث الثالث: مؤلفاته:

طبعت بعض مؤلفاته ضمن مجموعات أخرى في الوقت الحاضر والكثير من الرسائل في المجموعات المطبوعة (٣٨). وسنشير إلى بعض مؤلفاته والتعريف بها حيث بلغت ١٢٣ مؤلفاً (٣٩) وهي:

- الانتصار: كتاب في الفقه يتضمن ما انفرد به الإمامية من أحكام قطعاً أو ظناً. ويشتمل على ٣١٩ مسألة فقهية (٤٠).

- الناصريات: يتضمن هذا الكتاب ٢٠٧ مسألة فقهية وعقائدية (٤١).

- الشافي في الإمامة: لقد ألف السيّد هذا الكتاب كنقد لكتاب المغني من الحجاج تأليف العالم المعتزلي المعاصر له القاضي عبد الجبار (٤٢).

- إنقاذ البشر من الجبر والقدر (٤٣).

- تنزيه الأنبياء: وتدور مسائل الكتاب المختلفة حول النقطة المحورية وهي الخلاف بين الإمامية والمعتزلة في مسألة عصمة الأنبياء (٤٤).

- الأصول الاعتقادية: ألّف هذه الرسالة الصغيرة للبحث عن صفات الله عز وجل. والنبوة، والإمامة، والبعثة، والوعد والوعيد، والشفاعة، وعذاب القبر، وفناء العالم، والميزان والصراط، والجنة، والنار (٤٥).

- مقدمة في الأصول: يبحث فيها السيّد بإيجاز أصول عقائد الإمامية (٤٦).

- العدد أو الرد على أصحاب العدد: يردّ السيّد في هذه الرسالة القول بأن الصوم يثبت بإكمال العدد (لثلاثين يوماً) ويعتبر الهلال معياراً للعمل (٤٧).

- ديوان المرتضى: تصل أشعار السيّد المرتضى كما يظهر لدى بعض المؤرخين إلى عشرين ألف بيت، ويبدو من كتب التراجم أنّ الكثير من المؤلفين في العصور المختلفة كانوا قد حصلوا على نسخ من الديوان (٤٨).

- شرح قصيدة السيّد الحميري: وهي قصيدة في مدح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (٤٩).

- الغرر والدرر وآمالي المرتضى.

- الذريعة إلى أصول الشريعة: يتناول الكتاب أصول فقه الشيعة الإمامية في أربعة عشر باباً (٥٠).

● المبحث الرابع:

إنّ المكانة العلمية للسيّد المرتضى غنية عن البيان فهو دون شك من أكبر علماء الشيعة الإمامية ويظهر من مؤلفاته الكثيرة في العديد من علوم عصره كالشعر والفقه والأصول والتفسير والفلسفة الإلهية والفلك وأقسام الأدب كاللغة والنحو والمعاني والإنشاء والشعر وأمثالها فهو أستاذ ماهر بل وحيد عصره. وكان قد انصبّ أكبر جهده على الفقه والكلام والأدب وقد خدم المذهب الإمامي من خلال هذا الطريق وأدّى إلى إستحكام آرائه الأصلية والفرعية.

ويقوم منهجه في الأصول على الدليل العقلي ومن هنا لا يختلف مع الأشاعرة فقط وإنّما مع أهل



الظاهر من الإمامية. ولم يعمل في الفقه بخبر الواحد وكان يستفيد في استنباط الأحكام من الأدلة الأصولية اللفظية والعقلية وهذا ما يميزه عن المحدثين والإخباريين من الإمامية^(٥١) إنَّ السيد المرتضى فقيه الإمامية ومتكلمهم ومرجعهم بعد وفاة أستاذه الشيخ المفيد، وكتابه الشافي في الإمامة أوضح دليل على تعمقه في علم الكلام والمناظرة في كلِّ مذهب.

ورسائله وكتبه في الفقه والأصول شاهد على تسلّطه. ويأتي كتابه الأمالي في الأدب واللغة والتفسير والتاريخ والتراجم كبرهان ناصع على سعته المعرفية في العلوم.^(٥٢) يقول تلميذه الشيخ الطوسي^(٥٣):

هو متوحد في علوم كثيرة، مجمّع على فضله، مقدّم في العلوم مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر واللغة وغير ذلك^(٥٤). ويقول النجاشي: حاز من العلوم ما لم يُدّانه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر وكان متكلماً شاعراً أديباً عظيمَ المنزلة في العلم والدين والدنيا.^(٥٥)

لقد كان السيد المرتضى عماد الشيعة ونقيب الطالبين في بغداد وأمير الحج والمظالم بعد أخيه الرضيّ وكان ذلك منصب أبيهما من قبل. وكان يدفع الرواتب لتلامذته حيث يدفع لأبي جعفر الطوسي اثني عشر ديناراً في الشهر، والقاضي ابن البراج ثمانية دنانير. ويُعدّ الشيخ المفيد أهم أساتذته ومع ذلك كان يروي عن بعض مشايخ المفيد فهو يروي كثيراً على سبيل المثال عن أبي عبد الله محمد عمر ابن

المرزباني البغدادي (المتوفى ٣٧٨هـ) حديث خطبة الزهراء عليها السلام والتي رواها في كتابه الشافي^(٥٦). وكان له بيتاً كبيراً قد اتخذه مدرسة يُدرّس فيها طلاب الفقه والكلام والتفسير واللغة والشعر والعلوم الأخرى كعلم الفلك والحساب وتجري فيها المناظرات. ولم تقتصر المدرسة هذه على الطلبة الشيعة وإنّما كانت تضم طلاب العلم من كل مذهب وفرقة^(٥٧).

● المبحث الخامس: ميوله ومعتقداته:

كان الشريف المرتضى ميالاً إلى الزهد في الدنيا راغباً عنها، ذاماً لها، داعياً إلى الاعتبار فيها، سالكا سبيل أجداده الكرام، من جعلها مجازاً للآخرة ومزاداً لدار القرار لذا نجد ديوانه يفيض بالقصائد في ذم الدنيا والحث على الزهد فيها والاعتبار بتقلب أحوالها، وفناء نعيمها، ثم هو يصف مقابرها، ويرثي مقبوريتها، ويدعو كذلك إلى تكميل النفس وتهذيبها، وغرس مواد العزة فيها بنبذ الحرص، وترك الطمع، والتحلي بجمال العلم وخصال الخير، فمن ذلك قوله في ذم الدنيا والحث على الزهد فيها:

أفي كل يوم لي مني أستجدها وأسباب دنيا بالغرور أودها ونفس تنزى ليتها في جوانح^(٥٨) كان الشريف المرتضى، يذهب في أصول عقائده مذهب سائر الشيعة الإمامية من قولهم: بتوحيد الله عز وجل، وعدله وامتناع صدور الظلم منه، وهم يנהجون بذلك منهج أغلب المعتزلة الذين يسمون أنفسهم بالعدلية أو أهل العدل، ويقولون: بنفي الصفات الإلهية الزائدة على الذات، إذ يرون أن صفاته

سبحانه هي عين ذاته، ويذهبون إلى أن تحسين الشيء أو تقبيحه أمر عقلي أي يدرك بالعقل كعلمنا بحسن الصدق النفع وقبح الكذب الضار وغيرهما من الأمور البديهية، وإن كانت بعض الأحكام التكليفية كالعبادات مثلا لا يمكن استقلال العقل بالحكم فيها بالحسن أو القبح إلا عن طريق الشرع، فما ورد الشرع بحسنه أو قبحه أمر لا مجال للعقل في تحسينه أو تقبيحه، فمرتبة العقل بعد مرتبة الشرع بلا جدال^(٥٩).

يدل علم الشريف المرتضى بغريب اللغة على اطلاع واسع على لغة العرب بدراسة علومها ومعرفة لسانها في مختلف ديارها ومواطنها، وقد كان الشيخ عز الدين أحمد بن مقبل^(٦٠). يقول: لو حلف إنسان أن السيد المرتضى كان أعلم بالعربية من العرب لم يكن عندي أثما، وكتابته الأمالي المعروف بـ «غرر الفوائد ودرر القلائد» يشتمل على محاسن فنون تكلم فيها في النحو واللغة والشعر والتفسير والكلام وغير ذلك، حتى أن شيخا من شيوخ الأدب بمصر قال فيه: والله إنني استفدت من كتاب الغرر مسائل لم أجدها في كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو^(٦١).

كما كان له أشعاره التي دلت على موهبته العالية في هذا الجانب^(٦٢)، ولاسيما قصائده في رثاء الإمام الحسين (ع)^(٦٣).

● المبحث السادس: اثر الشريف المرتضى في الحركة العلمية في بغداد:

يجمع عدد من المؤرخين والأدباء والعلماء الذين عاصروا المرتضى على أن المرتضى كان من ابرز علماء عصره في الفقه والأصول وعلم الكلام

والعقائد والتفسير، وأنه كان أدبيا مبرزاً وناقد بصيرا بمعاني الشعر وفنون البلاغة ورواية ثقة للشعر وإخبار العرب^(٦٤) ويشيد بعضهم بمنزلته العلمية فيعتبره إمام عصره في علوم الشريعة واللغة والأدب في العراق.

يقول ابن بسام الشنتريني دالا على مرجعية المرتضى في المعارف السابقة الذكر: (وكان هذا الشريف إمام من أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق، إليه فزع علماءها، وعنه اخذ عظمائها، صاحب مدارسها وجماع شاردها وأنساها، من سارت إخباره وعرفت إشعاره)^(٦٥) ويتبعه في ذلك عبد الملك الثعالبي، فيصرح بقوله «وقد انتهت الرئاسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف، والعلم والأدب والفضل والكرم»^(٦٦) بينما يصادق ابن خلكان على أن المرتضى «كان مجمعا على فضله، وأنه توحد في علوم كثيرة، مثل علم الكلام والفقه وأصوله والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغيرها»^(٦٧). وهكذا يؤيد تفوق المرتضى في الحقول العلمية والأدبية المذكورة كلها عدد من كبار المؤرخين والمفكرين حتى من أولئك الذين خاصموه وتحاملوا عليه لاختلافهم معه في بعض المسائل العقائدية^(٦٨).

أما عند الشيعة الإمامية، فإن المرتضى يعد من أعظم المراجع في الفقه والأصول كما يعد عندهم الرائد الأول في تبسيط فقه الإمامية وتوضيح أصوله ميز بينهم وبين فرق الشيعة الأخرى كالزيدية والإسماعيلية وما تفرع منها أو إنحدر منها^(٦٩). وهذا الاعتقاد مازال مصادقا عليه لدى علمائهم ومفكرهم حتى عصرنا الحاضر^(٧٠).



يقول ابن حجر العسقلاني «أن المرتضى كان لايؤثر على العلم شيئاً وأنه جعل داره للعلم وقدرها للمناظرة»^(٧١). وأن المرتضى كان له مجلس علمي يحضره الفيلسوف أبو العلاء المعري (ت، ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م) وإمام النحو واللغة المشهور عثمان بن جني (ت، ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م)^(٧٢).

إن تلك المناظرات والمجالس العلمية قد بلورت شخصية المرتضى وزادت من عطائه العلمي وإذا أضيف إلى عطائه الفكري أنه كان شغوفاً باقتناء الكتب وقراءتها وأنه كما يقول صديقه القاضي التنوخي ويمتلك مكتبة ضخمة تضم ثمانين ألف مجلد في مختلف العلوم والفنون^(٧٣).

لقد كان اهتمام المرتضى وتأثيره العلمي على الحياة العلمية والفكرية في العراق أنه كان يتعهد لطلابه وملازمي مدرسته ومجلسه العلمي بمكافأة مالية جيدة، بل أنه كان يتعهد لبعضهم بما يكفي من المئونة لمعيشتهم وأنه أوقف قريته الزراعية ومن أملاكه على قراطيس الفقهاء^(٧٤). كما فتح مكتبته الخاصة لكافة طلابه مما ساعد على زيادة الاهتمام العلمي والثقافي في العراق.

أن جعل المرتضى من داره مجلساً للمناظرة ومدرسة خاصة عائدة له يصرف عليها من ماله الخاص مما شجع الطلاب المعوزين إلى الانضمام إلى مدرسته وحضور درسه، وقد ذكر المؤرخون أن عدد من الطلاب الذين تتلمذوا على يد المرتضى وحضروا في مدرسته قد نبغوا بعد ذلك في التحصيل والدرس^(٧٥). ويمكن أن يكون للتلميذ مثل هؤلاء الطلبة وبالعديد الذي أشار إليه المؤرخون دلالات من أبرزها إن من شأن ذلك أن يدفع رجلاً طموحاً مثل

المرتضى إلى تكريس الوقت والجهد لفعالية فكرية وتحصيل مكثف وبحث علمي وثقافي متواصل، يعده لما تصدر له، ويجعل منه أستاذاً قديراً متمكناً من العلوم والموضوعات التي يدرس ويبحث فيها ويتصدى لها، بنحو مواز لمقامه ومكانته الاجتماعية وسمو تطلعاته. وقد استطاع بالفعل أن يخرج تلاميذ أصبحوا فيما بعد نوابغ أو إعلام عصرهم في العراق، في الفقه والأصول والعقائد والكلام، مثل حمزة بن عبد العزيز الديلمي الملقب بسلار (ت، ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م)، والقاضي عبد العزيز بن البراج (ت، ٤٨١هـ / ١٠٨٨م) والقاضي محمد بن علي الكراجي (ت، ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م) ومحمد بن الحسن الطوسي (ت، ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) وهو من أشهرهم واجلهم.

ولا شك أن جانباً كبيراً من تكوين الرصيد العلمي والمعرفي الوافر لهؤلاء العلماء وفي تنمية مهاراتهم وإعدادهم وتوجيههم لما كرسوا من أجله يعود لأستاذهم الشريف المرتضى، وفي ضوء ذلك ودلالاته الواضحة على مكانته العلمية والثقافية من جانب وعلى نفوذه وقوة شخصيته من جانب آخر^(٧٦).

* هوامش البحث:

- (١) ينظر ترجمته في المصادر التالية: الثعالبي، عبد الملك، النيسابوري أبو منصور (ت، ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) (يتيمة الدهر، شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قمحية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ج٣، ص ١٥٥؛ النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الاسدي الكوفي (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) رجال النجاشي، تحقيق: الحجة السيد موسى الشبيري الزنجاني الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين (قم المشرقة، بلا) ص ١٠٦٥؛ ١.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت)،
٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى
عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، (بيروت،
بلا) ج٣، ص٤٠.

(٢) أغا بزرك الطهراني محمد ابن محمد رضا محسن
(ت، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) طبقات أعلام الشيعة،
(بيروت، بلا) ص١٢٠-١٢١.

(٣) كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير
فرنسيس، كوركيس عواد، الناشر: مؤسسة الرسالة،
الطبعة: الثانية (بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص
١٩٨

(٤) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن
الحسن (ت، ٤٦٠هـ / ١٠٥٠م)، الفهرست، تصحيح:
سيد محمد صادق آل بحر العلوم، المكتبة الرضوية،
(النجف، د.ت). ص١٢٥؛ الطوسي، رجال الطوسي،
تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية
(النجف الاشرف، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م) ص٤٨٤؛ ابن
خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٣١٣؛ ياقوت الحموي،
ابن عبدالله الرومي (ت، ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) الإرشاد
(معجم الأدباء) دار إحياء التراث العربي (بيروت، بلا)،
ج٥، ص١٧٣.

(٥) الشريف المرتضى، الانتصار، ص٩.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في اخبار مصر
والقاهرة، دار الكتب (القاهرة، ١٣٥٧هـ) ج٤، ص٢٢٣.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٢٦-٢٢٧

(٨) ابن عنبه، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني
(ت، ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) عمدة الطالب في أنساب آل
أبي طالب. قام بتصحيحه محمد حسن آل الطالقاني.

منشورات المطبعة الحيدرية، الطبعة الثانية (النجف

الاشرف، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) ص١٩٢.

(٩) الشريف المرتضى، الانتصار، ص١١-١٢.

(١٠) أبو الحديد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، تحقيق
أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي (القاهرة،

١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م) ج١، ص٣٢-٣٣.

(١١) النجاشي، رجال النجاشي ص٢٧٠.

(١٢) الجعفري، سيد محمد مهدي، سيد رضي،
(طهران، ١٣٧٥هـ) ص٣١.

(١٣) ابن ميثم البحراني، (ت، ٦٧٩هـ / ١٣٧٧م) شرح
نهج البلاغة، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، (قم
المقدسة، ١٣٦٢هـ) ج١، ص٨٩.

(١٤) القزويني، مهدي، (ت، ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م)، كتاب
المزار، دار الرافيدين، (بيروت، ٢٠٠٥م)، ص٢٥٢.

(١٥) القزويني، كتاب المزار، ص٢٥٤.

(١٦) عبد الرزاق محي الدين، أدب المرتضى، مطبعة
المعارف (بغداد، ١٩٥٧م) ص٧٨

(١٧) ديوان الشريف المرتضى، تحقيق، رشيد الصفار
المحامي، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة، ١٩٥٨م)
ج١، ص٢٧٩-٢٨٤، ج٢، ص٧-١٢، ج٣، ص٣١.
(١٨) الكرجي، أبو القاسم، تاريخ فقه وفقها، (طهران،
١٣٨٥هـ) ص١٤٨.

(١٩) الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج٢،

ص٣٨٠

(٢٠) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٤١؛
الخونساري، الميرزا محمد باقر الموسوي، (ت،
١٣١٣هـ / ١٨٩٥م) روضات الجنّات في أحوال العلماء
والسادات الدار الإسلامية، الطبعة: الأولى (قم، ١٩٩١)،
ج٤، ص٢٩٥.

(٢١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٥٣.



- (٢٢) ديوان الشريف المرتضى، ج ١، ص ١١، ص ١٠١.
- (٢٣) الشريف المرتضى، الانتصار، ص ١٣.
- (٢٤) المصدر نفسه، ص ٥٧.
- (٢٥) الشريف المرتضى، الانتصار، ص ٢٤.
- (٢٦) الطبرسي، أحمد بن علي (ت، ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) الاحتجاج، تصحيح السيد محمد باقر الخراسان، مطابع النعمان، (النجف الاشرف، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) ج ٢، ص ٣٣٦.
- (٢٧) يتيمة الدهر، ج ٣، ص ١٥٥.
- (٢٨) الخضارة: البحر. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت، ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الرابعة (بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ج ٢، ص ٢٠٨ «خضر».
- (٢٩) رجلٌ عَزْهَاءٌ، وَعِزْهَاءَةٌ: لَا يَطْرَبُ لِلَّهِ وَيَبْعُدُ عَنْهُ. الجوهري، الصحاح، ج ٦، ص ١٤٣ «عزه».
- (٣٠) الباخريزي، دمية القصر وعُصرة أهل العصر ج ٧، ص ٢٩٢.
- (٣١) أبْن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١: ٣٣.
- (٣٢) وفيات الأعيان، ج ٣ ص ٣١٣.
- (٣٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء -، ج ١٧ ص ٥٨٨.
- (٣٤) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت، ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ج ٦، ص ٣٦٢.
- (٣٥) الصنعاني. ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسني اليميني، نسمة السحر، تحقيق: كامل سليمان الجبوري الناشر: دار المؤرخ العربي، الطبعة: الأولى (بيروت، لبنان ١٩٩٩)، ج ٣، ص ٥٢.
- (٣٦) أعيان الشيعة ج ٩، ص ٢١٨.
- (٣٧) الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الأولى (بيروت، ١٩٩٤) ج ٤: ص ١٨١ - ١٨٢.
- (٣٨) الشريف المرتضى، الانتصار، ص ٤٨-٥٧.
- (٣٩) الطوسي، الفهرست، ص ١٥٧؛ الخوانساري، روضات الجنات، ج ٤، ص ٢٤؛ الزر كلي، الإعلام، ج ٧، ص ٢٤٥.
- (٤٠) الكرجي، تاريخ فقه وفقها، ص ١٥٩-١٦٠.
- (٤١) المصدر نفسه، ص ١٦٠.
- (٤٢) المصدر نفسه، ص ١٦١-١٦٢.
- (٤٣) المصدر نفسه، ص ١٦٢.
- (٤٤) الكرجي، تاريخ فقه وفقها، ص ١٦٢-١٦٣.
- (٤٥) المصدر نفسه، ص ١٦٣.
- (٤٦) المصدر نفسه، ص ١٦٨.
- (٤٧) المصدر نفسه، ص ١٦٨-١٦٩.
- (٤٨) المصدر نفسه، ص ١٧٠.
- (٤٩) المصدر نفسه، ص ١٧٠.
- (٥٠) الكرجي، تاريخ فقه وفقها، ص ١٧٢-١٧٣.
- (٥١) المصدر نفسه، ص ١٤٩-١٤٨.
- (٥٢) الكرجي، تاريخ فقه وفقها، ص ١٤٩-١٤٨.
- (٥٣) الشريف المرتضى، الانتصار، ص ٧-٨.
- (٥٤) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست، ص ٩٩.
- (٥٥) النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٧٠.
- (٥٦) أغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ص ١٢٠-١٢١.
- (٥٧) الشريف مرتضى، الانتصار، ص ٢٢.
- (٥٨) الشريف المرتضى، الانتصار، ص ٢٠.
- (٥٩) الشريف المرتضى، الانتصار، ص ٢٥.

- (٦٠) الخونساري، روضات الجنات ص ٣٨٥. (٦٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٧٣.
- (٦١) الخونساري، روضات الجنات ص ٣٨٥. (٦٨) ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ج ٢، ص ٥٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٦٤.
- (٦٢) الأميني، عبد الحسين، الغدير، ج ٤، ص ٢٦٣. (٦٩) العسقلاني، احمد بن علي، (ت، ٨٥٢هـ / ٢٦٤).
- (٦٣) المرجع نفسه، ج ٤، ص ٢٩٠-٢٩١. (٦٤) ينظر، الباخرزي، علي بن الحسن (ت: ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م)، دمية القصر، تحقيق سامي مكّي العاني، مطبعة المعارف (بغداد، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م) ص ٢٩؛
- ياقوت الحموي الإرشاد (معجم الأدباء) ج ٥، ص ١٧٣؛ (٧٠) عباس القمي، الكنى والألقاب، ج ٢، ص ٤٨٠؛ مصطفى جواد، مقدمة ديوان الشريف المرتضى، ج ١، ص ١٩؛ عبد الرزاق محي الدين، أدب المرتضى، ص ٥٧-٥٩.
- ابن الفوطي، كمال الدين (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣ م)، تلخيص مجمع الآداب في مجمع الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، المطبعة الهاشمية (دمشق، ١٩٦٢ م) ج ٤، ق ١، ص ٦٠٠؛ السيوطي، جلال الدين (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥ م)، بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥ م) ج ٢، ص ١٦٢؛ الخونساري، روضات الجنات، ج ٤، ص ٢٩٥.
- (٧١) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ص ٢٢٣. (٧٢) محي الدين، أدب المرتضى، ص ١٢٢.
- (٧٣) عبد الله أفندي الاصبهاني، رياض العلماء، ج ٤، ص ٢١. (٧٤) الخونساري، روضات الجنات، ج ٤، ص ٢٩٦.
- (٧٥) الطوسي، الفهرست، ص؛ الخونساري، روضات الجنات، ج ٤، ص ٢٩٩-٣٠٠؛ عبد الله أفندي الاصبهاني، رياض العلماء، ج ٤، ص ١٦-١٧.
- (٧٦) محي الدين، أدب المرتضى، ص ١٥٠. (٦٥) الشنتريني، علي بن بسام، (ت، ٥٤٢هـ / ١١٤٧ م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م) ق ٤، ص ٤٦٥.
- (٦٦) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ١، ص ٥٣.

AL-Sharif AL-Murtadaa

His biography and his effect on the scientific movement in Baghdad

By: Rasha Isaa Faris



Abstract

The world speaking poet and literary authors of the era is almost unanimous praise for the mentioned and was enjoyed by the Jalal personal multiplicity of talent and fame, and loudness place between scientists of his era writers of his era to have the text of many of them that it was a Muslim imams in the jurisprudence, and the interpretation, theology, the most prominent of nabgh in Arab science, literature and poetry and novel criticism of Arab news and reminded many of his writings in these areas, as noted in the Divan of poetry as contained the product of the rich, the research aims to study the biography of al-Sharif El-murtadha and its impact in the scientific movement in Baghdad, the search contains five detectives, the first containing biography ii its inception scientific and ANESTHESIOLOGY III: Scientific stature and tells us that the fourth: tendencies and beliefs, and poems and tells us that the v :After Al Sharif El-murrada on scientific movement in Baghdad and then the conclusion and sources and references.

Conclusion included the following points:

- 1-The stages of the life of El-murrada and passed by this personal developments reflect the elements involved in the construction of the personality and reflect the dimension of the family is an incentive to practice intellectual activities were outstanding.
- 2-Demonstrated his writings on a wide variety of experience and breadth of knowledge and is not in Islamic sciences and beliefs but to in poetry and literature also.
- 3-Had a significant impact on the revitalization of the scientific and intellectual movement in Iraq through his debates scientific councils and that came out of many scholars and writers.



المجلة العلمية
البيروتية

مكانة الأندلس في التواصل الحضاري

بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

أ.د. وجدان فريق عناد*



● المقدمة:

نشطت الحركة العلمية، في مختلف عهود الحكم العربي للأندلس فكان لها الصدارة في القرون الوسطى، إذ انتقلت العلوم منها الى أوروبا، وكانت واحدة من أهم حلقات التواصل بين علوم الحضارة الإسلامية والغربية، ولها دورها الكبير في تطور وازدهار عدد من العلوم كالطب والفيزياء والرياضيات وعدد من التطبيقات التقنية. وبما إن موضوع البحث واسع ومتشعب لذلك سنقتصر على بعض الجوانب الآتية: العلوم الطبية، العلوم الرياضية، العلوم الفيزيائية والكيميائية، العلوم الفلكية، وكان اختيارنا لهذه الجوانب من باب كونها مفتاح يقود إلى ميدان رحب فيه الكثير من الحقائق العلمية التي تثبت مكانة الحضارة الإسلامية في خدمة البشرية، لذلك كانت محاولتنا إبراز بعض مجالات اللقاء الحضاري بين الحضارتين الإسلامية والغربية، إذ قامت الأندلس بدور حضاري نتج عنه إشعاع علمي، ثقافي، عمراني، اقتصادي، اجتماعي... الخ، أثار طريق أوروبا وهي تعطي منصة السيادة الحضارية العالمية.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



● أولاً: العلوم الطبية

كانت العلوم الطبية عند المسلمين تعتمد على علوم الحضارات القديمة ومعارف عصر ما قبل الإسلام فضلاً عن الطب النبوي، ثم بدأت الدراسات الطبية الإسلامية بالظهور واستمرت سواء النظرية أو التطبيقية، كما تشهد على ذلك أعمالهم الكثيرة والمتنوعة، إذ برز المسلمون بفلسفتهم بالطب وتقدمهم وإنجازاتهم في مجالات التغذية والنظافة والوقاية والجراحة وطب العيون^(١).

وبعد الفتح الإسلامي للأندلس كانت جهود المسلمين مركزة على تدعيم سياستهم هناك، وكان أكثر الممارسين للطب هم المسيحيين، والمولدين واليهود. ثم شيئاً فشيئاً حدث التغيير نتيجة الاحتكاك مع المشرق، وبحلول عهد الخليفة عبد الرحمن الثاني بدأت تظهر تطورات مهمة في الثقافة والعلوم نتيجة الرعاية الواسعة من قبل الحكام^(٢).

ويعد عهد المرابطين والموحدين من الحقب الذهبية بالنسبة للطب في الأندلس، فقد كتب العديد من الأطباء بحثاً حول العلوم الطبية والأدوية، واستمر تطور العلوم في عهد الدولة النصرية. وبعد انتهاء الحكم الإسلامي في غرناطة، بقيت ممارسة الطب محصورة بأيدي المسلمين، غير أن الضياع المتدرج للنصوص العربية، فضلاً عن الصعوبات التي واجهها المسلمون في تدريس هذه النصوص العربية، جعلت هذه المهنة تنحدر شيئاً فشيئاً^(٣). وكان المنهج التجريبي أساس التقدم الذي حققه المسلمون في الطب، فأطباء غرناطة في القرن الرابع عشر الميلادي مثلاً توصلوا إلى نظرية العدوى، بعد أن عانى الناس من أوبئة خطيرة^(٤).

فكان الطبيب الأندلسي كما هو الحال في بلدان العالم الإسلامي صيدلي وعالم نباتي في معظم الأحيان^(٥)، كما قام هؤلاء الأطباء بترجمة مجموعة من الأعمال الطبية، كما ساهموا بكتابة بحوث طبية، بقيت كمرجع طوال حقبة العصور الوسطى. كل هذا الجهد الذي بذل في الأندلس لجمع البحوث الطبية وتنسيقها تم نقله إلى أوروبا عن طريق الترجمة من العربية إلى اللاتينية، مكوناً حجر الأساس ومادة طبية غاية في الأهمية لأطباء عصور النهضة^(٦).

ومن أبرز الأطباء الأندلسيين^(٧): عبد الملك بن حبيب صاحب الكتاب الطبي المختصر في الطب، وسليمان بن الحسن بن جلجل صاحب كتاب طبقات الأطباء والحكماء، وسليمان بن عبد ربه الذي ألف بحثاً حول الأدوية المركبة كما كتب قصيدة تعليمية حول الطب تحت عنوان أرجوزة في الطب، وعريب بن سعد القرطبي الذي كتب حول علم الأجنة وطب الأطفال تحت عنوان كتاب مراحل الجنين ونظام الحوال وحديثي الولادة، وأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي صاحب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، وأبو العلاء زهر أبو الطبيب المشهور بزهر وهو طبيب مرموق ومعلم ومدرب لابنه ابن زهر، وأبو مروان بن زهر الأشبيلي صاحب كتاب التيسير في المداواة والتدبير، ومحمد بن علي القربلياني الشفرة ألف كتاباً تحت عنوان كتاب الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحة والأورام، وأحمد بن علي بن خاتمة مؤلف لعدد من الأبحاث عن وباء الطاعون، ولسان الدين بن الخطيب الذي كتب عدة بحوث حول علم الأمراض بشكل عام تحت عنوان (كتاب من طب لمن حب)،

وهو كتاب شامل يبحث في تجنب الأمراض، وابن رشد ومن أهم أعماله التي اشتهرت في الطب الأندلسي منها الكليات في الطب، وابن ميمون القرطبي الذي كتب عدة أبحاث طبية بعضها حول مواضيع محددة مثل الربو والبواسير. ومحمد بن قسوم بن أسلم الغافقي القرطبي الكحال، والذي ألف كتاب المرشد في الكحل، ولا يمكن نسيان دور ابن البيطار من مدينة مالقة وكتابه المعين في الأدوية والجامع لمفردات الأدوية والأغذية، فضلاً عن ابن جناح، وابن بكلايريش من مدينة سرقسطة، والرميلي من مدينة المرية، وأبو الصلت أمية، وابن باجة، وابن الرومية، ومحمد بن إبراهيم بن السراج، والمؤلف المجهول لكتاب (عمدة الطبيب) وكتاب (معجم لأصوات رومانسية) عمد كاتبه إلى جمع ودراسة الأعشاب التي تنمو في الأندلس وشمال إفريقيا.

كان لتطور العلوم الطبية في الأندلس أثرها في النهضة العلمية في أوروبا من خلال مؤلفات أطبائها، التي انتقلت إلى أوروبا بفضل الترجمة، فعلى سبيل المثال كتاب أبو مروان زهر الأشبيلي صاحب كتاب التيسير في مداواة والتدبير، في هذا الكتاب وصف مجموعة من الأمراض المعروفة ويشرح كيفية مداواتها، يعد واحداً من الكتب الأكثر استخداماً في عصور النهضة بعد ترجمته إلى العبرية واللاتينية^(٨)، محمد بن قسوم بن أسلم الغافقي القرطبي صاحب كتاب «المرشد في الكحل»، وفيه رسوم للآلات التي كان يستعملها في عملياته الجراحية، فكان بذلك له الفضل في تطور طب العيون في النهضة الأوروبية.

ومن الأندلس انتقلت دراسة علم الأمراض^(٩)، واستئصال أي عضو من الأعضاء، ووصف خفقان القلب، والأورام، وغيرها^(١٠)، وفي حالة الحمى فقد شخصت أكثر من مائة حالة، بعض هذه التصنيفات كانت بحسب مدتها، وأخرى تشخص الحمى بحسب المكان من الجسم الذي تصيبه، كذلك التشخيص بحسب المزاج الناتج عنها، كما درست حالات الحمى الناتجة عن الأوبئة وغيرها^(١١)، والتدرج في مداواة المرضى. وكذلك تعلموا دراسة العقاقير، فهي تعد عملاً روتينياً بالنسبة للكثير من الأطباء^(١٢).

ومن الأطباء المسلمين الذين أثروا في أوروبا من خلال ترجمة ونقل مؤلفاتهم عبر الأندلس علي بن العباس^(١٣) المعروف عند اللاتين باسم (هالي أباس) صاحب كتاب كامل الصناعة الطبية، الذي كان أول كتاب طبي عربي ترجم إلى اللاتينية باسم الكتاب الملكي، وترجمه (قسطنطين الأفريقي)^(١٤)، ولقي عناية فائقة، ودُرس في أوروبا حتى أواسط القرن السادس عشر الميلادي، فكان المرجع الرئيس في علم التشريح في سالرنو في إيطاليا وغيرها للمدة من ١٠٧٠-١١٧٠م^(١٥).

والرازي^(١٦) الذي له مؤلفات كثيرة في علم الطب، منها: كتاب من لا يحضره الطبيب، وكتاب المنصوري، وأشهر كتبه الحاوي، وله رسالة في الجدري والحصبة، وكان كتاب الحاوي معتمد عند أساتذة الطب في أوروبا في العصور الوسطى. ومن المهم أن نذكر إن مكتبة الكلية الطبية في باريس كانت تتكون من تسعة كتب رئيسة في عام ١٣٩٥م، كان كتاب الحاوي للرازي أحدها، كما إن الملك لويس الحادي عشر أراد استنساخ





هذا الكتاب فدفعت مقابل ذلك مبلغ كبير من الذهب والفضة من أجل استعارته، وطبع مرات عديدة في أوروبا بترجمته اللاتينية^(١٧)، وترجم الكتاب على يد طبيب يهودي من صقلية يدعى فرج بن سالم ويعرف باسم (فراجوت) بأمر من شارل الأول، وانتهى من ترجمته عام ١٢٧٩ م، إلا أنه لم ينشر إلا في عام ١٤٨٦ م، وهناك ترجمة أخرى صدرت في البندقية عام ١٥٤٢ م. أما كتابه المنصوري وهو أصغر من الحاوي فقد ترجم إلى اللاتينية، وصدرت أول طبعة في عام ١٤٨١ م. كما ترجمت أعمال الرازي إلى العبرية والفرنسية، ومنها كتاب (اقرابازين)، وكتاب تقسيم العلل المعروف باسم كتاب التقسيم والتشجير، ورسالته في الفصد، ومقالة في الحصى في الكلى والمثانة، ومقالة في أمراض المفاصل، ومقالة في أمراض الأطفال، ولا يزال الغربيون ينظرون إلى الرازي بتقدير حتى أن جامعة برنستون الأمريكية أطلقت اسمه على أهم أجنحتها تقديراً لعلمه^(١٨).

أما ابن سينا^(١٩) الذي عرف بلقب الشيخ الرئيس والمعلم الثالث، فمن أهم كتبه في الطب كتاب القانون الذي يعد موسوعة طبية جيدة التنظيم، وبفضل هذا الكتاب حاز ابن سينا شهرة واسعة وانتشرت أبحاثه، حتى أن أوروبا كانت تنظر إلى هذا الكتاب بصفة القدسية. فضلاً عن ذلك فالكتاب ظل معتمداً في أوروبا ستة قرون وترجمه الفرنج إلى لغاتهم، وأصبح مرجعاً للدراسات الطبية، فكان يدرس في جامعتي مونبيلييه في فرنسا، وجامعة لوفان في بلجيكا، وهي جامعة كاثوليكية تأسست في سنة ١٤٢٥ م^(٢٠). وترجم كتاب القانون في القرن الثاني عشر إلى اللاتينية

من قبل (جيرارد الكريموني)، وللتدليل على أهمية ابن سينا أن جامعة باريس تحتفظ حتى اليوم بصورتين كبيرتين في قاعاتها الكبرى للرازي ولابن سينا^(٢١).

أما ابن الهيثم^(٢٢) فله بحوث مهمة في العين وكيفية تكوين الصورة، خدمت هذه الأبحاث علوم الطب والإنسانية بشكل كبير، فهو أول من اهتم بأقسام العين ورسمها ووضع أسماء لبعض أقسام العين أخذها عنه الإفرنج وترجموها إلى لغاتهم، منها الشبكية، والقرنية، والسائل الزجاجي، والسائل المائي... الخ^(٢٣).

أما ابن النفيس^(٢٤) فهو الطبيب الذي اهتم بالقلب والحجيرة، وكان لأبحاثه في هذا المجال أن توصل إلى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى، ويعد هذا كشفاً للمعرفة الإنسانية، وقد عدّه علماء الغرب السلف الحقيقي لوليم هارفي في هذا المجال^(٢٥).

أما الزهراوي^(٢٦) فقد اشتهر بعلم الجراحة، وله الريادة في استعمال ربط الشريان لمنع النزيف، ومن أشهر كتبه كتاب التعريف لمن عجز عن التأليف، وهو كتاب عام في الطب، وفيه بين الزهراوي أن الجراحة علم مستقل بذاته، ومتصل بالتشريح، وبقي كتابه يدرّس في جامعات أوروبا، مثل سالرنو ومونبيلييه حتى القرن السابع عشر، وقد طبع كتابه باللغة اللاتينية في القرن الخامس عشر، وكان أسلوبه في جراحة المثانة وإخراج الحصى دروساً متداولة بين طلبة كلية الطب وأبناء صناعته^(٢٧). ويعرف الزهراوي عن اللاتين باسم (أبو لكسيس)، وقام جيرارد الكريموني بترجمته إلى اللاتينية، وصدرت الترجمة عام ١٥١٩ م، كما ترجم الكتاب إلى البروفنسية والعبرية^(٢٨).

ومن الأطباء العرب المسلمين الذين ترجمت كتبهم إلى اللاتينية ابن الجزار العربي^(٢٩) الذي قام (قسطنطين الأفريقي) بترجمة كتابه زاد المسافر، بيد أن الأخير انتحله لنفسه، ولم يضع عليه اسم مؤلفه الحقيقي^(٣٠)، وقد نقل هذا الكتاب في حياته إلى الأندلس وصقلية، ثم إلى إيطاليا، وترجم إلى اليونانية والعبرية فضلاً عن اللاتينية^(٣١). وابن رشد الذي ترجم كتابه الكليات في الطب، وقام بترجمته اليهودي (البدوي بونا كوزا) وطبع مرات عديدة. وابن زهر الذي ترجم كتابه المجربات في الطب بفضل يهودي من البندقية، وعلي بن عيسى البغدادي المعروف عند اللاتين باسم (جيزو هالي)، وعمار الموصللي المعروف باسم (كانا موصللي)، إذ ترجمت رسالتهما في طب العيون، وبقيت من الكتب المهمة في دراسة هذا الجانب حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي. وكذلك ابن خاتمة الذي كتب عن الطاعون الذي اجتاح المرية في اسبانيا ١٣٤٨-١٣٤٩م^(٣٢)، ويعد من أعظم الكتب في هذا المرض في أوروبا بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر الميلاديين^(٣٣).

أما في مجال العقاقير فقد كان لماسويه المارديني كتاب في العقاقير، وكان مهماً للدراسة في أوروبا لعدة قرون، كذلك كتاب الأدوية المفردة لابن وافد^(٣٤).

كما لابد من الإشارة إلى البيمارستانات التي كانت منتشرة في شرق الدولة الإسلامية وغربها، إذ تحولت إلى كليات للطب، يفد إليها الطلاب من كل ناحية، ولاسيما في الأندلس، إذ وفدت أعداد كبيرة من أوروبا لتعلم علوم الطب على

يد الأطباء المسلمين، قبل أن يؤسس الأوروبيون المدارس الطبية التي ألحقت بها المستشفيات^(٣٥). إن هؤلاء العلماء الذين تركوا آثاراً مهمة في العلوم الطبية كان لهم الأثر البالغ في تطور هذا العلم في أوروبا، وقد وصل إليهم عن طريق المعابر التي ذكرناها سابقاً، وأهمها الأندلس، ولاسيما وأن الصناعة الطبية فيها كانت مزدهرة.

● ثانياً: العلوم الرياضية

تعد الرياضيات العربية حصيلة للاتصال ومن ثم التمازج بين تراث عدد من الحضارات القديمة، وهي حصيلة شهدت في ما بعد إثراءً مهماً من خلال مرحلة التجديد التي امتدت من القرن التاسع الميلادي وحتى القرن الخامس عشر. وانطلاقاً من هذه المساهمات النظرية والتطبيقية قدم العرب والمسلمون تطويرات ومساهمات جديدة على مر القرون، وتحقيق نتائج جديدة في الهندسة ونظرية الأرقام، ودراسة مواضيع رياضية جديدة (الأشكال المستوية، والصلبة، والسلسلات الرقمية)، وطرق التقريب، وابتكار تخصصات جديدة، ومن هذه الأخيرة ما حقق استقلاله عن تخصصات أخرى أكثر قدماً، ومنها ما بقي في طيات صفحات التاريخ، كما هو الشأن بالنسبة للتحليل التوافقي والمربعات السحرية^(٣٦).

وكان للأندلس دور فعال في نقل العلوم الرياضية إلى الحضارة الغربية، فقد وصلت إلى الأندلس ترجمات مهمة لمؤلفات علماء قدامى مثل اقليدس وأبولونيوس ومينلاو وأرخميدس وبطليموس، ووصلت أيضاً مؤلفات مبتكرة للرياضيين المسلمين مثل ثابت بن قرة وابن سنان وأبو كامل،



وعن طريق الرياضيات الأندلسية أدخل الترقيم العشري إلى أوروبا، وعرفت الأرقام التسعة منذ القرن العاشر الميلادي في الأندلس. وكان أخطر رمز حسابي اهتدى إليه المسلمون هو الصفر الذي لم تعرفه أوروبا إلا عن طريق المسلمين، ثم عرفوا النسبة بين محيط الدائرة وقطرها التي يرمز إليها بالحرف (ط)، وقسموا الأعداد إلى زوجية وفردية، وقالوا إن الواحد أصل الأعداد جميعا فردية كانت أو زوجية، ووضعوا الطرق لإجراء العمليات الحسابية، وتوسعوا في بحوث النسبة والتناسب كذلك عرف المسلمون تقسيم الحساب العملي إلى غباري وهو ما يحتاج إلى ورقة وقلم عند استعماله، وهوائي أي ذهني وهو لا يحتاج إلى أدوات في استعماله^(٣٧).

وأشهر عالم رياضي هو الخوارزمي^(٣٨) الذي أثر على أوروبا بأفكاره ومؤلفاته التي ترجمت إلى اللاتينية، ومن كتابه الحساب عرف الأوروبيون نظام الأعداد الهندية التي انتشرت في أغلب البلاد العربية الإسلامية، وعرفت الثانية بالأرقام الغبارية، وانتشرت في بلاد المغرب العربي والأندلس، وانتقلت منها إلى أوروبا.

لقد ترجم كتاب الخوارزمي إلى الإسبانية اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي، ونقل الكتاب المترجم إلى الأراضي الألمانية، وسموه (Alogorismus)، ونظموا الأشعار باللاتينية تعليقا على نظرياته، وعرف أنصاره في إسبانيا وألمانيا وانكلترا الذين كافحوا من أجل نشر قاعدته الحسابية باسم الخوارزميون^(٣٩). أما علم الجبر فيرجع الفضل فيه إلى الخوارزمي أيضا عندما ألف كتابه (الجبر والمقابلة) وفيه شرح أصول الجبر، فقام بشرح العمليات الأربعة، وهي الكميات

الجبرية، وطرحها، وضربها، وقسمتها، وأوضح ستة أنواع من معادلات الدرجة الثانية مع حلها، وتوصل إلى معرفة أحجام بعض الأجسام الهندسية البسيطة، كالهزم الثلاثي والرباعي والمخروط^(٤٠)، وبقي يدرس في الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر الميلادي.

لقد حقق المسلمون في علم الجبر حل معادلات الدرجة الأولى بطريقة حساب الخطأين وتوسعوا فيها، ونقلوها إلى أوروبا، وحلوا معادلات الدرجة الثانية بطريقة هندسية، فجمعوا بين الجبر والهندسة، ووضعوا أساسا للهندسة التحليلية، مما ساعد على ظهور التفاضل والتكامل، وحلوا معادلات من الدرجة الثالثة، وبعض معادلات الدرجة الرابعة، كما عرفوا الجذور الصماء، ويعود إليهم الفضل في استعمال الرموز في الأعمال الرياضية^(٤١).

وكذلك كان للعالم العربي أبو بكر محمد بن حسن الكوجي (ت ٤٠٧ هـ) فضل على تطور علم الجبر في أوروبا، وهو صاحب كتاب الفخري في الجبر والمقابلة. والعالم أبو الحسن القلصادي (ت ٨٩١ هـ) وكتابه كشف الأسرار عن علم الغبار، ومن علماء الجبر أبو كامل شجاع بن أسلم بن محمد الحاسب المصري الذي نبغ بحدود القرن الثالث الهجري، وأبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢ هـ)، وأبو الوفاء البوزجاني (ت ٣٨٨ هـ). وبفضل هؤلاء وغيرهم تقدم علم الجبر والهندسة، وساعدت أوروبا بالتقدم بالهندسة التحليلية بالتفاضل والتكامل، وفي علم المثلثات أوجد المسلمون الجداول الرياضية للجيب والمماس والقاطع وقمامه، وانتفع علماء الغرب من هذه الانجازات ونقلوها إلى لغاتهم^(٤٢).

لقد شجع الحكام الأمويين في الأندلس النشاط العلمي مثل عبد الرحمن الثاني، والحكم الثاني، فنشأت مكتبات ضخمة تحتوي على مجلدات كثيرة قادمة من الشرق، فبرز رجال علم من أمثال محمد بن أرقم وعباس بن فرناس وأبو عبيدة البلنسي.

وفي القرن العاشر الميلادي نشأت مدرسة ركزت على علم الفلك، واهتمت أيضاً بالرياضيات، وهي مدرسة العالم المجريطي، وكان من أكبر الداعمين للعلوم والآداب في هذا القرن الخليفة عبد الرحمن الثالث، وساعد تمتع حكمهما بالاستقرار السياسي والاقتصادي في الأندلس على الازدهار الثقافي والعلمي. وفي هذا القرن أيضاً عني بالرياضيات علماء مثل مسلمة والطبيب الزهراوي، كما برز في هذا الميدان ابن السّمح بدراساته حول علم الحساب والهندسة، ووضع كتاباً حول طبيعة العدد، وشرحاً لكتاب اقليدس، ورسالة في الهندسة، وفيها تقصى الخط المستقيم والمقوس والمنحني^(٤٣).

وفي القرن الحادي عشر الميلادي انقسمت الأندلس إلى دول للطوائف، تنافس حكامها فيما بينهم، محيطين أنفسهم بأفضل علماء عصرهم، وبرزت سرقسطة وبلنسية وجيان كمراكز مهمة في حقل الرياضيات، وبرز في هذا العصر ثلاثة رجال هم: ابن معاذ قاضي جيان الذي أدخل إلى الأندلس علم حساب المثلثات الجديد، الذي كان تطوره قد بدأ في المشرق، ويعد مؤلفه الأساسي المسمى «كتاب مجهولات قسي الكرة» أقدم بحث معروف في الغرب حول الهندسة الكروية، شرح اقليدس في «مقالة في شرح النسبة»، إلى جانب وضع كتاب في علم الفلك.

والمؤتمن بن هود ملك سرقسطة الذي كان رياضياً بارزاً، كما عني بالفيزياء والفلسفة، ويعد كتابه «الاستكمال» مؤلفه الأهم، وهو موسوعة رياضية مخصصة للرياضيين والفلكيين والفيزيائيين، وقد وحد بين المعارف الرياضية الإغريقية والمشرقية، مضيفاً إسهاماته المهمة المبتكرة، وقد عالج مسائل حول نظرية الأعداد، والاحجام غير المعتدلة، والهندسة المستوية، وهندسة الكرة والمجسمات والقطوع المخروطية وغيرها. وابن سيد وهو رياضي آخر نشأ في بلنسية، وبرز من خلال دراساته في حقل الهندسة، لم يحفظ من مؤلفاته غير ما نقله عن تلميذه ابن باجة، وقد وضع كتاباً حول نظرية الأعداد^(٤٤).

أما في عهد المرابطين والموحدين فقد حدث تغير في المشهد العلمي الأندلسي، على الأقل جغرافياً، فوصل المرابطين والموحدين قادمين من شمال إفريقيا، إلى جانب الزحف المسيحي، جعل النشاط العلمي ينتقل بشكل أساسي إلى جنوب الأندلس، وساعدت الوحدة السياسية بين الأندلس والمغرب على حركة انتقال كثير من العلماء الأندلسيين إلى مدن الشمال الإفريقي، مثل ابن الياسمين وابن منعم والقرشي، وقد أغنى هذا التنقل التبادل العلمي، وبرز في هذا العصر الكاتب السرقسطي ابن باجة، وبدأ هذا العالم الكبير تكوينه في الموسيقى والشعر، وواصله في المنطق والرياضيات، وفي مرحلة النضج انكب على دراسة الفلسفة. وضع مؤلفات كثيرة في موضوعات مختلفة في الرياضيات والفلك والفلسفة والفيزياء والبصريات وغيرها^(٤٥).



وأضافوا إلى أعمال سابقهم شروحاً وتعليقات، وطوروها من خلال طروحات رياضية وتجريبية جديدة، وما زالت محفوظة إلى اليوم حوالي ستين مؤلفاً عربياً في عالم السكون، من بينها مؤلفات قيمة لابن سينا والرازي والبيروني، ومساهمات الخازني حول الجاذبية ومركز الأرض^(٤٨).

كما بحث الفارابي وأبي الصلت وابن باجه وابن رشد في فلسفة الطبيعة، وطرحوا مسائل يمكن أن تعد فيزيائية إلى حد ما، فالفارابي مثلاً أنجز دراسة عن مفهوم الفراغ ترجمت إلى اللاتينية في العصور الوسطى، كما إن كتاب الهيئة للبترجي يعد أقدم مصدر في الأندلس يتطرق لنظرية الدافع، وترجمه إلى اللاتينية ميغيل سكوتو^(٤٩).

أما في مجال البصريات التي كانت أحد فروع علم الفيزياء ويعد ابن الهيثم أبرز العلماء المسلمين الذين نالت مؤلفاته شهرة وكان لها أثرها في النهضة الأوروبية، إذ استخدم منهجاً علمياً مبنياً على الاستقراء والاستنباط، وإبطال النظرية اليونانية التي كانت تدعي أن الرؤية تتم بواسطة أشعة تنبعث من العين إلى الجسم المرئي، وقدم نظريات جديدة في مجال البصر، وخصائص الضوء والألوان، مزج فيها بين الفيزياء والرياضيات والفسولوجيا وعلم النفس، وذلك في كتابه (المنظر)، والذي ترجم إلى اللاتينية. وكان ابن الهيثم مرجعاً لروجير بيكون وعلماء ومفكرين أوروبيين آخرين، وكان معروفاً لهم باسم «الحزن» أو «الحسن»، إذ إن اسمه الكامل هو: أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم. كما اعتمد الفرس والأترك كتبته مراجعاً وتناولوها بالتعليق. وفي الأندلس تمت ترجمة

وفي عهد مملكة غرناطة ورغم الظروف السياسية الصعبة استمر تشجيع العلماء، ونجد في حقل الرياضيات شخصيات مهمة مثل محمد الاشبيلي وابن رشد السبتي وابن بدر، وعلى رأسهم جميعاً القلصادي المولود في بسطة في بدايات القرن الخامس عشر، وبرز في الحساب والجبر^(٤٦).

وفي علم الهندسة تعد الزخرفة الهندسية بأشكالها الفسيفسائية المتناظرة كنزاً مخفياً تكمن فيه المفاتيح للتعبير عن إنموذج اجتماعي، فقد أعطى الأندلسيون شكلاً مادياً لمعتقداتهم، وذلك في دلالة جميلة على عبقريتهم أدت إلى قدرة إبداعية لا سابق لها في صناعة الفسيفساء التي بلغت أوجها في قصر الحمراء في غرناطة. ومن المدهش جداً أن مصممي تلك الأشكال قاموا في أيامهم بتنمية جميع الامكانيات التي تبرهن اليوم «نظرية المجموعات البلورية المستوية»، التي تم تطويرها خلال النصف الثاني من القرن العشرين باستخدام الأشعة السينية^(٤٧).

ولا يمكن نكران أثر الاندلس في انتقال إنجازات المسلمين الرياضية إلى أوروبا، ولا سيما عن طريق دور الترجمة المنتشرة فيها، والتي كانت نشطة في ترجمة الكتب العلمية ومنها الرياضية إلى اللغات الأوروبية بما ساهم في تطور الحركة العلمية في أوروبا.

● ثالثاً: العلوم الفيزيائية والكيميائية

تناول العلماء المسلمون مواضيع فيزيائية متنوعة مثل سكون الجمار والسوائل والحركة والبصريات، وتطرقوا كذلك للميكانيك، فقد أخذ العلماء المسلمون عن الأغريق بأمانة علمية،

رسالته في «المرايا المحرقة بالدوائر» إلى اللاتينية في طليطلة في القرن الثاني عشر، فضلاً عن كتابات عربية مهمة في مجال البصريّات، سواء منها النظرية أو التطبيقية، تناولت بالبحث مواضيع كالانعكاس والانكسار، والخسوف والكسوف، وقوس قزح، والبصر، وانتشار الضوء. وتبين الترجمات اللاتينية التي أنجزت في شبه الجزيرة الأيبيرية أن النصوص العربية الأصلية نقلت إلى هذه اللغات عبر الأندلس^(٥٠).

وفي مجال علم الكيمياء، كانت كلمة كيمياء تستعمل في العربية للدلالة على علم الكيمياء وعلى الكيمياء القديمة في الوقت نفسه، فبينما كان علم الكيمياء يشمل تحويل المواد لصناعة الأصباغ والمواد والعطور ومواد التجميل، واستخراج بعض المواد المستخدمة في الصناعة (النسيج والخزف والورق) وتطبيق المعارف الكيميائية في مجال صناعة المعادن وغيرها، كانت الكيمياء القديمة ذات طابع خرافي، حيث كان المشتغلون بها يؤمنون بإمكانية استخراج المعادن الكريمة أو الثمينة كالذهب من المعادن الخسيسة، وكانوا يسعون إلى ابتكار أكسير الحياة أو حجر الحكمة^(٥١).

وإلى غاية القرن الحادي عشر الميلادي كان هناك أكثر من أربعين عالم كيمياء قدموا مساهمات كبيرة، وبرز منهم جابر بن حيان والرازي والفارابي، وفي الأندلس مسلمة القرطبي (القرن العاشر الميلادي) والذي ألف «رتبة الحكيم»، تطرق فيه لتحويل المعادن بالحرارة، وأشار إلى تجارب مثل كيفية الحصول على أكسيد الزئبق، بشكل يذكر بنظرية احتراق الزئبق لعالم الكيمياء الشهير لافوازييه (القرن الثامن عشر الميلادي).

وكانت لعباس بن فرناس الأندلسي الذي حاول الطيران، مساهمات أخرى في مجال الكيمياء^(٥٢)، فهو أول من استنبط استخراج الزجاج من الحجارة والرمل بالأندلس^(٥٣).

● رابعاً: العلوم الفلكية

يعد التراث العربي الإسلامي في مجال علم الفلك تراثاً ضخماً نجده في الأفكار والمصطلحات العلمية والتقنية وأسماء النجوم والكواكب، وآخر ملموس يتمثل في المخطوطات والآلات، تلك الآلات والأدوات التي تعد خير رفيق لعالم الفلك، والتي كان يصطحبها في زهابه وإيابه إلى الحواضر العلمية العربية الكبرى في العصور الوسطى، من بغداد إلى قرطبة، ومن الأندلس إلى سمرقند^(٥٤).

وكان علماء الفلك والمراصد الفلكية يتوفرون على أدوات كالربع الحائطي والسمتي وذات الحلق والاسطرلاب وأدوات معقدة أخرى، وبفضل هذه الأدوات تمكن علماء الفلك من مراقبة السماء وكواكبها ونجومها، والمساهمة بنظريات فلكية، وإعداد جداول فلكية وحساب الوقت، كما استعملوها لضبط أوقات الصلاة والصوم والحج... الخ^(٥٥).

وتوجد العديد من المؤلفات التي ما زالت مخطوطة تخبرنا عن تلك الأدوات، ويرتبط تاريخ تصميم الأدوات الفلكية بتاريخ الرياضيات التطبيقية، وتطور الهندسة الوصفية، ونظرية الاسقاط. ومن بين مؤلفات العصور الوسطى حول الأدوات الفلكية بعض الأعمال التي هي عبارة عن جرد للأدوات التي كانت معروفة للمؤلف، ومن هذه الأدوات ما كان قياسياً ومعروفاً وشائعاً



الاستعمال، ومنها ما هو معقد هندسياً لدرجة أن المرء قد يشك أنه كان موجود في ذلك العصر. وكانت للأندلس مساهمة متميزة في صناعة الأدوات المعقدة، وكان علماء الفلك وصناع الأدوات الفلكية الأندلسيون ما بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر الميلاديين هم الذين يطورون الأدوات الفلكية العالمية التي كانت تعود في النهاية إلى الشرق، أو تصدر إلى أوروبا^(٥٦). فقد عني حكام الأندلس في قرطبة بإنشاء المكتبات، وبعثوا إلى المشرق أساتذة لتأهيلهم علمياً، ولكي يجلبوا كتب العلماء المشرقيين، ومنهم الأمير القرطبي عبد الرحمن الثاني الذي عني عناية كبيرة بعلم الفلك وهو أول من أدخل الجداول الفلكية إلى الأندلس، محيطاً نفسه بمجموعة من الفلكيين من بينهم يحيى الغزال، وعباس بن فرناس.

بلغ علم الفلك تقدماً كبيراً في النصف الثاني من القرن العاشر، فبرزت شخصيات مثل مسلمة المجريطي الذي أنشأ مدرسة فلكية، ولد في مدريد، ونمى نشاطه العلمي في قرطبة، وكان واحداً من الفلكيين الذين ضمهم بلاط الخليفة عبد الرحمن الثالث، عني بجداول الخوارزمي التي اعتمد فيها على كتاب «السند هند» على الإحداثيات الجغرافية لقرطبة، ومن جهة ثانية تبني جداول البتاني التي ارتكزت على كتاب بطليموس، ولعل من ألمع تلاميذه مسلمة بن السمح القرطبي صاحب رسالة الاسطرلاب وابن الصفار^(٥٧).

وخلال القرن الحادي عشر الميلادي، وأثناء حقبة ملوك الطوائف، لمع علم الفلك، وكان له بريق خاص، ففي عهد الملك المأمون ظهرت في طليطلة مدرسة فلكية مهمة، ومن بين الفلكيين

الذين انتموا إليها برزت شخصية عظيمة، هو أبي اسحاق إبراهيم بن يحيى الزرقالي، وكان أهم عالم فلك في الأندلس، بدأ نشاطه في طليطلة، ثم انتقل إلى قرطبة فيما بعد، وتوفي فيها عام ١١٠٠م، اشتهر باختراعه لأجهزة فلكية، ومن الناحية النظرية كان أيضاً عالماً من الطراز الرفيع، ومن مؤلفاته الكثيرة البارزة رسائل مثل الصفيحة، وحركة النجوم الثابتة، ورسالة في الكواكب السيارة، كما كانت له مساهمة مهمة في «جداول طليطلة»^(٥٨).

وخلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر تميز علم الفلك الأندلسي بعلاقته الحميمة والوثيقة بعلم الفلك المغربي، فالزحف النصراني المتقدم، وقيام عواصم الدول التي خضع لها الأندلس في الشمال الأفريقي ساعد على تنقل علماء الفلك بين الضفتين وانتشار مؤلفاتهم، وكان من علماء الأندلس البارزين في هذا العصر أبو الصلت الداني، وله رسالة في الاسطرلاب.

وفي عصر بني نصر زار الأندلس بعض الفلكيين المغاربة أمثال ابن البناء، وفي هذا العصر برز علماء مثل ابن باصو الذي اخترع آلات فلكية، والعالم ابن الرقام وأصله من مرسية، صاحب رسالة في علم الضلال، والتي يصف فيها طريقة بناء أنواع المزاوِل الشمسية، وكتب أيضاً الجداول الفلكية، ومن الفلكيين أيضاً ابن القضاعي.

إن التطور الذي شهده هذا العلم في الأندلس يعود إلى ركيزتين أساسيتين: تمثلت الركيزة الأولى بكتاب «السند هند»، والذي دخل مدرسة بغداد في القرن الثامن الميلادي، وقد أنجز العالم المشرقي الخوارزمي الترجمة العربية له بأسم السند هند

الصغير، ووصل هذا الكتاب إلى الأندلس في القرن التاسع الميلادي من خلال عباس بن ناصح، الذي رحل إلى المشرق، وجلب معه عدداً كبيراً من الكتب العلمية، وفي الأندلس قام أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي (ت ٣٩٧ هـ) بتصحيح زيج الخوارزمي، وكانت هذه النسخة أساس الترجمات اللاتينية لهذا الكتاب^(٥٩)، وعن طريق الأندلس دخلت تلك المؤلفات إلى أوروبا.

والركيزة الثانية كتاب بطليموس أهم عالم فلك في الحضارة اليونانية، وكتابه عرض لنظرية مركزية الأرض، وحساب أمد الفصول، ودورات القمر وحركاته، وضم أيضاً مجموعة من الجداول للتنبؤ بمواقع الكواكب، ودخل كتاب بطليموس إلى الأندلس في القرن التاسع الميلادي. وقام محمد البتاني بتصحيح أخطاء بطليموس، ومن أهم مؤلفاته الزيج الصابي الذي طبع في أوروبا عدة طبعات بعد أن ترجم، وهو عبارة عن جدول رياضي عددي يحدد مواضع الكواكب السيارة في أفلاكها، وقواعد معرفة للشهور والأيام والتواريخ الماضية، والوقوف على حركة الكواكب، ويعتمد الزيج على قواعد حسابية وقوانين عديدة غاية في الدقة^(٦٠).

ومن أوائل كتب الفلك في الأندلس كتاب «الصلب» أول كتاب في الفلك والتنجيم في الأندلس، وقد عالج، فضلاً عن حساب مواقع النجوم، مسائل فلكية مختصة بالأرصاد الجوية، مثل تحديد أوقات نزول المطر وحصول الجفاف وغيرها، ويعد «كتاب الهيئة» للقاسم بن مطرف القطان، من أوائل الكتب الفلكية

الأندلسية أيضاً، وفيه وصف هذا الفلكي الكون الفيزيائي، مهتماً بقضايا مهمة لأداء الشعائر الإسلامية، مثل أهلة القمر، وتحديد الأوقات، ودرجات العرض، وغيرها.

ومن العلوم المرتبطة بالفلك علم التنجيم الذي هو فرع من علم الفلك التطبيقي، وتمكن علماء الفلك من تصميم جداول فلكية وخرائط أبراج على درجة عالية من الدقة، وكان التنجيم المرتبط بالبلات رائجاً في الخلافة والإمارات الأندلسية، وبجانب هذا التنجيم العلمي، كان هناك تنجيم شعبي وهو أقرب ما يكون إلى الشعوذة^(٦١)، وفي الأندلس تطورت طرق التنجيم الرياضي، بحيث بسطت أساليب الحساب المستعملة لأبراج الطالع، فضلاً عن جداول وتقنيات رياضية كانت تستعمل لحساب إجراءات تنجيمية، مثل مطارح شعاعات الكواكب، والتسييرات، وتقسيم منازل الكواكب، فتمكنوا من وضع خرائط الأبراج التاريخية، وتقنية الاختبارات التنجيمية، وعلم الأحوال الجوية المبني على التنجيم^(٦٢).

أما علم الميقات فقد كان يطبق على الشعائر الإسلامية، لتحديد منازل القمر وبعض الأعياد الدينية، مثل بداية أو نهاية شهر رمضان، وتقسيم اليوم إلى خمسة أقسام للصلوات، وتوجيه المصلين نحو القبلة في مكة المكرمة وغيرها، وكل هذه التطبيقات العملية سمحت بتطور علم الفلك منذ النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي. أما كتب الأنواء في الأندلس فقد كانت هناك عناية في مراقبة السماء بغرض الحصول على معلومات قابلة للتطبيق في الحياة اليومية، مثل طرق تحديد الجهات، ومعرفة حالة الطقس، وفي القرن العاشر أنشئ في قرطبة «تقويم قرطبة» الذي حوى معلومات حول أمد الفصول ومسائل طبية



حول ما ينبغي وما لا ينبغي فعله، ومتى ينصح بالبحار في البحر المتوسط، وفي الهندسة الزراعية، وغيرها. ومن مؤلفي كتب الأنواء ابن عاصم الثقفي، وابن الكتاني، وابن خلف القرطبي.

قدمت الأندلس عدداً كبيراً من الفلكيين، ومؤلفات أصيلة، منهم الزرقالي الذي أثر في علم الفلك في الشرق والغرب في العصور الوسطى^(٦٣). ومن خلالها عبرت العلوم الفلكية إلى الحضارة الغربية، وكان للترجمة أثر كبير في ذلك فقد عني الملك الفونسو العاشر بذلك ومن أبرز المؤلفات في عهده كتب الحكمة، وهي الكتب المؤلفة بأمر من الملك الفونسو العاشر «الحكيم»، بين العامين ١٢٧٦ - ١٢٧٧ م، والتي تجمع ست عشرة رسالة علمية من التراث العربي، كرس معظمها لوصف الآلات الفلكية، ونخص منها بالذكر: الرسالة في آلة ذات الحلق، وهي ترجمة مؤلف لأبي اسحاق الزرقالي، الرسالة في الكرة السماوية «الكرة»، الرسالة في الصفيحة، الرسالة في الاسطرلاب المسطح، الرسالة في الكواكب الثابتة، والرسالة في الاسطرلاب الكروي أو الدائري، وكذلك ابن يونس المصري الذي له دراسة في كسوف الشمس وخسوف القمر والاعتدال الشمسي وتحديد خطوط الطول، كذلك أبو الوفاء البزجاني الذي اشتهر في الجداول الفلكية، ثم البيروني الذي له رسالتين في الفلك هما افراد المقال في أمر الضلال وتمهيد المستقر لمعنى الممر، وخير ما يبين تأثير المسلمين في علم الفلك، هو إن هذا العلم لا يزال مليئاً بالمصطلحات ذات الأصل العربي، كالعقرب والغراب وغيرها^(٦٤).

فضلا عن ذلك فقد اهتم العرب بالمراسد للتحقيق الدقيق للظواهر السماوية، وفي هذه المراصد العديد

من الآلات التي كانت من صنعهم، وتمكن علماء الفلك المسلمون من التوصل إلى كروية الأرض، ودورانها حول محورها، وقدروا محيط الأرض^(٦٥). ومن الأندلس انتقلت فكرة بناء المراصد الفلكية إلى أوروبا.

كما اخترع العرب بعض الآلات والأجهزة القياسية مثل الرقاص الذي استعملوه في الساعات الدقائية، ونسب اختراعه إلى أبي الوفاء البزجاني، كما أن كمال الدين بن يونس استعمل الرقاص، وكان الفلكيون يستعملون البندول لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد، وهم بذلك مهدوا السبيل لغاليلو لاستنباط كل القوانين التي تسود الرقاص. كذلك الإسطرلاب وهو آلة فلكية لقياس بعد الكواكب، واختراعها الإغريق وسنها بطليموس الجغرافي، ثم تولاه علماء مسلمون، حتى أخذها عنهم علماء الغرب. كما إن علماء الفلك كانوا يتمتعون بالحرية فيؤلفون ويناقشون ويبحثون في الفلك، في وقت كان التفكير في هذا يعد جريمة في أوروبا يعاقب مرتكبوها بالموت كما حصل لغاليلو الإيطالي سنة ١٦٤٢، كذلك تعرض كوبرنيكوس إلى التجريم من قبل البابا لأنه قال لكل كوكب حركتين حول الشمس وحول محوره^(٦٦).

* الهوامش:

(1) Dubler, Cesar E., La Materia Medica de Dioscórides. Transmisión medieval y renacentista, Barcelona, 1959, vol.9, p. 112 .

(2) García Ballester, L., Los moriscos y la medicina. Un capitulo de la medicina y la ciencia marginadas en la España del siglo XVI, Barcelona, 1984, p. 67 ; Giron Irueste, F., Los

Rashed, Historie des sciences arabes Technologia alchimie et sciences de la vie, vol. 3, Paris, 1997, p. 221.

(12) Pena, C.; Diaz, A.; Alvarez de Morales, C.; Giron, F.; Kuhne, R.; Vazquez, C. y Labarta, A., Corpus Medicorum arabico-Hispanorum , Awraq, 4, 1981 , p. 59.

(١٣) ينظر: فرج محمد الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام، ليبيا، ١٩٨٦، ص ١٤٥-١٤٦.

(١٤) ينظر: الهادي روجي إدريس. الدولة الصنهاجية تاريخ أفريقية في عهد بني زيري من القرن ١٠ إلى القرن ١٢م، ترجمة حمادي الساحلي، ج ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢، ص ٤٢٨.

(١٥) ماهر عبد القادر محمد علي، مقدمة في تاريخ الطب العربي، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٧٩-٨٠.

(١٦) ينظر: القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ). أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٩ هـ، ص ٤١٤؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج ٤، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص ٢٤٤؛ ابن ججل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد سنة ٣٨٤ هـ)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٧٧.

(١٧) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت، ص ٥٨٩.

(١٨) ماهر عبد القادر محمد علي، مقدمة في تاريخ الطب العربي، ص ٨١-٨٣.

(١٩) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/ ٤٢٠؛

médicos mozárabes y el proceso de constitución de la medicina árabe en al-Ándalus , Asclepio, 19781969-, p. 43 .

(3) Dubler, Cesar E., op.cit, 9/ 114 .

(4) García Ballester, op.cit, p. 72 .

(٥) وجدان فريق عناد، علم الصيدلة في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد السابع، العدد الثالث، ٢٠١٢، ص ٣٨٤-٣٨٧.

(6) Liavero Ruiz, E., La mediciana andalusiy suaportacion a la botanica ciencias de la Naturaleza en al-Andalus Textos y Estudios, Granada, 1990, p. 68 .

(7) Giron Irueste, F., Occidente Islámico Medieval- Historia de la Ciencia y de la Técnica, Madrid, 1994, p. 144 ; Al-Imrani, Abd Allah, Andalusian medicine : theory and practice Boletin de la Asociacion Espanola de orientalista , 1987, p. 54 ; Jacquart, D, Influence de la medecine arabe en Occident Medieval , en: Roshdi Rashed, Histoire des sciences arabes, Technologia, alchimie et sciences de la vie , vol. 3, Paris, 1997, p. 79 .

(8) Rosa Khune, Abu Marwan b. Zuhr un professionnel de la medecine en plein XII siecle, en: La Patrimoine Andalous dans La Culture Arabe Et Espagnole, Tunis, 1991 , p. 133 .

(9) Vernet, J., La Cultura hispanoarabe en Oriente y Occidente, Barcelona, 1978, p. 36 .

(10) Giron Irueste, op.cit , p. 45.

(11) Savage Smith, E., Medician, en: Roshdi



- إدوارد براون ، الطب العربي، ترجمة داود سلمان علي، (بغداد، ١٩٦٤)، ص ٦٣.
- (٢٠) حسين أمين، جهود العرب في العلوم الطبية في العصرين العباسي والأندلسي، مجلة المورد، العدد الثاني، المجلد ٣٥، سنة ٢٠٠٨، ص ١٦-١٨.
- (٢١) ماهر عبد القادر محمد علي، مقدمة في تاريخ الطب العربي، ص ٨٣-٨٤.
- (٢٢) ينظر: ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (ت ٦٨٦ هـ). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٧، ٣/١٤٩.
- (٢٣) أحمد شوكت الشطي، تاريخ الطب قبل الإسلام، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٥٩، ص ١٢١؛ الدميلى، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة محمد يوسف موسى وعبد الحليم النجار، دار القلم، د.م، ١٩٦٢، ص ٣٠٦؛ حسين أمين، جهود العرب في العلوم الطبية، ص ١٨.
- (٢٤) نظر: ابن تغرى بردي، جمال الدين يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٧، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٣٧٧.
- (٢٥) سين أمين، جهود العرب في العلوم الطبية، ص ١٨.
- (٢٦) ظر: الطبي، أحمد بن يحيى (ت ٥٩٩ هـ). بغية الملتبس، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢١٧؛ عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٣٥.
- (٢٧) حسين أمين، جهود العرب في العلوم الطبية، ص ١٨-١٩.
- (٢٨) ماهر عبد القادر محمد علي، مقدمة في تاريخ الطب العربي، ص ٨٥.
- (٢٩) ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ١٦/٣٨؛ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ص ٤٢٧.
- (٣٠) ماهر عبد القادر محمد علي، مقدمة في تاريخ الطب العربي، ص ٨٤.
- (٣١) الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ص ٤٢٧.
- (٣٢) خليل ابراهيم السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب والطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٦، ص ٤٨٢.
- (٣٣) ماهر عبد القادر محمد علي، مقدمة في تاريخ الطب العربي، ص ٨٦-٩١.
- (34) Rachel Arie , Espana Musulmana siglos VIII-XV, Barcelona, 1993, p.415-422.
- (٣٥) فرج محمد الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ص ١٩٩.
- (36) Giron Irueste, F., op.cit, p. 48 .
- (٣٧) وجدان فريق عناد، تأثير الحضارة الأندلسية على أوروبا - العلوم العقلية أنموذجاً، مجلة كلية التربية الأساسية - جامعة بابل، العدد الثاني، آذار ٢٠١٠، ٩٥-٩٦.
- (٣٨) الفهرست، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٤٨ هـ، ص ٢٧٤.
- (٣٩) عبد الحسين مهدي الرحيم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٥، ص ٢٠٥-٢٠٧؛ قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، دار الشروق، بيروت، د.د، ص ١٦٠.
- (٤٠) الخوارزمي، محمد بن موسى (ت ٢٣٢ هـ). الجبر والمقابلة، مصر، ١٩٦٨، ص ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٨، ٥٤.
- (٤١) عبد الحسين مهدي الرحيم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص ٦٠٧.
- (٤٢) المرجع نفسه، ص ٦٠٧-٦١٠.



- أوروبا-العلوم العقلية أنموذجاً، ص ٩٦-٩٧.
- (58) Roser Puig, Une connexion hispano-maghebaine dans le domaine des instruments astronomiques: La Safiha d al-Zarqalluh (Azarquiel) Xle siecie, en: La Patrimoine Andalous dans La Culture Arabe Et Espagnole, Tunis, 1991, p. 207.
- (٥٩) ابن صاعد الأندلسي، أبو القاسم بن أحمد (ت ٤٦٢ هـ). طبقات الأمم، مطبعة التقدم، مصر، د.ت، ص ٦٧-٦٨.
- (٦٠) القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٧٧-١٧٨؛ الديميلي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة محمد يوسف موسى وعبد الحليم النجار، دار القلم، د.م، ١٩٦٢، ص ٢٠٨.
- (61) Antonio claret dos santos, op.cit, p. 64.
- (62) Samso, J., Las ciencias de los antiguos en al-Andalus, Madrid, 1992, p. 19.
- (63) Roser Puig, op.cit, p. 212.
- (٦٤) عبد الحسين مهدي الرحيم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص ٦١١-٦١٣.
- (٦٥) المرجع نفسه، ص ٦١٢.
- (٦٦) بدري محمد فهد وآخرون، الحضارة العربية الإسلامية، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٤١.
- (43) Giron Irueste, F., op.cit, p. 52.
- (44) (Emilio Gonzalez Ferrin, Historia General de al-andalus, Segunda Edicion, Al-muzara, 2007, p.431-471.
- (45) Ibid, p.483.
- (46) Giron Irueste, F., op.cit, p. 53.
- (47) Antonio R.Acedo del olmo ordonez, Abbas ibn Firnas el asbio de al-andalus, Editorial la serranía, 2015, p.19-30.
- (49) Rodrigo Gutierrez Vinuales, el legado científico, Ronda, 1995, p.141.
- (50) Savage-Smith, E., op.cit, 3/ 64.
- (51) Vernet, J., La ciencia en al-Andalus, Sevilla, 1986, p. 83.
- (52) Antonio R.Acedo del olmo ordonez, Abbas ibn Firnas el asbio de al-andalus, p.79-100.
- (53) Ibid, p.57,123.
- (54) Antonio claret dos santos, Azarquiel y Otras Historias la astronomía en al-andalus, instituto de astrfisica de Andalucía, 2005, p. 24-27.
- (55) Ibid, p.31-33.
- (56) Vernet, J., op.cit, p. 84.
- (٥٧) وجدان فريق عناد، تأثير الحضارة الأندلسية على

The status of Andalusia

in the cultural communication

between the Islamic civilization and Western civilization

Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad



Abstract

Andalusia had a clear impact on the renaissance of Western civilization, as it was one of the most important ways in which Islamic scientific achievements were transferred to it. This research was a simple attempt to identify the most important areas of cultural exchange between the Islamic and Western civilizations, and the role of Andalusia civilization.



المجلة العلمية
للدراسات الإسلامية

الجوانب الاجتماعية

في كتاب البخلاء للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)

(دراسة تحليلية)

أ. م. د. د. أحلام محسن حسين*



• المقدمة:

يأخذ هذا النوع من الدراسات أهميته في مجال الدراسات الاجتماعية التي تقوم على اساس دراسة تأثير التآلف الاجتماعي من زاوية أخرى لما كان سائداً في عصر الجاحظ من اتجاهات اجتماعية كان له تحديد نوع الاجتهادات في تعريف انماط السلوك البشري في الحياة الاجتماعية لعصره الذي وضحه من خلال كتابه (البخلاء) وذلك من خلال عدة ابعاد كان لها اثرها على الحياة الاجتماعية لانه اهتم بعرض عدد من المظاهر الاجتماعية التي كان لها اثرها على بيئته في كتابه هذا، اي انه قرب واقع بيئته في جميع صورها الاجتماعية بشكل دقيق. لهذا الكتاب أهمية علمية لانه يكشف لنا عن جملة من طبائع البشر في جميع احوالها النفسية وطبائعهم وسلوكهم فضلاً عن دراسة قضايا أخرى لها اثرها في المجتمع آنذاك، إذ كان موسوعة علمية اجتماعية بالدرجة الاولى اجتمعت فيها كل شروط العلم والمعرفة رغم بعض الخيال الذي كان متوارداً فيه الا انه عكس لنا شخصية الجاحظ العلمية المتميزة في الكتابة وتناول مثل هذه القضايا ومناقشتها بأسلوب ادبي متميز فيه الصيغة الاجتماعية التي امتزجت معه واطهر ذلك من خلال نصوص الكتاب التي اعتمدها وناقش فيها هذه الجوانب.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



ولا سيما انه اعتمد فيه على تلك القصص والاخبار التي وردت عند معاصريه او السابقين له التي تمثل رؤية معاصرة للفكر الخلاق في كل جوانبه الاجتماعية .

اولاً: المنهج العام لكتاب البخلاء^(١)

يعد كتاب البخلاء للجاحظ من الكتب المهمة التي كان لها أثرها الاجتماعي في عصره لأنه قدم فيه معالجات فنية لبعض الظواهر الاجتماعية العامة في مجتمعه بأسلوب أدبي متين كان له اثره في البناء الفني لصياغة تلك الظواهر الاجتماعية، ولا سيما انه اعتمد فيه على تلك القصص والاعمال التي وردت عند معاصريه أو السابقين له التي تمثل عصارة الفكر الخلاق، أي انه موسوعة علمية بأسلوب أدبي كما يقول عنه الجاحظي «يراهها الناس أحياناً ثم ينسبه إلى غيره، وما كانت هذه الغاية إلا نوعاً من العبث بخصومه، أو الرغبة في إذاعة ما يكتبه وترويجه، ومثل هذا لا يبلغ مبلغ ذلك الحافظ الفني الذي يحفزه إلى وضع الأحاديث إرضاء لتلك النزعة الغالبة عليه»^(٢).

كان كتاب الجاحظ هذا ذا تأثير اجتماعي لأنه تناول فيه موضوعات صورت لنا بعض الجوانب التي كان لها اثرها في المجتمع آنذاك، وطبع عليها الزمن طغراء الجاحظ^(٣)، وأشار الجاحظ الى الأسباب والدوافع التي دفعته الى تأليف كتابه هذا قائلاً «...إذكر لي نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء، وما يجوز من ذلك في باب الهزل، وما يجوز منه في باب الجد، لأجعل من الجد مستراحاً، والراحة جماماً، فأن

للجد كذا، يمنع من معاودته، ولا بد لمن إلتمس نفعه من مراجعته» (م.ن، ج ١، ص ٦)، مشيراً الى المواضيع التي تناولها في كتابه هذا في جملة من التناقضات بين البخل والكرم والمدح والذم، كما يقول «وذكرت ملح الحزامي واحتجاج الكندي، ورسالة سهل بن هارون، وكلام ابن غزوان وخطبة الحارثي، وكل ما حضرنى من اعاجيبهم واعاجيب غيرهم ولم يسموا البخل صلاحاً، والشح اقتصاداً، لم حاموا على المنع ونسبوه الى الحزم، ولم يضوا للمواساة، وقرنوها بالتصفيح، لم جعلوا الجود سرقةً والاثرة جهلاً، ولم زهدوا في الحمد، وقل احتفالهم في الذم، ولم استضعفوا من هش للذكر، وارتاح للبذل، ولم حكموا بالقوة لمن لايميل الى الثناء، ولا ينحرف عن هجاء، ولم احتجوا بظلف العيش على لينه، وبحلوه على مره، ولم يستحيوا من رفض الطيبات في رحالهم مع استهتارهم بها في رحال غيرهم، ولم اختاروا ما يوجب ذلك، مع انفتهم من ذلك الاسم، ولم رغبوا في الكسب، مع زهدهم في الانفاق، ولم عملوا في الغنى عمل الخائف من زوال الغنى، ولم يفعلوا في الغنى عمل الراجي لدوام الغنى، ولم وفرو نصيب الخوف، وبخسوا نصيب الرجاء، مع طول السلامة العامة وشمول العافية، والمعافى اكثر من المبتلى وليست الحوائج اقل من الفوائد» (م.ن، ج ١، ص ٦-٧).

ومن جملة الاهداف التي وضحها الجاحظ في الكتاب ولها اثرها الاجتماعي الذي عالجته من خلال النصوص التي اوردها للظواهر ذات المغزى المتناقض كما يقول في باب السعادة التي تمثل احد

أوجه الشعور النفسي الذي يعتري الفرد ويؤثر عليه وعلى مجتمعه كما يقول «...كيف يدعو إلى السعادة، من حض نفسه بالشقوى فكيف ينتحل نصيحة العامة، من بدأ بغش الخاصة، ولم احتجوا مع شدة عقولهم، بما اجمعت الأمة على تقبيحه، ولم فخرُوا مع اتساع معرفتهم، بما اطبقوا على تهجينه، وكيف يظن عند الاعتلال له، ويتغلغل عند الاحتجاج عنه، إلى الغايات البعيدة، والمعاني اللطيفة، ولا يظن لظاهر قبحه، وشناعة اسمه وخمول ذكره وسوء اثره على اهله...» (م.ن، ج ١، ص ٧)، وكذلك أشار إلى بعض الصفات التي يقوم بها الأفراد الذين يهدفون إلى إصلاح المجتمع وهم لا ينفذون ما يدعون له من خلال العيش، كما يقول:

«... فكيف يتحل نصيحة العامة من بدأ بغش الخاصة...» (م.ن، ج ١، ص ٧)، وكذلك الانتقاص من الأفراد رغم معرفتهم وعلمهم بأنه تم النيل منهم من قبل الأمة والمجتمع، كما يقول «... ولم أصبحوا مع شدة عقولهم، بما اجمعت الأمة على تقييمه، ولم فخرُوا مع اتساع معرفتهم ايما اطبقوا على تهجينه...» (م.ن، ج ١، ص ٧).

ويذهب إلى أبعد من ذلك عند الاعتلال والاحتجاج إلى غايات بعيدة لها أثرها على اهله، كما يقول «... وكيف يظن عند الاعتلال له، ويتغلغل عند الاحتجاج عنه، إلى الغايات البعيدة والمعاني اللطيفة ولا يظن لظاهر قبحه، وشناعة اسمه وخمول ذكره وسوء اثره على اهله» (م.ن، ج ١، ص ٧).

وغيرها من المتناقضات التي طرحها الجاحظ، وكان لها أثرها الاجتماعي آنذاك لأنها كانت تمس الفرد الذي يمثل جزء هام من المجتمع في

كل ما يتعلق به من الصفات التي علل فحواها الجاحظ ما بين هذا الاتجاه وغيره كما يقول مستعملاً بعض الالفاظ الدالة على ذلك منها: قلت كما يقول «وقلت: فبين لي ما الشيء الذي خبل عقولهم وافسد اذهانهم، واغشى تلك الابصار ونقض ذلك الاعتدال؟ وما الشيء الذي عاندوا الحق، وخالفوا الامم، وما هذا التركيب المتضاد!! والمزاج المتنافي وما هذا الغباء الشديد، الذي الى جنبه فطنة عجيبة، وما هذا السبب الذي خفي به الجليل الواضح، وادراك به الدليل الغامض، وقلت: وليس عجيبي ممن خلع عذاره في البخل، وابدي صفحته للذم ... كعجيبي فمن قد فطن البخل، وعرف افراط شحة، وهو في ذلك يجاهد نفسه ويغالب طبعه، ولربما ظن ان قد فطن له وعرف ما عنده، فموه شيئاً لا يقبل التمويه ... وبعد فما باله يظن لعيوب الناس اذا أطمعوه ولا يظن لعيوب نفسه اذا أطمعهم وان كان عيبه مكشوفاً وعيب من أطمعهم مستوراً» (م.ن، ج ١، ص ٧-٨).

الاتجاهات الاجتماعية التي تناولها

الجاحظ في الكتاب من خلال مصادرها.

عمل الجاحظ في كتابه (البخلاء) على عرض بعض الاتجاهات الاجتماعية لمجتمع كامل منها البخل في كل اصنافه وطرقه وكان له الدور الرئيس في هذا العرض مصوراً بعض الاحداث مستعملاً في ذلك الفاظاً دالة على النقل الذي كان يقوم به من خلال ايراد تلك الاحداث من خلال نصوص منها (حدثني، اخبرني، سمعت) وهي روايات الأخبار في الكتاب، كما يقول «وحدثني



ابراهيم بن السندي، قال: كان على ربيع الشاذروان شيخ لنا من أهل خراسان وكان معجماً بعيداً عن الفساد ومن الرشاة، ومن الحكم بالهوى، وكان حفيماً جداً، وكذلك كان في امساكه، وفي بخله وتدنيه في نفقاته، وكان لا يأكل الا ما لا بد منه، ولا يشرب الا ما لا بدله منه» (م.ن، ج ١، ص ٢٢)، وقوله «حدثني صاحب لي قال: دخلت على فلان بن فلان واذا المائدة موضوعة، بعد واذا القوم قد اكلوا ورفعوا ايديهم فمددت يدي لأكل، وقال: اجهز على الجرحى ولا تتعرض للأسماء، يقول: اعرض للدجاجة التي قد نيل منها، وللفرخ المنزوع الفخذ، فأما الصحيح فلا تتعرض له، وكذلك الرغبة الذي قد نيل منه واصابه بعض الرق وقال لي هذا الرجل: اكلنا عنده يوماً وابوه حاضر له يجيء ويذهب فاختلف مراراً كل ذلك يرانا نأكل: فقال الصبي: كم تأكلون؟ لا اطعم الله بطونكم، فقال ابوه وهو جد الصبي ابني ورب الكعبة يقصد مثله بالبخل» (م.ن، ج ١، ص ٣٥)، وسمعت كما يقول «قال اسماعيل وسمعت الكندي يقول: انما المال لمن حفظه، وإنما الغني من تمسك به وتحفظ المال بنت الحيطان، وغلقت الابواب، واتخذت الصناديق فعملت الاقفال، ونقشت الرسوم والخواتيم، ويعلم الحساب والكتاب» (م.ن، ج ١، ص ٦٨)، وقوله «قال اسماعيل: وسمعت يقول: عجب لمن قلت دراهمه كيف ينال...» (م.ن، ج ١، ص ٦٩)، واخبرني كما يقول «حدثني محمد بن حسان الاسود، قال: اخبرني زكريا القطان، قال: كان للغزال ارض قدم حانوني ...» (م.ن، ج ١، ص ٩٥).

أما الروايات الاخرى التي نفلها الجاحظ نقلاً عن اصحابها وهذا الامر الذي يزيد من دقة الرواية والثوق بها فاستعمل ألفاظاً منها «قال، حكى، قالت» وكانت اغلبها مدعومة بالسند والرواية، ومنها استعمل حكى قائلاً «وحكى ابو اسحاق ابراهيم بن سيار النظام عن جارة المروزي، أنه كان لا يلبس خفاً ولا نعلاً، الى ان يذهب النبق اليابس، لكثرة النوى في الطريق والاسواق، قال: ورأني مرة مصصت قصب سكر، فجمعت ما مصصت مادة لأرمي به، فقال...» (م.ن، ج ١، ص ٢٥). واستعمل لفظ «قالت» كما يقول «وقالت له امرأة: ويحك يا ابا القمامم، إن قد تزوجت زوجاً نهاريًا، الساعة وقته، ولست على هيئة، فاشترلي بهذا كيف آسا، وبهذا الفأس دهناً فانك تؤجر، فعسى الله ان يلقي محبتي في قلبه فيرزقني على يدك شيئاً اعيش به فقد والله ساءت حالي، وبلغ المجهود مني فأخذهما وجعله وجهه (م.ن، ج ١، ص ١٠٠)، ولفظ «قال» كما يقول «قال: ويكون الزائر من أهل البصرة عند الأبلى مقيماً مطمئناً، فاذا جاء المد، قالوا: ما رأينا مداً قطاً ارتفع ارتفاعه وما اطيب السير في المد او تسير في المد، الى البصرة، اطيب من السير في الجزر الى الابله، ويسافر فلا يزالون به، حتى يرى ان من الرأي، ان يغتنم ذلك المد بعينه ويسافر» (م.ن، ج ١، ص ١٠١) وكان في بعض الاحيان عندما يستعمل هذه الالفاظ في نقل الرواية يشير الى اسم صاحب الرواية كما يقول. «حدثني المكي: قال بت عند

اسماعيل بن غزوان .. وأما بيتني عنده، حين علم اني تعشيت عند مويس، وحملت معي قربة نبيذ، فلما مضى من الليل اكثره، وركبني النوم، جعلت فراشي البساط، ومرفقتي يدي، وليس في البيت إلا مصل له مرفقة ومخدة، فأخذ المخدة فرمى بها الي، فأبيتها ورددتها عليه، وابى وابيت، فقال: سبحان الله يكون ان تتوسد مرفقك، وعندي فضل مخدة، فأخذتها فوضعتها تحت خدي، فمنعني من النوم انكاري للموضع ويبس فراشي» (م.ن، ج ١، ص ١٠٥)، او يشير الى نقل الرواية من اكثر من واحد حسب تسلسل السند الذي نقل منه، كما يقول» وحدثني الحزامي والمكي والعروضي قالوا: سمعنا اسماعيل يقول: أوليس قد اجمعوا على ان البخلاء في الجملة اعقل من الاسخياء في الجملة وما نحن اولاء عندك جماعة، فينا من يزعم الناس انه سخي وفينا من يزعم الناس انه بخيل، فانظر اي الفريقين اعقل ها انا ذا وسهل بن هارون، وخلق بن صبيح، وجعفر بن سعيد، والحزامي والعروضي، وابو يعقوب الخزيمي، فهل معك إلا ابو الاسحاق ؟ » (م.ن، ج ١، ص ١٠٥).

وايضاً ينقل من قول راو عن آخر، كما يقول «... وحدثني المكي قال: قلت لإسماعيل مرة، لم أر أحداً قط أنفق على الناس من حاله، فلما احتاج إليهم أسوء، قال: لو كان ما يصنعون لله رضي وللحق موافقاً لما جمع الله لهم الغدر واللؤم، من اقطار الارض ولو كان هذا الانفاق في حقه لما ابتلاه الله جل ذكره من جميع خلقه» (م.ن، ج ١، ص ١-٥).

او تراه يشير الى حديث كما يقول انه سمعه من تلك الحكايات التي تناول جملة من القضايا الاجتماعية «او حديث سمعناه على وجه الدهر، زعموا ان رجلاً قد بلغ في البخل غايته، وصار اماماً وانه كان اذا صار في يده الدرهم، خاطبه ونجاه وفداه واستنبطنه وكان مما يقول له: كم من ارض قد قطعت، وكم من كيس قد فارقت، وكم من حامل رفعت! ومن رفيع قد اخملت! لك عندي ان لاتعري ولا تضحي، ثم يلقيه في كيسه ويقول له: اسكن على اسم الله، في مكان لا تهان ولا تذلل ولا تزعج منه وأنه لم يدخل فيه درهماً قط فأخرجه» (م.ن، ج ١، ص ١٠٦).

واشار الى بعض اصحاب المصادر الذين نقل عنهم من غير ان يذكر اسماءها كما يقول «قال الاصمعي او غيره، حمل بعض الناس مد يترأ على برذون فأقامه على الاربي فانتهبه من نومه فوجده يعتلف فصاح بغلامه: يا ابن ام بعه وإلا فهبه وإلا فرده فأذبحه! انام ولا ينام؟ يذهب بحر مالي؟ ما اراد الاستئصال!» (م.ن، ج ١، ص ١٠٧)، وقوله «قال رافع بن هريم تحلبُ قاعداً، وتلجُ احياناً وقعبك حاضراً يدعو الله عليه ان يجعله صاحب شاه ولا يجعله صاحب ابل، وأن يرتضع من صاحب ابل الخلف، وان كان معه أناء. والعربي يماري صاحبه فيقول: ان كنت كاذباً، فاحتلبت قاعداً: اي ابدلك الله بكرم الابل لؤم الغنم...» (م.ن، ج ١، ص ١١٢-١١٣)، وقوله «قال ابو سعيد: اما ما ذكرتم من انتقاض البدن، فان الذي اخاف على بدني من الدعة



ومن قلة الحركة اكثر. وما رأيت اصح ابدانا من الحمالين والطوافين، والقوم قبل ان يموتوا، لم يكن لهم تلك عبادة أو ليس يقول الناس: والله لفلان اصح من الجلاوزة؟ (يعني اختلاف الجلاوزة في العدو)، ولربما أقمت في المنزل لبعض الامر، فاكثر الصعود والنزول، خوفاً من قلة الحركة» (م.ن، ج١، ص١١٤).

ويؤكد من خلال ذلك صحة مصدر الرواية لنفس المؤلف، كما يقول (فهذا حديث ابي سعيد) (م.ن، ج١، ص١١٤)، او يشير الى اسم المصدر كما يقول «وجاء في الاثر: ان اهل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الآخرة» (م.ن، ج١، ص١٢٠)، واستعمل لفظ ايضاً (م.ن، ج١، ص١٥٠) او يستعمل بعض الالفاظ العامة نقلاً عن بعض الاقوام وغيرهم مستعملاً الفاظاً وعبارات دالة على ذلك منها قوله «وقالت العرب: انا كم اخوكم يستتمكم، فأتموا له. وقالوا: مانع الاتمام لوم. وقالوا: البخيل ان سأل الحف، وان سأل سوف. وقالوا: ان سئل مجد، وان اعطى حقد. وقالوا يريد قبل ان يسمع، ويغضب قبل ان يفهم. وقالوا: البخيل اذا سال ارتز، واذا سال الجواد اهتز. وقال النبي «صلى الله عليه وسلم» ينادي كل يوم مناديان من السماء يقول احدهما: «اللهم عجل لمنفق خلفا ويقول الآخر: اللهم عجل لممسك تلفاً...» (م.ن، ج١، ص١٤٨)، وقوله في قول العامة «فأن قضيتم بقول العامة فلعمامة ليست بقدوة. وكيف يكون قدوة من لا ينظر ولا يحصل ولا يفكر ولا يمثل وان قضيتم باقاويل الشعراء وما كان عليه اهل الجاهلية الجهلاء، فما قبحوه مم لا يشك فيه حسنه، اكثر

من ان تقف عليه، او نتشاغل باستقصائه» (م.ن، ج١، ص١٥١٧)، وآخر «وقال آخر: اشتهي ثريدة دكنا من الفلفل، ورقطاء من الحمص ذات حفافين من اللحم، لها جناحان من العراق، اضرب فيها كما يضرب والي السوء في مال اليتيم» (م.ن، ج١، ص١٥٩). والشاعر كما يقول «وقد قال الشاعر:

الا ليت خبزاً قد تسربل رائباً

وخيلاً من البرني فرسانها الزبد

ولههم البرمة والخلصة والحبس والوطيئة» (م.ن، ج١، ص١٦٨)، و«وقال بعض الشعراء...» (م.ن، ج١، ص١٦٩)، و«ولذلك قال شاعرهم...» (م.ن، ج١، ص١٨٣)، و«قال اعرابي: اتينا ببر كأفواه البعران، وخبزنا منه خبزة زيت في النار، فجعل الجمر يتحدر عنها تحدر الحشو عن البطان، ثم ثردناها...» (م.ن، ج١، ص٢٣٠)، و«قال بعض التميمي وهو يجو بن جبار:

لو ان قدرا بكت من طولي ما حبست

على الحفوف بكت قدر ابن جبار

ما مسها دسم مذ فض معدتها

ولا رات بعد نارالقين من نار

(م.ن، ج١، ص١٦٩). وتراه ايضاً يؤكد صحة الكلام المنقول وهذا جزء من منهجه في نقد الروايات «وقد صدق قول القائل: من احتاج اغتفر، ومن اقتضى تجوز وقيل لريسي موس نأكل في السوق؟ قال: ان جاع (ريسي موس) في السوق اكل في السوق، وقال من اجذب انتجع، ومن جاع جشع...» (م.ن، ج١، ص٢٣٠)، او تراه يشك في قول احدهم مستعملاً لفظ زعم «اوزعم سري بن

مكرم، وهو ابن اخي موسى بن جناح، قال: كان موسى يأمرنا الأنكال مادام احد منا مشغولاً بشرب الماء وطلبه...» (م.ن، ج ١، ص ١٨١-١٨٢)، وقوله «زعم ابو يعقوب الخزيمي ان جعفر بن يحيى اراد يوماً حاجة كان طريقه اليها على باب الاصمعي، وانه دفع الى خادم له كيساً فيه الف دينار وقال له: ماتزال في رجعتي الى الاصمعي، وسيحدثني ويضحكني، فاذا رأيتني قد ضحكت فضع الكيس بين يديه» (م.ن، ج ١، ص ١٩٢-١٩٣).

وفي بعض الحالات نراه لا يحدد اي اسم لمصدر روايته مستعلاً الفاظاً وعبارات دالة على ذلك لنفس النص، منها قوله «ثم يقبل على الآخر فيقول: يا فلان، ما أدمك فيقول اكثر ما تأكل لحوم الجزور، وتتخذ منها هذه القلايا ونجعل بعضها شواء. قال: فتأكل من اكبادها واسننتها، وتتخذ لك الصباغ؟ قال: نعم...» (م.ن، ج ١، ص ٢٠٣).

وقوله «ثم يقيل على الذي يليه فيقول: انا فلان، ما أدمك...» (م.ن، ج ١، ص ٢٠٠).

وقوله (ثم يقول للذي يليه: انا فلان ما ادماك؟ فيقول: الشبارقات والاختصة والفالوذجات، قال طعام العجم، وعيش كسرى ولباب البر بلعاب النحل بخالص السمي حتى اني على آخرهم..: بئس العيش هذا! ليس هذا عيش آل الخطاب كان بن الخطاب يضرب على هذا، كل ذلك يقول: اكثر ما تأكل لحوم الجزور، وتتخذ منها هذه القلايا ونجعل بعضها شواء. قال: افتأكل من اكبادها واسننتها، وتتخذ ذلك الصباغ؟ قال: نعم...» (م.ن، ج ١، ص ٢٠٠).

ثالثاً: الجوانب الاجتماعية في كتاب البخلاء / دراسة تحليلية .

تعددت الاتجاهات التي يمكن دراستها في (كتاب البخلاء) وفقاً لتأثيرها الاجتماعي سواء كان في الاسلوب او النظر العينية، لأنه قد سلك من خلالها منهجاً عمداً الى الحفاظ على وحدة الفكرة وطرحه اسنادها من خلال المصادر التي نقلت منها، وقد امتزجت هذه مع فكرة وشخصية الجاحظ الذي تميز فيها الى حد لفت الانتباه الى رواياته التي يرويها ضمن سلوكيات افراد المجتمع، كما يقول « فقسّموا الامور كلها على الدين والدنيا ثم جعلوا احد قسمي الجميع الدرهم، وقال ابو بكر الصديق (رضي الله عنه): اني لا بغض اهل البيت ينقون رزق الايام في اليوم، وكانوا يبغضون اهل البيت للهامين » (م.ن، ج ١، ص ١٦)، وهذا السلوك الذي يقف من خلاله على دخائل قلبه، اي انه رسم الشخصية الطيبة التي جعلها اقرب الى الواقع من حيث حسن الخلق وما يتعلق بها كما يقول «... كان من اطيب الخلق واملحهم بخلاً، واشدهم ادباً دخل على ذوي اليمينين طاهر بن الحسين، وقد كان يعرفه بخمرسان بسبب الكلام . فقال له منذ كم انت مقيم بالعراق يا ابا عبدالله؟ قال: انا بالعراق منذ عشرين سنة، وأنا اصوم الدهر منذ اربعين سنة قال فضحك طاهر وقال: سألتك يا ابا عبد الله عن مسألة واجبتنا عن مسألتين » (م.ن، ج ١، ص ٢٠).





وهنا تراه حدد الشخصية بين ثلاثة اتجاهات واحدة تعتمد على الأخرى في بعض الملامح، أي أنه يصنع من هذه الشخصية إنموذجاً يستطيع أن تقوم كل ما تريده . أي أنه الجاحظ يكون قد تقل شخصيته من الواقع حسب ما رواه، عندما جسد شخصية أبو عبد الله (م.ن، ج ١، ص ٢٠)، هي غير شخصية ابن أبي كريمة (م.ن، ج ١، ص ١٧)، وفي الكتاب جانب آخر بصورة المطبخ وأدبه كما أشار في ذلك (...فما جعت ولا اشتهيت الغذاء، في ذلك اليوم إلى الطهر، ثم ما فرغت من غذائي وغسل يدي، حتى قاربت العصر. فلما قرب وقت غذائي من وقت عشائي، طويتُ العشاء وعرفت قصدي) (م.ن، ج ١، ص ٢٧)، وفي ضوء هذا الاتجاه يصور لنا واحدة من حالات البخل كما قول « فقلت للعجوز: لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة فان ماءها جلاء وقوتها غداء وعصمة، ثم تجففين بعدُ النخالة فتعود كما كانت فتبيعين إذا الجميع يمثل الثمن الأول، ونكون قد ربحتنا فضل ما بين الحالتين . قالت: أرجو أن يكون الله قد جمع بهذا السعال مصلح كثيرة لما فتح الله لك بهذه النخالة التي فيها صلاح بدنك وصلاح معاشك، وما أشك أن تلك المشورة كانت من التوفيق» (م.ن، ج ١، ص ٢٧).

إن هذا الإنموذج يقودنا إلى تخصص نوع محدد منها وأثره الاجتماعي في المجتمع ولا سيما أنه أمام مجتمع كامل يعرض البخل بشتى أصنافه ومارس الجاحظ الدور الرئيس في التعبير

عن هذا المجتمع من خلال الواقعية التي اتسم بها أسلوبه^(٤)، بعيداً عن الخلط مع النماذج الأخرى التي تطرق إليها الجاحظ في كتابه أي أنها بسبب حالة فردية في المجتمع أو جماعة كبيرة على مستوى الطبقات ممن كان لهم أثرهم على المجتمع آنذاك، كما يقول الجاحظ « وإن وجدتم في هذا الكتاب كناً، وكلاماً غير معرب، ولفظاً مدلولاً عن جهته، فاعلموا أنا إنما تركنا ذلك، لأن الأعراب ببعض هذا الباب ويخرجه من حده، إلا أن أحكي كلاماً من كلام متعاقلي البخلاء، وأشحاء العلماء، كسهل بن هارون وأشباه» (م.ن، ج ٢، ص ١٢٧).

وعلى قصة ليلى الناعطية لظاهرة كان لو عرف عيبها لتنبه إلى ضعفه عن علاج نفسه كما يقول « .. فانها مازالت ترفع قميصاً لها وتلبسه حتى صار القميص الرقاع، وذهب القميص الأول...» (م.ن، ج ٢، ص ١٢٥)، وهنا في نحو آخر يمثل لنا الجاحظ السذاجة في شخصية البخيل ومردود أثرها على المجتمع لأنه لم يعتمد على الفاظ معينة في صنع المفارقة وإنما على العكس هي المفارقة التي صنعت الألفاظ، كما أشار إلى ذلك عندما قدم نوعاً من المقارنة بين البخلاء وطريقة سخاءهم قائلاً: "وحدثني الخزامي والمكي والعروضي قالوا: سمعنا اسماعيل يقول: أو ليس قد اجمعوا على أن البخلاء في الجملة أعدل من الأسخياء في الجملة؟ ها نحن أولاء عندك جماعة، فينا من يزعم الناس أنه سخي، وفينا من يزعم الناس أنه بخيل، فانظر أي الفريقين أعدل؟

ها انا ذا سهل بن هارون و خاقان بن صبيح، وجعفر بن سعيد والخزامي والعروضي، وابو يعقوب الخزيمي فهل معك إلا ابو الاسحاق» (م.ن، ج ١، ص ٧٩).

وهناك صور لوصول البخيل الى حد الشح كما صورها لنا الجاحظ اذ يقول « قالوا: دعا عبد الملك بن قيس منح النقود على الطعام الذئبي رجلاً من اشراف اهل البصرة . وكان عبد الملك بخيلاً على الطعام، جواداً بالدرهم، فاستصحب الرجل ساكن . فلما رآه عبد الملك ضاق به ذرعاً. فاقبل عليه فقال له: الف درهم خير لك من احتباسك علينا! واحتمل غرم الف درهم، ولم يحتمل اكل رغيف! » (م.ن، ج ٢، ص ١٧٢).

وهذه حجة ابتدعها البخيل كي لا يطعم الرجل، وهنا تظهر المفارقة في الاصل عدم النية في اطعام الرجل ولامنحه النقود.

كما اورد عن العلاقة التي تكون بين البخل والبخيل وما هي المفارقات التي يحصل بينهما كما صورها الجاحظ في بعض النصوص قائلًا: «...» قد اخبرتك ان عينك مألحة، وانك ستصيبني بعين! قلت: وما بينته هذا من العين؟ قال انما العين مكروه يحدث . فقد انزلت بناعينك اعظم المكروه فضحكت ضحكاً ما ضحكت قبله، وتكالمنا حتى كأنه لم يقل قبيحاً، وحتى كاني لم افرط عليه» (م.ن، ج ٢، ص ١٢٥).

وكذلك اشار الى البخيل الذي يستغل اي دعوة للطعام ويتمتع بها لأنها من مال غيره وانه في داره شح ويحاول ان يستفاد من كل شيء كما يشير الجاحظ الى ذلك من نصائح البخيل لعياله

قائلًا: «وكان يقول لعياله ألا تلقوا نوى التمر والرطب، وتعودوا ابتلاعه وخذوا وحلوقكم يتسوقه، فان النوى يعقد الشحم في البطن، ويدفئ الكليتين و بذلك الشحم، واعتبروا ذلك بيطون الصفايا، وجميع ما يعتلف لنوى، والله لو حملتم انفسكم على البزر والنوى، وعلى قضم الشعير، واعتلاف القث، لوجدتموها سريعة القبول ! وقد يأمل الناس القث قداحا، والشعير فريكا، ونوى البسر الاخضر، ونوى العجوة» (م.ن، ج ١، ص ٧٩).

وهذا التصوير يتمثل ما بين الخداع والحيلة في الضيافة التي لا يرفضها صراحة . الا اننا نرى هنا البخيل يكون في اكرم مما تتوقع من اقتصاده، اي هذا نموذج للبخل المقتصد والمضيف وهذا يمثل ظاهرة معقدة لها اثرها على المجتمع^(٥)، وهذا الامر مستحيل ان يكون عند البخيل مضيافاً كما صوره الجاحظ^(٦)، اي انه صور الحيلة عند البخيل الذي يحاول من خلالها ابعاد الضيوف ما نقله عن صاحب الدكان كما يقول « قالوا: وكان له دكان لا يسع الا مقعده، وطبقيا يوضع بين يديه، وجعله مرتفعاً، ولم يجعل له عتياً، كي لا يرتقي اليه أحد، قالوا: فكان اعرابي يتحين وقته، ويأتيه على فرس، فيصير كأنه معه على الدكان . فأخذ دية وجعل فيها حصى، واتكأ عليها . فاذا رأى الاعرابي قد اقبل، أراه كأنه يجول متكأه، فإذا قعقت الديه بالحصى نفر الفرس قالوا: مالم يزل الاعرابي يدينه، ويقع هو به حتى نفر منه فصرعه فكان لا يعود بعد ذلك اليه»^(٧).



وهناك نظرة خاصة للجاحظ عن البخيل عندما يكون صحنه رغم انه يتلذذ من موائد المضيفين لاسيما انه وقع صحنه لبخيل آخر أو شخص وهو صحنه للمفارقة. كما يقول الجاحظ «وكنا عند دواد بن ابي داود بواسط، ايام ولايته كسكر فأتته من البصرة هدايا فيها زقاق دبس، فقسمها بيننا، فكل ما اخذه منها الخزامي اعطى لغيره، فأكرت ذلك من مذهبه، ولم اعرف جهة تدبيره، فقلت للمكي: قد علمت ان الخزامي انما يجزع من الاعطاء وهو عدوه، فاما الاخذ فهو ضالته وأمنيته، وانه له اعطى افاعي سجستان، وثعابين مصر، وحيات الاهواز، لأخذها اذا كان اسم الاخذ واقفاً عليها فعساه اراد التفضيل قال: أنا كأقبه وصادقتي اقدم، وما ذلك به وان هنا امرأ ما تقع عليه، فلم يلبث ان دخل علينا فسألته عن ذلك فتحصر قليلاً ثم باح بسرّه، قال: وصنيعته اضعاف ربحه، واخذه عندي من اسباب الادبار قلت اول وظائفه احتمال الشكر، قال هذا لم يخطر لي قط على بال، قلت: فهات اذا ما عندك» (م.ن، ج ١، ص ٤٨).

وهذا حال ما بين الحالين في بيان ما يكون عليه التمثيل كما يقول الجاحظ «... لو رأيت رجلاً يفسد طين الردعة، ويضيع ماء البحر، لصرفت عنة وجهي! فاذا كان اصحاب النظر واهل الديانة والفلسفة هذه سيرتهم، وهكذا ادبهم، فما ظنكم بمن لا يعد ما يعدون، ولا يبلغ من الادب حين يبلغون» (م.ن، ج ١، ص ٦٠). ويرى في قصته محمد بن علي المؤمل الحال

الواقع ما بين اطعام الطعام وانفاق المال وقياساته بين الكثرة والقلة كما يقول «قلت لمحمد بن ابي المؤمل: اراك تطعم الطعام وتتخذ، وتنفق المال وتجد به، وليس بين قلة الخبر وكثرته، كثير ربح، الناس يبخلون من قل عدد خبزه، وراو ارض خواته، وعلى ان ارى جماجم من يأكل معك، اكثر من عدد خبزك» (م.ن، ج ١، ص ٧٠).

فهو هنا صور لنا ما بين لؤم البخيل الشكور والذم حمداً كما يقول «... نرضى لك من الغنيمة بالإياب، ومن غنم الحمد والشكر، بالسلامة من الذم واللؤم!! فزد في عدد خبزك شيئاً، فأنت بتلك الزيادة القليلة، ينقلب ذلك اللؤم شكراً، وذلك الذم حمداً اعلمت أنك لست تخرج من هذا الامر، بعد الكلفة العظيمة، سالماً لا لك ولا عليك؟ فانظر في هذا الامر رحمتك الله» (م.ن، ج ١، ص ٧١). والبخيل المنتصر الذي يستغل كل الاوقات لصالحه، كما يقول الجاحظ «وكان ابو سعيد هذا مع بخله اشد الناس نفساً، واحماهم انفاً، بلغ من امره في ذلك، ومن بلوغه فيه انه اتى رجلاً من ثقيف يقتضيه الف دينار، وقد حل عليه المال، فكان ربما طال عنده الجلوس، ويحضر عنده الغذاء، فيتغذى منه وهو في ذلك يقتضيه...» (م.ن، ج ٢، ص ١١٧).

وصور لنا الجاحظ البخل لدى النساء الذي يختلف في بعض احواله عن بخل الرجال كما يقول في قصة بخل ليلى الناعطيه التي سمعت قول الشاعر في ثوبها الذي رفته قائلاً:

البس قميصك ما اهتديت لجيبه

*الهوامش:

فاذا أضلك جيبه فاستبدل

فقلت: أني اذا لخرقاء، أنا والله احوص الفتق، وفتق الفتق، وارقع الخرق وخرق الخرق».

(م.ن، ج ١، ص ٣١) .

واشار ايضاً الى دور البخلاء في الاصلاح والمذاكرة فيه، كما يقول (...وصنع ابو سعيد المداتي اعظم من ذلك؟

اصطبغ من دن خل، وهو قائم حتى مني ولم يخرج منه قليلاً ولا كثيراً، وكانت له حلقة تعقد فيها اصحاب

الغنية والبخلاء الذين يتذكرون الاصلاح فبلغهم ان اباسعيد بأن الحربية في كل يوم، ليقضي رجلاً هناك

خمس دراهم فضلت عليه، وقالوا: هذا خطأ عظيم، وتضييع كثير وانما الحزم ان يتشدد في غير تضييع.

وصاحبنا قد رجع على نفسه بضروب من البلاء فاجتمعوا عليه على طريق التفرغ له، والاستفادة منه،

قالوا: نراك تصنع شيئاً لا نعرفه، والخطأ منك اعظم منه من غيرك، قد اشكل علينا بهذا الامر، فأخذنا عنه،

فقد ضاقت صدورنا به...» (م.ن، ج ١، ص ١١٣).

وبذا يكون الجاحظ في كتابه هذا قدم لنا صورة فنية للبخلاء في كتابه في كل اتجاهاتها واثرها

الاجتماعي لعصره.

(١) الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر، كتاب البخلاء،

(بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩١ م)، ج ١، ص ٥.

(٢) الدكتور طه الجاجري، السخرية في الادب العربي،

٢٠٠٦ م، ٤ - الجاحظ : الفصل: د. سمر روجي، ادباء وشعراء - اسلوب الجاحظ، ٢٠١٣ م " شبكة

المعلوماتية".

(٣) الجاحظ، كتاب البخلاء، ج ١، ص ٣.

(٤) طنطاوي: د. نعمان، قراءة في نص من «كتاب البخلاء

للجاحظ» حكايات ابي القمام، القاهرة، كلية الآداب، قسم العلوم النسائية، ٢٠٠٨ م، "دراسة وافية عن هذا

الموضوع".

(٥) دوكلاس: فدوة مالطي، بناء النص التراثي،

ط ١ (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥ م)، ص ٤٦.

(٦) الخوجة: محمد ابراهيم خالد، المفارقة في ادب

الجاحظ / البخلاء انموذجا، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٦ م، ص ٢٩.

(٧) الجاحظ، البخلاء، ج ٢، ص ١٣١.



The social aspects

in the Book of BUKhla by Al-Jahez

(An analytical study)

By: Dr. Ahlam Mohsin Hussein



Abstract

We conclude that Al-Jahez was distinguished in his style in which he presented his book in terms of his plains, his morals and literary decency, and that he was encyclopedic when he presented the texts of this book with their social impact in the events of this book which he studied and analyzed. Their sources in this study are available in the stories and the news industry that took place in the philosophies of the scouts in the stories that were most supported and supported by realistic characters in his time, that is, he showed us aspects of social deviations within the category has maintained its character and inherited values Which was influenced by social and social, that is between the generosity and generosity is one of the values of the Arabs and their original origin in a local language with a dialogue between the characters, so his style in the presentation of social reality a unique and unique way, through which a collection of knowledge that facilitated the researcher dealing with texts This book, which is balanced in terms of accuracy in the performance of language and order of ideas and the most influential personality in the community in the first place.



ولاية عثمانيون مصالحون

في تاريخ مدينة بغداد

أ. م. د. كمال رشيد خماس العكيلي*



● مقدمة:

تميز حكم الولاية العثمانيين الذين تولوا إدارة ولاية بغداد بالتخلف وإهمال الإصلاحات في مختلف ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية طوال سنوات حكمهم باستثناء قلة من الولاة المصلحين من أمثال الوالي مدحت باشا عام ١٨٦٩-١٨٧٢م، وكذلك الإصلاحات التي قام بها الوالي الفريق ناظم باشا عام ١٩١٠-١٩١١م.

(١)

كان مدحت باشا والياً مجدداً مصلحاً جاء لبغداد وللعراق بكثير من المؤسسات الحديثة، كالمدرسة والمستشفى والجريدة وأحدث بأعماله تلك نقلة نوعية في نمط الحياة الاجتماعية والعمرانية والثقافية، وإن اعتبره البعض مُقلداً للأفرنج - الأجانب - لكن بقي الناس يذكرونه وأعماله الإصلاحية^(١). لذا تميزت ولايته في تاريخ بغداد بأنها كانت عهد نهضة حقيقية^(٢)، وبالتالي تحديث وتطوير فعلي في عموم حياة وحركة المدينة، قياساً إلى فترة حكمه القصيرة التي دامت ثلاث سنوات.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



فقد أدرك هذا الوالي حاجة مدينة بغداد إلى كثير من الإصلاحات وبالأخص في مجال وسائل النقل، إذ نالت هذه المدينة من الخراب وعوامل التأخر الكثير، فكانت الحيوانات تلك الوسيلة البدائية هي وسيلة السفر البرية السائدة في العراق طيلة العهد العثماني وعليه عمل على إدخال الوسائل الحديثة في المواصلات على الطرق ذات الأهمية، وكانت أحدث وسيلة يوم ذاك هي الترامواي الذي تجرّه الخيول، وكان أهم طريق هو الطريق الموصل بين بغداد والكاظمية التي تبعد أميالاً قليلة عن بغداد، حيث يكثر زوار المراكب الدينية المقدسة في الكاظمية، وجعل المشروع شركة مساهمة شارك فيها عدد من سكان بغداد والكاظمية. لذا إرتبط تاريخ ترامواي بغداد - كاظمية بولاية عهد مدحت باشا^(٣).

وقد حالف النجاح هذا المشروع منذ إفتتاحه عام ١٨٧١م فقد مدت الخط شركة أهلية وتحت إشراف والي بغداد نفسه، وهذا الطريق الحديدي (الترامواي) بين بغداد وبلدة الكاظمية لايتجاوز طوله ست كيلومترات^(٤). وظل هذا الترامواي أو كما يطلقون عليه الكاري - الكاري وهي لفظة هندية معناها عربة - ينقل الركاب على هذا الطريق بانتظام قُرابة^(٥) عام أي حتى عام ١٩٤١م حيث حقق هذا المشروع نجاحاً كبيراً إذ بلغت أرباحه ١٠٠٪ حيث تقرر تصفية أعمال الشركة وبالتالي إنتهى هذا المشروع^(٦).

لقد كان من أول أعمال مدحت باشا إن أدخل التنظيمات الإدارية،^(٧) فوضع مجالس الولايات ومجالس البلديات والمجالس الخاصة

بالمصرفيات، تمهيداً لتطبيق قانون التجنيد الإجباري حصراً على مدينة بغداد أُجري أول تعداد رسمي لنفوس مدينة بغداد وذلك في عام ١٨٦٩م وإن كان مُقتصر على الذكور فقط.^(٨) وقسم بغداد إلى محلات وأطراف وجعل لكل محلة إسماءً، وعين لها مُختاراً ومعاون مُختار، ورقم أبواب الدور وغير ذلك من الإصلاحات البلدية^(٩). وتم تشكيل أول بلدية في مدينة بغداد وتعيين (إبراهيم الدفترلي) رئيساً لها، وكذلك أنشأ مجلساً بلدياً عام ١٨٦٩م يختار أعضائه بطريق الانتخاب^(١٠).

وكانت إدارة البلدية يُعهد بها إلى رئيس البلدية ومجلسه الذي يكون على الأغلب من إحدى العوائل الأساسية في المدينة أو موظفاً حكومياً. وكانت البلدية التي أدخل نظامها مدحت باشا تُسيطر على المدينة طوال هذا العهد، وتتولى سد إحتياجات السكان من الخدمات^(١١). ومن الأحداث المهمة في تاريخ بلدية بغداد صدور قانون للبلديات عام ١٨٧٧م عينت الحكومة العثمانية بموجبيه واجبات البلديات وتشكيلاتها وحالتها والمجلس البلدي الذي يتألف منها . ومن جملة ما أنطوى عليه هذا القانون من مواد وأحكام، تقسيم البلديات في المدن الكبرى إلى بضعة أقسام على أن لايقبل عدد سكان كل قسم عن (٤٠) ألف نسمة . وبموجب هذا القانون تم تقسيم بلدية بغداد إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول يشمل الرصافة، بينما شمل القسم الثاني منطقة باب الشيخ، أما القسم الثالث فشمل منطقة (جانب) الكرخ وقد تم تعيين رئيساً للبلدية وكذلك لكل قسم من هذه الأقسام

الثلاثة - ويذكر إنه في عام ١٩٠٧ م أُعيد توحيد ودمج هذه الأقسام الثلاثة حيثُ جعلت بموجب هذا الدمج بلدية واحدة لبغداد - وكانت البلدية تتولى سد الاحتياجات العامة من تأمين الحراسة في الليل وتنظيف الأزقة ورفع النفايات. ولضيق طرق المحلات وقلة المصابيح ومنعاً لوقوع جرائم فيها أمر الوالي (عبد الرحمن باشا) عام ١٨٧٩ م بإنارة بعض المحلات في جانب الرصافة، فأدخلت الأضواء بمصابيح الغاز (الفوانيس) وعُهد بها إلى مقال، ولكن لم تحظ بالأضواء في الواقع إلا الشوارع التي يُقيم فيها سكان من عليا القوم^(١٢).

وفي عهد الوالي مدحت باشا بدأ التفكير جدياً بأنشاء مشروع دائم لربط دور بغداد وسقاياتها العامة بأنابيب وتضخ إليها المياه بواسطة مكائن حديثة تُنصب في أماكن عدة من شاطئ نهر دجلة وتكون تحت إدارة بلدية بغداد المنشئة حديثاً، وتعاقدت على خمس مكائن من لندن وضعت واحدة منها في شريعة الميدان على سبيل التجربة، حتى إن جريدة الزوراء الرسمية قد نشرت عام ١٨٧١ م خبراً يُبشر البغداديين بأنتهاء مشكلة مياه الشرب في مدينتهم، إلا إنه لا دليل على إتمام المشروع^(١٣).

وبخصوص السور الذي يمتد في الجانب الشرقي من المدينة (الرصافة) والذي ظل يُقاوم الزمن ويصد الغزاة ويحمي المدينة، وفي هذه المرحلة من تاريخ مدينة بغداد فقدت أسوار المدينة أهميتها العسكرية، وذلك بتطور الأسلحة وأستعمال المدافع فصارت تُستخدم لحماية المدينة من خطر الفيضان فقط،^(١٤) وبداعي عدم فائدته بالنسبة

للأختراعات العلمية ولأجل توسيع مدينة بغداد، وفي سبيل إسباغ صفة العصرية عليها، فقد نقض في عهد مدحت باشا عام ١٨٧٠ م بأستثناء أبوابه الأربعة والأبواب المتصلة بالقلعة حيثُ لم يمسهها بسوء بل أبقاها، ولا ندري إذا كان له قصد آخر سياسي مثلاً، خاصةً وأنه أدعى إن هنالك عجز طارئ في خزانة الولاية ولغرض سداد ذلك العجز قرر بيع حجارته^(١٥)، ولم يبق للسور وأبوابه تلك أي أثر يُذكر غير الباب الوسطاني فقط أتى العمران الحديث عليه^(١٦).

ولهذا كانت تلك الأسوار إيذاناً ببدء تغيير أساسي في طبيعة المدينة عبر تاريخها الطويل مما مهد لتوسيعها بعد إذ، وكان له الأثر الأكبر في تقرير مصير المدينة ونمط توسعها المستقبلي وبالأخص بعد ردم الخندق الناتج عن إزالة السور. وشيد بحجارة تلك الأسوار بعض الأبنية الحكومية العامة كالمعامل والمدارس. وأحد معالمها من البنايات التراثية في مدينة بغداد بناية القشلة - وهي كلمة تركية تعني بالعربية الثكنة العسكرية - التي أسسها عام ١٨٦١ م الوالي العثماني (نامق باشا)، وقد أتم بنائها مدحت باشا وأقام فيها ساعته الكبيرة ذات البرج البارز لإيقاظ الجنود صباحاً، الذي لم يزل من معالم مدينة بغداد البارزة^(١٧).

وبنايتي القشلة والسراي متلاصقتان، فالقشلة للعسكريين، والسراي للمدنيين وكلمة السراي كلمة تركية، قد كان السراي مقراً للوالي وإدارة الولاية وهي بناية كبيرة تطل على نهر دجلة، وقد شرع برصف الشوارع بالصخر - لم يكن التبليط بالقيصر معروفاً



بعد - وكان أول طريق عبده هو سوق البلانجية - هو موقع شارع المأمون حالياً بين تمثال الرصافي وجسر الشهداء - ولأنه رصف بالصخر فقد أطلق عليه الناس أسم عقد الصخر^(١٨).

ولم تكن في بغداد مدارس حديثة إلا بضع مدارس لبعثات التبشير الفرنسية،^(١٩) فأنشأ مدحت باشا عدداً من المدارس الحديثة منها (مدرسة الصنائع) عام ١٨٦٩ م وهي خاصة بأيتام المسلمين الذين لامعيل لهم يتعلمون فيها النجارة والحدادة، والنسيج، وكذلك إفتتاح المدرسة الرشدية في نفس العام، وتبعها إفتتاح عدد منها مثل المدرسة الرشدية العسكرية عام ١٨٧٩ م والمدرسة الأعدادية العسكرية في عام ١٨٧٩ م^(٢٠).

وتتميز ولاية مدحت باشا في تاريخ بغداد بأنها كانت عهد نهضة حقيقية^(٢١)، فقد أسس عام ١٨٦٩ م أول دار للنشر وهي دار نشر الولاية في بغداد، وأصدر جريدة (الزوراء) وهي أول جريدة تظهر بالعراق وتنطق رسمياً بأسم حكومة الولاية، ومد خط تلغراف وأقام معمل للثلج إضافةً إلى عدد من المنشآت العامة النافعة^(٢٢). وفي مجال الترفيه والتسلية للسكان أقام متنزهاً عاماً في بغداد هو (متنزه البلدية) في البستان المعروف ببستان المجيدية في منطقة باب المعظم - هو موضع مستشفى الجمهوري ومدينة الطب حالياً - وسمح أن تضرب فيه كل يوم آلات الطرب والدخول إليه لقاء مبلغ معلوم وأباح للناس شرب الخمر فيه، فتهاافت إليه أهل الأئس والطرب غير إن ذلك جلب إليه نقمة رجال الدين^(٢٣)، فكان بذلك أول حديقة شعبية في مدينة بغداد^(٢٤).

ونستطيع القول إن مدينة بغداد تبقى مدينة للوالي المصلح مدحت باشا وأعماله من المؤسسات النافعة والمشاريع العامة، فقد كان محبوباً ذا شعبية من الأهالي والأجانب المقيمين على حد سواء، ويبدو أن الدولة العثمانية إستاءت من صرفه للأموال في تطوير وتحديث مدينة بغداد، بدلاً من أن يبعث بها إلى الأستانة لذلك صدر الأمر بعزله من ولاية بغداد عام ١٨٧٢ م، كان فقيراً وهذا دليل على عفته وأستقامته^(٢٥)، ترك مدحت باشا منصبه في بغداد (بعدما باع ساعته) ليدفع نفقات سفره إلى الأستانة^(٢٦).

وهكذا تميزت ولاية مدحت باشا في تاريخ بغداد بأنها ثورة حضرية وعهد نهضة حقيقية أسبغت على المدينة طابعاً حضرياً وكانت دافعاً للمدينة نحو النمو والتقدم وشكلت حداً فاصلاً بين عهدين من عهودها^(٢٧).

(٢)

خلف مدحت باشا ولاية تعاقبوا على ولاية بغداد فترات قصار ولم يُنجز في عهدهم إلا القليل، ففي عام ١٨٧٩ م أفتتحت المستشفى التي بناها مدحت باشا، وفي عام ١٨٨٩ م حول الوالي (سري باشا) الميدان إلى ساحة مكشوفة بها بُستان، ووضع وسطها حوض يحتوي على (شذروان) يقذف الماء وبهذا تحول الميدان إلى متنزه لأهل بغداد، وأقيم جسر جديد من القوارب عام ١٩٠٢ م إتساعه يكفي لمرور العربات^(٢٨).

وعلى ذكر تطور تصميم المدينة فقد بقي شكل بغداد بصورة عامة ثابتاً إلا من ناحية الحجم، كما بقيت المدينة على ضفتي نهر دجلة توصل

الجسور بين قسميها^(٢٩)، فكانت مدينة بغداد في مستهل القرن العشرين تستوعب مساحة قدرها حوالي أربعة أميال مربعة، وحوالي ثلث هذه المساحة خالياً أو تشغله مقابر أو أطلال^(٣٠).

أما ناجي شوكت فيقول «لم تكن من حيث السعة والانتظام، وسعة الشوارع وكثرتها، إذ كانت بغداد أشبه بالقرية الكبيرة منها إلى المدينة العصرية»^(٣١). وبدأ جانب الكرخ من بغداد بالنمو ولكنه كان أصغر في الطول والعمق من جانب الرصافة، فكانت معظم علاوي الطعام ومخازن الأخشاب تقع في الكرخ وكذلك مراسي الأكلاك الآتية من الموصل وسامراء والمحملة بالفواكه ولاسيما الرقي والبطيخ^(٣٢).

وبجانب الترامواي كانت هناك العرببة التي وصلت إلى بغداد عام ١٨٩١م وكانت تُسمى عربات اللاندون وهي الأخرى تمثل تطوراً وتقدماً في وسائل المواصلات خاصة وإنها كانت مقتصرة لكبار القوم والأعيان من شخصيات بغداد^(٣٣).

فهي عربات فخمة تجرها خيول معدودة أي إنها عربات خصوصية، أستوردت من (لندن) أو من فرع الشركة في الهند ومن هنا جاءت التسمية عربات اللاندون. وماعدا هذه العربات كانت وسائل نقل الأشخاص والبضائع في داخل بغداد بواسطة الحيوانات من الحمير والخيول والبغال^(٣٤).

وفي عام ١٩٠٠م إتسعت الشوارع العريضة نسبياً لمرور عربات النقل فيها، حيث تأسست شركة عربات منظمة تجرها الخيول وسميت عربات الكنبانية^(٣٥).

ولغرض نقل الناس داخل المدينة أستورد أحد الأشخاص أول عشر عربات جديدة لهذا الغرض من الهند وكانت هذه العربات تُعرف (بالربلات)، وهذه العربات العشرة كانت تسد حاجة السكان في النقل في - البداية - يوم كانت بغداد محدودة الأطراف، بعدها تم أستيراد أعداد كبيرة منها^(٣٦).

وبخصوص إحصاء النفوس في العهد العثماني فإنه كان يتم بشكل وإٍ حيثُ تنعدم الكفاءة به، وكان مقتصرأ على المدن ومنها بغداد. ولأغراض الكتابة ليس إلا^(٣٧).

من المراحل المهمة في تطور مدينة بغداد الحضاري في التاريخ الحديث والمعاصر هو الانقلاب العثماني في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨م وما أعقبه من إعلان الدستور في عام ١٩٠٩م^(٣٨)، إذ حدثت نقلة إجتماعية وحضارية في بغداد من جراء ذلك منها كما يشير علي الوردي كثرة صدور الصحف وقيام الجمعيات وظهور الملاهي والمراقص لأول مرة في حياة بغداد، ومجيء السينما والسيارة والتلفون وكثير من الأمور الأخرى^(٣٩). وعلى ذكر السيارة يذهب لونكريك إن أول سيارة ظهرت في بغداد عام ١٩٠٨م وكانت قادمة من حلب^(٤٠) التي جلبها (حمدي بابان) وقد دهش الناس لرؤيتها، ويُعتبر الفريق (جاويد باشا) والي بغداد قبيل إندلاع الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م بأنه كان أول من أستعمل سيارة خاصة تعود ملكيتها إليه^(٤١) وعلى أثره تغير شكل الإدارة أيضاً حيثُ نُظمت دواوين الحكومة وأخذت بغداد تسير نحو المدنية والعمران، وقامت فيها مدارس عدة رسمياً للبنين والبنات وأدخلت اللغة العربية في مناهج التدريس بعد أن كانت مقتصرة على اللغة التركية^(٤٢).



بينما يروي عبدالرزاق الحسني إنه لم يكن في بغداد عام ١٩٠٨ م أكثر من خمس مدارس واحدة لليهود (الأليانس) والثانية للمسيحيين وهي (اللاتين) وماتبقى للحكومة ولايدخل في ضمنها الكتاتيب^(٤٣). وقد قابل اليهود إعلان الدستور في الدولة العثمانية عام ١٩٠٩ م بهتاف ومظاهر الترحيب والأرتياح^(٤٤). وفي عام ١٩٠٩ م أنشئت مدرسة للحقوق^(٤٥)، ويمكن اعتبار هذه المدرسة النواة الأولى للتعليم العالي في العراق .

ومن مظاهر التقدم والتطور في المدينة هو إقامة أول حديقة حيوانات فيها، ففي أوائل القرن العشرين أشتهرت دار محمد فاضل باشا الداغستاني والتي تقع مقابل القلعة (المقصود وزارة الدفاع حالياً) وبجوار جامع المرادية بوجود حديقة فيها تضم الأسود والفهود والنمور والدببة وغيرها، وسمح لأهالي بغداد عصر كل يوم خميس بالتفرج على هذا المعرض الحيواني الوحيد في بغداد^(٤٦).

وفي عهد الوالي العثماني الفريق ناظم باشا عام ١٩١٠ - ١٩١١ م والذي اعتبر (مدحت باشا الثاني) وذلك لكثرة إصلاحاته وهمته العمرانية، أُرهب الناس فأمنت السبل وبالتالي شهدت المدينة خلال ولايته نوعاً من الهدوء والأمن والأستقرار، وهو من الولاة المصلحين وكان صاحب همة وقرار^(٤٧)، وجعل للجيش معسكراً خارج مدينة بغداد القديمة وأخضعه للتدريب الشاق ومنعهم من الأتيان بأعمال تخل الأمن وذلك بالقضاء على ظاهرة الفهود في بغداد من خلال دفع رواتب الجنود المتاخرة وتنظيم صرفها في مواعيدها^(٤٨).

وقد أسدى ناظم باشا الكثير من الخدمات لمدينة بغداد وذلك بأصلاح بعض الطرق والأسواق وجمع المجانين والمبتلين بالأمراض السارية وخصص لكل منهما مكاناً وأجرى عليهم النفقات، ونفى المشردين من الغرباء الذين لاعمل لهم خارج الحدود وفتح مدرسة المعلمين بالكرخ، وبنى باباً رئيساً للسراي وكذلك شيد أبنية جديدة محيطة ببغداد ومن أعماله التي سُجلت له هي تنظيم عملية جمع الأربال والأوساخ من أزقة بغداد الضيقة وذلك بواسطة عربات خشبية بدلاً عما كانت عليه بواسطة الحمير، وكذلك أمر بجمع الكلاب السائبة للقضاء عليها^(٤٩). وفكر في تسيير شاحنات كهربائية لسحب عربات الترامواي الممتد بين بغداد والكاظمية ولكن الفكرة لم تُنفذ. كان يُقيم الأستعراضات ويرعى التعليم وعلاقته جيدة بالأقليات، ويلح على هدم الأبنية لغرض فتح شوارع جديدة في بغداد^(٥٠)، ومن ضمن أعماله العمرانية إنه فتح شارع المستنصر - شارع النهر حالياً - وعبدّه وكساه بالقار وكان يُمثل الطريق الرئيس في المدينة، ويُذكر إن أستقامة الشارع المذكور أدت إلى الأصطدام ببنائة القنصلية البريطانية والتي كانت تتمتع بامتيازات عن غيرها من القنصليات الأجنبية في بغداد^(٥١)، وأخذ عدد المستشفيات العسكرية من المستوصفات في الظهور فقد أفتتح الوالي ناظم باشا عام ١٩١٠ م مستشفى (مير الياس) الذي أنشأه اليهودي الثري (مير الياهو الياس) خارج باب المعظم - تُعرف حالياً بالكرنتينة^(٥٢). ويظهر إن ناظم باشا كان آخر الولاة الأقوياء والمحدثين معاً في بغداد خلال العهد العثماني .

وكان أول من فكر بحماية مدينة بغداد من الفيضانات وما يرافقها من تدمير وتفشي الأوبئة والأمراض هو ناظم باشا الذي أنشأ سدة ترابية سُميت بأسمه لتحمي بغداد من الفيضانات تمتد من شمال المدينة حتى جنوبها، ويُعد هذا أشهر عمل له في المدينة بصورة عامة حيث حمتها من الغرق^(٥٣). ومما يلفت النظر إن سدة ناظم باشا هذه أنشئت والهدف الوحيد من إقامتها هو حماية المدينة من خطر الفيضان دون أن يكون لها أية صلة بالدفاع العسكري كما كان الحال عند إنشاء سور المدينة في العهد العباسي^(٥٤). غير إن وجود هذه السدة موازية لنهر دجلة وعلى بعد بضعة كيلومترات حدد نمو بغداد بشكل طولي، أما الضفة الغربية في الكرخ فقد كانت محاطة بعدة سدات لاتوازي في أهميتها سدة ناظم باشا^(٥٥).

وحدثت شكاوي وكُثرت الأحاديث على الوالي ناظم باشا قبل عزله من منصبه في بغداد عام ١٩١١م من جراء قضية (سارة أوانيس إسكندر) الأرمنية^(٥٦)، حتى إن الشاعر جميل صدقي الزهاوي وبسبب عزله من وظيفته في مدرسة الحقوق أخذ يصب جام غضبه على ناظم باشا ولقبه بقصيدة عنوانها (طاغية بغداد) وفيها يقول^(٥٧):

رام هتكا لما تصون فتاة

كسبت في أمر العفاف إشتهارا

رام شيئا لبنت بغداد يزري

فعلى الشعب شعبها أن يغارا

سر بعيداً إلى سلايك عنا

إن فيها كواعباً أبكارا

والحقيقة إن أغلب الأهلين كانوا راضين عنه، فيكفي إنه ولد رهبة في قلوب أهل الشقاوة بل إنه يُعتبر من الولاة المصلحين ولم ينل مثل شهرته من ولاة بغداد إلا مدحت باشا^(٥٨).

*** الهوامش:**

(١) العرداوي، عادل، علي الوردي وحديث حول مدينة بغداد، مجلة أمانة العاصمة، العدد (١١)، تموز، ١٩٧٧م، ص ٣٦.

(٢) عبود، عبد المنعم كاظم، مجلة أمانة العاصمة، العدد (١٣)، تشرين الثاني، ١٩٧٧م، ص ١٧.

(٣) الجبوري، جميل، وسائط النقل في بغداد القديمة، مجلة بغداد، العدد (٢٣)، شهر كانون الثاني، ١٩٦٥م، ص ٢٠.

- الجميلي، صادق، حكاية الكاري بين بغداد والكاظمية، مجلة أمانة العاصمة، العدد (١٩)، ١٩٧٩م، ص ٢٠.

(٤) ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كلة العراق عام ١٨٨١م، ترجمة، علي البصري، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٥٨م، ص ٩١.

(٥) لونكريك، ستيفن همسلي، العراق الحديث ١٩٠٠-١٩٥٠م، ترجمة، سليم طه التكريتي، ج ١، ط ١، مطبعة حسام، بغداد، ١٩٨٨م، ص ٦٣-٦٤.

(٦) الزبيدي، فخري، بغداد من ١٩٠٠-١٩٣٤م، ج ١، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٩٠م، ص ٩.

(٧) مجموعة كتاب، بغداد، نقابة المهندسين العراقيين، مؤسسة رمزي للطباعة، بغداد، ١٩٦٩م، ص ٧٩.

(٨) مذكرات بغدادية، من دفتر ذكريات محمد رؤوف السعودي أبو عطوف، مجلة المورد - عدد خاص عن



- بغداد - العدد (٤) شتاء، ١٩٧٩م، ص ٥٥٥.
- (٩) جواد، مصطفى - أحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٨م، ص ٣٣٤.
- (١٠) عبود، عبد المنعم كاظم، مجلة أمانة العاصمة، العدد (١٥)، آذار، ١٩٧٨م، ص ٨.
- (١١) العلاف، عبدالكريم، بغداد القديمة، ط ١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٠م، ص ٧٠.
- (١٢) عبدالسلام، عماد، تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد، مجلة المورد - عدد خاص عن بغداد، العدد (٤)، شتاء ١٩٧٩م، ص ١٩٤-١٩٥.
- (١٣) سوسة، أحمد، فيضانات بغداد في التاريخ، القسم الثاني، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٦٥م، ص ٤١٢.
- (١٤) دراور، ليدي، في بلاد الرافدين صور وخواطر، ترجمة، فؤاد جميل، ط ١، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦١م، ص ١١١.
- (١٥) السوداني، عبدالله عبدالرحيم، أسوار بغداد، مجلة المورد - عدد خاص عن بغداد، العدد (٤)، شتاء، ١٩٧٩م، ص ٥٥.
- (١٦) الجبوري، جميل، لمحات من الحياة البغدادية في الأمس القريب، مجلة آفاق عربية، العدد (٣)، آذار، ١٩٨٧م، ص ٨٨.
- (١٧) حول بناية القشلة، مجلة أمانة العاصمة، العدد (١٧)، تموز، ١٩٧٨م، ص ٢٤.
- (١٨) الجبوري، جميل، لمحات من الحياة البغدادية في الأمس القريب، المصدر السابق، ص ٨٩.
- (١٩) الحسني، عبدالرزاق - عبد العزيز الدوري، بغداد، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٥١.
- (٢٠) الجبوري، جميل، لمحات من الحياة البغدادية في الأمس القريب، مصدر سابق، ص ٩٠.
- (٢١) عبود، عبدالمنعم كاظم / مجلة أمانة العاصمة، العدد (١٣)، تشرين الثاني، ١٩٧٧م، ص ١٣.
- (٢٢) الزبيدي، فخري، بغداد من ١٩٠٠ - ١٩٣٤م، ج ١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠م، ص ٤٧.
- (٢٣) الأعظمي، علي ظريف، مختصر تاريخ بغداد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٦م، ص ٢٤١.
- (٢٤) الحنفي، جلال، وسائل التسلية الشعبية في بغداد، مجلة بغداد ن العدد (٢٣)، كانون الاول، ١٩٦٥م، ص ٣٢.
- (٢٥) فوك، وليم بيدي، أحوال بغداد في القرن الـ ١٩، ترجمة، عبود الشالجي، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٦٠م، ص ٢٣.
- (٢٦) لونكريك، ستيفن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط ٦، مطبعة أركان، بغداد، ١٩٨٥م، ص ٣٦٠.
- (٢٧) جواد، مصطفى - أحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، مصدر سابق، ص ٢٣١.
- (٢٨) الحسني، عبدالرزاق - عبدالعزيز الدوري، مصدر سابق، ص ١٥٢-١٥٣.
- (٢٩) المدفعي، قحطان، بغداد، وزارة البلديات مديرية التخطيط والتصميم العامة، بغداد، ١٩٦٢م، ص ٢.
- (٣٠) الحسني، عبدالرزاق - عبد العزيز الدوري، مصدر سابق، ص ١٥٨-١٥٩.
- (٣١) شوكت، ناجي، سيرة وذكريات، ج ١، ط ٢، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٩٠م، ص ٢٣.
- (٣٢) المصدر نفسه.

- (٢٣) سالم، كمال لطيف، شارع الرشيد ذاكرة بغداد، مجلة التراث الشعبي، العدد الفصلي الثاني، ربيع، ١٩٨٨م، ص ٧٤.
- (٤٦) علي، عادل محمد، حداثق الحيوانات في بغداد، مجلة المورد - عدد خاص عن بغداد، العدد (٤)، شتاء، ١٩٧٩م، ص ٣٦٣.
- (٣٤) الزبيدي، فخري، ج ١، مصدر سابق، ص ٣٣-٣٤.
- (٤٧) لونكريك، العراق الحديث، ج ١، مصدر سابق، ص ٩٣.
- (٣٥) سالم، كمال لطيف، شارع الرشيد ذاكرة بغداد، مصدر سابق، ص ١٧٤.
- (٤٨) الزبيدي، فخري، ج ١، مصدر سابق، ص ٢١-٢٣.
- (٤٩) المصدر نفسه، ص ٢٢.
- (٥٠) لونكريك، العراق الحديث، ج ١، مصدر سابق، ص ٦٣-٦٤.
- (٣٦) السامرائي، عبدالجبار، شارع الرشيد تاريخه وبعض تراثه، مجلة التراث الشعبي، العدد الفصل الثاني، ربيع، ١٩٨٨م، ص ٣٤.
- (٣٧) لونكريك، العراق الحديث، ج ١، مصدر سابق، ص ٢٧.
- (٥١) الزبيدي، فخري، ج ١، مصدر سابق، ص ٢١-٢٣.
- (٥٢) لونكريك، العراق الحديث، ج ١، مصدر سابق، ص ٩٧.
- (٣٨) شبيب، محمود، غوامض من تاريخ العراق والعرب والعالم، ط ١، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٨٤م، ص ٢٠-٢٤.
- (٥٣) العرداوي، عادل، علي الوردي وحديث عن بغداد، مصدر سابق، ص ٣٦.
- (٣٩) العرداوي، عادل، علي الوردي وحديث عن بغداد، مصدر سابق، ص ٣٦.
- (٤٠) لونكريك، العراق الحديث، ج ١، مصدر سابق، ص ١١٤.
- (٥٤) سوسة، أحمد، فيضانات بغداد في التاريخ، مصدر سابق، ص ٤١٣.
- (٥٥) المدفعي، قحطان، مصدر سابق، ص ٢.
- (٤١) المصدر نفسه، ص ٩٢.
- (٥٦) العلاف، عبدالكريم، بغداد القديمة، مصدر سابق، ص ١٨١.
- (٤٢) الزبيدي، فخري، ج ١، مصدر سابق، ص ٢٠.
- (٤٣) المصدر نفسه، ص ٤٨.
- (٥٧) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين إحتلالين، ج ٨، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٦م، ص ٢٠١.
- (٤٤) العلاف، عبد الكريم، بغداد القديمة، مصدر سابق، ص ٤٥.
- (٥٨) العمري، خيري، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث، دار الهلال، ١٩٦٩م، ص ٣٧-٣٨.
- (٤٥) مكّي، طه، تاريخ بغداد الحديثة، مطبعة دنكور الحديثة، بغداد، ١٩٣٥م، ص ٩٣.



Ottoman governor's reformers

in the history of Baghdad city

By: Dr.Kamal Rashid Khammas Al-Ekaili 

Abstract

The city of Baghdad at the end of the Ottoman era witnessed a series of architectural and reformist features in order to modernize and develop them, influenced by Western European style by a number of reformist rulers who sought reform, renewal and modernization. The most prominent of these was the reformed governor Medhat Pasha in 1869-1872, The life and the movement of the city, compared to his short reign that lasted three years and so characterized the mandate of Medhat Pasha in the history of Baghdad as an urban revolution and the era of real renaissance.

And was punished after the governor Medhat Pasha governors punished the mandate of Baghdad periods of short and did not accomplish in their time until the arrival of the governor, Lieutenant General Nazim Pasha in 1910- 1911, which is the last governors powerful and modern together in Baghdad during the Ottoman era and therefore is a governors reformers did not get his fame from Walaa Baghdad only Medhat Pasha.



فكر الدكتور محمد عابد الجابري

بين التراث والمعاصرة

أ. د. د. مجيد مخلف طراد *



● المقدمة :

يتميز هذا العصر الذي نعيش فيه باتساع افق الثقافة نتيجة التقدم العلمي المستمر، وهذا من شأنه ان يبعث عند الكثير من مفكري العرب تساؤلاً مستمراً عن قيمة تراثنا الحضاري والفكري ازاء ثقافة العصر وان يحفز بعضهم في الوقت نفسه الى الاطلاع على مشروع فكري يكشف من خلاله عما يمكن ان يكون في ذلك التراث من المعاني الايجابية والقيم الخلاقة الدافعة الى التقدم العلمي والاجتماعي، ايماناً منهم بإمكان الملائمة بين التراث والمعاصرة وهي ملائمة بلا شك تعطينا ثقة بأنفسنا وتؤكد شخصيتنا بازاء الثقافات الوافدة الينا على اختلاف اتجاهاتها ومن أولئك المفكرين الذين عنوا بهذه الاشكالية ودرسوا التراث العربي الاسلامي من اجل الكشف عن اصالته الدكتور محمد عابد الجابري .

● إشكالية التراث والمعاصرة في فكر الجابري:

كان الجابري احد الرواد الاوائل الذين كرسوا جهدهم للعناية بالتراث الفلسفي الاسلامي فعنى بشخصياته البارزة كالفارابي وابن رشد وابن خلدون، بل كانت قراءة ابن خلدون في اطروحة الدكتوراه رقيقة جداً اضفت طابعاً معاصراً للمنهج الخلدوني في التعامل مع التاريخ الاسلامي عموماً.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



ثم جاء تأليفه لكتاب فلسفة العلوم في جزئيه
الاهم في دراساته اذ دخل من خلاله منعطفاً
منهجياً الى فلسفة العلوم ثم راح يقطع خطوات
اخرى متقدمة في مقاربتة للتراث وما تضمنه
من اتجاهات فقهية وفلسفية وتاريخية ونقلية
وصوفية وسياسية، شكلت فيما بعد الخطوط
الاساسية لاشكالية التراث والمعاصرة في فكره
الفلسفي، هذه الاشكالية التي كثير ما تطرح في
الفكر العربي الحديث والمعاصر على انها مشكلة
الاختيار بين النموذج الغربي في المجالات كافة
وبين التراث بوصفه يقدم او بإمكانه ان يقدم
انموذجاً بديلاً او اصيلاً يغطي جميع ميادين
الحياة المعاصرة^(١).

لقد تعامل الجابري مع التراث بعده قوة حاضرة
في الذاكرة العربية وهذا يعني ان الاسلام عنده لا
يزال يلعب دور المحرك للتاريخ العربي في مختلف
لحظاته وتجلياته وتقلباته، فسعى الى الكشف عن
جذور التراث العربي الاسلامي من خلال البحث
عن مكوناته الاساسية وعن الية العقل الذي
انتج هذا التراث بالاعتماد على منهج نقدي مبيناً
السليل الكفيلة بالتعاطي معه وبيان مكانه القوة
والابداع مع الاخذ بنظر الاعتبار الفارق الزمني
بين الماضي والحاضر، وهكذا سعى الجابري بكل
ما بوسعه للكشف عن اصالته واحيائه في وقت
اشتدت فيه الحاجة الى هذا الاحياء الذي كان ولا
يزال يعد من اهم الاعمال الفكرية التي يمكن
من خلالها مواجهة اخطار وتحديات الثقافة
الغربية الجديدة التي فرضت نفسها كنموذج
عالمي حضاري جديد للعالم كله يقوم على جملة
مقومات لم تكن موجودة سابقاً مثل التنظيم
العقلاني لشؤون الاقتصاد واجهزة الدولة واعتماد
العلم والصناعة والتبشير بقيم جديدة كالحرية

والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وكانت وسائله
بذلك التبادل التجاري غير المتكافئ والتدخل في
الشؤون الداخلية بحجة الدفاع عن حقوق اقلية
من الاقليات او حماية مصالح معينة او الهيمنة
الاقتصادية والسيطرة الثقافية والايديولوجية
وكان من نتيجة ذلك كله غرس بنى هذا النموذج
الغربي في البلاد العربية هذا من جهة، ومن جهة
اخرى اذا كنا لم نختار النموذج الغربي بارادتنا
فنحن كذلك لم نختر ما تبقى لدينا من النموذج
التراثي فان ذلك ارث يصاحب حياتنا شئنا ام
ابينا واكثر من ذلك هنالك شعور داخلي نتمسك
به بل نجده احياناً ملاذ لنا نحتمي به عندما نجد
انفسنا امام تهديد خارجي يمس الذات والهوية
والاصالة والخصوصية ويحاول ان يحل نفسه
إنموذج حضاري على حساب النموذج التراثي
العربي الاصيل^(٢).

هذه هي حقيقة المشكلة التي يعانيتها الفكر العربي
المعاصر، فهي ليست مشكلة الاختيار بين النموذج
الغربي والنموذج التراثي الاسلامي او محاولة
التوفيق بينهما، بل المشكلة الاساسية التي ينبغي ان
يدركها الجميع هي الازدواجية التي ترافق حياتنا
المادية والفكرية، بل الاكثر هي مشكلة موقفنا من
هذه الازدواجية، فنحن نقبل هذه الازدواجية على
صعيد واقعنا الاقتصادي والاجتماعي والسياسي
والتعليمي، بل قد نبني خططنا المستقبلية على
اساس هذا الواقع المزدوج وبتماس معه تماماً،
لكننا في الوقت ذاته قد ندعم القطاعات العصرية
ونوسعها باسم المعاصرة تماماً كما ندعم بالمقابل
القطاعات التقليدية من اجل البقاء عليها واحياء
المندرج منها باسم الاصالة او التراث^(٣)
امام ذلك كله وانطلاقاً منه تولدت لدى الجابري
رغبة في حصر جهوده العلمية في اتجاه واحد بعد

ان فرضت عليه ظروف التدريس في الثمانينيات الخوض في اكثر من اختصاص، فقرر توجيه هذه الجهود كلها باتجاه الدراسات التراثية الاسلامية حتى انقطع اليها كلياً فيما بعد وبمرور الزمن تبلور في فكره منهج ورؤية يستجيبان لجانب مهم من الاهتمامات الفكرية العربية المعاصرة، فشكل هذا الهاجس في داخله نواة مشروع فكري جديد يدرس التراث والفكر المعاصر معاً على ان يساهم في تقديم اجوبة منطقية عن علاقة التراث بالمعاصرة، وكيف نتعامل مع التراث ؟ وهو سؤال عصرنا الثقافي الراهن بعد ان استرجع كتبه التراثية التي بدأ بتأليفها منذ عام ١٩٧١ بكتابه (العصبية والدولة، معالم النظرية الخلدونية في التاريخ الاسلامي) ثم اعقبه بمؤلف آخر في عام ١٩٧٧ من اجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية وكتاب (نحن والتراث، قراءة ومعاصرة في تراثنا الفلسفي) في عام ١٩٨٠ ثم مؤلفه التراث والحدثة / دراسات ومناقشات في عام ١٩٩١.

اقول لقد تبلور في ذهنه بعد ذلك مشروع نقدي كبير ظهر على شكل كتاب ضخيم في ثلاثة اجزاء يحمل عناوين تكوين العقل العربي وبنية، العقل العربي، والعقل السياسي العربي، صدرت كلها في بيروت في الاعوام ١٩٨٤، ١٩٨٦، ١٩٩٠^(٤). والذي دعى فيه الى الاخذ بثقافة الغرب مع إحياء التراث العربي القديم بما انطوى عليه من أدب وعقيدة وتشريع وفلسفة وبذلك تمتزج الثقافات القديمة والجديدة في اطار واحد يمكن للامة العربية الاسلامية من خلالها ان تعيد ثققتها بنفسها وتعيد بناء مجدها بانفتاحها على ما هو جديد مع الاحتفاظ بالقديم بحيث لا يطغى احدهما على الآخر، فهي اذن محاولة للثقة بتراث

الامة الحضاري والسعي للاطلاع عليه وفهمه بدقة ونشر مالم ينشر منه حتى نحكم عليه بالحكم الصحيح .

تلك هي جذور مشروع الجابري الفكري وخطوطه العامة ومقدماته الاساسية والذي ينظر اليه البعض على انه واحد من أهم وأبرز المشاريع الفكرية على الساحة العربية المعاصرة والذي استقطب اهتمام العديد من المفكرين والمثقفين والنقاد العرب من ذوي الاختصاص في مجال الفكر والفلسفة كونه باعتقادهم يمثل وقفة جادة ومعقدة لدراسة التراث باطر منهجية معاصرة، قد لا نجد فيها ذلك النظير النقدي التقليدي الذي تتبناه النظريات النقدية الحديثة المعروفة في الدراسات الادبية والفلسفية والتي كثير ما نجدها في دراسات وكتابات واءاء المفكرين المعاصرين له، فضلاً عن ذلك كله فان دراسة الجابري للتراث جاءت بطريقة تحليلية دقيقة انتجت عنها اراء وافكار واجتهادات خطيرة وجريئة طالت تركيبة الاداة الاساسية للفكر العربي الا وهي العقل^(٥)

فالعقل من حيث هو نتاج فكري ومنظومة معرفية وتطورات ذهنية وثوابت في الفهم نوعان، عقل نظري يستقبل بطرائق الاستدلال وقواعد البحث العلمي والناس فيه سواء وآخر عملي يضم أنماط التفكير الاجتماعي والاخلاقي والذوقي، بمعنى أدق هو نشاط الناس او الجماعات والذي يشكل الصورة الاجتماعية للشخصية الوطنية وهو بذلك الأهم ان لم يكن الأخطر من نوعه النظري^(٦).

لقد ركز محمد عابد الجابري في مشروعه لدراسة التراث على مسألة غاية في الاهمية عندما أشار فيه الى ان نقد العقل العربي جزء أساسي وأولي لكل مشروع نهضوي عربي حديث، مؤكداً أن سبب تعثر أغلب



المشاريع الفكرية العربية هو انها كانت تجري غير هذا المجري، بل يعتقد جازماً أن من أهم أسباب تعثرها لغاية الآن هو تبنيها عقل لم يقوم بمراجعة شاملة لآلياته ومفاهيمه وتصوراتهِ^(٧).

فالعقل عنده هو الفكر بوصفه أداة للتفكير وعروبتة تمثل الثقافة التي ينتمي اليها، وهكذا استطاع ان يشخص وبدقة اسباب الركود الفكري العربي حتى عُد تساؤله عن أسباب هذا الركود هو المرتكز والمنهج النقدي لمشروعه الفكري الجديد، مع الإشارة الى ان هذا السؤال هو ذاته الذي طرحه غيره من المفكرين العرب المحدثين والمعاصرين وإن كان بأشكال وصيغ مختلفة لكنها تشير الى معنى واحد هو لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ ربما الإختلاف في طرح الجابري له كان على وفق الاطار الذي أراد ان يتحرك به وأعني الاطار الإستمولوجي او المعرفي المحض لكي تكون صيغة طرحه للسؤال مستوعباً كل الإستيعاب داخل هذا الإطار^(٨).

وحتى نكون أكثر دقة في تحديد هذا السؤال وبيان تفصيلاته كما طرحه الجابري نعيد صياغته بالشكل الآتي، لماذا لم تتطور أدوات المعرفة من مفاهيم ومناهج ورؤى في الثقافة العربية خلال نهضتها في القرون الوسطى الى ما جعلها قادرة على إنجاز نهضة فكرية علمية متطورة شاملة على غرار ما حدث في الغرب منذ القرن الخامس عشر^(٩).

إذن هذه هي قاعدة الإنطلاق لرسم صورة منهج مشروعه الفكري الجديد، وهي نقطة بلا شك تعبر عن دلالات وأبعاد فلسفية لفكر الجابري، إذا ما نظرنا اليه من وجهة نظر فلسفية بحثه، لان حقيقة العقل المتفلسف قائمة أساساً على أسئلة متواصلة عن الأشياء والوجود والفكر وتحاول أن تبحث عن اجوبة ومعان أوسع لهذه المفاهيم أو الإشكاليات . ولذا نجد ان الفكر الفلسفي

وعبر مسار تأريخه الطويل يعد إثارة الاسئلة من الواجبات الأساسية لبحث اي مشكلة بإطار فكري او فلسفي ولهذا قيل ان التفلسف بدأ بأسئلة طاليس عن أصل الأشياء^(١٠).

يعتقد الجابري ان السؤال عن كيفية التعامل مع التراث سؤالاً متعدد الأبعاد ومرتببط فيه سؤال آخر ملازماً له كيف نتعامل مع عصرنا وهو سؤال متعدد الأبعاد وموجه الى التراث بجميع مجالاته وموجه الى المعاصرة نفسها بكل معطياتها وطموحاتها فلا تزال هنالك اراء تضع بصيغة او بأخرى الاشتغال بالتراث موضع التساؤل لما كل هذا الاهتمام بالتراث؟ هل هو ردة فكرية؟ وان التمسك به يعني رفض كل المعاصرة ومتطلباتها، فهل تراثنا هو ككل تراث مجرد بضاعة تنتمي الى الماضي ويجب ان يبقى في الماضي وبالتالي لا ينبغي العناية به الا المختصون في شؤون الماضي وينحصر الاهتمام به في قاعات الدرس الجامعي والنشر في المجالات العلمية والثقافية، حتى نتوجه الى المعاصرة، ان هذا التوجه بتقدير الجابري ينم عن عدم تقدير كاف للاشكالية المطروحة في الثقافة العربية، وهو ينظر الى المعاصرة هي تجاوز الفهم التراثي للتراث الى فهم معاصر والى رؤية حديثة له فالمعاصرة باعتقاده لا تعني رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي بقدر ما تعني عنده الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث الى مستوى ما نسميه بالمعاصرة اي مواكبة التقدم الحاصل على صعيد الحضارة الانسانية^(١١). وهكذا نلاحظ ان اشكالية التراث والمعاصرة كان حضورها واضح وعميق لديه بعدد واحد من أهم القضايا التي طرحت نفسها بقوة ليست على الفكر الجابري فحسب، وانما على الفكر العربي المعاصر بشكل عام، واخذ يتجدد شكل

طرحها بتجدد شكل واسلوب معالجتها من قبل المفكرين العرب المعاصرين بل رافقت جهدهم الفكري والثقافي منذ مدة ليست بالقصيرة عندما بدأت المواجهات العسكرية التاريخية بين اوروبا والبلاد العربية التي رافقتها مواجهة من نوع آخر هي المواجهة الحضارية الشاملة التي جاءت بها اوروبا الى العرب حاملة نتائج نهضتها ووسائل تقدمها حتى أصبحت الحضارة الغربية وقيمها باعتقادها واعتقاد بعض المفكرين العرب أيضاً هي المعيار الوحيد الذي يحدد كل نهوض وتقدم، الامر الذي اصاب العالم العربي بصدمة حضارية وعاش حالة من الانهيار التي أفقدته القدرة على التميز والرؤية الصحيحة، فوقف العقل العربي على أثرها عن الابداع والعطاء^(١٢)، بل فقدت الامة الفاعلية الحضارية المطلوبة لنهضتها وتقدمها، فسادها الركود والتخلف واصبحت القضية المطروحة على الفكر العربي بإلحاح . كيف نوازن بين تراثنا من جهة وبين مواجهة التحدي الجديد الذي يعبر عنه بالمعاصرة من جهة أخرى، وهو السند الذي لابد منه في عملية تأكيد الذات لمواجهة هذا التحدي . وان كانت المعادلة في غاية العسر وحلها في غاية الصعوبة، فمن جهة هناك اعجاب لا ينكر بعلوم الغرب ومنجزاته الحضارية على الاصعدة كافة، تعد مثال لنموذج التقدم العلمي الذي شهده العالم، ولكن من جهة اخرى نرى ان حامل هذا النموذج هو الغرب نفسه الذي سلب حرية الامة وخيراتنا وطعن في هويتها واصالتها وشكك في تراثها وهدد وجودها^(١٣).

بدأ الجابري بمناقشة قضية التراث والمعاصرة بقراءة جديدة لتراث العرب الاسلامي تنطلق من منهج واحد وعن رؤية واحدة بحيث يجعل من هذه القراءة المقروء معاصراً لنفسه على صعيد

الاشكالية والمحتوى المعرفي من جهة، ومن جهة اخرى تحاول هذه القراءة ان تجعل المقروء معاصر لنا ولكن فقط على صعيد الفهم والمعقولة، فهي تجعل المقروء اذاً معاصراً لنفسه ومعناه فصله عنا وجعله معاصر لنا ومعناه وصله بنا، اذن هي قراءة تعتمد على الفصل والوصل لخطوتين منهجيتين رئيسيتين^(١٤) .

استعرض الجابري القراءات السابقة لقضية التراث والمعاصرة فوجد نفسه أمام ثلاث قراءات رئيسية، حاول الوقوف عليها ومناقشتها وبيان خلاصاتها، **الاولى هي القراءة السلفية** والتي طرحها بسؤالين كيف نستعيد مجد حضارتنا ؟ وكيف نحيا تراثنا ؟ وهما سؤالان كما يعتقد يتضمن احدهما الآخر ويحيل اليه ويشكلان بترابطهما احدي المحاور الرئيسة في اشكالية الفكر العربي الحديث والمعاصر، مؤكداً ان التيار السلفي انشغل بالتراث واحيائه اكثر من غيره وحاول استثماره من اطار قراءة ايديولوجية تسعى الى اسقاط صورة المستقبل المنشود على الماضي ثم البرهنة انطلاقاً من عملية الاسقاط هذه على ما تم في الماضي يمكن تحقيقه في المستقبل، فيتخذ من الاصاله والتمسك بالجذور والحفاظ على الهوية شعاراً له على ان هذا الشعار يمثل الاسلام الحقيقي، وهي محاولة لتأكيد الذات وبعث الثقة فيها، لكن الذي حدث العكس تماماً لقد أصبحت الوسيلة لتأكيد الذات غاية بحد ذاتها، فالماضي الذي اعيد بناؤه بسرعة قصد الارتكاز عليه لنهوض الامة أصبح هو نفسه مشروع للنهضة وهكذا أصبح المستقبل يقرأ بواسطة الماضي وظلت صورة هذا المستقبل هي نفسها صورة المستقبل - الماضي - وينتهي الجابري من هذه القراءة الى انها قراءة لا تاريخية



وبالتالي لا تنتج سواء نوع واحد من الفهم للتراث هو الفهم التراثي للتراث^(١٥)، نعم ربما كانت وقائع الحياة منذ البعثة المحمدية الى بدايات القرن التاسع عشر مشابهة متناظرة فلم يكن هنالك وقائع في حياة المسلم العربي ما يجعله يشعر بأنه منفصل عن التراث لقد كان حاضره امتداد للماضي ونسخة منه اما اليوم فالامر يختلف تماماً، فالحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وبكلمة واحدة الحضارة الراهنة تختلف جذرياً عن نمط حياة الماضي وبالتالي فالاحكام الى الاشياء والنظائر لا يكفي بل ربما لا يجدي لان معطيات الحضارة المعاصرة لا اشباه لها ولا نظائر في الماضي فالاصلاح او تطبيق الشريعة اصبح يتطلب ليس فقط الرجوع الى الاصول بل اعادة تأصيلها بفكر متفتح يجمع بين اعتبار المقاصد والاسترشاد باسباب النزول وبين ضروريات وحاجات عصرنا خصوصاً تلك التي تسهم في تحرير الانسان وتقدم الحضارة^(١٦).

اما القراءة الثانية فهي القراءة اللبرالية والتي طرحها بصيغة سؤالين ايضاً هما كيف نعيش عصرنا ؟ وكيف نتعامل مع تراثنا ؟ وهما سؤالان مترابطان ومتضمن احدهما الآخر ويحيل اليه وبذلك يشكلان احد المحاور الرئيسية في اشكالية الفكر العربي الحديث والمعاصر .

ويرى الجابري ان نظام العلاقات في هذا المحور قائم على الترابط بين الحاضر والماضي ولكن لا حاضر العرب بل حاضر الغرب الاوروبي الذي يفرض نفسه كذات على العصر كله واساس لكل مستقبل ممكن وهي قراءة استشرافية تقوم من الناحية المنهجية على معارضة قراءة التراث بالتراث ومحاولة رد كل شيء الى اصله فعندما يكون المقروء مثلاً التراث الاسلامي فان مهمة القراءة تنحصر

في رده الى اصوله اليهودية والمسيحية والفارسية واليونانية والهندية .

وهكذا تهدف دعوى المعاصرة على وفق هذه القراءة اللبرالية للتراث الى استلاب للذات، الذات لا بوصفها حاضراً متخلفاً فحسب بل ايضاً بوصفها تاريخاً وحضارة^(١٧)، فمن الواضح ان هذه القراءة تهدف الى الاعراض والقطيعة عن التراث العربي الاسلامي وان اعتمادها يقتضي في الوقت نفسه الاعراض والقطيعة عن التراث الاوربي الذي انبثقت منه هذه القراءة، لكننا لا نرى ذلك عندها وهذه هي نقطة الضعف الاساسية فيها ولهذا يرى الجابري ضرورة اعادة النظر في الطريقة التي يتعامل بها اتباع هذه القراءة مع الحداثة الاوربية لانها بالنتيجة لا تعني استسلام الخصوصيات الثقافية ولا ذوبانها فيها بقدر ما هي محفز قوي للمقاومة والدفاع عن الذات^(١٨).

القراءة الثالثة والاخيرة هي القراءة اليسارية او الماركسية، والتي لخصها بسؤالين ايضاً هما كيف نحقق ثورتنا ؟ كيف نعيد بناء تراثنا ؟ وهما سؤالان آخران يتضمن احدهما الآخر ويحيل اليه، وكذلك يشكل بترابطها احد المحاور الرئيسية في اشكالية الفكر العربي المعاصر والحوار في هذه القراءة ونظام العلاقات فيها يقوم على المستقبل والماضي بوصفها معاً مجرد مشروعين، مشروع الثورة التي لم تتحقق بعد ومشروع التراث الذي سيعاد بناءه بالشكل الذي يجعله يقوم بدوره في هذه الثورة وتأصيلها، فالعلاقة جدلية بين الاثنين مطلوب من الثورة ان تعيد بناء التراث وبالمقابل مطلوب من التراث ان يساعد على تحقيق الثورة، وانتهت هذه القراءة اليسارية كما يصفها الجابري للتراث العربي الاسلامي الى سلفية ماركسية، اي الى محاولة لتطبيق طريقة الماركسية للمنهج الجدلي

فكان الهدف هو البرهنة على صحة المنهج المطبق لا تطبيق المنهج وهذا هو سر ضعف هذه القراءة وقلة انتاجها وضعف مردوديتها وانعكاساتها على الفكر العربي الحديث والمعاصر^(١٩).

السؤال هنا ما الذي يريده الجابري من هذه القراءات؟ هل هي عملية اقرار لهذه الاطروحات او تبنيها او الكشف عنها؟ يجيب ان الذي يهمنى من ذلك كله هو طريقة التفكير التي انتجتها او العقل وفعله اللاشعوري كما يصفه الذي يؤسسها، لانه يؤمن ان نقد الاطروحات عندما يغفل الاساس المعرفي الذي تقوم عليه هو نقد ايديولوجي وبالتالي فهو لا يمكن ان ينتج سوى ايديولوجيا، اما اذا ركزنا في نقدنا على الجانب المعرفي او طريقة الانتاج الفكري او النظري فهو السبيل الوحيد الذي يضيف الصيغة العلمية ويمهد لقيام قراءة علمية واعية للتراث العربي الاسلامي.

فاذا دققنا بالقراءات الثلاثة الأنفة الذكر وقمنا بعملية تحليل دقيقة لها وجدنا ما يجمع بينها من الناحية المعرفية هو وقوعها جميعاً تحت طائفة آفتين كبيرتين هي المنهج والرؤية، فمن ناحية المنهج افتقدت جميع هذه القراءات الى الحد الأدنى من الموضوعية ومن ناحية الرؤية تعاني جميعها من غياب النظرة التاريخية، وهذان الظاهرتان اعني اللاتاريخية وفقدان الموضوعية هما متداخلتان تلازمان كل فكر يئن تحت ثقل احد اطراف المعادلة التي يحاول تركيبها^(٢٠).

فالقضية الاساسية التي تواجه مشكلة المنهج في الفكر العربي المعاصر هي الموضوعية بين الفصل والوصل اي علاقة القارئ العربي بالمقروء، اي محاولة فصل الذات المفكرة عن الموضوع (التراث). وحتى يستقيم لدينا الفهم الموضوعي للتراث ولا وسيلة لذلك الا ان تسبقه وسيلة منهجية فاعلة هي

القطيعة التي يؤكد الجابري على اهميتها في فهم التراث، على ان تكون هذه القطيعة ابستمولوجية مع بنية العقل العربي وخاصة للفترة الواقعة بين عصر الانحطاط وامتداداتها في الفكر العربي الحديث والمعاصر^(٢١)، اذن فاولى خطوات تلك المنهجية كما يرى الجابري هي ضرورة القطيعة مع الفهم التراثي للتراث، وبذلك استطاع ان يوظف مصطلح القطيعة الابستمولوجية في مجال تاريخ الفلسفة الاسلامية على انها وبحسب منهجه لها كانت قراءات مستقلة متوازية لفلسفات امم معينة (اليونان) ليستنتج من خلالها ان لا تاريخ لهذه الفلسفة - العربية الاسلامية.

والذي دفع الجابري الى ذلك الرأي هو اعتقاده ان قراءة التراث في الفكر العربي عموماً مؤسسة فعلاً على طريقة واحدة في التفكير، الطريقة التي سماها الباحثون العرب القدامى بـ «قياس الغائب على الشاهد» وهي طريقة علمية بلا شك ولكن بشرط الالتزام بمعاييرها وشروطها الصحيحة، لكنها ربما تتحول الى قياس الجديد على القديم عندما لم يتم التقيد بشروطها الصحيحة، واصبحت تشكل الفعل المنتج في نشاط العقل العربي لنتائج خطيرة منها الغاء الزمان والتطور، في الحاضر كل حاضر يقاس على الماضي وكان الماضي والحاضر والمستقبل عبارة عن بساط ممتد لا يتحرك ولا يتموج بل هو عبارة عن زمان راكد ومن هنا تأتي لا تاريخية الفكر العربي، كذلك لم نرى في ذلك كله فصل بين الموضوع والذات فتحول القياس الى آلة ذهنية تمارس بشكل آلي دون استقرار او تحليل او دون فحص او نقد واصبح الشاهد شاهداً باستمرار وحاضراً في العقل والوجدان باستمرار ومن هنا فقد الفكر العربي الموضوعية المطلوبة^(٢٢).



وهكذا يذهب الجابري الى ان فقدان الموضوعية هذه هي التي ادت الى قراءة التراث قراءة سلفية تمجد الماضي وتقده وتبحث عن الحلول الجاهزة لمشاكل الحاضر والمستقبل، واذا كان هذا الامر ينطبق بشكل واضح على التيارات الدينية فإنه ينطبق ايضاً على التيارات الاخرى، اذ ما عرفنا لكل منها سند سلفي يستند به وهكذا يصل الجابري الى ان العرب اقتبسوا جميع مشاريع نهضتهم من الماضي، اما الماضي الاسلامي او الماضي الحاضر الغربي الاوروبي او من التجربة اليسارية الروسية فالمشروع النهضوي العربي بأكمله عبارة عن نشاط ذهني آلي يبحث عن حلول جاهزة لمشاكل مستجدة في اصل ما، وعليه يتطلب الامر الوقوف عليه وتعيينه وفحصه بدقة ونقده بكل قوة قبل الدعوة الى تجديده او تحديثه وهذه العملية لا تتم او تتطلب هدم القديم ونقده نقد شامل وعميق وهذا هو الهدف الذي سعى اليه الجابري وحاول تحقيقه من خلال مشروعه الفكري الجديد الذي تبناه (٢٣) .

نستنتج من اطروحات الجابري الفكرية والفلسفية المختلفة ان التراث العربي الاسلامي يتجسد بشكل واضح في العقيدة والشريعة واللغة والادب وعلم الكلام والفلسفة والتصوف وهو نتاج فترة زمنية من الماضي الذي عاشته الامة وينفصل عن الحاضر بمسافة زمنية ما تشكلت خلال مدة الانفصال هذه هوة حضارية فصلت الامة ولا تزال تفصلها عن الحضارة المعاصرة .

لكن الذي يميز تراث الاسلام هو انه مجموعة عقائد ومعارف وتشريعات ورؤى فضلاً عن اللغة التي تشكل الاطار لذلك كله وقد بدأ هذا التراث في القرنين الثاني والثالث للهجرة (الخامس عشر الميلادي) اي مع انطلاق تكوين النهضة الاوروبية الحديثة، وعليه لا بد ان ننظر الى التراث من داخل منظومة مرجعية

بانه نقاط اسناد للحضارة الاوروبية من حيث هو انتاج فكري وقيم روحية ودينية واخلاقية وجمالية تقع هناك فعلاً اي خارج الحضارة الحديثة ليس فقط بوصفها منجزات مادية وتقدم علمي وصناعي وانما بوصفها نظاماً معرفية وفكرية واخلاقية وجمالية وبما اننا نعيش هذه الحضارة ونحلم بالمشاركة الواعية فيها فاننا نزداد بذلك بعداً عن تراثنا كلما اقتربنا اكثر من هذه الحضارة والمسافة بين هنا وهناك قد تزداد اتساعاً وعمقاً، مما يخلق شعور لدى البعض هو الحنين اليه وفي الوقت نفسه يولد رغبة عند البعض الآخر للقطيعة عنه (٢٤) .

وبناء على ذلك يقرر الجابري انه من المستحيل ان ترى الامة العربية الاسلامية نهضة معاصرة مالم تنطلق اساساً من تراثها او تنتظم داخل تراث غيرها .

وعليه لا بد من قراءة تراثنا بأدوات ووسائل جديدة وب عقلية معاصرة نستقرء من خلالها تفصيلات تراثنا كمرجع لنا وتاريخ لمحاربة التخلف ومواجهة الاستعمار الاوروبي وبالتالي تشيد ثقافة عربية اصيلة مستقبلية تكون لنا ارضية صلبة للانطلاق نحو المستقبل، فبممارسة العقلانية النقدية في تراثنا وبمعطيات منهجية لعصرنا نستطيع ان نكون ثقافتنا بروح نقدية ورؤى عقلانية وهما شرطان ضروريان لكل نهضة، إذاً لا بد من مقاطعة الفهم التراثي للتراث وتحقيق الموضوعية والاستمرارية في القراءة لهذا التراث والاعتماد على رؤية منهجية قائمة على وحدة الفكر ووحدة الاشكالية والانطلاق من تاريخية الفكر برصد الحقل المعرفي والمضمون الايديولوجي عندما نتعامل مع قضية التراث والمعاصرة في الفكر العربي الاسلامي .

*الهوامش:

- (١) الجابري، محمد عابد، اشكالية الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ص ١٥.
- (٢) المصدر نفسه، ص ١٨.
- (٣) الجابري، محمد عابد، اشكالية الفكر العربي، ص ١٩.
- (٤) الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩١، ص ٨.
- (٥) الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩، ص ٥.
- (٦) مبارك، محمد، الجابري واضطرابه بين طروحات لالاند وجان بياجيه، مفهوم العقلانية بحث منشور في مجلة الرواد، بغداد، ٢٠٠٠، ص ٣٣.
- (٧) الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، بيروت، ١٩٨٩، ص ٥٦٤.
- (٨) ابي ذر، نابلة، التراث والمنهج بين اركون والجابري، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٥٥.
- (٩) آل جعفر، وثاب خالد، نقد العقل بين محمد عابد الجابري ومحمد اركون، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، ٢٠١٣، ص ٧٥.
- (١٠) الآلوسي، حسام الدين، الفلسفة والانسان، بغداد، ١٩٩٠، ص ٩١.
- (١١) الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، ص ٦٤.
- (١٢) الجابري، محمد عابد، العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٢٩٩١.
- (١٣) الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، ص ١٠٤.
- (١٤) الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢٦.
- (١٥) الجابري، الخطاب العربي المعاصر، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢٣.
- (١٦) الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، ص ١٥.
- (١٧) الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، ص ١٠.
- (١٨) الجابري، المشروع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩، ص ١٢٤.
- (١٩) الجابري، نحن والتراث، ص ١٢.
- (٢٠) المصدر نفسه ن ص ١٣.
- (٢١) الجابري، التراث والحداثة، ص ٢٦٢.
- (٢٢) الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، ص ١٦.
- (٢٣) آل جعفر، وثاب خالد، مصدر سابق، ص ٦٣.
- (٢٤) الادريسي، حسين، محمد عابد الجابري ومشروع نقد العقل العربي، بيروت، ٢٠١٠، ص ٢٦٨.

*مصادر البحث:

- ١- الآلوسي، حسام الدين، الفلسفة والانسان، بغداد، ١٩٩٠.
- ٢- آل جعفر، وثاب خالد، نقد العقل بين محمد عابد الجابري ومحمد اركون، بغداد، ٢٠١٣.
- ٣- ابي ذر، نابلة، التراث والمنهج بين اركون والجابري، بيروت، ٢٠٠٨.
- ٤- مبارك، محمد، الجابري واضطرابه بين طروحات لالاند وجان بياجيه، مفهوم العقلانية، مجلة الرواد، ٢٠٠٠.
- ٥- الجابري، محمد عابد، حفريات في الذاكرة من بعيد، بيروت، ١٩٩٧.
- ٦- الفقيه، شبر، الفكر الفلسفي المعاصر، اشكالية التأويل، بيروت، ٢٠٠٩.
- ٧- الجابري، محمد عابد، اشكالية الفكر العربي المعاصر، بيروت، ١٩٩٠.
- ٨- الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، بيروت، ١٩٩١.
- ٩- الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، بيروت، ١٩٨٩.
- ١٠- ولدايه، السيد، اعلام الفكر العربي، مدخل الى خارطة الفكر العربي الزاهنة، بيروت، ٢٠١٠.
- ١١- الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، بيروت، ١٩٨٩.
- ١٢- الجابري، محمد عابد، العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، بيروت، ٢٠٠٠.
- ١٣- الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت، ٢٠٠٦.
- ١٤- الجابري، الخطاب العربي المعاصر، بيروت، ١٩٩٩.
- ١٥- الجابري، محمد عابد، المشروع النهضوي العربي، بيروت، ٢٠٠٩.
- ١٦- الادريسي، حسين، محمد عابد الجابري ومشروع نقد العقل العربي، بيروت، ٢٠١٠.



The conception of Dr. Mohammad Abid Al-Jabiry

between heritage and contemporary

By: Dr. Majeed Mukhlif Tarrad



Abstract

Dr. Mohammad Abid Al-Jabiry is a thinker, Arabic philosopher, from Morocco , he is related with civil , intellectual projects in the Arabic contemporary area ,it is concentrated on the problematic between heritage and contemporary that could not imposing itself not only through Al-Jabiry thought but, on the Arabic thought in general . he wrote many books and the most important one is heritage , modernism , we and heritage and making the Arabic brain and others. He discovered the speech on heritage carried it Implied or explicit . Al-Jabiry had considered the criticism of Arabic brain as a fundamental part of developing project who talked about brain as an instrument of thinking and must be reviewed to conceptions , inceptions , he treated heritage as courageous power in Arabic memories this means that Islam is still playing the generator role to Arabic history in various seconds tried to discover roots of heritage through searching the fundamental contents and on the brain mechanism by depending on the critic program indicating to ways of treating with it and to clarify Strengths and creativity in it.



جعفر عباس حميدي (مؤرخاً)

م.م. مازن قاسم مهلهل * 

● تمهيد:

شهدت حركة درس التاريخ في العراق، في النصف الاخير من القرن العشرين، تقدماً ملموساً واهتماماً عاماً من المثقفين، تعود اسبابه، بالدرجة الاساسية الى انشاء كليات جامعة بغداد، والجامعات الأخرى، بما تضمنه من اقسام متخصصة في دراسة التاريخ، وتخرج اولئك الذين بُعثوا الى الجامعات الاوروبية والامريكية ليعودوا الى وطنهم، فيقودوا من خلال الاقسام العلمية المتفتحة لطلبتهم باتجاه دراسة هذا العلم واستكشافه آفاقه، على وفق المنهج الذي تعلموه، ومن ناحية اخرى، فان نمو الشعور الوطني والقومي، الذي كان يدعو الى استلهام الماضي في تصحيح مسار الحاضر، او في الأقل فهم الماضي بما يقدم الاجابات على اسئلة كان يطرحها الحاضر، بإخفاقاته المتكررة، وآماله المحتملة، كان مسؤولاً هو أيضاً عن تنشيط الازدهار نحو البحث في الماضي، أياً كان اتجاه ذلك البحث والغاية التي سينتهي اليها. وفي الواقع، فان ما شهدته العراق والوطن العربي، بل العالم، في تلك الحقبة من تغييرات سياسية، شملت أنظمة الحكم، وظهور تيارات فكرية جديدة، وسياسات عمدت الى ايجاد مواضع وطنية بعيدة عن التكتلات الدولية، مما ادى الى ان تأخذ الدراسات التاريخية منحىً ينسجم مع ظروف تلك المرحلة.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



وكان لكتابات عباس العزاوي^(١)، ومحمد مهدي البصير^(٢)، ومحمد طاهر العمري^(٣)، وعبد الرزاق الحسني^(٤)، ومجيد خدوري^(٥)، وزكي صالح^(٦)، أثر واضح في القاء الضوء على تاريخ العراق المعاصر ابان عقد الثلاثينات والاربعينات، وشجعت نفراً من الباحثين الشباب للتخصص بتاريخ العراق المعاصر، ولعل كان في طليعتهم، الاستاذ الدكتور جعفر عباس حميدي.

الذي التحق عام ١٩٧١، بجامعة بغداد / كلية الآداب، ليناقدش رسالة الماجستير (التطورات السياسية في العراق: ١٩٤١-١٩٥٣) ثم لحقها بعد سنوات، بأطروحة للدكتوراه عن (التطورات والاتجاهات الداخلية في العراق: ١٩٥٣-١٩٥٨)^(٧). وفي خلال عقد السبعينات، كان زملاء له قد تخرجوا من جامعات عراقية او عربية او غيرها متخصصون بجوانب من تاريخ العراق في الحقبة نفسها. وهكذا ظهر جيل جديد من المؤرخين العراقيين الذين سيكون لهم شأن في قيادة الدراسات التاريخية في العراق، بل امتد دورهم في التأثير في هذه الدراسات في دول عربية شتى، بحكم تدريسهم طلبة عديدين من تلك الدول، واشرافهم على رسائلهم واطاريحهم الجامعية، ولا شك في ان من يقرأ مؤلفات المؤرخ (جعفر عباس حميدي) سيري امامه زاداً وافراً من شأنه ان يولد رغبة ملحة لإنعام النظر فيما هو معروض امامه، والموضوعات المتنوعة التي تناولها في كتبه وبحثه، هي بلا شك تدخل في نطاق الفكر من اوسع ابوابه، ورسم صورة الماضي القريب ببنية الفكرية، متداخلة مع لحظة الحاضر، تحفز، او تستشرف في الاقل، لحظة المستقبل الآتية، ليرسم بذلك لوحة تاريخية تتحدث عن حقبة شاء القدر ان ينيط بمؤرخنا مسؤولية التدوين لها.

مثلت الحقبة التي شهدت البناء الفكري للدكتور جعفر، مرحلة صراع سياسي وفكري بين عدد من التيارات السياسية في البلاد، وهي في الوقت نفسه، مثلت باكورة النهضة الثقافية في العراق.

ينسب د. جعفر التطور في الكتابة التاريخية في العراق إلى ما أسماه (الرغيل الأول)، واعتقد المترجم له إن زكي صالح^(٨) الرائد الأول في كتابة التاريخ الحديث والمعاصر وإن أطروحته الموسوعة (مقدمة في دراسة العراق المعاصر)^(٩).

على الرغم من إن عنوانها يشير إلى تاريخ العراق المعاصر، غير إن الحقيقة إن الدراسة تبحث في منشأ النفوذ البريطاني في الخليج العربي.

تأثر مؤرخنا كثيراً بأستاذه زكي صالح، ويبدو ذلك واضحاً من خلال التأكيد على الأسلوب التاريخي في البحث Historical Method قواعد محكمة، وتعاليم مفصلة، نمت بمرور الزمن على أيدي جمهرة من المؤرخين المحدثين، حتى إنها أصبحت علماً قائماً بذاته، مدوناً في تصانيف قيمة، وإلى جانب ذلك توجد علوم أخرى ذات علاقة وثيقة بأعداد المؤرخين، نذكر منها ما يعرف بتاريخ التاريخ History of History الذي نلاحظ فيه نمو الكتابات التاريخية وتطورها عند مختلف الدول وفي شتى المواضيع^(١٠).

اعتقد المترجم له «إن التاريخ جزء أساس من عقل المرء الراقي المذهب، ودرجة تهذيب المرء لا يظهرها شيء أكثر مما يظهرها التاريخ، لأن قراءة التاريخ تلقن الناس دروساً في الحكمة، التاريخ شيء لا يسهل تعريفه، ولكن يبدو له إن سجل الحياة المجتمعات الإنسانية، وللتغيرات التي اجتازتها تلك المجتمعات، وللأفكار التي تحكم في توجيه تلك المجتمعات، وللظروف المادية التي ساعدت أو أعاققت تطورها. وعليه، فالتاريخ علم اجتماعي، تكمن فيه المرونة والتنوع والاستنارة، يتناول الجنس البشري بكل ما أنطوى عليه من التعقيد والتنوع، والتاريخ دائم الحيوية وفي وسعه أن يهز المشاعر، وعليه فالتاريخ هو تاريخ المجتمع بصفة شاملة، ووصف المجتمع كامل من شتى الوجوه - كميته الجغرافية وأساسه الاقتصادي

ونظام الأرض والصناعة والأحداث السياسية والحياة الاجتماعية والدينية والثقافية، إنه يصور حياة المجتمع كله؛ بحركاته ومنازعاته وأخطائه ومآثره وعشائره. ولا بد لي من القول إن السياسة تتبؤاً مركزاً ممتازاً، وعليه ينبغي أن يكون التاريخ هو العمود الفقري للتاريخ^(١١).

ويذهب د. جعفر في تفسير التاريخ مذهب شيخه زكي صالح في إعانة المطلق بالتوازن بين العوامل الجغرافية والاقتصادية والدينية والعوامل الأخرى في مجرى التاريخ. ويقول: «إن للتوابع من الناس أثرهم البليغ في شؤون الناس، وللمصالح الاقتصادية أيضاً فعلها البليغ، وهناك غير هؤلاء من الذين يشيرون إلى انهماك المرء في أمر معيشة، ممن لهم آراء في الموضوع لا تخلو من الصواب، مثل الاعتداد بالعوامل النفسية، باعتبار إن العواطف والغرائز وما إليها من القوى الكامنة في الإنسان هي ذات أثر فعال في حياة الأفراد والجماعات». ويختم علامة بالقول: «إذا ما كان الاتزان ضرورياً في تقدير العوامل المؤثرة في حياة البشر، فإن لبعض العوامل أرجحية على البعض الآخر في عصر من العصور أو في قطر من الأقطار»^(١٢).

إن مصادر الرعييل الأول محدودة، ووصول الكتب من خارج العراق بطيء لصعوبة المواصلات وتخلفها فضلاً عن تحريم بعض الكتب في بعض الأوقات من جانب السلطات الحكومية، ولكن مؤرخي الجيل الأول امتاز بقلة إنتاجاته.

أما الرعييل الثاني من مؤرخي العراق، فيقف في طليعتهم، الأستاذ الدكتور عبد الأمير محمد أمين- على وفق رؤية د. جعفر عباس حميدي.

نستنتج من السيرة العلمية لمؤرخي الجيلين الأول والثاني، أنهم جميعاً قد حصلوا على شهاداتهم العليا في التاريخ (المجستير والدكتوراه) من جامعات

غربية، لعدم وجود مثل هذه الدراسات في العراق وقتذاك. إذ كانت خطة التعليم العالي في العراق قبل تأسيس جامعة في العراق تقوم على إرسال البعثات العلمية إلى الدول الغربية، فهذه الخطة كما تؤكد تلك السياسة (أفيد بكثير)^(١٣)، واستمر العمل بإرسال البعثات العلمية قبل تأسيس جامعة بغداد. وقد ساعد هذا النوع من الدراسة في التعرف على فلسفات ومناهج البحث الغربية في دراسة التاريخ، وكان لهذا الواقع تأثيره الواضح في كتابات هؤلاء المؤرخين من حيث المنهج، ومجالات التأليف، والرؤى العامة^(١٤).

امتاز الجيلان الأول والثاني على وفق اعتقاد المترجم له، بالترتم ولم يقبل فتح دراسات عليا في جامعة بغداد، لعدم توفر شروطها حسب رأيهم، وأهمها إجاد لغتين أجنبيتين، وكانوا يعتقدون إن الإيفاد خارج العراق أجدي وأنفع^(١٥).

آمن أبناء هذا الجيل «إن لا قيمة للعمل الأكاديمي- تدريس، بحث علمي، خدمة المجتمع- من دون الاتقان والتعميم والاهتمام، وأن العمل الأكاديمي نشاط إنساني وأن الجسر بين الخبرة وعدم الجدة هو الجودة في الأداء»^(١٦).

وقد أشار مؤرخنا بأن أ. د. كمال مظهر أحمد و أ. د. هاشم صالح التكريتي يقفون في مقدمة الرعييل الثالث للمؤرخين العراقيين في التاريخ الحديث.

إمتاز د. كمال مظهر أحمد باهتمامه المميز بما كتبه المستشرقين، واهتم بكتاباتهم ومناهجهم، فهو يرى إن موضوع الاستشراق من الموضوعات المعممة، ويعد الاستشراق في نظر كمال، من أروع العلوم، مستشهداً بما يقدمه من خدمات جليلة، مشيراً إلى المقولة الرومانية. (التاريخ هو تعليم الحكمة بالأمثال). وعلى الرغم من إن الدكتور كمال يحذر من الانتباه إلى ما يمكن خلف سطور كتب المستشرقين من نيات ومآرب، فهو يؤكد على أهميتها، بوصف من كتبها يعدون من المفكرين،



ولابد من الاسترشاد بطروحاتهم ومناقشاتهما، بل والاستفادة من مناهجهم في التعامل مع الطروحات والأحداث التاريخية، لاسيما وان جل تلك الكتابات، تحليلية مستندة إلى إدراك لحركة التاريخ. وإلى ذلك نجده مهتماً بتوثيق جوانب مهمة من التاريخ الكردي الحديث. ومع ذلك وعلى الرغم من الزام نفسه بمنهجية صارمة في تقديم مادته التاريخية تلك، فإنه لم يجيد عما وجد أقرانه من المؤرخين، مما اعتادوا عليه من آليات في طرح الموضوعات، حين راح يهياً لموضوعة الكتاب الذي يروم إصداره، بمدخل معرفي يمهّد من خلاله ذهنية القاري للدخول بإنسيابية إلى محور الموضوع، بل وجدناه يعمد إلى إثراء الكتاب بهوامش تعريفية لما يصادفه من الأعلام والأماكن، مما يشكل التعريف فائدة تتعلق بمجال موضوعة البحث.

ومن ذلك، نقول إن للدكتور (كمال مظهر) أسلوب كتابه، لا يشعر القارئ معها بالملل، لبساطته ولتماسك رواياته التي لا يكتنفها الغموض. ولعل ما يجعله سلساً في مادته، هو ما يتمتع به من دراية ومن خبرة في التعاطي مع الرواية التاريخية بحيث لا يتيح المجال أمام المتطلع لقراءها، أن يغفل بعضها، بل ويجعل منه منتظراً لما يليها من طرح، يعد بمثابة إجابة عليها وبياناً لمعانيها. ولعل ما أضفى من جمالية على لغة كمال وأسلوبه، إنه لم يفرق كتاباته بمصطلحات يجعل القارئ متحيراً حيالها، كما يفعل بعض الباحثين ظناً منهم إن هذه الوسيلة ستضفي على كتاباتهم نوع من الأهمية، في الوقت الذي ستؤدي فيه هذه المصطلحات إلى أثقال أو تعثر في فهم النص، لاسيما إذا كان بالإمكان الاستغناء عنها، أو التقليل من استخدامها، إلا إذا دعت الحاجة إليها^(١٧).

في حين عرف الأستاذ الدكتور هاشم صالح التكريتي الذي يضعه مؤرخنا في الرعيّل الثالث

من المؤرخين، بعلميته ودقته ورصانة البحوث والدراسات التي أنجزها ونشرها، آمن بفكرة التقدم، ولأنه معروف بخلفيته اليسارية حارب التخلف والاستبداد ونادى بالحرية، وكره التعصب، وهاجم التعصب ودعا إلى «المزيد من دراسة الاستعمار والتعمق فيه لإظهار حقيقته البشعة التي يحاول المدافعون عنه تمويهها على المستعمرين»^(١٨).

امتازت رؤية الأستاذ الدكتور التكريتي بالوضوح نحو التاريخ، واعتمدت تلك الرؤية على إن وظيفة المؤرخ تقتصر على إعادة تشكيل الحديث كما وقع ومن هنا فهو يحرص على الموضوعية قدر الإمكان لكن هذا لا يمنع من أن يكون المؤرخ أداة فاعلة في دفع حركة مجتمعه إلى الأمام وذلك من خلال تأشير الحالات السلبية المظلمة بهدف تجاوزها^(١٩).

أما الجيل الرابع فيقف في مقدمتهم أ.د. جعفر عباس حميدي وأ.د. صالح العابد وأ.د. طارق نافع الحمداني وأ.د. يقظان سعدون العامر و أ.د. د. سيار الجميل وأ.د. صادق السوداني وأ.د. د. عماد أحمد الجواهري وأ.د. د. فلاح الأسدي وأ.د. د. نوري العاني وأ.د. د. محمد مظفر الأدهمي وأ.د. د. سامي القيسي وأ.د. د. حميد أحمد حمدان التميمي وأ.د.د. علاء نورس^(٢٠).

امتاز مؤرخو تلك الحقبة بالتأصيل التاريخي، والملاحظ على الجيل الرابع فإن أغلبهم أفاد كثيراً من ملازمة الجيلين الأول والثاني، وتمكن أن يكون لنفسه ثقافة ومنهجية تاريخية واضحة، وقدر لهذا الجيل خلق جيل جديد على يده، من خريجي الجامعات العراقية، إذ لم تتح الفرصة للجيل الجديد- الجيل الخامس^(٢١)- للدراسة في الجامعات الأجنبية بسبب ظروف الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨، وظروف الحصار الاقتصادي الذي مر به العراق في تسعينات القرن العشرين لغاية ٢٠٠٣.

● المنهج الأكاديمي لدى د. جعفر عباس حميدي:

اختلف المؤرخون العراقيون في حقيقة تبلور مدرسة تاريخية عراقية، والحق إن هناك عوامل اجتماعية وسياسية أسهمت إلى حد كبير في تخلف المدرسة التاريخية العراقية بالقياس إلى المدارس التاريخية العالمية، لذا لجأ المؤرخ العراقي إلى حماية نفسه أولاً باللجوء للاستعانة بالمدارس الأخرى، وحتى لا تظلم المؤرخ العراقي ولبيان حالة خلال المدة التي حكم خلالها صدام حسين على سبيل المثال لا الحصر، أرى من المفيد أن نستشهد بما قاله المؤرخ العراقي المعروف الأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد، وهو يتحدث عن الظروف الاستثنائية، فيما يخص غياب حرية الرأي بأنه: «ليس لك قول ما تشاء وكتابه ما تشاء، بل ليس لك التفكير بما تشاء». وإذا لم يكن بمقدوره المؤرخ حتى أن يفكر بما يشاء فعلينا أن نفكر بالخسارة التي تلحق بالحقائق والحياد العلمي.

وللكتابة التاريخية Historiography بمعناها المنهجي والابستمولوجي، دور مهم في إعادة بناء الوعي الجماعي وإعادة تشكيل الذاكرة التاريخية وتنشيطها التي تسهم عموماً في إعادة بناء المجتمع وفقاً لسياقات وأنساق جديدة ربما تكون مغايرة على نحو ضمني أو كلي عن الأنساق القديمة التي ربما قادت الأمم سابقاً إلى الويلات والحروب ودمرت البنى الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. لإعادة قراءة التاريخ وتجديد مناهجه وأدواته أسهمت بالنسبة لشعوب كثيرة في جعل التاريخ وقبله المؤرخين عاملاً مساعداً في إعادة البناء وتشكيل المجتمع، وبالتالي مفهوم الأمة والدولة. وفقاً لرؤية جديدة يكون دور التاريخ فيها فاعلاً. انشغل الكثير من المؤرخين في البحث عن أسباب النكوص والانحدار، ومحاولات استنباط هذه الأسباب من دراسة التاريخ، وربما تشكل محاولة المؤرخ البارع أرنولد توينبي

Arnold Toynbee في كتابه الموسوعي (دراسة للتاريخ)، بأجزائها المتعددة، مثلاً واضحاً على مدى محاولة المؤرخين لبحث في أسباب العلل بالبحث في جذورها التاريخية^(٢٢).

ومما يدعو للأسف، عدم رعاية الدولة العراقية للنشاطات الفكرية بشكل عام، والتاريخية على وجه الخصوص وإن «الذاكرة الثقافية التي حاولت الدولة تشكيلها في العراق عبر تاريخه الحديث والمعاصر أسهمت في التأثير سلباً على تشكيل هوية وطنية جماعية»^(٢٣).

ليس القول إن الأستاذ الدكتور جعفر عباس حميدي مؤرخ من الطراز الأول ابتعاداً عن الحقيقة، إذ كان من ضمن الذين شاركوا في تأسيس ملامح مدرسة تاريخية.

وفي ضوء دراسة نتائج مؤرخنا، فقد نهج المترجم له المنهج الأكاديمي الحديث الذي يعتمد على التحليل واستنباط المصادر وتحليل الوثائق، على إن أهم مزايا د. جعفر الوضوح في عرض المادة، ولكنها من جانب آخر تحت نحو الجدية، لأن معظمها إن لم نقل كلها دراسات وثنائية اعتمدت على الوثائق العراقية وعلى الصحف والمذكرات الشخصية.

وحين سألنا مؤرخنا الجليل عن رؤيته في وجود مدرسة تاريخية عراقية، تحفظ على وجود مثل تلك المدرسة على أساس إن المؤرخين العراقيين يمثلون انعكاسات لثقافات ومناهج الدول التي درسوا فيها لاسيما الولايات المتحدة، وبريطانيا، والاتحاد السوفيتي، وفرنسا ومصر.

فضلاً عن عدم تبلور رؤية خاصة بالمؤرخين العراقيين وعدم وجود اتجاهات فكرية واضحة^(٢٤).

ويعزو عدم تبلور مدرسة تاريخية عراقية بانعدام حرية الفكر والرأي في العراق منذ تأسيس الدولة العراقية وليومنا الحاضر، زد على ذلك، لم تهتم الدولة العراقية بالبحث العلمي، ولا توجد



مؤسسات علمية كبيرة ترعى النشاط الثقافي والتاريخي في البلاد. وانغلاق بعض الباحثين على أنفسهم أو هجرتهم^(٢٥).

ونوه مؤرخنا بدور العديد من المؤرخين غير المتخصصين بدراسة التاريخ، وفضلهم على الكتابات التاريخية، وخص بالذكر الشيخ محمد رضا الشبيبي والمحامي عباس العزاوي، يوسف رزق الله غنيمه ومحمد بهجة الأثري وعلي الوردي والأب بطرس حداد، ومحمود شكري الألوسي، والضابط المعروف محمود شيت خطاب، وأمين المميز وسليمان فيضي وعلي ظريف الأعظمي وعبد الفتاح إبراهيم، وكاظم الدجيلي وحسان البازركان وعبد الرزاق الحصان والمحامي جواد الظاهر والشيخ وداي العطية وأحمد سوسة ومير بصري ويعقوب سرقيس.

وحين سألنا المترجم له عن تأثير منهج البحث التاريخي في الدراسات التاريخية. شكّا الدكتور جعفر من قلة الاهتمام بمنهج البحث التاريخي، وأشار إلى الاهتمام به تمحور حول كيفية الاستفادة من ضبط هوامش الدراسة التاريخية، وترتيب قائمة مصادرها ومراجعتها، وطريقة الإحالة على هذه المصادر، الأمر الذي جعل من منهج البحث التاريخي منهجاً نظرياً بعيداً عن التطبيق العملي غالباً. ويبدو أن أقسام التاريخ في كليات الآداب والتربية في جامعتنا أهملت منهجية البحث التاريخي، إذ لا يتم تدريسه غالباً للمختصين في التاريخ سواء في مرحلة الدراسة الجامعية الأولية، ولا تخصص له جامعتنا سوى أقل من ٢٪ من الساعات المطلوبة لمرحلة البكالوريوس وأحياناً تدرس مادة منهج البحث التاريخي لفصل واحد فقط في مرحلة الدراسات العليا بوصفها مادة دراسية من بين ما لا يقل عن خمس وعشرين مادة مقررة لتلك المرحلة.

ويؤكد مؤرخنا إن المتخصصين في التاريخ الذين يحصلون على شهاداتهم العليا سواء الماجستير أو

الدكتوراه يكتسبون موضوع تخصصهم ويمارسوه نتيجة لذلك عن طريق المحاكاة والتقليد لا على أساس إنه علم له قواعد وأصول ينبغي أن تحقق وتطبق على الدراسات التي يعالجها هذا الموضوع.

اعتقد المترجم له إن النقد التاريخي لا يثبت الحقيقة التاريخية، بل يساعد في بلوغها، ويؤدي إلى احتمال الصدق فيها. وصحيح إنه ينبذ جانباً الأخبار التي يثبت كذبها أو الخطأ فيها ولكنه لا يضع مكانها بديلاً. وبذلك تكون النتائج الثابتة المؤكدة هي نتائج سلبية، والنتائج الإيجابية كلها تكون موضع الشد، ويوجد الاحتمال في صدقها.

* الهوامش:

(١) لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد جاسم كاظم، عباس العزاوي وتاريخ العشائر العراقية، مجلة الانوار، العدد ٥، ص ٤٣.

(٢) لمزيد من التفاصيل ينظر: مهدي شاكّر حسين وعباس هاني الجراح، محمد مهدي البصير: شاعراً وباحثاً، مجلة جامعة بابل / العلوم الانسانية، العدد ٢، ٢٠٠٧، ص ١٤٦.

(٣) محمد طاهر العمري: ان المؤرخ الحقيقي هو محمد امين العمري، لكنه اصدر كتاباً باسم اخيه محمد طاهر، وقد ذكر ذلك د. فاضل حينها وقال ان السبب يرجع الى ظروفه كعسكري، وقتئذ كانت لا تسمح له بإصدار كتب ذات طابع سياسي. والكتاب هو (تاريخ مقدرات العراق السياسية) والذي صدر في بغداد عام ١٩٢٥. ينظر: د. جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر (الموصل، ١٩٨٩)، ص ٢٣٩.

(٤) ينظر: زكية المزوري، الساعات الاخيرة لشيخ المؤرخين عبد الرزاق الحسني، جريدة المدى، ٢١ حزيران ٢٠١٥.

(٥) ينظر: احمد ناجي نعمة، مجيد خدوري: حياته، اشارته، منهجه، اطروحة دكتوراه، غير (منشورة)، كلية التربية / ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩.

(٦) ينظر: ابراهيم خليل العلاف، المؤرخ زكي صالح، ١٩٠٨-١٩٨٦، مجلة علوم انسانية (الالكترونية)، هولندا.

(٧) ينظر: وإبراهيم خليل العلاف، موسوعة المؤرخين ٢٠١٤، حرص ١٢٥-١٢٨.

العراقيين المعاصرين، ج١، دار بن الأثير للطباعة والنشر (الموصل، ٢٠١١).

(٨) مقابلة مع د. جعفر عباس حميدي، بغداد، صالح (١٩٨٩)، ص٣.

العابد، زكي صالح، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد ٥٦، ١٩٩٨.

(٩) جعفر عباس حميد. مقابلة شخصية

(١٠) إبراهيم خليل العلاف، المؤرخ الدكتور زكي صالح ١٩٠٨-١٩٨٦ والبواكير الأولى، ينظر الموقع www.UILUM.nl.

(١١) مقابلة مع د. جعفر عباس حميدي، بغداد.

(١٢) مقابلة مع د. جعفر عباس حميدي.

(١٣) طارق نافع الحمداني، الدكتور عبد العزيز الدوري والمؤرخون العراقيون المعاصرون من كتاب حيدر قاسم التميمي (إعداد وتقديم)، عبد العزيز الدوري مفكراً ومؤرخاً (بغداد، ٢٠١١)، ص٦٣.

(١٤) مقابلة د. جعفر عباس حميدي، بغداد.

(١٥) علي عجيل منهل، الدكتور عبد الأمير محمد أمين، والكفاءات المظلومة في العراق الحديث، الحوار المتحدث، تاريخ الزيارة ٢٨ تموز ٢٠١٥.

(١٦) احمد ناجي، الدكتور كمال مظهر أحمد: دراسة تاريخية، مجلة كلية التربية، جامعة الكوفة، العدد الرابع،

٢٠١٤، حرص ١٢٥-١٢٨.

(١٧) هاشم صالح التكريتي، الاستعمار أشكاله، وتطورات، وأساليبه، دار الشؤون الثقافية (بغداد،

(١٩٨٩)، ص٣.

(١٨) إبراهيم خليل العلاف، موسوعة المؤرخين العراقيين، ص٤.

(١٩) هذا رأي الباحثين: ينظر: طارق نافع الحمداني، مصدر سابق، ص٧٢-٧٥.

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) أريك دافيس، الخمسينات فترة ذهبية في تاريخ العراق المعاصر، منشورات الحزب الشيوعي العراقي (بغداد، ٢٠٠٨)، ص١.

(٢٢) محمود عبد الواحد محمود، مدرسة الحوليات الفرنسية وتجديد كتابة التاريخ: محاولة للتأصيل في الفهم العراقي، دار ومكتبة عدنان، (دمشق، ٢٠١٣)، ص١٧.

(٢٣) أريك دافيس، مذكرات دولة: السياسة والتاريخ والهوية الجماعية في العراق الحديث، ترجمة حاتم عبد الهادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، ٢٠٠٦)، ص١٣.

(٢٤) مقابلة مع د. جعفر عباس حميدي، بغداد.

(٢٥) المصدر نفسه.



Jafar Abbas Hamidi

(Historian)

By: Mazen Kassem Mahlhal



Abstract

This research deals with one of the Iraqi academics who have had a good and noble effort to lay down the methodologies of the historical lesson that has been learned from the achievements of previous generations of prominent Iraqi academics in this field. Dr. Jaafar Abbas Hamidi, who belongs to a new generation of Iraqi historians, As in the leadership of historical studies in Iraq, but extended their role in influencing these studies in various Arab countries, by virtue of teaching many students from these countries, and supervision of their letters and university degrees, no doubt that those who read the works of the historian will see in front of him abundant supplies that would Generates an urgent desire to look at what is before him, of the various topics and historical ideas that he dealt with in his books and research, is undoubtedly within the scope of thought from the widest door.

In his studies, Dr. Hamidi has adopted a modern academic approach that relies on analyzing sources and documents and devising a scientific vision. The most important advantages of his work are the most important advantages of his scientific achievements in the presentation of the article, but on the other hand keen on the seriousness of the accuracy and accuracy, because most of the sources, if not transferred all documentary studies relied on Iraqi documents and newspapers and personal memoirs.



المجلة العراقية للدراسات التاريخية

العلامات المائية في المخطوطات الإسلامية

د. محمد عزيز الوحيد *



● مقدمة:

لم تحظ العلامات المائية الموجودة على الورق الأوروبي، الذي كانت الدول الإسلامية تستورده لكتابة المخطوطات، إلا بقليل من الاهتمام، على الرغم من أهميتها الكبيرة في معرفة تاريخ نسخ المخطوطات غير المؤرخة، وفي كشف حالات الغش والتزوير في المخطوطات .
لقد تطرقنا في بحثنا إلى تعريف العلامة المائية وتاريخ نشوئها وتطورها وأشكالها وأهميتها في مجال المخطوطات الإسلامية وكيفية تسجيلها وقدمنا نماذج لها، نرجو ان نكون وفقنا لذلك.

● تعريف العلامة المائية:

عرفت العلامة المائية Watermark بتعاريف عدة لا تختلف في المضمون منها:
- انها تصميم يمكن رؤيته في الورق عند النظر اليه في مواجهة الضوء، يتكون في أثناء صنع الفرخ الرطب على السلك بواسطة نمط محفور أو بارز^(١).
- العلامة المائية هي صورة أو نص أو حرف يتم تضمينها في ألياف الورق خلال عملية التصنيع والتحضير والإزاحة في ألياف الورق مما يؤدي إلى سماكة متفاوتة في الورق.
- هي عبارة عن تصاميم أو أنماط توضع على الورق أثناء إنتاجها، تصنع رقيقة (خط أو سلك العلامات المائية) أو سميكة (ظل العلامات المائية) على عجينة لب الورق وهي ما تزال مبتلة.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



- هي تصاميم أو أنماط أو أشكال تُخفى في الورق في أماكن معينة كعلامة تجارية تبين اسم الصانع أو المصنع أو البلد المنتج لهذا الورق، وقد تساعد في التثبت من نسبة المخطوط لصاحبه وتحديد الفترة التي كُتب فيها ولو بشكل تقريبي.

- وهي العلامة التي وضعت في صنع الكاغد الأوروبي لتمييزه عن الكاغد العربي الذي يخلو من هذه العلامة ^(٢).

- تصميم شبيه شفاف، يظهر في أفراخ الورق عند تعريضها لمصدر قوي ومباشر للضوء، ارتبطت فكرتها بالتطورات التي شذتها طريقة صناعة الورق بعد انتقال أسرار تلك الصناعة من الشرق العربي إلى الغرب الأوروبي، واعتمدت بالأساس على تشكيل الأسلاك النحاسية المكونة لسطح قالب صناعة الورق الأوروبي، بحيث تكون شكلا معيناً يترك انطباعه بفرخ الورق وهو ما يزال رطباً خلال عملية التصنيع، وقد اتسعت تصميماتها، وغطت أشكالاً متنوعة ومتعددة، منها على سبيل المثال: الخطوط الرأسية والأفقية، والصور الأدمية، والنباتات والزهور، والحيوانات والطيور والأسماك، والفواكه، والأدوات المنزلية، والأدوات الزراعية، والسفن، وبعض الملابس التي يستخدمها الإنسان، والتيجان، والأهلة، والصلبان، والنجوم، والكواكب.... وغيرها كثير ^(٣).

● صناعة الورق :

عرف المسلمون الورق كمادة جيدة للكتابة حيث كان الورق الصيني يستورده التجار العرب الذين

كانوا على اتصال تجاري قديم ببلاد الشرق الأقصى ^(٤). وازداد استخدام الورق بعد انتصار المسلمين على حاكم كوشا الصيني في ذي الحجة سنة (١٣٣هـ) على ضفاف نهر طراز (طلس) في آسيا الوسطى (جنوب كازخستان الحالية) فقد كلف الصينيون الماهرون في صناعة الورق الذين وقعوا الأسر، بإقامة مصانع للورق في سمرقند ^(٥). وتزايدت الحاجة للورق فأنشأ أول مصنع للورق ببغداد سنة ١٧٨هـ. وانتشرت صناعة الورق بعد ذلك في كل أنحاء العالم الإسلامي فأنشأ مصنع للورق في دمشق ومصر والمغرب، ويذكر انه كان في فاس (١٠٤) معمل الكاغد أيام يوسف بن تاشفين (ت ٥٠٠هـ)، وفي أيام يعقوب بن المنصور (ت ٦٨٥هـ) كان في فاس وحدها (٤٠٠) معمل لإنتاج الورق ^(٦)

● طريقة صناعة الورق المشرقي اليدوي:

وصف الصنهاجي طريقة صناعة الورق قائلاً: «تأخذ القنب الجيد الأبيض، فتتنقيه من قصبه وتبله وتسرحه بمشط حتى يلين، ثم تأخذ الجير فتتنقع فيه ليلة إلى الصباح، ثم يفرك باليد، ويبسط في الشمس حتى يجف نهاره كله، ثم يعاد في ماء الجير، غير الماء الأول الليلة المقبلة إلى الصباح، ثم تفركه كفر كالأول، ليلة ويبسط في الشمس. إفعل به ذلك ثلاثة أيام أو خمسة أو سبعة. وإن بدلت ماء الجير كل يوم مرتين كان أجود فإذا تناهى بياضه قطعتاه بالمقراض

صغارا صغارا، ثم انقعه سبعة أيام في ماء عذب أيضا، وتبدل له الماء كل يوم فإذا ذهب منه الجير دققته في الهاون دقا ناعما، وهو ندي، فإذا لان ولم يبق فيه شيء من العقد أخذت له ماء آخر في إناء نظيف، فحللته حتى يصير مثل الحريرة، ثم تعمد إلى قوالب على قدر ما تريد وتكون معمولة من السل السامان والمسمار، وتكون مفتوحة الحيطان، ثم تعمد إليها فتصب تحتها قصيرة فارغة، وتضرب ذلك القنب بيدك ضربا شديدا حتى يختلط، ثم تقذفه بيدك وتطرحه في القالب، وتعدله لئلا يكون ثخينا في موضع، رقيقا في موضع، فإذا استوى وصفى مأؤه قمته منصوبا بقلبه، فإذا أتيت على ما تريد منه نقضته على لوح، ثم أخذته بيدك و ألصقته على مشرح ثم عدله بيدك و اتركه حتى يجف ويبيدي ويسقط، ثم خذ له الدقيق الناعم النقي الحواري والنشاء نصفين، فيهرس له الدقيق والنشاء في الماء البارد، حتى لا يبقى فيه ثخن، ثم يغلى بماء، حتى يفور، فإذا فار، صفيته على ذلك الدقيق، وحركته حتى يسكن ويرق، ثم تعمد إلى ذلك الورق فتطليها بيدك، ثم تلقيها على قسبة فإذا طليت جميع الورق، وجفت الورقة، طليتها من الوجه الآخر، ورددته على لوح ورششت عليها الماء رشا رقيقا، ثم تجمعها وترزمه وتصلقه كما تصل الثوب وتكتب فيه»^(٧).

● الخطوط المائية في الورق الشرقي:

كانت الخطوط المائية نتاجا طبيعيا للأسلوب والطريقة المتبعة خلال عملية صناعة الورق اليدوي الشرقي الخالي من العلامات المائية التي كانت تتم باستخدام قوالب يدوية متحركة، وتتكون في الأساس من اطار خشبي مستطيل تتخلله أعواد رفيعة من شقائق الخيزران، والتي تربط معا باستخدام خيوط الحرير أو شعر الحصان أو الجمل، وهذا الغطاء المكون لسطح قالب الورق كان يثبت على الضلوع الجانبية لاطار القالب، وبعد هذا يكون جاهزا لاستقبال العجينة المستخدمة لصناعة الورق، وبعد ان تصب عجينة الورق الرطبة في القالب وتتم تسويتها وتوزيعها بطريقة متساوية في أنحاء القالب من خلال هذه باليد، تبدأ الألياف المكونة منها العجينة في الاستواء على سطح القالب، وتتخلل الشقوق الرفيعة الواقعة بين أعواد الخيزران، الأمر الذي ينتج منه نوع من الخطوط المائية الممددة تسمى Laid Lines ويؤدي انطباع العجينة الرطبة فوق الرباطات المكونة من خيوط الحرير أو شعر الخيل إلى ظهور نوع من الخطوط المائية المسلسلة تسمى Chain lines^(٨). وكانت بعض الكواغد الشامية التي تصنع في طرابلس وحماة وربما في غيرهما، تظهر فيها الخطوط المائية البدائية الثنائية أو الثلاثية المتقاربة المسافات، ولا تظهر هذه الخطوط في الورق البغدادي أو المغربي أو اليمني أو الفاسي، وقد بدأت هذه الخطوط

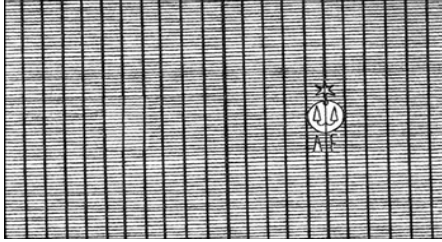


بالظهور فيها في حدود سنة ٧٢٠هـ^(٩). وذكر قاسم السامرائي انه خلال فهرسته لكثير من المخطوطات عثر على كاغد مشرقى شامي تظهر فيه الخطوط البدائية المتوازية الضيقة. وأضاف: وهذا دليل على ان هذا النوع من الكاغد المشرقى الحاوي على الخطوط المتوازية بدأ بالظهور في بداية القرن الثامن للهجرة، ومنها تعلمها الأوروبيون، والمخطوطة مؤرخة بدمشق سنة ٧٣٤هـ^(١٠).

● الورق الأوروبي:

لقد ادخل المسلمون صناعة الورق إلى الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي، وأنشئ في عام ١٢٧٦م أول طاحون لصناعة الورق. كانت هذه الطواحين تسير بقوة اندفاع التيار المائي، وذلك بجعل العجلة المندفعة بقوة التيار المائي تحرك بضعة مطارق ثقيلة تفتت المواد الأولية كالأقمشة البالية والخرق القطنية والحبال وغيرها، حتى تحولها إلى محلول رائق هو عجينة الورق، وكانت هذه العجينة توضع بعد ذلك في وعاء، ثم تغمس في شبكة على هيئة اطار خشبي مشدود به أسلاك من النحاس الأصفر، ثم ترفع الشبكة بعد أن تتعلق بها بعض العجينة الورقية، ثم تجفف هذه الطبقة وتتحوّل بذلك إلى ورق الكتابة، ثم يجفف الماء، وذلك بضغط هذه الأوراق بين طبقات الجوخ، ثم تطلى بطبقة من الصمغ الخفيف لكي يكتسب الورق صلابة كافية عند الكتابة عليه. وكانت أسلاك النحاس الأصفر المشدود إلى الاطار تطبع على الورق خطوطا يمكن

رؤيتها بوضوح اذا ما وضعت قبالة الضوء. وما لبثت ان طرأت فكرة إضاءة بعض الأسلاك بحيث تكون شكلا هو العلامة المائية التي حوت أحيانا الحروف الأولى أو اسم الصانع^(١١).



قالب ورق غربي ذو علامة مائية على شكل
(مرساة السفينة)

● العلامات المائية وتطورها :

بدأ ظهور العلامات المائية اعتبارا من القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري وان اقدم إنموذج يرجع تاريخه إلى عام ٦٨١هـ / ١٢٨٢م ، غير ان هذه العلامات قد ظلت حتى القرن التالي غير مهذبة، ثم بدأ رسمها يتحسن بعد ذلك^(١٢)، كعلامة تجارية أو علامة شخصية للمصنع التي تنتجها. ثم تطورت بمرور الوقت واتساع صناعة الورق انتشر بالتالي استخدام العلامة المائية هذه وتنوعت أشكالها تنوعا كبيرا^(١٣).

● العلامة الفرعية :

لقد ظهرت العلامات الفرعية للمرة الأولى في فرنسا في منتصف القرن العاشر الهجري / السادس

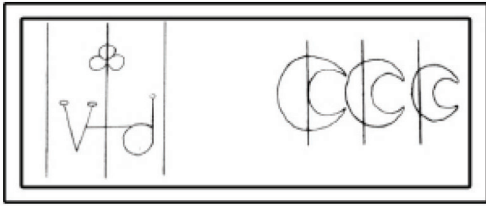
عشر الميلادي وهي علامة صغيرة الحجم مرسومة في إحدى زوايا منتصف الورقة، حيث لا يوجد الفيلغران (العلامة المائية) الأساس، فيها حروف أولية تمكن من التمييز بين مختلف الصانع المستعملين لنوع الفيلغران نفسه^(١٤)، وتتشكل على هيئة حروف منفصلة تكتب بشكل مزدوج وتتخذ شكلا زخرفيا أحيانا، وتشير تلك الأحرف إلى اسم صاحب المصنع أو اسم المصنع نفسه، وقد يصاحب تلك الحروف رمز أو شعار معين، لإضفاء مزيد من الخصوصية على تلك الأحرف^(١٥).

● مواضع العلامات المائية :

قد تتفاوت المواضع التي كانت تظهر فيها العلامات المائية على سطح افرخ الورق، ففي البدايات الباكرا لصناعة الورق، وظهور فكرة العلامات المائية في أوروبا كانت تلك العلامات توضع في أي مكان على سطح القالب المستخدم في صناعة الورق، وابتداء من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي بدأت توضع في مركز احد نصفي القالب، لهذا عندما يتم طي فرخ الورق إلى النصف مرة واحدة كما في حجم الفوليو folio فإن العلامة تظهر في مركز إحدى الورقتين. وعلى الرغم من انه خلال القرنين العاشر والحادي عشر / السادس عشر والسابع عشر للميلادي كان المكان الطبيعي للعلامات المائية هو منتصف أحد نصفي الفرخ، الا أنها تظهر أحيانا قريبة من المنتصف، ومن ثم لا نستطيع أن نجزم بأنها كانت تظهر في المنتصف تماما في كل الأحوال^(١٦).

● موضع العلامة الفرعية :

ظهرت العلامات المائية الفرعية في البدايات الأولى لها إلى جانب العلامة المائية الرئيسية أو بوصفها جزءاً منها، أي إنها تتخذ موضع العلامة الرئيسية أو تشغل حيزاً قريباً منها. وبمرور الوقت بدأت تلك العلامات تظهر بوصفها علامة إضافية مستقلة تماما عن العلامة المائية، حيث اتخذت موقعا لها في منتصف النصف الآخر من فرخ الورق، بحيث تكون مقابلة للعلامة المائية الرئيسية، وقد تظهر العلامات الفرعية في مواضع أخرى من النصف الآخر للفرخ أيضا مثل إحدى زواياه أو أطرافه. وثمة علاقة مباشرة بين حجم المخطوط الذي يترتب بناء عليه قطع الورق المناسب له، وبين الموضع الذي تظهر به العلامة المائية، حيث ان المخطوطات ذات القطع الصغير، تظهر في أوراقها العلامة المائية بشكل غير مكتمل^(١٧).



العلامة المائية والعلامة الفرعية المصاحبة

● انتقال الورق الأوروبي إلى الدول الإسلامية :

أدت التقنية التي استخدمت في فابريانو بإيطاليا ابتداء من سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م إلى ثورة متنامية في صناعة الورق، وأصبحت إيطاليا مصدرة للورق وأنشئت مصانع للورق مستمدة من





الإنموذج الإيطالي في مختلف بلاد أوروبا وانتشر إنتاجها بسرعة لأن هذا الورق كان منخفض السعر. وأصبح ما يميز هذا الورق هو وجود علامة معدنية تسمح بتحديد مكان الصنع. واستخدمت الأوراق الأوروبية ذات العلامات المائية في المغرب في مخطوطات منذ منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي. كما يدل عليه مخطوط الخزانة العامة الرباط رقم D ٥٢٩ المؤرخ سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م^(١٨). وتعاقب الورق الأوروبي والورق غير ذي العلامة المائية المتساوي تقريبا في الدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. لقد كتبت اغلب المخطوطات في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة / السابع عشر والثامن عشر للميلاد في تركيا ومصر والشام والمغرب على أوراق ذات علامات مائية، وكان الورق البندقي ذو علامة (مرساة السفينة) هو الأكثر تداولاً في نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وحتى نحو سنة ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م، وفي النصف الثاني للقرن الثاني عشر الهجري / الثامن الميلادي نافسته أنواع أخرى من الورق الفرنسي أو الإمبراطوري ذي الأهلة الثلاثة ولا نجد أوراقاً أوروبية كثيرة في فارس والهند قبل نهاية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن الميلادي وحتى قبل سنة ١٢٣٢ هـ / ١٨١٥ م، وقد أحضر إلى بلاد فارس ورق روسي وإنجليزي أو نمساوي - مجري، مع ميل قوي إلى الورق الملون بالزرقة. وساد الورق ذو الجودة العالية المنتج في الدكن، في أسواق الهند ، ولا يظهر الورق الفرنسي ثم الإنجليزي الا مصادفة

في نهاية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي. وإذا كان المغرب الإسلامي قد اعتمد مبكراً جدا الورق المستورد من أوروبا (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)، فقد استمر إنتاج الورق غير ذي العلامة المائية في الشرق حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي. ويكفي ان نذكر صناعة الوراقة المزدهرة في آسيا الوسطى (بخارى وسمرقند وفرغانة)^(١٩). وعندما دخل الكاغد الأوروبي إلى البلدان الإسلامية، أثير لغط لدى العامة، عن الحكم الشرعي في استعمال هذا الورق، فقد سئل محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن أبي بكر مرزوق العجيسي، المتوفى سنة ٨٤٢ هـ، وهو من فقهاء المالكية عن الكاغد الرومي هل يجوز استعماله والنسخ فيه أم لا ؟ لان بعض الناس قال انه نجس يعملونه بأيديهم المبلولة بالنجسة... وقال آخر ان أهل المشرق شاع عندهم انه لا ينسخ فيه، وهل ترك النسخ من باب الفقه أو من باب الورع^(٢٠). فكتب رسالة في ٣٢ ورقة في سنة ٨١٢ هـ اسمها (تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الروم)، وتطرق في رسالته عن الورق الذي يحمل علامة الصليب وقال: ونظير هذا السؤال في هذه الكواغد المذكورة فيه قبل هذا السؤال بزمان قريب بأن قيل في هذه الكواغيد الرومي أنواع، في بعض أنواعه صورة صليب أو صورة غيره، تكون تلك الصورة هي القالب الذي يقاس به مقدار الورق فيرسم مثلها في الورق، الا انه لا يخفى على الناظرين الا من امعن النظر فيها فأنها تظهر له. قال واستعماله لها للنسخ فيه ترفيع لما فيه

التمثيل، قال أيضا وكيف يكتب اسم الله فيما فيه شبه الصنم ؟. قلت بل النسخ فيه أولى، لأن فيه إذهاب تلك الصورة، لأنه اذا كتب فيه لم تظهر بالكلية وإنما اذا كان ابيض بعد الجهد بمقابلة المضيء بالورق ونحو ذلك^(٢١). وقد أثر الاعتراض نفسه الخاص بجواز استخدام الكاغد الرومي في المشرق الإسلامي أيضا وظهرت بعض المؤلفات التي ناقشت هذا الأمر، فقد ذكر السخاوي (ت ٩٠٢هـ) في ترجمة محمد بن احمد بن محمد المعروف بابن المحب، ان له كتاب (الدليل الواضح المعلوم على طهارة ورق الروم)^(٢٢).

● مصانع الورق الإسلامي :

عرف العالم العربي والإسلامي تقنية استخدام العلامات المائية بعد ان تطورت في أوروبا وانتشرت بشكل واسع، حيث انتقلت تلك التقنية إلى الشرق. يقول سفند دال: ومن أوروبا انتشر بعد ذلك استعمال العلامات المائية إلى الشرق الذي أخذت عنه أوروبا صناعة الورق^(٢٣) وأنشأت في بعض البلدان الإسلامية مصانع للورق استوردت مكائنها من أوروبا مثل مصر والهند وإيران وغيرهم، وكانت هذه المصانع تنتج ورقا ذا علامة مائية وقد رصد الباحثون بعضا من هذه العلامات:

- ورق مصري الصنع أسمر اللون تظهر فيه العلامة المائية (ورق خديوي عال) وبعدها صورة الخديوي توفيق أو إسماعيل^(٢٤).

- ورق مصري اسمر اللون تظهر فيه العلامات المائية وهي على شكل هلالين تشع منهما حزم أشعة وفي داخلهما نجمتان ذواتا رؤوس ثمانية تشع منها أيضا حزم الأشعة، وفي داخل النجمتين

حرفا S.M^(٢٥).

- ورق مصري الصنع اسمر اللون تظهر فيه العلامة المائية باللغة الإنكليزية (الحكومة المصرية) وصورة هلال وتاج^(٢٦).

- ورق مصري الصنع ابيض صقيل تظهر فيه العلامة المائية وهي على شكل هلال يحيط بثلاث نجومات خماسية الرؤوس مع تاريخ الصنع بالتاريخين الهجري والميلادي (١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م) وفوقها عبارة (الحكومة المصرية)^(٢٧).

- ورق مصري الصنع كانت الكاغد خانه الخديوية المصرية تنتجه أثناء الاحتلال الإنكليزي لمصر، وتظهر فيه العلامة المائية وهي هلال وأمامه نجمة خماسية وأحاطت بهما كتابة بالإنكليزية هي الحكومة المصرية^(٢٨).

- ورق مصري به علامة مائية على شكل هلال يتجه إلى أعلى وكتب بين طرفيه مصر بشكل مزدوج مع تشكيل حروفها، واسفل الهلال كتبت سنة ١٢٨٨ بشل مزدوج أيضا^(٢٩).

- ورق مصري العلامة المائية به على شكل هلال داخله نجمة خماسية وتعلوه عبارة الحكومة المصرية بشكل مقوس^(٣٠).

- ورق مصري من انتاج مصنع الدائرة السنية وكانت على شكل هلال يتجه بطرفيه إلى الأعلى وتتوسطه نجمة خماسية، ويظهر كإضافة لهذا الشعار عن يساره هلالان أصغر حجما يتجه أحدهما إلى الأعلى والآخر إلى الأسفل، ويتوسط كل منهما ثلاث نجوم صغيرة، وتظهر عبارة مدونة باللغة الفرنسية وهي بحروف مزدوجة^(٣١).



ورصدت بعض العلامات المائية التي كانت تنتج في المصانع الهندية:

- ورق هندي الصنع والعلامة المائية على شكل قوس له قاعدة، ورسم داخل القوس رأس فيل^(٣٢).

- ورق هندي الصنع تظهر فيه الخطوط المتوازية والعلامة المائية بالحروف الإفرنجية شيخ احمد شيخ داود^(٣٣).

● أهمية العلامة المائية :

ان كثيراً من المخطوطات لا يوجد فيها تاريخ النسخ، الذي تكتب عادة في حرد المتن، فالعلامة المائية أو الخطوط المائية التي ترد في المخطوطات تعيننا وترشدنا إلى تاريخ النسخ أو تحديد القرن الذي كتبت فيه المخطوطة، وتعين مكان إنتاج الورق الحامل لها والمستخدم في المخطوطات وتاريخه. وهذه العلامات تفيد المفهرس في حالة عدم وجود التاريخ حيث تساعد في تحديد الزمن الذي نسخت فيه المخطوطة، أو وجود شك في تاريخ النسخ لأنه يمكن التأكد من تاريخ العلامة المائية من مصادر مخصصة لهذا الغرض وبالرجوع إلى الكتب المؤلفة في ذلك نستطيع تحديد تاريخ العلامات المائية وبالتالي ترشدنا إلى تاريخ نسخ المخطوط، فالعلامة المائية ذات أشكال متعددة ومتنوعة، بعضها على شكل أهلة وبعضها على شكل أزهار وحيوانات وطيور ودروع وغير ذلك. وكل علامة عبارة عن شعار مصنع الورق^(٣٤). كما تساعدنا العلامة المائية في كشف تزوير تواريخ المخطوطات وظاهرة التزوير في بعض تواريخ نسخ المخطوطات معروفة للباحثين والمحققين، حيث نجد حالات التلاعب

بالتواريخ المكتوبة في نهاية المخطوط، فقد يحرف الناسخ التاريخ ليظهر ان عمر المخطوط أقدم من تاريخه الحقيقي، واغلب حالات التزوير وقعت في القرون المتأخرة لأسباب عديدة، وبملاحظة العلامة المائية الموجودة في أوراق المخطوطة يمكننا كشف التزوير وتحديد التاريخ الحقيقي للنسخ والكشف عن أخطاء أو أوهام الناسخ، فقد يعتمد بعض الناسخ إلى نقل كل المعلومات الواردة في نسخة الأصل الذي نسخ منها نسخته ومنها تاريخ نسخ المخطوطة الأول ويغفل تاريخ انتهائه من نسخ مخطوطته اما سهواً أو تعمداً مما يوقع البعض في مشكلة ان النسخة قديمة، مثل المخطوط رقم (١٠٤٢) من مخطوطات المكتبة المركزية للأوقاف بعنوان الرسالة القشيرية في التصوف، لمؤلفها عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥هـ)، جاء في حرد المتن لهذا المخطوط: «وقد أنجزنا إملاء هذه الرسالة في أول ثمان وثلاثين وأربعمئة...». وقرر مفهرس النسخة، ان النسخة بخط المؤلف، وان تاريخ النسخ هو سنة ٤٣٧هـ، وان هذه النسخة نادرة. ومن خلال فحص أوراق هذا المخطوط تبين وجود علامة مائية في كل أوراقه وهذا يعني ان المخطوط كتب على ورق أوروبي يتضمن علامة مائية، ومن المعروف ان أقدم علامة مائية ظهرت في وثيقة من بولونيا يرجع تاريخها إلى عام ٦٧١هـ / ١٢٨٢م. وعليه فان ما كتبه المفهرس غير صحيح^(٣٥). وتسهم العلامات المائية بدور كبير إلى التعرف على ما يمكن ان يكون قد طرأ على الحالة المادية لمخطوط معين عبر العصور، حيث تساعد على تحديد الأوراق أو الكراسات التي

ليست من اصل المخطوط، والتي تمت إضافتها اليه بعد الانتهاء من نسخه بفترة زمنية، بسبب فقدان بعض أوراقه، ومحاولة استكمال متن المخطوط، وذلك بإضافة أوراق جديدة تحمل صفات أخرى مغايرة لصفات الأوراق الأصلية، وقد يكون من بين تلك الصفات علامة مائية مختلفة عن العلامة التي تظهر في الأوراق الأصلية للمخطوط^(٣٦). ومن الممكن ان تؤدي العلامات المائية دورا مهما بالنسبة إلى المخطوطات التي تقع في اكثر من مجلد، فقد تكون المجلدات التي يتكون منها المخطوط قد تفرقت بمرور الزمن، وتم تجميعها بعد ذلك بفترة على أساس غير منضبط من نسخ أخرى مختلفة تحمل البيانات البيلوجرافية نفسها، وهنا يمكن للعلامات المائية ان تسهم في عملية الربط بين تلك المجلدات، والكشف عن الحالات التي تمت فيها عمليات تليفيق للمجلدات التي تنتمي إلى فترات زمنية مختلفة، والتي تم تجميعها معا بشكل عشوائي بغرض استكمال النص^(٣٧).

● أشكال العلامات المائية :

لقد تنوعت أشكال العلامات المائية أشكالا لا تحصى من هندسية وأدمية وحيوانية ونباتية وأسلحة وغيرها، وسجل منها عشرات الآلاف وهناك سجلات عالمية لها واشهرها عمل شارل بريكييت العالم السويسري الذي حصر ١٦١١٢ علامة منذ ظهورها في القرن الثالث عشر في إيطاليا في أربعة مجلدات^(٣٨).

– صور البشر: مثل صور العظماء والمشهورين.

– صور طيور وأسماك: مثل البومة، الحمام، الديك، الطاووس، الحيتان، الدلافين.

– صور حيوانات (حقيقية وخرافية) فقد غلبت على العلامات المائية من القرن الثالث عشر حتى القرن التاسع عشر، ومن الحيوانات التي ظهرت في العلامات المائية: الأسد، الفهد، النمر، القطه، الكلب، الذئب، النسر، رأس الثور، وحيد القرن وغيرها.

– صور دروع وأسلحة: مثل الدروع، السيوف وغيرها.

– صور نباتات وزهور وفواكه: فقد استعملت على نطاق واسع جدا، وقد ظهرت الزهور بأشكال مختلفة فرادى أو مصحوبة في مجموعات بساق وبدون ساق وبأوراق وبدون أوراق. وكانت زهرة اللوتس اكثر الزهور التي استخدمت كعلامة مائية وبأشكال مختلفة.

– صور أشياء: مثل مرساة السفينة، الملائكة، الميزان، الدائرة وتحمل في رأسها صليب، التاج، المقص، البوق وغيرها.

– العلامات مؤرخة: وهي قليلة نسبيا ولم تظهر الا في القرن السابع عشر وما بعده وكانت العلامة ترسم وإلى جوارها التاريخ.

– علامات مصحوبة بحروف: مجرد حروف ليس دلالة معينة كمجرد زخرفة.

– علامات مصحوبة بأسماء: ربما كانت أسماء أصحاب مصانع الورق أنفسهم، وربما يأتي الاسم مختصرا بحروف، أو مقتصرا على اسم العائلة.

– الحروف الهجائية: مثل A, B, C, D, E, F, G^(٣٩).

● كيفية استخراج العلامة المائية :

كان تسجيل العلامة المائية يتم سابقا عن طريق النقل اليدوي ان تعرض الورقة المراد نقل العلامة



المائية منها إلى الضوء فتظهر العلامة بصورة واضحة ويتم رسمها على ورق معد لهذا الغرض. إلا أن هذه الطريقة لا تخلو من مشاكل التشابه بين كثير من العلامات المائية، ومن ثم فإن النقل اليدوي لها لا ينجح في نقلها بالدقة التي تميز بينها، كما أن كثيراً من العلامات الآن يغطيها الحبر الكثيف، ووضعها داخل الكتاب قد يمثل مشكلة أخرى في نقلها وخاصة عندما تختبئ تحت كعب الكتاب. ومع تطور التكنولوجيا الحديثة، فقد استخدمت تقنيات عدة في تسجيل العلامات المائية وذلك باستخدام التصوير بالراديو المعروف باسم بيتا راديوجرافيا. فالورق المطلوب رفع العلامة من عليه يوضع بين فرخ من (البيرسبكس) مع كربون ١٤ وفرخ فيلمي ويترك لبضعة ساعات فتتطبع العلامة دون النص على الفيلم مهما كانت كثافة الحبر على الورقة^(٤٠).

وقدمت آن ريغورد Anne Regourd المسؤولة العلمية لبرنامج الحفاظ على مخطوطات المكتبات الخاصة في زبيد (المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء) متحف اللوفر، قسم الفنون الإسلامية، المركز الوطني الفرنسي للبحوث العلمية، الوحدة البحثية ٧١٩٢، (تاريخ الكتاب والكتابة في الشرق الأدنى في القرون الوسطى والحديثة) وصفا دقيقا عن عملهم في تسجيل العلامات المائية لمخطوطات مدينة زبيد في اليمن:

الصور المقدمة هنا حققت انطلاقاً من صور فوتوغرافية، حيث قمنا بعملية تصوير رقمي للورق ذي العلامات المائية على النحو الآتي: من غير الممكن إظهار العناصر التي تميز ورقة ذات علامة مائية إلا من خلال مصدر ضوئي يخترق الورقة بشكل يزيد أو يقل وفقاً لسمك الورقة: حيث توضع في شكل بارز مع إمكانية تسجيلها من خلال الضوء المنعكس.

اللوحات الضوئية العادية، المكونة من قالب زجاجي موضوع على صندوق يبلغ سمكه عدة سنتيمترات ويحتوي على نظام إضاءة قياسي بواسطة مصباح، ويكونان متطابقين على نحو يمكن من معاينة على انفراد صفحة من مخطوط مجلد، ولا نقوم إلا بعملية ضغط على ظهره. ومن الواضح أن هذا غير ضار، ولا سيما حالما يكون المخطوط قديماً وهشاً أو مخيطاً بشدة. وتم استخدام آلة تتميز بخصائص دقة ومرونة الألياف البصرية، وهي عبارة عن مصدر ضوئي محصور في صفيحة مستطيلة بسمك أقل من ٢ ملم، وتقريباً بمساحة صفحة A٤، وتوصل بمحول من خلال حزمة من الخيوط المرنة. نقوم أولاً بإدخال الصفيحة بين أوراق المخطوط، دون المخاطرة بتمزيق التجليد أو الخياط. بعد ذلك يكفي فتح الكتاب ٩٠ درجة لأخذ صورة عمودية للصفحة المضاء بشكل معكوس، دون إحداث أي تشويه. عند عدم توفر قاعدة تسمح بالتقاط صور عمودية، نضع الكاميرا على حامل ثلاثي عادي قابل

للتوجيه في جميع الاتجاهات، ووضع المخطوط المراد تصويره على حامل كتب، في وضع منحني وبالتالي من السهل وضع الآلة أمام وفوق الموضوع، ثم حنيها على نحو يجعلها في وضع مواز تماماً ويتم تنصيبها وفقاً لمحور عمودي. ومن خلال هذه التركيبة نتحاشى أي تشويه قد ينتج عن الأبعاد. ويمكن التحقق من التوجيه الصحيح للمخطوط وللآلة بسهولة من خلال العين المجردة: فالجوانب الأربعة للمخطوط متعامدة في عين الآلة و في حالة ما تكون المخطوطة ذات حواف غير منتظمة، يجب أن تظهر جوانب حامل المخطوط نفسه متعامدة. وتضبط الصورة وفقاً لحجم المخطوط، بمساعدة عدسة تكبير تكون في الآلة، وبالتالي تقل الحركات على الحامل الثلاثي إلى أدنى حد وبهذا يختصر أيضاً زمن تحضير التقاط الصورة، ولا تلزم أي إضاءة من أجل تصوير الأوراق ذات العلامات المائية، من خارج الآلة الموصوفة أعلاه، بل قد يكون ضاراً، فمصادر الضوء الخارجية قد تعاكس تأثير الضوء الانعكاسي، أما الفلاش فقد يفسدها بشكل كلي. التقطت الصور في زبيد بواسطة كاميرا رقمية حديثة ١٠ ميجابكسل، ضبطت الكاميرا قبل التقاط الصور لتحسين مردود المعلومة. فقد عطلت معظم الخيارات الأوتوماتيكية، لأنه في الآلات الحالية تحدد معايير جودة الصورة على أساس جمالي معياري لا يتوافق مع عملية توثيق عالية. على سبيل المثال في حالة الضوء المنخفض الذي يتوافق مع الظروف

العادية لإلتقاط صورة لورقة ذات علامة مائية فإن الآلة المضبوطة على الوضع الأوتوماتيكي تفعل خاصية الفلاش وقد تختار سرعة الفلم (مثلاً ٤٠٠، ISO ٨٠٠ أو أكثر) يمكن أن تدخل نقاط في الصورة وبالتالي تقليل دقتها. كما أن من المناسب تعطيل خيارات الوضوح المفترضة التي يمكن أن تتسبب في إنتاج ضبابية، أو خيارات تقليص الضوضاء التي يمكن، في المقابل، أن تتسبب في تشويش غير مرغوب به. الضبط التلقائي الذي احتفظنا به كان فقط الضبط الخاص بالخلية الكهروضوئية التي تحدد فتحة السجاف والسرعة، مع الإبقاء على إمكانية ضبطها يدوياً بحسب تباين كل صورة، وكذا الضبط الآلي للآلة. وقد ضبط خيار سرعة الفيلم يدوياً وحدد على ٨٠ أو ١٠٠ ISO، بهدف ضمان أعلى دقة. وكذلك من المناسب ضبط ميزان الألوان الفاتحة على إضاءة تنجستن (tungstène) اصطناعية، مشعة، شمسية أو بدون حسب الحالة. ووفقاً للون وحالة الورقة ونسبة المناطق الفاتحة والغامقة على كل لقطة، يبدو هذا الضبط أو ذلك لمستخدم الآلة أنه يقدم بشكل أدق اللون الحقيقي للمخطوطة، نظراً لأن آلة الإضاءة العكسية تضيف لون أصفر فاقع. ونذكر أن الفلاش قد عطل بشكل منتظم، وضبط حجم الصور على أعلى قدر من البكسل، وكذا أقل ضغط ممكن. وبعد تحميل الصور على الكمبيوتر، تمكناً من حفظها مباشرة في أرقام تدل على فهرسة المخطوطات ووضعت



في حجم TIFF على أن يتم العمل عليها مرة أخرى من أجل تحسين التباين والألوان كما أُعيد أيضاً تعيين أبعاد الصور بشكل منتظم من أجل الوصول إلى الدرجة ١:١، مع الحرص على حفظ الدقة الأصلية للصورة كي لا تفقد الصور دقتها في حال تصغيرها. ومن أجل تسهيل هذا العمل أُخذت نسختين من كل صورة بنفس المواصفات: نسخة تحتوي على مسطرة مليمترية موضوعة على الورقة تسهل حساب الدرجات. وبمساعدة صورة مزدوجة، يمكننا تأطير إلى أبعد حد ممكن علامات الورق ذي العلامات المائية دون فقدان جزء من سطح الصورة من أجل أن يوضع عليها الدرجة وحفظ أعلى قدر من المعلومات حول العلامة المائية ذاتها. وعند الانتهاء من وضع الدرجات لم تعد حاجة لحفظ الصورة ذات المسطرة ولا تكون عبئاً على ذاكرة الكمبيوتر لا فائدة منه .

*الهوامش :

(١) الشامي، احمد محمد، المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٨م، ص ١١٨٥.

(٢) بنين احمد شوقي و مصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، المطبعة والوراقة المغربية، ط١ (مراكش، ٢٠٠٣م)، ص ١٦٢.

(٣) إبراهيم، أمير محمد صادق ، الخطوط والعلامات المائية في المخطوطات العربية، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص ٩٠.

(٤) عواد، كوركيس ، الذخائر الشرقية، دار الغرب

(ط١، بيروت، ١٩٩٩)، ج٥، ص ٢٠١.

(٥) ديرودش ، فرنسوا، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، نقله إلى العربية ايمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (لندن، ٢٠٠٥)، ص ١٠٢.

(٦) المنوني، محمد، تاريخ الوراقة المغربية، ط١ (الرباط، ١٩٩١)، ص ٢١ و ٣٣.

(٧) الصنهاجي، المعز بن باديس التميمي، ت ٤٥٤هـ، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، حققه وقدم له نجيب مايل الهروي، عصام مكية، ط ١ مشهد، ١٤٠٩هـ، ص ٨٩-٩٠.

(٨) ديرودش، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص ١٠٠.

(٩) السامرائي، قاسم، علم الاكتناه العربي الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط٢، الرياض، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٢٨٩.

(١٠) السامرائي، علم الاكتناه، ص ٢٩٦. الا انه لم يذكر عنوان المخطوطة ومكان حفظها.

(١١) طباع، إياد خالد، المخطوطات الدمشقية، دمشق، ٢٠٠٩م، ص ١٣٧.

(١٢) سفند دال، تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ترجمة محمد صلاح الدين حلمي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٨٠.

(١٣) خليفة، شعبان عبد العزيز ، البليوجرافيا: دراسة في أصول النظرية البليوجرافية وتطبيقاتها.-

القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧، ص ٤٧١).

(١٤) بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ١٦٣.

(١٥) ديرودش، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص ٧٢؛ شعبان عبد العزيز

- خليفة. البليوجرافيا، ص ٤٧٢؛ أمير محمد صادق إبراهيم، الخطوط والعلامات المائية، ص ١١١. (٢٤) السامرائي، علم الاكتناه، ص ٣٠٨.
- (١٦) أمير محمد صادق إبراهيم، الخطوط والعلامات المائية في المخطوطات العربية، ص ١١٣. (٢٥) علم الاكتناه، ص ٢٩٤.
- (١٧) لومير، جاك، مدخل إلى علم المخطوط، ترجمة مصطفى طوبي، ط ١، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٦٨: الخطوط والعلامات المائية، ص ١١٤.
- (١٨) فرنسوا ديروشد، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص ١١٢؛ وحول انتشار الورق الأوروبي ذي العلامة المائية في المغرب العربي، انظر، الونشريسي، أبي العباس، احمد بن يحيى، ت ٩١٤هـ، المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد يحيى، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، ص ٨٥.
- (١٩) فرنسوا ديروشد، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص ١١٣.
- (٢٠) الونشريسي، المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب، ج ١ ص ٧٥ (٢١) م. ن، ج ١. ص ١٠٦.
- (٢٢) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٣٢م، ج ٧، ص ٥١.
- (٢٣) سفند دال، تاريخ الكتاب من اقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ص ٨٠.
- (٢٤) السامرائي، علم الاكتناه، ص ٣٠٨.
- (٢٥) علم الاكتناه، ص ٢٩٤.
- (٢٦) علم الاكتناه، ص ٢٩٥.
- (٢٧) علم الاكتناه، ص ٣٠٦.
- (٢٨) علم الاكتناه، ص ٣٠٨.
- (٢٩) الخطوط والعلامات المائية، ص ١٢٢.
- (٣٠) الخطوط والعلامات المائية، ص ١٢٣.
- (٣١) الخطوط والعلامات المائية، ص ١٢٣.
- (٣٢) علم الاكتناه، ص ٣٠٢.
- (٣٣) علم الاكتناه، ص ٣٠١.
- (٣٤) فرنسوا ديروشد، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص ١١٣.
- (٣٥) الخطوط والعلامات المائية، ص ١٣٩.
- (٣٦) الخطوط والعلامات المائية، ص ١٤١.
- (٣٧) الخطوط والعلامات المائية، ص ١٤٢.
- (٣٨) شعبان عبد العزيز خليفة. البليوجرافيا: دراسة في أصول النظرية البليوجرافية وتطبيقاتها، ص ٥١٤؛ طباع، إياد خالد، المخطوطات الدمشقية، ص ١٤٣.
- (٣٩) شعبان عبد العزيز خليفة، البليوجرافيا: دراسة في أصول النظرية البليوجرافية وتطبيقاتها، ص ٥٠٢.
- (٤٠) فرانس ديروشد، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص ١١٤؛ شعبان عبد العزيز خليفة. البليوجرافيا، ص ٥١٢.



Water marks

in Islamic manuscripts

By: Dr. Mohamed Aziz AL Waheed



Abstract

The water marks founded in European papers did not take any attention specially those that had found in Islamic manuscript in spite of their importance in discovering the date of copying non dated manuscripts in addition to discover the cheating cases in them .The research sheds light on the definition of water marks and the date of developing their forms and importance and present many samples.



مركز
الدراسات
الاسلامية
والتراثية

المصفي بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ

لجمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)

(دراسة وتحقيق)

أ.م.د. إيمان صالح مهدي*



● مقدمة:

المؤلف هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي البكري الحنبلي ، المعروف بابن الجوزي .لقبه :جمال الدين ، وكنيته : أبو الفرج ^(١) ولد في مدينة بغداد، في درب حبيب، ولكن مصادر ترجمته اختلفت في تحديد تاريخ ولادته ، ومنشأ هذا الاختلاف هو ابن الجوزي نفسه الذي لم يتوثق من تاريخ ولادته ، فقد نقل سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف قز اوغلي (ت ٦٥٤هـ) سألته عن مولده غير مرة ، وفي كلها يقول : ما أحققه ولكن يكون تقريبا في سنة ٥١٠هـ) ^(٢).

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على مخطوطتين موجودتين في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، الأولى برقم [٢ / ٢٣٩٧ مجاميع] وقد رمزت لها بالحرف (أ) وعدتها الأصل وتقع هذه النسخة في اثنتي عشرة ورقة وخطها النسخ .

والثانية برقم [٥ / ٢٩٤٨ مجاميع] وقد رمزت لها بالحرف (ب) وتقع في إحدى عشرة ورقة وخطها حسن واضح ، وقد لاحظت أن ناسخ النسخة (أ) كان يسهل الهمز في (نظاير) وقد أشرت إلى ذلك بالهامش . كما أنه يسقط همزة الألف في نحو (الامر ، واخترت ، واختصار ...) ويهمل النقط في بعض الأحيان . كما أنه لم يكن مأمونا في ضبطه للأعداد وقد أشرت إليها بالهامش وصحتها في محلها . وإن هذه النسخة كثيرة الحواشي والتعليقات والشروح .

أما النسخة (ب) فكانت أخطاءها أقل من النسخة الأولى ولكن الناسخ يشترك مع النسخة الأولى في عدم ضبطه للأعداد وكأنما ينقل عليه ، فضلا عن أنه اسقط اسم (سورة) من بعض السور وقد أشرت إليها بالهامش .

تتفق النسختان في تسمية بعض السور القرآنية على خلاف ما هو مثبت في المصحف الشريف ، وقد نبهت على ذلك وأشرت إليها بالهامش مثال ذلك «سورة سأل» هي في القرآن الكريم «سورة المعارج» ، هذا وأرجو أن أكون قد وفقت لخدمة هذا التراث العربي الخالد والله ولي التوفيق .

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

● التحقيق :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين^(٣)
أما بعد حمد الله ذي العز الرفيع الشامخ والصلاة
على رسوله محمد ذي القدر المنيع الباذخ فهذا
حاصل التحقيق في علم الناسخ والمنسوخ وقد
بالغت في اختصار^(٤) لفظه لأحث الراغب على حفظه
فالتفت إليها الطالب لهذا العلم إليه، وأعرض عن
جنسه تعويلا عليه، ففيه كفاية. فإن أثرت زيادة
بسط أو اخترت الاستظهار لقوة احتجاج أو ملت
إلى إسناد فعليك بالكتاب الذي اختصر هذا منه وهو
كتاب «عمدة الراسخ»^(٥) والله الموفق بعطفه^(٦).

باب ذكر فصول تكون كالمقدمة لهذا الكتاب:

فصل: أنكرت اليهود جواز النسخ وقالوا هو
البداء والفرق بينهما أن النسخ رفع عبادة قد
علم الأمر بها من القرآن للتكليف بها غاية ينتهي
إليها ثم يرتفع الإيجاب والبداء هو الانتقال عن
المأمور به بأمر حادث لا بعلم سابق. ولا يمتنع
جواز النسخ عقلا لوجهين، أحدهما: أن للأمر أن
يأمر بما شاء، والثاني: أن النفس إذا مرتت على
أمر ألفته فاذا نقلت عنه إلى غيره شقّ عليها لكان
الاعتیاد المؤلف فظهر منها بالإذعان والانقياد
لطاعة^(٧) الأمر.

وقد وقع النسخ شرعاً لأنه قد ثبت من دين
آدم عليه السلام وطائفة من أولاده جواز
نكاح الأخوات وذوات المحارم والعمل في يوم
السبت ثم نسخ ذلك في شريعة موسى عليه
السلام.

فصل: والنسخ إنما يقع في الأمر (١ظ) والنهي
دون الخبر المحض (ولا يجوز أن يقع في
الأخبار المحضة)^(٨) والاستثناء ليس بنسخ ولا
التخصيص. وأجاز من لا يعتد بخلافه وقوع
النسخ في الخبر المحض ويسمى الاستثناء و
التخصيص نسخاً والفقهاء على خلافه.

فصل: وشروط النسخ خمسة: أحدها^(٩) تبائن
حكم الناسخ والمنسوخ فلا يمكن العمل بهما.
والثاني: أن يكون حكم المنسوخ ثابتاً قبل
ثبوت حكم الناسخ. والثالث: أن يكون حكم
المنسوخ ثابتاً بالشرع لا بالعادة والعرف، فانه
إذا ثبت بالعادة لم يكن رافعه ناسخاً بل يكون
ابتداء شرع آخر. والرابع: كون حكم الناسخ
مشروعاً بطريق النقل كثبوت المنسوخ، فأما ما
ليس مشروعاً بطريق النقل فلا يجوز أن يكون
ناسخاً للمنقول، ولهذا إذا ثبت حكم منقول لم
يجز نسخه بإجماع ولا بقياس. والخامس كون
الطريق الذي ثبت به الناسخ مثل طريق ثبوت
المنسوخ أو أقوى منه ولهذا تقول^(١٠) لا يجوز
نسخ القرآن بالسنة.

● فصل في فضل هذا العلم:

روى أبو عبد الرحمن السلمي^(١١) أن علياً (رضي)
الله عنه مرّ بقاضٍ فقال: أتعرف الناسخ
والمنسوخ؟ قال: لا. قال^(١٢) هلكت وأهلكت.
وفي لفظ أنه قال: من أنت؟ قال: أنا أبو يحيى.
قال: بل أنت أبو عرفوني^(١٣)

فصل: والمنسوخ في القرآن أضرب: أحدها:
ما نسخ رسمه وحكمه، وقد كان جماعة من
الصحابه يحفظون سوراً وآيات فشذت عنهم
فأخبرهم النبي (صلى الله عليه وسلم) أنها رفعت
(٢و) والثاني: ما نسخ رسمه وبقي حكمه كآية
الرجم. الثالث: ما نسخ حكمه وبقي رسمه وله
وضعنا هذا الكتاب.

باب ذكر آي^(١٤) في سورة البقرة
في تلك الآية الأولى قوله تعالى: «ومما رزقناهم
ينفقون»^(١٥) قال مجاهد^(١٦) هي نفقة النقل.
وقال آخرون: هي الزكوة (وتحتمل عموم فالآية
محكمة)^(١٧) وأنه زعم بعضهم أنها نفقة كانت
واجبة قبل الزكوة وزعم أنه كان فرض أن يمسخ

مما في يده قدر كفاية يومه وليلته ويفرق الباقي على الفقراء ثم نسخ ذلك بآية الزكوة^(١٨) وهذا بعيد .

الثانية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا »^(١٩) زعم قوم أنها منسوخة^(٢٠) بقوله : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه »^(٢١) وهذا لا يصح لأنه أشير^(٢٢) إلى من كان في زمن نبي تابعا لنبيه قبل بعثة نبي آخر فأولئك على الصواب . وإن أشير إلى من كان في زمن نبينا فإن من ضرورته أن يؤمن بنبينا عليه السلام ولا وجه للنسخ ويؤكد أنه خبر و الخبر لا ينسخ^(٢٣)

الثالثة : « بلى من كسب سيئة »^(٢٤) الجمهور على أن المراد بها الشرك فلا يتوجه النسخ . وقيل الذنوب دون الشرك فيتوجه النسخ^(٢٥) بقوله : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »^(٢٦) ويمكن حمله على من أتى السيئة مستحلاً فلا نسخ .

الرابعة : « وقولوا للناس حسناً »^(٢٧) قيل الخطاب لليهود فالتقدير من سائلكم عن بيان محمد صلى الله عليه وسلم فاصدقوه . وقيل لنا أي كلموهم بما تحبون أن يقال لكم فعلى هذا الآية محكمة^(٢٨) وقيل المراد بذلك مساهلة المشركين في كتمانهم لا إلى الإسلام فالآية (عند هؤلاء)^(٢٩) منسوخة^(٣٠) بآية السيف^(٣١) وفيه بعد لأن (٢ ظ) لفظ الناس عام فتخصصه بالكفار^(٣٢) يحتاج إلى دليل .

الخامسة : « فأعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره »^(٣٣) زعم قوم أنها منسوخة بآية السيف^(٣٤) وليس بصحيح لأنه لم يأمر بالعفو مطلقاً بل إلى غاية ومثل هذا لا يدخله^(٣٥) في المنسوخ .

السادسة : « فأينما تولوا فثم وجه الله »^(٣٦) ذهب بعضهم إلى أن هذه الآية اقتضت جواز التوجه إلى جميع الجهات فاستقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيت المقدس ليتألف أهل الكتاب ثم نسخت بقوله : « فولّ وجهك شطر المسجد الحرام »^(٣٧)

فإنما يصح القول بنسخها إذا قدر فيها إضمار تقديره : فولوا وجوهكم في الصلاة أي شئتم ثم ينسخ ذلك القدر . والصحيح^(٣٨) أنها محكمة لأنها أخبرت أن الإنسان أين تولى فثم وجه الله ، ثم ابتداء الأمر بالتوجه إلى الكعبة لا على وجه النسخ . السابعة : « لنا أعمالنا ولكم أعمالكم »^(٣٩) قال بعضهم هذا يقتضي نوع مساهلة الكفار^(٤٠) ثم نسخ بآية السيف^(٤١) وهو بعيد لأنه من شرطها التنافي ولا تنافي فانه خير .

الثامنة : « أن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى »^(٤٢) زعم بعض من قل فهمه إنها نسخت بالاستثناء بعدها^(٤٣) وهذا لا يلتفت إليه وذلك كلما أتى من هذا الجنس فإن الاستثناء إخراج بعض ما شمله اللفظ وليس بناسخ .

التاسعة : « كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر »^(٤٤) ذهب بعضهم إلى أن دليل الخطاب (٣ و) منسوخ لأنه لما قال : الحر بالحر اقتضى أنه لا يقتل العبد بالحر وكذا لما قال الأنثى بالأنثى اقتضى أن لا يقتل الذكر بالأنثى من جهة دليل الخطاب فذلك منسوخ بقوله « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس »^(٤٥) وهذا ليس بشيء يعول عليه لوجهين أحدهما : أنه أنما ذكر في المائدة ما كتبه على أهل التوراة وذلك لا يلزمنا ، فإن قيل : شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يثبت نسخه وخطابنا بعد خطابهم قد ثبت النسخ فتلك الآية أولى أن تكون منسوخة بهذه من هذه بتلك . والثاني : إن دليل الخطاب إنما يكون حجة ما لم يعارضه دليل أقوى منه وقد ثبت بلفظ الآية أن الحر يوازي الحرة فلأن يوازي العبد أولى .

العاشرة : « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية »^(٤٦) ذهب كثير من العلماء إلى نسخها بآية الميراث^(٤٧) ونص أحمد^(٤٨) على ذلك فقال : الوصية للوالدين منسوخة .

الحادية عشرة ^(٤٩) : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ^(٥٠) ذهب بعضهم إلى أن الإشارة إلى صفة الصوم وكان قد كتب على قبلنا انه إذا نام أحدهم في الليل لم يجز له الأكل إذا انتبه بالليل ولا الجماع ^(٥١) فنسخ ذلك عنا بقوله:

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائك » ^(٥٢) والصحيح إن الإشارة إلى نفس الصوم والمعنى كتب على من قبلكم أن يصوموا وليست الإشارة إلى صفة الصوم ولا إلى عدد ^(٥٣) (ظ ٣) فالآية على هذا محكمة ^(٥٤).

الثانية عشرة: « وعلى الذين يطيقونه فدية » ^(٥٥) في هذا مضمّر تقديره : وعلى الذين يطيقونه ولا يصومونه فدية ثم نسخت بقوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ^(٥٦)

الثالثة عشرة: « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » ^(٥٧) قيل المنسوخ منها أولها لأنه اقتضى ان القتال إنما يباح في حق من قاتل من الكفار دون من لم يقاتل ثم نسخ بآية السيف . وهذا القائل إنما أخذه من دليل الخطاب ودليل الخطاب إنما يكون حجة إذا لم ^(٥٨) يعارضه دليل أقوى منه وقد عارضه ما هو أقوى منه كآية السيف وغيرها . وقال آخرون : المنسوخ منها « ولا تعتدوا » قالوا: والمراد بن ابتداء المشركين بالقتال في الشهر الحرام والحرم ثم نسخ بآية السيف وهذا بعيد والصحيح أحكام جميع الآيات ^(٥٩)

الرابعة عشرة: « ولا تقاتلوه عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه » ^(٦٠) ذهب قوم إلى أن هذا منسوخ بآية السيف ^(٦١) والصحيح أنه محكم وأنه لا يجوز أن يقال أحد ^(٦٢)

في المسجد الحرام حتى يقاتلوا وإنما ^(٦٣) أحل القتال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار وكان ذلك تخصيصاً له لا على وجه النسخ . الخامسة عشرة: « فإن انتهوا فإن الله غفور

رحيم » ^(٦٤) قال بعضهم : إن انتهوا عن الكفر فعلى هذا الآية محكمة . وقال آخرون : عن قتال المسلمين لا عن الكفر فتوجه النسخ بآية السيف ^(٦٥).

السادسة عشرة : « يستلوك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » ^(٦٦) نسخت الآية بآية السيف ^(٦٧).

السابعة عشرة: « يستلوك عن الخمر والميسر قل فيهما أثم كبير » ^(٦٨).

قال جماعة: تضمنت ذم الخمر لا تحريمها ثم نسخها « فاجتنبوه » ^(٦٩).

الثامنة عشرة: « ويستلوك ماذا ينفقون قل العفو » ^(٧٠) قيل المراد بهذا الإنفاق الزكوة . وقيل: صدقة التطوع فالآية محكمة . وزعم آخرون أنه انفاق ما يفضل عن حاجة الإنسان وكان هذا واجبا فنسخ بالزكوة ^(٧١).

التاسعة عشرة: « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن » ^(٧٢) هذا اللفظ عام خصّ منه ^(٧٣) أهل الكتاب والتخصيص ليس بنسخ وقد غلط من سماه نسخا ^(٧٤) وكذلك العشرون : وذلك قوله :

« والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ^(٧٥) عام خصّ منه الحامل والأيس والصغير لا على وجه النسخ ^(٧٦).

الحادية والعشرون: « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى غير إخراج » ^(٧٧) قال المفسرون : كانت الجاهلية تمكث زوجة المتوفى في بيته حولا ينفق عليها من ميراثه فأقرهم بهذه الآية على مكث الحول ثم نسخها :

« يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » ^(٧٨).

الثانية والعشرون: « لا إكراه في الدين » ^(٧٩) اختلفوا فيه فقيل هو من العام إلى المخصوص خصّ منه أهل الكتاب فعلى هذا هو محكم . وقيل نزلت قبل الأمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف ^(٨٠).

الثالثة والعشرون: «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله»^(٨١) قيل: نسخت بقوله: «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها»^(٨٢). وقال ابن عباس^(٨٣) نزلت في كتمان الشهادة وإقامتها، وقال مجاهد: «^(٨٤) في الشك واليقين فعلى هذا الآية محكمة ويؤكد إنها خبر^(٨٥)».

● سورة آل عمران (٤):

الأولى^(٨٦): «وإن تولوا فإنما عليك البلاغ»^(٨٧) قالوا: هي منسوخة بآية السيف^(٨٨). وبعضهم يقول: إنها نزلت تسكيناً لجأشه صلى الله عليه وسلم فإنه كان يزعم في الحرص على إيمانهم فقليل إنما عليك البلاغ لا أن تشوق^(٨٩) قلوبهم إلى الصلاح فالآية على هذا محكمة.

الثانية: «إلا أن تتقوا منهم تقاة»^(٩٠) قيل المراد بالآية اتقاء المشركين أن يوقعوا فتنة أو ما يوجب القتال^(٩١) فالفرقة ثم نسخ ذلك بآية السيف^(٩٢) وليس هذا بشيء وإنما المراد جواز تقواهم إذا أكرهوا المؤمنين^(٩٣) على الكفر بالقول الذي لا يعتقد وهذا الحكم باق غير منسوخ.

الثالثة: «اتقوا الله حق تقاته»^(٩٤) ذهب كثير من المفسرين^(٩٥) إلى أنها نسخت بقوله: «فاتقوا الله ما استطعتم»^(٩٦) والصحيح أنها محكمة^(٩٧) وأن «ما استطعتم» بيان الحق تقاته فإن القوم ظنوا أن «حق تقاته» ما لا يطاق فزال الإشكال ولو قال: لا تتقوه حق تقاته كان نسخاً.

● سورة النساء:

الأولى^(٩٨): «ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف»^(٩٩) روى عطاء الخراساني^(١٠٠) عن ابن عباس قال: نسخها «إن الذين يأكلون أموال اليتامى»^(١٠١) ظلماً^(١٠٢) وهذا يقتضي قول أبي حنيفة^(١٠٣) لأن المشهور عنه أنه لا يجوز للوصي الأخذ من مال اليتيم بحال.

الثانية: «وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى

والمساكين فارزقوهم منه»^(١٠٤) ذهب جماعة إلى أحكامها ثم اختلفوا في الأمر فأكثرهم على الاستحباب وهو الصحيح وبعضهم على الوجوب. وقال آخرون: نسختها^(١٠٥) آية الميراث^(١٠٦).

الثالثة والرابعة: «واللائى يأتين الفاحشة من نسائكم»^(١٠٧) وقوله: «واللذان يأتيانها منكم»^(١٠٨) (٥ و) فالأولى دلت على أن حد الزانية في ابتداء الإسلام الحبس إلى أن تموت أو يجعل الله لها سبيلاً وهو عام في البكر والثيب. والثانية أقضت^(١٠٩) إن حد الزانيين الأذى فنظر من الآيتين أن حد المرأة كان الحبس والأذى جميعاً وحد الرجل الأذى فقط ونسخ الحكمين بقوله: «والزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة»^(١١٠).

الخامسة: «والذين عاقدت إيمانكم»^(١١١) كان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل على أن يتوارثا ويتناصرا ويتعاقلا^(١١٢) في الجناية فجاءت هذه الآية فقررت ذلك ثم نسخت بالمواريث وهذا قول عامة العلماء. وقال أبو حنيفة^(١١٣) هذا الحكم ليس بمنسوخ إلا أنه جعل ذوي الأرحام أولى من المعاقدة فإذا فقد ذوو الأرحام فالعاقد أحق من بيت المال.

السادسة: «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى»^(١١٤) قل المفسرون^(١١٥) هذه الآية اقتضت إبادة السكر في غير أوقات الصلوات ثم نسخ ذلك بقوله^(١١٦) «فاجتنبوه»^(١١٧).

السابعة: «فاعرض عنهم وعظهم»^(١١٨) قال المفسرون: فيه تقديم وتأخير تقديره: فعظهم فإن امتنعوا من الإجابة فاعرض عنهم وهذا قبل الأمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف^(١١٩).

الثامنة: «ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيفاً»^(١٢٠) زعم قوم أنها نسخت بآية السيف^(١٢١) وليس بصحيح لأن ابن عباس



قال في تفسيرها : وما أرسلنا عليهم ^(١٢٢) رقيباً تؤخذ بهم فعلى هذا لا نسخ .

التاسعة : « فاعرض عنهم وتوكل على الله » . ^(١٢٣) قال المفسرون : معنى الكلام اعرض عن عقوبتهم ثم نسخ ذا الإعراض بآية السيف ^(١٢٤)

العاشرة : « إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق » ^(١٢٥) . المراد يتوصلون ^(١٢٦) .

يدخلون في عهد قوم (ه ظ) بينكم وبينهم ميثاق كدخول خزاعة في عهد رسول الله (ص) ^(١٢٧) ، ثم نسخ ذلك بآية السيف ^(١٢٨) .

الحادية عشرة : ^(١٢٩) « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » ^(١٣٠) ذهب الأكثرون إلى أنها منسوخة بقوله : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ^(١٣١) وقال قوم : هي محكمة ولهم في طريق إحكامها قولان : أحدهما : بأن قاتل المؤمن مخلص في النار وأكدوا هذا بأنها خير ، والثاني : أنها عامة دخلها التخصيص بدليل أنه لو قتل ^(١٣٢) كافر ثم أسلم سقطت عنه العقوبة في الدنيا والآخرة . فلذا ثبت ^(١٣٣) كونها من العلم المخصص ^(١٣٤) أن يكون قد قتله مستحلاً لأجل إيمانه ^(١٣٥) فاستحق التخليد لاستحلاله له ^(١٣٦) . وذهب قوم إلى أنها مخصوصة في حق من لم يتب وقيل فجزاؤه جهنم إن جازاه ، وفيه بعد لقوله : « فغضب الله عليه ولعنه » ^(١٣٧)

● سورة المائدة :

الآولى ^(١٣٨) : « لا تحلوا شعائر الله » ^(١٣٩) ذهب قوم إلى استحكامها ^(١٤٠) وقالوا ^(١٤١) لا يجوز استحلال الشعائر ولا الهدى قبل أوان ذبحه . وقال ^(١٤٢) آخرون : كانت الجاهلية تقلد من شجر الحرم فقليل لا تستحلوا أخذ القلائد ^(١٤٣) من الحرم ولا تصدوا القاصدين إلى البيت . وذهب آخرون إلى أنها منسوخة ولهم في المنسوخ ثلاثة أقوال : أحدها : « ولا آمين في البيت » ^(١٤٤) فنسخ في المشركين بقوله :

« فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ^(١٤٥) . والثاني : الآية ^(١٤٦) تحرم الشهر الحرام والأمين إذا كانوا مشركين وهدى المشركين ولم يكن لهم أمان . والثالث : أن جميعها منسوخ هكذا أطلقه جماعة ^(١٤٧) وليس صحيح ^(١٤٨) فإن قوله : « وإذا حللتهم فاصطادوا وتعاونوا على البر والتقوى » ^(١٤٩) إلى آخرها فلا وجه لنسخه .

الثانية : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » ^(١٥٠) فيها ثلاثة أقوال : أحدها : إنها اقتضت إباحة ذبائح أهل الكتاب على الإطلاق وإن علمنا أنهم أهلوا عليها بغير اسم الله وأشركوا به غيره . هذا قول الشعبي ^(١٥١) وآخرين . والثاني : إن ذلك مباح ^(١٥٢) في أول الإسلام ^(١٥٣) ثم نسخ بقوله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ^(١٥٤) والثالث : إنما أبيحت ذبائحهم ^(١٥٥) لأنه الأصل ^(١٥٦) فمتى علم أنهم قد ذكروا (٦ و) غير اسم الله لم يؤكل فعلى هذا الآية محكمة .

الثالثة : « فاعف عنهم واصفح » ^(١٥٧) الأكثرون على نسخها بآية السيف . وقال ابن جرير ^(١٥٨) يجوز أن يعفى ^(١٥٩) عنهم في عذارة ^(١٦٠) ففعلوها مالم ينصبوا حرباً ولم يمتنعوا من أداء الجزية ولا ^(١٦١) يتوجه النسخ ^(١٦٢) .

الرابعة : « فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » ^(١٦٣) اقتضت تخييره ^(١٦٤) بين الحكم وتركه ثم قيل : ونقل : ^(١٦٥) هذا التخيير ثابت أم نسخ فيه قولان : أحدهما : ^(١٦٦) في الحكم إنه نسخ بقوله : « وإن أحكم بينهما بما أنزل الله » ^(١٦٧) وهذا مذهب ابن عباس وعطاء ^(١٦٨) وعكرمة ^(١٦٩) والسدي ^(١٧٠) .

والثاني : أنه ثابت لم ينسخ وإن الإمام ونوابه مخيرون ^(١٧١) إذا ترفعوا إليهم إن شاءوا ^(١٧٢) حكموا وإن شاءوا أعرضوا فإن حكموا حكموا بالصواب .

الخامسة: « ما على الرسول إلا البلاغ »^(١٧٣) قيل هي محكمة والمراد ماعليه إلا البلاغ لا الهدى . وقيل أنها تتضمن الاقتصار على التبليغ دون الأمر بالقتال ثم نسخت بآية السيف^(١٧٤) والأول أصح.

السادسة: « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم »^(١٧٥) فيها قولان: أحدهما^(١٧٦): أنها تضمنت الأمر بكف الأيدي عن قتال الضالين فنسخت بآية السيف .

والثاني: إنها محكمة لأنها لا تمنع من قتال^(١٧٧) فهو الصحيح .

السابعة: « شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية إثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم »^(١٧٨) الإشارة بهذا إلى الشاهدين اللذين شهدا على الموصى في السفر . وفي قوله « أو آخران من غيركم » قولان: أحدهما: من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون أيضا فعلى هذه الآية محكمة . والثاني: من غير أهل^(١٧٩) ملتكم . وهل هذا الحكم باق عندنا ؟ إنه باق^(١٨٠) لم ينسخ وهو قول ابن عباس وابن المسيب^(١٨١) وابن جبير^(١٨٢) وابن سيرين^(١٨٣) والشعبي^(١٨٤) والثوري^(١٨٥) .

والثاني: أنه منسوخ بقوله: « واشهدوا ذوي عدل منكم »^(١٨٦) وإليه مال أبو حنيفة ومالك^(١٨٧) والشافعي^(١٨٨) . ونحن نقول هذا موضع ضرورة فجاز فيه ما لا يجوز في غيره لقبول الشهادة من النفساء بالنفاس والحيض والاستهلال.

● سورة الأنعام (٦ ظ):

الأولى^(١٨٩): « إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم »^(١٩٠) زعم بعضهم أنه كان يحث النبي^(١٩١) (صلى الله عليه وسلم)^(١٩٢) خوف عواقب الذنوب ثم نسخ^(١٩٣) بقوله « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر »^(١٩٤) الظاهر من هذه المعاصي الشرك لأنها جاءت عقب « ولا تكونن من المشركين »^(١٩٥) فإذا قدرنا بالعفو عن ذنب إذا كان لم تقرر^(١٩٦) المسامحة

في شرك لو تصور ، إلا أنه لما لم يجزه^(١٩٧) في حقه بقى ذكره على سبيل التهديد والتخويف من عاقبته كقوله: « لئن اشركت ليحبطن عملك »^(١٩٨) فعلى هذا الآية محكمة وتوكيده أنها خبرية^(١٩٩) والأخبار لا ينسخ^(٢٠٠).

الثانية: « قل لست عليكم بوكيل »^(٢٠١) فيه قولان: أحدهما: إنه اقتضى الاقتصار^(٢٠٢) في حقهم على الإنذار من غير زيادة (ثم نسخ بآية السيف)^(٢٠٣)

والثاني: أن معناه: لست عليكم حفيظا إنما أطلبكم بالظواهر من الإقرار والعمل بالأسرار فعلى هذا محكم^(٢٠٤) وهو الصحيح وتوكيد في أنه خبر^(٢٠٥).

الثالثة: « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم »^(٢٠٦) المراد بهذا الخوض التكذيب ويشبه أن يكون الأعراض منسوخا بآية السيف^(٢٠٧).

الرابعة: « وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا »^(٢٠٨) وفيه قولان: أحدهما: اقتضى^(٢٠٩) المسامحة لهم والإعراض عنهم ثم نسخ بآية السيف^(٢١٠).

والثاني: إن خرج مخرج التهديد كقوله: « ذرني ومن خلقت وحيدا »^(٢١١) فعلى هذا محكم^(٢١٢) وهو الصحيح^(٢١٣).

الخامسة: « قل الله ثم زهرم »^(٢١٤) فيه قولان: أحدهما: أنه أمر بالإعراض عنهم ثم نسخ بآية السيف^(٢١٦). والثاني: أنه تهديد فهو محكم وهو الصحيح .

السادسة: « فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ »^(٢١٧) قيل تضمن ترك قتال المشركين ثم نسخ بآية السيف^(٢١٨) وقيل المعنى لست رقيبا عليكم أحصي أعمالكم فعلى هذا هي محكمة . السابعة: « وأعرض عن المشركين »^(٢١٩) قال ابن عباس نسختها آية السيف^(٢٢٠).

الثامنة: « وما جعلناك عليهم حفيظا »^(٢٢١) قال ابن عباس نسخت بآية السيف^(٢٢٢).



وعلى ما ذكرنا في نظايرها ^(٢٢٣) تكون محكمة .
التاسعة : « فذرهم وما يفترون » ^(٢٢٤) إن قلنا
(٧ و) هذا تهديد فهو محكم . وإن قلنا أمر
بترك قتالهم فمنسوخ بآية السيف ^(٢٢٥) .

العاشر : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ^(٢٢٦)
ذهب جماعة منهم الحسن ^(٢٢٧) ، وعكرمة ^(٢٢٨) إلى
نسخها بقوله : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل
لكم » ^(٢٢٩) وهذا غلط لأنهم إن أرادوا النسخ حقيقة
فليس نسخا وإن أرادوا التخصيص وإنه ^(٢٣٠)
خص بآية المائدة : « وطعام الذين أوتوا (الكتاب) » ^(٢٣١)
فليس بصحيح لأن أهل الكتاب ذكروا اسم الله
على الذبيحة فحمل أمرهم على تلك . فإن تيقنا
أنهم تركوه جاز أن يكون من نسيان والنسيان
لا يمنع الحل أولا عن نسيان لم يجز الأكل فلا
وجه للنسخ ^(٢٣٢) بعد قول ^(٢٣٣) الشافعي هذه
الآية محكمة لأنه إما أن يراد بها عند الميتة أو
يكون نهي كراهة .

الحادية عشرة ^(٢٣٤) : « قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم إنني عامل فسوف تعملون » ^(٢٣٥)
للمفسرين فيه قولان : أحدها ^(٢٣٦) أن المراد
بها ^(٢٣٧) ترك قتال الكفار فهي منسوخة بآية
السيف ^(٢٣٨) . والثاني : التهديد فهي محكمة
وهو الأصح .

الثانية عشرة : « فذرهم وما يفترون » ^(٢٣٩) قيل
هذا تهديد ووعيد فهو محكم وقد يقتضى ^(٢٤٠)
قتال المشركين فهو منسوخ بآية السيف ^(٢٤١) .
الثالثة عشرة ^(٢٤٢) : « وآتوا حقه يوم حصاده » ^(٢٤٣) قال
عطية العوفي ^(٢٤٤) كانوا إذا حصدوا ^(٢٤٥) دريس ^(٢٤٦)
وإذا غربل أعطوا منه شيئا فنسخ ذلك العشر ونصف
العشر . قلت : وهذا إن كان واجبا صح نسخه بالزكاة
وإن قيل مستحب فالحكم باق ^(٢٤٧) .
الرابعة عشرة ^(٢٤٨) : « قل لا أجد فيما أوحى إلي
محرمًا » ^(٢٤٩) الآية .

هذه الآية محكمة وفي وجه إحكامها طريقان :
أحدهما : إنها إنما ^(٢٥٠) حصرت المحرم ولا محرم
سواه ، والثاني : إنها أخبرت عن المحرم من جملة ما
كانوا يحرمون في الجاهلية وقد إدعى قوم نسخها
بآية المائدة ^(٢٥١) ورد هذا عليهم بأن جميع المذكور
في تلك الآية ميتة وقد ذكرت الميتة هاهنا . وزعم
بعضهم أنها نسخت بالسنة فإنها حرمت لحوم
الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من
الطير وهذا لا يصح لأن السنة لا تنسخ القرآن (٧
ظ) والصواب أن يقال هذه نزلت بمكة ولم تكن
الفرائض ^(٢٥٢) قد تكاملت ولا المحرمات فأخبرت
عن المحرمات في الحالة الحاضرة والماضية لا عن
المستقبل ^(٢٥٣) فيؤكد إحكامها أنها ^(٢٥٤) خبر .
الخامسة عشرة : « قل انتظروا إنا منتظرون » ^(٢٥٥)
قد سبق ذكر نظائرها ^(٢٥٦) قيل هي تهديد فتكون
محكمة أو تتضمن النهي عن قتالهم فتكون
منسوخة بآية السيف ^(٢٥٧) .

السادسة عشرة : « لست منهم في شيء » ^(٢٥٨) قال
السدي : لست من قتالهم في شيء ثم نسخت بآية
السيف ^(٢٥٩) .
وقال عندي ^(٢٦٠) ليس إليك من أمرهم شيء وإنما
أمرهم في الجزاء إلى الله تعالى فعلى ^(٢٦١) هذا تكون
محكمة ^(٢٦٢) .

● سورة الأعراف :

الأولى ^(٢٦٣) : « وذروا الذين يلحدون في أسمائهم » ^(٢٦٤)
قال زيد ^(٢٦٥) نسخها الأمر بالقتال ^(٢٦٦) وقال غيره
: هو تهديد لهم وهذا لا ينسخ ^(٢٦٧) .
الثانية : « خذ العفو » ^(٢٦٨) ذهب قوم إلى أنه الزكاة
فتكون محكمة وقال آخرون : هي صدقة كانت
تؤخذ قبل فرض الزكاة ثم نسخت بالزكاة ^(٢٦٩) .
قال ابن زيد ^(٢٧٠) المراد بذلك مساهلة المشركين
والعفو عنهم ثم نسخ بآية السيف .
وأما قوله : « اعرض عن الجاهلين » ^(٢٧١) قيل

نسخ بآية السيف. وقيل: المراد واعرض عن مقاتلتهم لسفهمهم^(٢٧٢) وذلك لا يمنع قتالهم فتكون محكمة^(٢٧٣).

● سورة الأنفال:

(الأولى)^(٢٧٤): «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم»^(٢٧٥).

قيل نسختها «وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام»^(٢٧٦).

وهذا ليس بصحيح لأن النسخ لا يدخل على الأخبار وإنما يثبت^(٢٧٧) الآية الثانية استحقاقهم العذاب فأما الأولى فبيننا^(٢٧٨) دفعه عنهم لكون الرسول فيهم والمؤمنين^(٢٧٩) يستغفرون فلا وجه للنسخ^(٢٨٠).

الثانية: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها»^(٢٨١) قال ابن عباس نسخها: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله»^(٢٨٢) وقال مجاهد: آية السيف، وهي وإن^(٢٨٣) قلنا إنها نزلت ترك محاربة أهل الكتاب إذا بذلوا الجزية فهي محكمة^(٢٨٤).

الثالثة: «إن يكن منكم عشرون (٨ و) صابرون يغلبوا مائتين»^(٢٨٥)، المعنى: يقاتلوا مائتين ولفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر^(٢٨٦) ثم نسخ بقوله «الآن خفف الله عنكم»^(٢٨٧) الآية.

الرابعة: «والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا»^(٢٨٨) قال المفسرون: كانوا يتوارثون بالهجرة وكان المؤمن الذي لم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر ذلك معنى قوله^(٢٨٩): «ما لكم من ولايتهم من شيء»^(٢٩٠) فنسخت بقوله: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض»^(٢٩١).

● الهوامش:

(١) ترجمته في صيد الخاطر: ص ٢٣٥، ومشیخة ابن الجوزي: صفحات متعددة، والكامل في التاريخ: ج ١٢ /

ص ٧١، ومرآة الزمان: ج ٨ / ص ٤٨١ - ٥٠٣، والتكملة لوفيات النقلة: ج ١ / ص ٣٩٤ - ٣٩٥، ومشیخة النعال: ١٤٠، والذيل على الروضتين: ٢١، والجامع المختصر: ج ٩ / ص ٦٥ - ٦٧، ووفيات الأعيان: ج ٣ / ص ١٤٠ - ١٤٢، وتذكرة الحفاظ: ج ٤ / ص ١٣٤٢ - ١٣٤٨، ودول الإسلام: ج ٢ / ص ٧٩، وسير أعلام النبلاء: ج ٢١ / ص ٣٦٥ - ٣٨٤، والعبر في خبر من عبر: ج ٣ / ص ١١٨ - ١١٩، والمختصر المحتاج إليه: ج ٢ / ص ٢٠٥ - ٢٠٨، والمستفاد: ص ٤١٦ - ٤١٨، والبداية والنهاية: ج ١٣ / ص ٢٨ - ٣٠، وعيون التواريخ: ج ١٢ / ص ١٧٤، والذيل على طبقات الحنابلة: ج ١ / ص ٣٩٩ - ٤٣٣، والعسجد المسبوك: ص ٢٦٨ - ٢٦٩، وغاية النهاية: ج ١ / ص ٣٧٥، وشذرات الذهب: ج ٤ / ص ٣٢٩ - ٣٣١.

(٢) مرآة الزمان: ج ٨ / القسم الأول: ص ٤٨٣.

(٣) (وبه نستعين) ساقطة من ب.

(٤) في ب (في تحضير).

(٥) من مؤلفات ابن الجوزي، انظر كتاب مؤلفات ابن الجوزي: ص ١٢٤.

(٦) (بعطفه) ساقطة من ب.

(٧) في ب (إلى الطاعة).

(٨) ما بين القوسين، ساقط من ب.

(٩) يقتضيها السياق.

(١٠) في ب (نقول).

(١١) (ينظر: تاريخ بغداد او مدينة السلام: ج ٩ ص ٤٣٠ والمعارف ص ٥٢٨ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٨).

(١٢) ساقطة من ب.

(١٣) في ب (أبو اعرقوي).

(١٤) ساقطة من ب.

(١٥) الآية ٣.

(١٦) (تهذيب التهذيب: ج ١ ص ٤٢، ومعجم الأدباء:

ج ٦ ص ٢٤٢، وميزان الاعتدال في نقد الرجال: ج ٣ ص ٤٣٩).

(١٧) ما بين القوسين ساقط من ب. وانظر الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة، ص ١١.



- (١٨) التوبة ٦٠.
- (١٩) الآية: ٦٢.
- (٢٠) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص ١١ والنسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٢٨.
- (٢١) آل عمران ٨٥.
- (٢٢) في ب (لأنه إن أشير).
- (٢٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ لإبن سلامة ص ١١ والناسخ، والمنسوخ للعنائقي ص ٢٨، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١٠٦.
- (٢٤) الآية ١٨.
- (٢٥) (النسخ) ساقطة من ب.
- (٢٦) النساء / الآية ٤٨.
- (٢٧) الآية ٨٣.
- (٢٨) ينظر: النسخ والمنسوخ لابن سلامة ص ١٢، والإيضاح لناسخ القرآن و منسوخه ص ١٠٧، والناسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٢٨.
- (٢٩) ما بين القوسين ساقط من ب.
- (٣٠) معرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم ص ٣١٩، والناسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٢٨، والموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص ٢٦٥.
- (٣١) اغلب الأقوال ان آية السيف هي الآية ٥ من سورة التوبة « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ».
- (٣٢) في ب (بالكتاب).
- (٣٣) الآية ١٠٩.
- (٣٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ للعنائقي ص ٢٨، والناسخ والمنسوخ، ص ٣١٩.
- (٣٥) في ب (إلى يدخل).
- (٣٦) الآية ١١٥.
- (٣٧) الآية ١٤٤.
- (٣٨) في ب (فالصحيح).
- (٣٩) الآية ١٩.
- (٤٠) في ب (للكفار).
- (٤١) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص ١٤، والموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص ٢٦٥.
- (٤٢) الآية ١٥٩.
- (٤٣) وهي الآية ١٦٠ وينظر: النسخ والمنسوخ للعنائقي ص ٢٩، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ١٤.
- (٤٤) الآية ١٧٨.
- (٤٥) المائدة / الآية ٤٥. ينظر: الناسخ والمنسوخ للعنائقي ص ٣٠، والناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٢٠.
- (٤٦) الآية ١٨٠.
- (٤٧) النساء / الآية ١١.
- (٤٨) (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ١ ص ٦٣، وطبقات المفسرين ج ١ ص ٧٠، والعبر في خبر عبر ج ١ ص ٤٣٥).
- (٤٩) في النسختين (الحادية عشر) وكذلك في جميع الأعداد المركبة للكيات القرآنية في السور.
- (٥٠) الآية ١٨٣.
- (٥١) في ب (ولا الجماع).
- (٥٢) الآية ١٨٧ ينظر: الناسخ والمنسوخ للعنائقي ص ٣٢، والنسخ والمنسوخ لابن حزم ص ٣٢١.
- (٥٣) في ب (إلى عدده).
- (٥٤) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١٢٤.
- (٥٥) الآية ١٨٤.
- (٥٦) الآية ١٨٥ ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١٢٥، والناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس ص ٢١.
- (٥٧) الآية ١٩٠.
- (٥٨) في ب (مالم).
- (٥٩) ينظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم للنحاس ص ٢٦، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ١٩.
- (٦٠) الآية ١٩١.
- (٦١) ينظر: الموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص ٢٥٦، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ١٩.
- (٦٢) في ب (أحل).
- (٦٣) في ب (فإنما).
- (٦٤) الآية ١٩٢.
- (٦٥) الناسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٣٣، والناسخ

- والمُنسوخ لابن حزم، ص ٣٢٢.
- (٦٦) الآية ٢١٧.
- (٦٧) ينظر: الناسخ والمُنسوخ لابن سلامة ص ٢٠،
- والناسخ والمُنسوخ للعتائقي، ص ٣٤.
- (٦٨) الآية ٢١٩
- (٦٩) المائدة الآية ٩٠:
- (٧٠) الآية ٢١٩ الواردة في الهامش (٦٦).
- (٧١) ينظر: الناسخ والمُنسوخ في القرآن الكريم للنحاس ص ٣٥، والناسخ والمُنسوخ للعتائقي، ص ٣٥.
- (٧٢) الآية ٢٢١.
- (٧٣) في ب (هذا لفظ عام خاص منه).
- (٧٤) ينظر: الناسخ والمُنسوخ لابن حزم ص ٣٢٤، والإيضاح لناسخ القرآن الكريم ومُنسوخه، ص ١٤٢.
- (٧٥) الآية ٢٢٨.
- (٧٦) ينظر: النسخ والمُنسوخ للعتائقي ص ٣٦، والإيضاح لناسخ القرين ومُنسوخه، ص ١٤٨.
- (٧٧) الآية ٢٤٠.
- (٧٨) الآية ٢٣٤، وينظر: معرفة الناسخ والمُنسوخ لابن حزم، ص ٣٢٥، والناسخ والمُنسوخ لابن سلامة، ص ٢٦.
- (٧٩) الآية ٢٥٦.
- (٨٠) ينظر: الناسخ والمُنسوخ لابن سلامة ص ٢٧، والناسخ والمُنسوخ للعتائقي، ص ٣٧.
- (٨١) الآية ٢٨٤.
- (٨٢) الآية ٢٨٦ وينظر: الناسخ والمُنسوخ للعتائقي، ص ٣٨، ومعرفة الناسخ والمُنسوخ لابن حزم، ص ٣٢٦.
- (٨٣) (العبر في خبر من غير ج ١، ص ٧٦، وطبقات المفسرين ج ١ ص ٢٣٢، وتاريخ بغداد ج ١، ص ١٧٣).
- (٨٤) مرت ترجمته في الصفحة ١٤.
- (٨٥) في ب (ويؤكد أنه خبر) وينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومُنسوخه ص ١٦٧، والناسخ والمُنسوخ لابن سلامة ص ٢.
- (٨٦) ساقطة من النسختين. ويقتضيها السياق.
- (٨٧) الآية ٢٠ وفي النسختين «فإن تولوا» وهو تصحيف.
- (٨٨) في ب (منسوخة بالسيف) وينظر: الناسخ والمُنسوخ للعتائقي، ص ٣٨، والناسخ والمُنسوخ لابن سلامة، ص ٢٩، الموجز في الناسخ والمُنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص ٢٦٥.
- (٨٩) في ب (فسوق).
- (٩٠) الآية ٢٨.
- (٩١) في ب (القتل).
- (٩٢) ينظر: والناسخ والمُنسوخ لابن سلامة، ص ٢٩، و الموجز في الناسخ والمُنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص ٢٦٥.
- (٩٣) في ب (المؤمن).
- (٩٤) الآية ١٠٢.
- (٩٥) (من المفسرين) ساقطة من ب.
- (٩٦) التغابن / الآية ١٦ وينظر: الناسخ والمُنسوخ للعتائقي، ص ٣٩ والناسخ والمُنسوخ لابن سلامة ص ٣٠، ومعرفة الناسخ والمُنسوخ لابن حزم، ص ٣٢٧.
- (٩٧) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومُنسوخه ص ١٧١.
- (٩٨) يقتضيها السياق.
- (٩٩) الآية ٦.
- (١٠٠) (المعرف، ص ٤٤٤، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٨، وتهذيب التهذيب ج ٧، ص ١٩٩).
- (١٠١) في ب (الناس).
- (١٠٢) الآية ١٠.
- (١٠٣) (الكنى والألقاب، ج ١، ص ٥٣، وتهذيب التهذيب، ج ١ ص ٤٤٩، وتاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٣، ص ٣٢٣).
- (١٠٤) الآية ٨.
- (١٠٥) في ب (نسخها)
- (١٠٦) آية الميراث هي الآية ١١ من سورة النساء.
- (١٠٧) الآية ١٥.
- (١٠٨) الآية ١٦.
- (١٠٩) في ب (أفضت).
- (١١٠) سورة النور / الآية ٢ وفي النسختين الزان، وما أثبتناه من المصحف الشريف.
- (١١١) الآية ٣٣ وفي النسختين «عاقدت» وما أثبتناه من المصحف الشريف.
- (١١٢) في ب (يتعاقدا).



- (١١٣) مرت ترجمته في الصفحة ٢٦ الهامش رقم ١.
- (١١٤) الآية ٤٣.
- (١١٥) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٣٧.
- (١١٦) (بقوله) ساقطة من ب.
- (١١٧) سورة المائدة / الآية ٩٠ ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٣٧.
- (١١٨) الآية ١٦.
- (١١٩) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٣٨ ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٣٢، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص ٤٤، والموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص ٢٦٥.
- (١٢٠) الآية ٨٠.
- (١٢١) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٣٧ ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٣٢، والموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص ٢٦٥.
- (١٢٢) في ب (ما أرسلناك رقيباً).
- (١٢٣) الآية ٨١.
- (١٢٤) ينظر: ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٣٣، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص ٤٤.
- (١٢٥) الآية ٩٠.
- (١٢٦) في ب (يصلون).
- (١٢٧) سورة المائدة / الآية ٩٠.
- (١٢٨) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٣٨ ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٣٣، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص ٤٤.
- (١٢٩) في النسختين (الحادية عشر).
- (١٣٠) الآية ٩٣.
- (١٣١) الآية ١١٦ وينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٣٩، ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٣٣، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص ٤٥.
- (١٣٢) في ب (لو قتله).
- (١٣٣) في ب (فإذا ثبت).
- (١٣٤) في ب (من العام المخصص).
- (١٣٥) وبعدها: «فأي دليل صلح للتخصيص وجب العمل به ومن أسباب التخصيص أن يكون»
- (١٣٦) في ب (لاستحلاله).
- (١٣٧) الآية ٩٣.
- (١٣٨) ساقطة من النسختين، ويقتضيها السياق.
- (١٣٩) الآية ٢.
- (١٤٠) في ب (إلى إحكامها).
- (١٤١) في ب (وقال).
- (١٤٢) في ب (فقال).
- (١٤٣) في ب (القلائد).
- (١٤٤) سورة المائدة / الآية ٢.
- (١٤٥) سورة التوبة / الآية ٢٨.
- (١٤٦) في ب (آية).
- (١٤٧) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٣٤، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص ٤٦.
- (١٤٨) في ب (وليس بصحيح).
- (١٤٩) المائدة / الآية ٢.
- (١٥٠) الآية ٥.
- (١٥١) (المعارف ص ٤٤، وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٦٥، والكنى والألقاب ج ٤ ص ٣٦١).
- (١٥٢) في ب (كان مباحاً).
- (١٥٣) في ب (في أول الأمر).
- (١٥٤) سورة الإنعام / الآية ١٢١.
- (١٥٥) في ب (ذبائحهم).
- (١٥٦) في ب بعدها «إنهم يذكرون اسم الله فمتى...»
- (١٥٧) الآية ١٣.
- (١٥٨) محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب التصانيف المشهورة، مفسر مؤرخ (ت ٣١٠هـ) (البداية والنهاية في التاريخ، ج ١١، ص ١٤٥، وطبقات المفسرين، ج ٢، ص ١٠٦، وتاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٢، ص ١٦٢).
- (١٥٩) في ب (يعفو).
- (١٦٠) في ب (غدر).
- (١٦١) في ب (فلا).
- (١٦٢) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ص ٢٣٣.
- (١٦٣) الآية ٤٢.
- (١٦٤) في ب (تخييره).

- (١٦٥) في ب (وهل).
- (١٦٦) في ب (أحدها).
- (١٦٧) سورة المائدة / الآية ٤٩.
- (١٦٨) مرت ترجمته في ص ٢٦ الهامش رقم ٩٨.
- (١٦٩) (طبقات المفسرين، ج ١، ص ٣٨٠، والعبر في خبر من عبر، ج ١، ص ١٧١، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٥).
- (١٧٠). (خلاصة تهذيب الكمال، ص ٣٠، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١، ص ٣٠٤، واللباب في تهذيب الأنساب، ج ١، ص ٥٣٧).
- (١٧١) في ب (مخبرون) في آخر الآية.
- (١٧٢) في ب (إن شاءوا) والصحيح إن شاءوا.
- (١٧٣) الآية ٩٩.
- (١٧٤) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٤٢، والناسخ والمنسوخ للعتاقي، ص ٤٧، والموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص ٢٦٦.
- (١٧٥) الآية ١٥.
- (١٧٦) ي ب (أحدهما).
- (١٧٧) في ب (من قاتل المشركين).
- (١٧٨) الآية ١٠٦.
- (١٧٩) (أهل) ساقطة من ب.
- (١٨٠) (إنه باق) ساقطة من ب.
- (١٨١) أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي أحد فقهاء المدينة السبعة (ت ٩٤ هـ) (المعارف ص ٤٣٧، وتذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٥٤، وتهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢٨٤).
- (١٨٢) أبو عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي حبشي الأصل أعلم التابعين أخذ عن ابن عباس وابن عمر قتله الحجاج بواسط سنة ٩٥ هـ (المعارف ص ٤٤٥، وتذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٧٦، وطبقات المفسرين، ج ١، ص ١٨١).
- (١٨٣) أبو بكر محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا (ت ١١٠ هـ) (تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٧، والمعارف ص ٤٤٢، وتهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٢١٤).
- (١٨٤) مرت ترجمته في ص ٣٤ الهامش رقم ٤٩.
- (١٨٥) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من أعلام
- المحدثين راوده المنصور على أن يلي الحكم فأبى وهرب من الكوفة إلى البصرة ومات فيها متخفيا سنة ١٦١ هـ (طبقات المفسرين، ج ١، ص ١٨٦، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ١، ص ٢٥٠، وتهذيب التهذيب، ج ٤، ص ١١١).
- (١٨٦) سورة الطلاق / الآية ٢.
- (١٨٧) أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي الحميري أحد الأئمة الأربعة وإليه ينسب المذهب المالكي له كتاب الموطأ توفي في المدينة سنة ١٧٩ هـ (تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢٠٧، وتهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٥، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ٦، ص ٣١٦).
- (١٨٨) (طبقات المفسرين، ج ٢، ص ٩٨، والوافي بالوفيات ج ٢، ص ١٧١، و شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٢، ص ٩).
- (١٨٩) ساقطة من النسختين، يقتضيها السياق.
- (١٩٠) الآية ١٥.
- (١٩١) في ب (كان يجب على النبي).
- (١٩٢) ما بين القوسين زيادة من ب.
- (١٩٣) في ب (نسخة).
- (١٩٤) سورة الفتح / الآية ٢.
- (١٩٥) سورة الأنعام / الآية ١٤.
- (١٩٦) في ب (نقدر).
- (١٩٧) في ب (نعرفة).
- (١٩٨) سورة الزمر / الآية ٦٥.
- (١٩٩) في ب (انه خبر).
- (٢٠٠) ينظر: الناسخ والمنسوخ للعتاقي، ص ٤٩.
- (٢٠١) الآية ٦٦.
- (٢٠٢) في ب (الاختصار).
- (٢٠٣) ما بين القوسين في ب (ناسخ بآية السيف) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٤٤، والناسخ والمنسوخ للعتاقي، ص ٤٩.
- (٢٠٤) في ب (هو محكم).
- (٢٠٥) في ب (وتوكيده أنه خبر) وينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص ٢٤٢.
- (٢٠٦) الآية ٦٨.
- (٢٠٧) في الناسخ والمنسوخ للعتاقي، ص ٤٩، والناسخ



لها الجزء الأخير من الآية نفسها وهو قوله «فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين» (٢٠٨) الآية ٧٠.

(٢٠٩) في ب (أنه اقتضى).

(٢١٠) ينظر: والناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٤٥، والناسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٤٩، ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٣٦، إن الناسخ للآية الكريمة قوله تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين آتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» التوبة / الآية ٢٩.

(٢١١) سورة المدثر / الآية ١١.

(٢١٢) في ب (هو محكم).

(٢١٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم للنحاس ١٣٧.

(٢١٤) الآية ٩١.

(٢١٥) ساقطة من ب.

(٢١٦) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٤٥، الناسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٤٩، ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٣٧.

(٢١٧) الآية ١٠٤.

(٢١٨) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٤٥، والناسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٤٩، ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٣٧.

(٢١٩) الآية ١٠٦.

(٢٢٠) ينظر: الناسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٤٩، ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٣٧.

(٢٢١) في النسختين (وما أرسلناك) وما أثبتناه من المصحف الشريف الآية ١٠٧.

(٢٢٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٤٥، والناسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٤٩، ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٣٧.

(٢٢٣) في ب (نظائرها).

(٢٢٤) الآية ١٢١.

(٢٢٥) ينظر: الناسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٥٠، ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٣٧.

(٢٢٦) الآية ١٢١.

(٢٢٧) (المعارف ص ٤٤٠، وطبقات المفسرين ج ١ ص ١٤٧، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧١).

(٢٢٨) مرت ترجمته في الصفحة ٣٤ الهامش رقم ٦٧.

(٢٢٩) سورة المائدة / الآية ٥، وينظر: الناسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٥٠، ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٣٧.

(٢٣٠) في ب (فإنه).

(٢٣١) مابين القوسين ساقط من أ.

(٢٣٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٥٠.

(٢٣٣) في ب (فعلى قول).

(٢٣٤) في أ (الحادي عشر).

(٢٣٥) الآية ١٣٥.

(٢٣٦) في ب (أحدهما).

(٢٣٧) في ب (فيها).

(٢٣٨) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٤٦، والناسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٥٠.

(٢٣٩) الآية ١٣٧.

(٢٤٠) في ب (يقتضى ترك قتال).

(٢٤١) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٤٦، والناسخ والمنسوخ للعنائقي، ص ٥٠.

(٢٤٢) في النسختين الثالثة فقط والصحيح (الثالثة عشرة).

(٢٤٣) الآية ١٤١.

(٢٤٤) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٢٤، والأعلام ج ٥ ص ٣٢.

(٢٤٥) في ب (حصد).

(٢٤٦) في ب (أدبس).

(٢٤٧) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص ٢٤٧.

(٢٤٨) في نسخة أ (الرابعة) والصحيح (الرابعة عشرة).

(٢٤٩) الآية ١٤٥.

(٢٥٠) في ب (إنها).

(٢٥١) في ب (المائدة).

(٢٥٢) في ب (الفرائض).

(٢٥٣) في ب (المستقبل).

(٢٥٤) في ب (إنه).

- (٣٥٥) الآية ١٥٨ (٢٧٣) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص ٢٥٣
- (٢٥٦) في ب (نظائرها). (٢٧٤) يقتضيها السياق
- (٢٥٧) (آية السيف) ساقطة من ب، (السيف) يقتضيها (٢٧٥) الآية ٣٣
- السياق، ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٤٦، (٢٧٦) الآية ٣٤
- والناسخ والمنسوخ للعتاقي، ص ٥٠. (٢٧٧) في ب (بينت).
- (٢٥٨) الآية ١٥٩. (٢٧٨) في ب (فبينت)
- (٢٥٩) ينظر: الناسخ والمنسوخ للعتاقي، ص ٥٠. (٢٧٩) في ب (والمستغفرين)
- (٢٦٠) في ب (غيره). (٢٨٠) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص ٢٥٨
- (٢٦١) ساقطة من ب. (٢٨١) الآية ٦١.
- (٢٦٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم (٢٨٢) سورة التوبة / الآية ٢٩ وينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس، ص ١٤٦.
- (٢٦٣) يقتضيها السياق. (٢٨٣) (وهي وإن) ساقطة من ب .
- (٢٦٤) الآية ١٨٠. (٢٨٤) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ٢٥٩.
- (٢٦٥) لم أعثر على ترجمة له لعله ابن زيد الذي سيرد اسمه في الكتاب بعد قليل. (٢٨٥) الآية ٦٥.
- (٢٦٦) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص ٢٥٢. (٢٨٦) في ب بعدها زيادة (ومعناه الخبر).
- (٢٦٧) ينظر: المصدر نفسه . (٢٨٧) الآية ٦٦.
- (٢٦٨) الآية ١٩٩. (٢٨٨) الآية ٧٢.
- (٢٦٩) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٤٧. (٢٨٩) في ب (تعالى).
- (٢٧٠) (ميزان الاعتدال ص ٥٦٤، وتهذيب التهذيب، ج ٦ (٢٩٠) الآية ٧٢.
- ص ١٧٧، وطبقات ابن سعد، ج ٥، ص ٤١٣). (٢٩١) الآية ٧٥ وينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة،
- (٢٧١) في ب (فاعرض) ص ٥٠ ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم،
- (٢٧٢) في ب (لسفهم) ص ٣٣٩.



Al- Musafa

Biakuf Ahl Al- Rusukh

(study and supervision)

By: Dr. Eman Saleh Mahdi



Abstract

The manuscript (Al- Mustafa Biakf Ahl Al- Rusukh from the sciences Reproducer and Replicator) by Jamal al-Din Abi al-Faraj Ibn al-Jawzi its subject Reproducer and Replicator a branch of the sciences of the Holy Quran First: what copied the drawing and wisdom, and the second : On this last section, Ibn al-Jawzi placed this book and stood in it on the verses that copied its ruling and remained in the Holy Qur'an, and reviewed the words of the scholars in it. Likely to say the previous or contrary to it standing on the verses that dealt with this Not according to the inside of the Quranic verse approves the order of the Holy Quran.



المكتبة
العلمية
والإسلامية
بجامعة
البحرين

مخطوطة (امراض المعدة)

من كتاب تقويم الأبدان وتدبير الأنسان

لابن جزلة البغدادي المتوفى عام (٤٧٣هـ)

م.د. نهاد نعمة مجيد *



● المقدمة

اقتصرنا في هذا البحث على ذكر الامراض الخاصة بالمعدة، والتي صنفها ابن جزلة، واكثر من يصيب بها والمناطق التي تتعرض لها هذه الامراض ومدى تأثيرها على المريض سواء كان شابا او كهلا، ومدى خطورتها، وتعليل اسبابها، واخيرا علاجها بانواع الادوية المفردة والمركبة، المسهلة والمقيئة وبطرق الاستفراغ سواء بالقيء او الاستفراغ او الدهان فضلا عن هذا العلاج بالغذاء نفسه، كالابتعاد عن اطعمة معينة وتناول اخرى، حتى يتعافى المريض تماما .

● ما يكثر فيه من الامراض الخاصة في فم المعدة

- برد المرئ:

الامزاج الباردة، الأسنان، الشيوخ: الازمان : الشتاء في البلدان الشمالية، السلامة والخوف : غير مخوف، السبب دوام استعمال الاشياء الباردة او الافراط في الدعة والراحة العلامة قلة العطش والاندفاع بالأشياء الحارة ، الاستفراغ : تركه إلا يكون ممتلئاً، التدبير الملوكي : مرق فروج أسفيذبا^(١) بشبت ودار صيني^(٢) يتجرع ماء حاراً، التدبير السهل الوجود: ماء مغلي فيه مصطكي^(٣) وأنيسون وبزر الرازيانج^(٤).

* كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

التدبير الشامل : ينبغي ان يسقى مرق أسفيدياج حارة بالفعل والقوة ويسقى ماء قد أغلى فيه سنبل الطيب وأنيسون وشبت^(٥) مع ميختج ، ويمرخ بين الكتفين بدهن النرجس أو دهن القسط ويضمّد بالأفسنتين والصبر والمصطكي وسنبل الطيب .

-يبس المرئ

الأمزاج: اليابسة الأسنان: الكهول الأزمان: الخريف البلدان: الشمالية السلامة والخوف: غير مخوف السبب: تناول الاشياء اليابسة وكثرة التعب أو قلة تناول الأغذية الرطبة .

العلامة: جفاف في الفم وعطش .الاستفراغ: تركه التدبير الملوكي: شراب بنفسج^(٦) ودهن لوز ومرق الدجاج السمين .التدبير السهل الوجود: حسو بلبن حليب او لعاب حب السفرجل.

التدبير الشامل: ينبغي أن يسقى شراب اللينوفر^(٧) مع دهن حب القرع والأوراق المعمولة بشحم البط والخبازي وحساء بدقيق سميد ولبن حليب ويتجرع لبن الأتن^(٨) والبقر وهو حار ساعة حله ويمرغ بين كتفيه بدهن حب القرع ودهن البنفسج وشمع ويضمّد بورق الخبازي وورق الخطمي^(٩) ودهن البنفسج^(١٠) .

-رطوبة المرئ

الأمزاج: الرطبة ، الأسنان : الشيوخ ، الأزمان : الشتاء البلدان : الجنوبية ، السلامة والخوف : غير مخوف ، السبب : تناول الاشياء الرطبة والاكثار منها والدعة أو خلط في المعدة، العلامة : رطوبة الفم وكثرة البصاق، الاستفراغ: بالقيء إن كان في المعدة خلط

التدبير الملوكي: اسكنجين أو شراب التفاح المطيب ومصطكي^(١١) ، التدبير السهل الوجود : بكرة كل يوم يستف درهمًا وردًا يابسًا مدقوقًا ناعمًا

ويصطنع بالمرئ^(١٢) .

التدبير الشامل : يستعمل الاطريقفل الصغير^(١٣) والاهليج^(١٤) المر فانه شديد النفع في ذلك ويمنع من كثرة شرب الماء والاغذية المرطبة ويستعمل الدجاج والفروج والدراريج مطبوخة بمري ودار صيني^(١٥) .

-الورم الحار في المرئ

الامزاج: الحارة الاسنان: الصبيان الازمان: الربيع. البلدان: الشمالية السلامة والخوف: إن سد مجراه...السبب: انصباب دم أو صفراء العلامة: الحمى والعطش الشديد وودج في الكتفين ، الاستفراغ: فصد الأكحل ، التدبير الملوكي: ماء الرمان او شراب التوت^(١٦) ، التدبير السهل الوجود: ماء بزر بقلّة وماء الهندباء^(١٧) .

التدبير الشامل: ينبغي ان يتجرع ماء بزر بقلّة بجلاب قليلا قليلا وماء الشعير بشراب البنفسج ويسقى ماء الهندباء قد مرس فيه خيار شنبر^(١٨) مع دهن بنفسج ويضمّد بين الكتفين بالصندل^(١٩) وماء الهندباء وماء الكزبرة ثم بدقيق شعير وخطمية وبنفسج ونخالة الحواري وبابونج^(٢٠) واكليل الملك^(٢١) فإن بدا الورم يجمع مادته وعلامته ظهور قشعريرة فيتجرع ماء التين مع الميختج مفترا ويضاف الى الضماد دقيق الحلبة^(٢٢) ودهن البنفسج وعصير التين ويسقى ماء النخالة مطبوخ بدقيق باقلي وسكر ودهن بنفسج او دهن لوز^(٢٣) حلو^(٢٤) .

- الورم البارد في المعدة

الأمزاج الباردة الأسنان : الكهول والشيوخ الازمان : الشتاء، البلدان : الباردة ، السلامة والخوف : مخوف ان سد مجراه ، السبب : انصباب دم او صفراء ، العلامة : ثقل بين الكتفين من غير وجع ، الاستفراغ : بالحقن الحارة

التدبير الملوكي : مرق وإسفيداج^(٢٥) ودار صيني.
التدبير السهل الوجود : يتجرع ماء قد طبخ فيه
شبت وخل ويغتذى بماء حمص.

التدبير الشامل : يمرخ بين كتفيه بدهن الشبت
ويضمّد بالبابونج والحلبة والكليل الملك^(٢٦) وعصير
التين ويسقى ماء قد طبخ فيه حلبة وبزر كتان
وشبت بميختج ويغتذى بماء حمص حار وأوراق
معمولة بكرنب^(٢٧) وشبت وأمثاله .

- حرارة فم المعدة

الأمزاج : الحارة ، الاسنان : الشباب ، الازمان : الصيف
...البلدان : الحارة السلامة والخوف : غير مخوف ،
السبب : تناول الاشياء الحارة او التعب الكثير وقلة
ما يتناوله ، العلامة : العطش ومرارة يجس بها في فم
المعدة والاستلذاذ بشرب الماء البارد ووجعه من خارج
على المعدة^(٢٨) .

الاستفراغ : تركه ، التدبير الملوكي : رب التفاح
وشراب الحصرم وقرص الكافور.

التدبير السهل الوجود : ماء الرمان المر ، التدبير
الشامل : ينبغي ان يتناول من سفوف صفته ورد
احمر وبزر بقلّة ولب حب القثا والخيار من كل
واحد درهم طباشير وصندل ابيض وأنبرياس
كزبرة^(٢٩) يابسّة منقوعة في خل خمر مجففة
من كل واحد نصف كافور دانق^(٣٠) عود صيني
ونصف يدق ناعما ويؤخذ منه مثقال بشراب تفاح
وشراب حصرم ويعطى قرص الطباشير الملين
بالمخيض او بماء حماض الاترج او رب الحصرم
او رب الريباس ويضمّد فم المعدة بماء ورق الخس
او ماء حي العالم او ماء الهندباء وماء الورد وماء
جرادة القرع والصندل والكافور ويسير خل
ويغتذى بالفرايج بماء الحصرم وماء الرمان
وعيدان البقلة والسّمك الهاربي مسكيج^(٣١) .

- حواشي الورقة الثانية والثلاثين

سوء مزاج المعدة اما ان يكون من كيفية مفردة
او مع انصباب مادة والمادة اما صفراوية بلغمية
وسوداوية وييس المعدة ورطوبتها ليس يكاد
يستحكم إلا ويحدث عند الرطوبة الاستسقاء وعن
الييس الذبول وهو المرض المسمى الشيوخوخة واما
اورام المعدة فهي اما حارة او باردة والفرق بين
سوء المزاج الكائن في المعدة مع مادة وبين ما هو
مفرد النظر الى ما يبرز بالقئ بعد تناول غذاء
محمود فإن كان مختلطا ببعض الاخلاط فهو مع
مادة وان لم يشبه شيئا من الاخلاط فهو مفرد
وبالبراز وبالبول ايضا فانه اذا كان بعد تناول
الغذاء المعتدل والماء المعتدل ثخيناً^(٣٢) غليظا
دل على ان سوء المزاج مع مادة وان كان رقيقا
صافيا دل على ان سوء المزاج مفرد وبالبراز بعد
الاغذية المعتدلة ان كان مختلطا باحد الاخلاط
فسوء المزاج مع مادة وان لم يكن فسوء المزاج
مفرد بانتفاخ عروق البدن وامتلأها يعتبر^(٣٣)
ذلك ايضا وتفرق الاتصال يستدل عليه بما ذكرت
في نفث الدم وعلاجه مذكور هناك وفساد الشهوة
اما بالزيادة فيها او بالنقصان منها او بطلانها او
جريانها مجرى منكرا كما يعرض في الوحم وهو
زيادة الشهوة في كفيّتها فان زادت في كميتها فهو
الجوع الكلي والوحم كثيرا ما يعرض للحوامل
عند اجتماع فضل ردي في فم المعدة من فضلات
دم الطمث (الحيض) الذي يتغذى منه الجنين
فانه يصير نفعه غذاء الجنين ومادونه في الجودة
يصير الى الثدي فيصير لبنا وأرده يبقى فيصير
بعضه الى فم المعدة فيحدث الشهوات الردية
ويعرض بالمرارة ذلك في الشهور الثلاثة وينقطع
في الرابع لأن الجنين ما دام صغيرا يتغذى بالقليل

من هذا الدم ويبقى كثيره فاذا كبر يحتاج الى غذاء كثير واغتذى باكثر الدم يبقى منه فضلة يحدث اللحم فاما قوله بوليموس فهو الجوع المفرط للاعضاء فان المعدة اذا اشتد بردها لم تشته فاذا بطلت الشهوة قل استمداد الكبد للغذاء وطلبت من المعدة ولم تعطها فيكون الجوع للاعضاء كلها الا فم المعدة والفرق بينه وبين الشهوة الكلية^(٣٤) ان في هذه العلة تبطل الشهوة ويهزل الجسم فتضعف القوة وفي الشهوة الكلية تكون الشهوة قوية والاعضاء ممتلئة .

- برد المعدة ورطوبتها

الامزاج : الباردة ، الاسنان : الشيوخ ، الازمان : الشتاء ، البلدان : الجنوبية ، السلامة والخوف : غير مخوف ، السبب : تناول الاشياء الباردة والاكثر من الطعام والشراب .

العلامة : العطش والانتفاع بوضع الاشياء الحارة على فم المعدة وتناول الاشياء الباردة .^(٣٥)

الاستفراغ : تركه ، التدبير الملوكي : جلنجبين الطبرزد^(٣٦) وماء ورد قد أغلي فيه عود ومصطكي ، التدبير السهل الوجود : ماء قد اغلي فيه مصطكي وانيسون وبزر كرفس وفوتج

التدبير الشامل : ينبغي ان يعطى اقراص الورد والجلنجبين فان اصلح بذلك والا فيعطى دواء

المسك والترياق الكبير مع ماء مغلي فيه مصطكي ومسك وعود هندي^(٣٧) وصبر وافستنتين وزعفران

معجون ذلك بماء السفرجل وتطلى المعدة بالقيروطي متخذا من ماء المرزنجوش^(٣٨) وشمع ودهن

مصطكي ويغتذى بالدراج والطيهوج^(٣٩) مطبنا او ماء حمص ويستعمل هذا السفوف وصفته عود هندي ومصطكي وسنبيل الطيب^(٤٠) وجوز من كل

واحد درهم مرماموز وانيسون وبزر الكرفس من كل واحد ثلاث دراهم ورد احمر خمسة دراهم يدق وياخذ منه مثقال بشراب التفاح^(٤١) .

- برد المعدة من بلغم او سوداء

الامزاج : الباردة ، الاسنان : الشيوخ والكهول ، الازمان : الخريف ، البلدان : الجنوبية

السبب : البلغم والسوداء ، العلامة : ان يجد طعم الحموضه في فمه ، الاستفراغ : بحب الصبر او بحب الذهب فيتقيا بسكنجيين وماء حار وملح جريش بعد

اكل الفجل ، التدبير الملوكي : جلنجبين ومصطكي وماء ورد مغلي^(٤٢) فيه عود ومصطكي ، التدبير

السهل الوجود : مصطكي ونعناع يابس وانيسون وبزر كرفس مغلي^(٤٣) في الماء ويشرب .

التدبير الشامل : بعد تنظيف المعدة يعطى اقراص الورد والجلنجبين المغلي فان نفع والا

يعطى من المثروديطوس والترياق مع ماء التفاح او ماء النعناع فان كانت ضعيفة فاكتف في علاجه

باقرص الورد والجلنجبين وماء الورد المغلي فيه قرنفل وعود وتفتح وان كانت قوية فاعطه

المعجونات الكبار فاذا حمض الغذاء في المعدة فيعطى كمون كرمانى دائق ونصف درهم فلفل

قيراط عود هندي دائق ونصف يدق الجميع ناعما ويشرب بميختج وماء فاتر^(٤٤) .

- يبس المعدة

الامزاج : اليابسة الاسنان : الكهول الازمان : الخريف . البلدان : الشمالية ، السلامة والخوف : مخوف ، السبب : تناول الاشياء اليابسة وقلة

الاغذية والتعب الشديد ، العلامة : جفاف الفم وقمل البدن وذبوله ، الاستفراغ : تركه ، التدبير

الملوكي : ذراييج بقرع واسفاناخ أسفيذباج ، التدبير السهل الوجود : تناول اللبن الجيد ، التدبير

الشامل : ينبغي ان يعطي المخيض او لبن النساء او الاتن او المعز الطرية السن ويستحم بماء قد اغلي فيه بنفسج و لينوفر وقرع وخس وشعير مقشر مرضوض ويغتذى بفراريج وقرع واسفاناج ويضمّد المعدة بقيروطي متخذ من دهن بنفسج لينوفر ودهن حب القرع وشمع ابيض وماء الخس وماء حي العالم وبقلة الحمقا او يغتذى بسمك هاربي ويجهد في ترطيب مزاج المعدة لئلا يقعر في الذبول^(٤٥).

-الورم الحار في المعدة

الامزاج الحارة ، الاسنان : الشباب ، الازمان : الربيع ، البلدان : الشمالية ، السلامة والخوف مخوف ، السبب : دم أو صفراء ، العلامة : الحمى والضربان والثقل والعطش والكرب في الغثيان وغلظ تحت اللمس في موضع فم المعدة مع حرارة ، الاستفراغ : فصد الاكل التدبير الملوكي : ماء الشعير بماء الرمان ، التدبير الشامل : في اول الامر سقي ما ذكرت ويضمّد بالصندل والورد والطين الارمني وحضض ومامثيا^(٤٦) بماء الهندباء وماء الكزبرة^(٤٧) الرطبة وماء السفرجل وماء البقلة وماء الآس^(٤٨) وماء الورد والتفاح وهذه المياه بشمع ودهن ورد يضرب في هاون حتى يستوي ويضاف اليه كافور وصندل ابيض ويغتذى بمزوره إسفاناج وخبازي بلباب خبز خشكار فإذا بدأ الورم بالنضج فيضمّد بدقيق شعير وخطمية وبابونج واكليل الملك وصندل وورد ماء معجون بماء غلب الثعلب^(٤٩) ويسقى الهندباء بفلسوس خيار شنبر ودهن لوز حلو فان لم يكن حمى فيغذى بحسا من ماء النخالة بسكر طبرزد^(٥٠) ودهن لوز ولباب خبز خشكار ويعمل فيه حريرة بدهن لوز فان آل الامر الى

النضج فيسقى بزر مرو وبزر خطمي باربعة أواقي لبن حليب بكرة وعشية وان لم يكن هناك حمى فيسقى ماء التين اربعة اواقي ممروس فيه اربعة دراهم خمير فانه يفجر الورم فاذا انفجر الورم وخرجت المادة فيسقى ربع رطل لبن ماعز بشراب الخشخاش وعناب^(٥١) وطين ارمني^(٥٢) وصمغ درهم ونصف ويعطي حريرة بنشا ممروس بلبن حليب وخشخاش مدقوق مصفى مع سكر^(٥٣).

-الورم البارد في المعدة

الأمزاج الباردة ، الاسنان : الشيوخ والكهول ، الازمان : الشتاء والخريف،البلدان : الغربية ، السلامة والخوف : مخوف ، السبب : بلغم او سوداء ، العلامة : الثقل والغلظ في موضع فم المعدة من غير حرارة ولا عطش البتة ، الاستفراغ : بالحقن الحارة ونقيع الصبر ، التدبير الملوكي : طيهوج^(٥٤) ودراج مطجن بمري وخل وكراويا^(٥٥) ودار صيني ، التدبير السهل الوجود : يغتذى بماء حمص وكمون ودار صيني وشبت ، التدبير الشامل : ان كان الورم رخوا فيسقى ماء مغلي فيه بزر الكرفس ورازيانج وزبيب وفلسوس خيار ثم الترياق او المثروديطوس ويضمّد بضماد متخذ من صبر أسقوطري وشمع احمر من كل واحد خمسة دراهم أفسنتين رومي خمسة دراهم مصطكي وسنبل الطيب من كل واحد ثلاثة دراهم دهن اليلسمين عشرين درهما يذوب عليه الشمع ويلقى عليه الادوية مدقوقة منخولة ويضمّد به وان كان الورم صلب فيضمّد بمهمم الداخلون بدهن القسط ويضاف اليه زعفران وسنبل الطيب ولوز مر دانق مدقوق ناعما ويضمّد به^(٥٦).



- الوحمة وشهوة الطين

الامزاج الباردة ، الاسنان : الشباب ، الازمان : الخريف ، البلدان : الغربية السلامة والخوف : غير مخوف ، السبب : خلط رديء الكيفية وعفن في معدته ، العلامة : ان يشتهي الاشياء الحريفة والمالحة او البطم او الطين والجص والفحم والخزف وغيره من الاشياء الرديئة الكيفية ، الاستفراغ : ان لم تكن حامل فالقي بسكنجبين وماء الشبث وملح مع فجل ، التدبير الملوكي : جوارشن العود.

التدبير السهل الوجود : بزر كرفس وانيسون ونعناع يابس من كل واحد صنف درهم بماء حار .

التدبير الشامل: ان لم تكن حبل فبالقي ان كان الخلط بلغميا جميع ما ذكرت وان كان مالحا او حريفا فبماء حار وسكنجبين فقط وياخذ بعده من هذا الدواء وصفته جفت البلوط درهمين زبيب منزوع العجم ستة دراهم انيسون واهليج اسود وبليج واملج من كل واحد خمسة دراهم يطبخ الجميع برطل سكر او مثلث ونصف رطل ماء حتى يبلغ الى النصف ويؤخذ من كل يوم اوقية وان كان فساد الشهوة للحامل فلا تتقياً بل تأخذ كل يوم من هذا السفوف مثقالاً بماء حار وصفته قاقلة وبسباسة من كل واحد جزء سكر طبرزد وكمون كرمانى ونانخواه من كل واحد جزئين يدق الجميع ويستعمل فإذا هاج بهم ذلك فيشتمشمون عظام الفروج وتعطى من الفراخ المشوية^(٥٧).

-ذهاب الشهوة

الامزاج : الحارة ، الاسنان : الشباب ، الازمان : الصيف ، البلدان : الجنوبية السلامة والخوف :

مخوف من اسرف أو طال ، السبب: سوء مزاج حار يرقى فم المعدة أو من سوء مزاج أو خلط مالح أو خلط لزج ، العلامة : الجشأ الدخاني والذي يشبه رائحة الحمأة والعطش والتبرم بالاغذية وشهوة الماء البارد ، الاستفراغ : بالقي ان كان من صفراء وبلغم لزج ، التدبير الملوكي : شراب الحصرم وشراب التفاح والفراريج بماء الرمان أو بأمبراريس بثلج ، التدبير السهل الوجود : بالخس والهندباء وبقلة الحمقاء .

التدبير الشامل : ان كان من سوء مزاج حار فبما ذكرت وان كان من سوء مزاج بارد فيداوي بالجوارشن العنبر العود وأوقيتين سكنجبين السفرجل المعمول من عسل وخل وماء السفرجل بالسوية ويعطي من هذا السفوف درهم بميختج وصفته كمون وبزر الكرفس وانيسون وصعتر ونانخواه وفوتنج ومصطكي من كل واحد جزء يدق الجميع ويؤخذ منه عند الحاجة فأن كان زهاب الشهوة من صفراء فبما ذكرت في علاج المعدة اذا سخنت من انصباب الصفراء اليها وان كان من بلغم فقد تقدم ذكره فينبغي ان ياخذ جوارشن السفرجل المسهل ويغتذى بالفراريج المطجن بالمرئ والخل والدار صيني والكرويا والخولنجان والزعفران^(٥٨).

- بوليموس^(٥٩)

الامزاج : الباردة ، الاسنان : الشيوخ ، الازمان : الخريف ، البلدان : الباردة ، السلامة والخوف : مخوف ، السبب : فرط سوء المزاج البارد على فم المعدة عند لمسه وسقوط الشهوة والامتناع من الغذاء والوجع والغشي .الاستفراغ : اجتنابه وتركه التدبير الملوكي : يغتذى بخبز مبلول بشراب التفاح ومدققات بفراريج ودراريج .

التدبير الشامل : ان عرض بصاحبها الغشي فرش على وجهه الماء البارد وماء الورد المبرد ويشم الاشياء الطيبة الرائحة كالمسك والاس والسوسن والورد المدقوق وربط اليدين والرجلين ودلكهما وينتف الشعر ويصاح في الاذن وينخس الجسم بشئ يؤلم فاذا افاق يعطى خبز مبلول ثم يغتذى بالمدققات بالطهيوج والدراج بباريز حار والله تعالى شاف ومعين^(٦٠).

- الشهوة الكلبية^(٦١)

المزاج : الباردة ، الاسنان : الكهول، الازمان : الخريف ، البلدان : الشمالية السلامة والخوف : غير مخوف الا ان يفرط ، السبب : خلط حامض محتقن في المعدة او استفراغ مسرف ، العلامة : الجشأ الحامض عن الخلط وبما تقدم من الاستفراغ ان كان معه ، الاستفراغ : بحب الصبر او حب الايارج ان كان عن بلغم ، التدبير الملوكي : أسفيذبا ج وجاذب ، التدبير السهل الوجود : البيض .

التدبير الشامل : بعد الاستفراغ يعطى الاغذية الدسمة كالثرائد والجواذيب الأسفيذبا جات الدسمة بالتوابل الحادة ويشرب الميختج وابقراط يقول ان من شرب الشراب يشفى من الجوع فانه يسخن المعدة وينقص من الشهوة ولكن اثمه اكبر من نفعه وان كان الغذاء ينحدر عن المعدة بسرعة فالياكل الهرائس واللحوم الغليظة والفالوذج ويجتنب الاشياء الحامضة والقابضة فان لانت الطبيعه فاعطه جوارش بالسفرجل الممسك وان كانت عن الشهوة من قبل الاستفراغ فيعطى الغذاء في اليوم دفعات قليلا قليلا لينهضم ويستحم بالماء البارد ويجلس في المواضع الباردة ويقلل من الحركة البدنية ويمسح البدن بدهن ورد آس ودهن سفرجل^(٦٢).

- سوء الاستمرار عن حرارة

الأمزاج الحارة :الاسنان : الشباب ، الازمان : الصيف ، البلدان : الحارة ، السلامة والخوف : غير مخوف ، السبب : سوء المزاج ، العلامة : الجشأ الدخاني وسهولة الريق الشبية بالحمأة^(٦٣) او برائحة المسك ، الاستفراغ : تركه ، التدبير الملوكي : سكنجبين السفرجل او شراب الليمون بماء الورد ، التدبير السهل الوجود : شراب الرمان .

التدبير الشامل : ينبغي ان يعطي قرص الورد بالطباشير بشراب التفاح وماء بارد ويعطي من سفوف متخذ من ورد منزوع الاقماع وحب الامبريارس كل واحد خمسة دراهم بزر بقلة ولب القثاء والخيار من واحد اربعة دراهم طباشير وعود من كل واحد درهم كزبرة يابسة ثلاثة درهم يدق ناعما ويشرب منه بالغداة درهمين بمخيض البقر وآخر النهار درهمين بشراب الرمان او التفاح ويتغذى بالفراريح المطبوخة بخل ومرى وكزبرة او ماء الرمان بنعناع او مصوص النعناع ويسير كرفس ويمتص السفرجل والتفاح المر.

- سوء الاستمرار من برد

الامزاج : الباردة ، الاسنان : الشيوخ ، الازمان : الخريف ، البلدان : الغربية السلامة والخوف : غير مخوف ، السبب : سوء مزاج بارد يغلب على المعدة ، العلامة : الجشأ الحامض وقلة العطش والانتفاع بالماء الحار ، الاستفراغ : تركه ، التدبير الملوكي : جوارش العود وجوارش العنبر ، التدبير السهل الوجود : كمون ومصطكي ونعناع يابس وانيسون من كل واحد ، نصف درهم يستف بماء ورد ، التدبير الشامل : ابقراط يذكر ان امرأة كانت تشكو وجع فؤادها وكان يسكن بتناول، سويق الشعير وماء الرمان، وينبغي ان يضم



المعدة بلف الكرم مدقوق ناعما ولب الخبز او يضمم بماء السفرجل وماء لسان الجمل وماء حي العالم^(٦٤) مع شيئي من دهن الورد^(٦٥).

- العطش^(٦٦)

الامزاج : الحارة، الاسنان : الشباب، الازمان : الصيف، البلدان : الجنوبية السلامة والخوف : غير مخوف، السبب : الحرارة او اليبس أو همأ أو خلط مالح ينشف ويعطش، العلامة : ان كان من الصدر فسكونه باستنشاق الهواء البارد ومن المعدة بشراب الماء البارد، الاستفراغ : بالقيء ان كان خلط في المعدة .

التدبير السهل: رب التفاح ورب الرمان بالثلج، التدبير الشامل: ينبغي: ان كان من حرارة ان يستعمل بعض الربوب المبرد مثل رب الاجاص ورب التفاح بماء القرع المشوي والسكنجبين الساذج وماء الورد يعطي غدوة وعشية من هذا القرص وصفته لب بزر القرع ولب بزر القثاء والخيار وبزر بقلة من كل واحد اربعة دراهم صمغ عربي وكثيرا ونشا وطباشير وصندل ابيض من كل واحد درهمين كافور دانقين يعجن بلعاب بزر قطونا وبقرص ويؤخذ منه مثقال بشراب امبرباريس وماء بارد وان كان العطش عن يبس مفرد فيدوى بالماء البارد وماء الشعير وماء القرع ولعاب بزر قطونا واسبقه بسويق الشعير ملردا بالثلج وان كان عن يبس وحرارة فبماء القرع وماء البطيخ الهندي وقرص الورد ويمسك في فمه من النسخة المقدم ذكرها في القرص اذا جعل حتما^(٦٧)، ويتغذى بالفراريج بماء الحصرم والرمان المفتوت على الثلج فان كان عن حرارة القلب والرية فبستشاق الهواء البارد وكشف الراس والجلوس في الخيش البارد والباذنجان

ومقاطع الثلج والمياه الباردة ويضمم المعدة بالأشياء الباردة بالفعل^(٦٨) .

- سوء الاستمرار عن حرارة^(٦٩)

الامزاج : الحارة، الاسنان : الشباب، الازمان : الصيف، البلدان : الغربية السلامة والخوف : غير مخوف، السبب : سوء مزاج بارد يغلب على المعدة، العلامة : الجشأ الحامض وقلة العطش والانتفاع بالماء الحار، الاستفراغ : تركه، التدبير الملوكي : جوارشن العود وجوارشن العنبر، التدبير السهل الوجود : كمون ومصطكي ونعناع يابس وانيسون من كل واحد نصف درهم يستف بماء ورد .

التدبير الشامل : ينبغي ان يشرب شراب العود وصفته ماء ورد عرق رطلين يجعل في قدر ويلقى عليه عود هندي ومسك من كل واحد ثلاثة دراهم قرنفل ومصطكي وجوزبوا من كل واحد درهمين ويدق جريشا ويشد في خرقة كتان شدا متخلخلا ويمرس جيدا ويطبخ الى ان ينقص الثلث ثم يخرج منه ويلقى عليه سكر رطلين ويغلى قوام الجلاب ويجعل فيه دانق سكر ويشرب منه بكرة كل يوم أوقية وينفع من الجشأ القابض جوارشن الفلافل ويغتذى بخبز خشكار ودراج مطجن بخل ومري وياكل الزبيب ويتولع بجوارشن سكري ويمضخ المصطكي والعود الرطب ويستعمل الرياضة والاستحمام قبل الغذاء^(٧٠).

- سوء الاستمرار عن خلط صفراوي .

الامزاج : الحارة، الاسنان : الشباب، الازمان : الصيف، البلدان : الجنوبية، السلامة والخوف : غير مخوف، السبب : خلط صفراوي، العلامة : سهوكة الريق والجشأ الدخاني وخروج مرارة بالبصاق والقيء بعد غذاء جيد، الاستفراغ : شراب الورد

المكور بسكنجين وملح اومطبوخ الاهليج ،
التدبير الملوكي : سكنجين السفرجل وشراب
الحصرم ، التدبير السهل الوجود : ماء الرمان
اغلي فيه نعناع ، التدبير الشامل : ان كان الزمان
خريفًا فينبغي ان يسهل طبعه وان كان صيفًا
فبالقيء ويعطي نقوع الصبر فاذا نقيت المعدة
يستعمل اقراص الورد بالطباشير مع سكنجين
والسفرجل او شراب الرمان ويغتذى بفرايج
بماء حصرم وجميع ما ذكر في مداوة سوء مزاج
من حرارة (٧١) .

- سوء الاستمرار عن خلط بلغمي

الامزاج : الباردة ، الاسنان : الشيوخ ، الازمان :
الشتاء ، البلدان : الغربية السلامة والخوف : غير
مخوف ، العلامة : الجشأ الحامض ونقصان شهوة
الطعام وقذف البلغم ونزفه عند تناول الغذاء ،
الاستفراغ : حب الأيارج وحب القوقاي .

التدبير الملوكي : مصطكي وعود هندي مسحوق
جلنجبين الطبرزد ، وبعده ورد ماء مغلي فيه
انيسون ، التدبير السهل الوجود : ما اغلي فيه
انيسون وبزر الكرفس وناخواه .

التدبير الشامل : بعد الاستفراغ يعطي اقراص الورد
ودرههم مصطكي وعود هندي مسحوق ناعما من
كل دائق بخمسة دراهم جلنجبين الطبرزد ويشرب
بعده ماء ورد قد اغلي فيه انيسون وبزر الكرفس
وان كان قد شرب خمل المعدة هذا الخلط فيعطي
حب الذهب وحب الصبر ، ثم يعطي اقراص
الكوكب نصف درهم بشراب التفاح المطيب وياخذ
جوارشن السفرجل المسهل ويغتذى بفروج او
درج مطجن او مرق اسفيذباج (٧٢) .

* الهوامش:

(١) أسفيذباج : يدر البول ، ويقوي المعدة ، ويهضم
الطعام ويفتح سدد الكبد . ابن البيطار ، ضياء الدين عبد
الله بن احمد الاندلسي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) ، الجامع
لمفردات الأدوية والأغذية ، مكتبة المثنى ، بغداد ،
١١٥٨م ، ص ٢٢٢ .

(٢) دار صيني : ومعناه في الفارسية (شجرة الصين)
يجلو ظلمة البصر ويقلع البثور النية والكلف وإذا
لطخ به العسل ، وينفع من السعال المزمن والنزلات ،
وعسر البول ، ويلطف الأغذية الغليظة ويعددها للهضم
وينفع لأوجاع المعدة .

ينفع الجراحات المتعفنة لقوة تجفيفه . الرازي ، ابو
بكر محمد بن زكريا (ت ٣٢٠هـ / ٩٢٥م) ، الحاوي
في الطب ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، الهند ،
١٩٥٥م ، ج ٢٢ ، ص ٢٠ ، الشمري ، تاريخ الطب ، ص ٢٩٧ .

(٣) المصطكي : أو ما يقال المصطكاء ، وهو صمغ
شجرة يعلك ، يفيد لاستطلاق البطن ، يطيب المعدة ،
يفتح شهوتها ، محلل لרטوبتها ، وهو مقو لها ، ومسكن
للامغاص العارضة له . القيرواني ، ابو جعفر احمد
بن ابراهيم الجزار (ت ٣٥٠هـ / ٩١١م) ، الاعتماد في
الادوية المفردة ، مخطوطة محفوظة في مركز احياء
التراث العلمي العربي في جامعة بغداد تحت رقم
(١١) . ورقة ٤٠ : الغساني ، الملك المظفر يوسف
بن عمر (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) ، المعتمد في الادوية
المفردة ، ط ٣ ، صححه وفهرسه : مصطفى السقا ،
بيروت ، ١٩٧٥م ، ج ١ ، ص ٢٣١ .

(٤) بزر الرازيانج : يسمى الحبة الحلوة ، ابن سينا ، ابو
علي الحسين بن عبد الله (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م) ، القانون
في الطب ، بيروت ، لا . ت . ج ١ ، ص ٢٤٧ : القيرواني ،
الاعتماد ، ورقة ١٢٥ .



(٥) الشبت : جيد للصداع ، ودهنه مفيد لوجع المفاصل . للمزيد ينظر الرازي : الحاوي في الطب ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، ص ١٤٤ ، ص ١٦٤ .

(٦) البنفسج : هو نبات له ورق أصغر طيب الرائحة ، وينبت في المواضع الظليلة يستخدم كضماد مع دقيق الشعير يسكن الأورام وقد يوضع أيضاً على فم المعدة ، وينفع من التهاب المعدة والأورام الحارة العارضة في العين وسائر الأورام الحارة وتنتوء المقعدة . ابن حبيب القرطبي، عبد الملك السلمي (٢٣٨هـ / ٨٥٢م) ، ٤٣ مختصر في الطب (العلاج بالأغذية والاعشاب في بلاد المغرب) ، تحقيق: محمد امين الظناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ٤٠ ، ص ٧٤ .

(٧) اللينوفر : يسمى اوسبيد، وهو حار يابس ، يحل الرياح الغليظة ، ويذهب برطوبات المعدة . ابن البيطار ، الجامع ، ص ٩٣ .

(٨) لبن الأثن : لبن يخرج من الحمام ، نافع من عسر البول ، والتهاب الرئة وكل امراض الصدر ، جيد للكلية ، التمضمض به يشد الاسنان واللثة . الرازي ، الحاوي ، ج ٦ ، ص ٣٦٤ . ابن سينا ، القانون في الطب ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ .

(٩) الخطمي : هو شجرة القريناء عند اهل اليمن وهو يشبه الملوخيا ويعرف بورد الحمار ينفع للامراض الصدرية ، غسوله ينقي الراس . الرازي ، الحاوي ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ ، ٣٨٨ ، ٤٢٤ .

(١٠) الورقة ٣١ .

(١١) المصطكي : أو ما يقال المصطكاء ، وهو صمغ شجره يعلك ، يفيد لاستطلاق البطن ، يطيب المعدة ، يفتق شهوتها ، محلل لרטوبتها ، وهو مقو لها ، ومسكن للامغاص العارضة لها . القيرواني ، الاعتماد ، ورقة ٤ : الغساني ، المعتمد ، ج ١ ، ص ٥٠١ .

(١٢) ويغتذى بدل ويصطنع .

(١٣) الاطريفل : يقطع للعب ويقوي المعدة ، وينفع من الناسور . ينظر الرازي : الحاوي ، ج ٧ ، ص ٥١٢ ؛ ابن سينا ، القانون في الطب ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

(١٤) الإهليج Myrobalans : ويسمى اهليج وهو أربعة أصناف أصفر واسود هندي وكابلي : ومنه دقيق يسمى (الصيني) وأحسنه الأصفر الشديد الصفرة الضارب إلى الخضرة وهو يذهب الإسهال ، ويقوي المعدة ، أما الأسود فيقبض البطن وينفع البواسير والمربى منه يقوي المعدة ويهضم الطعام وهو يشد اللثة ويقوي . الشمري ، نهاد نعمة مجيد ، تاريخ الطب في قرطبة الاسلامية من سنة (٩٢هـ - ٧١١م) الى (٦٣٣هـ - ١٢٣٦م) ، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد كلية التربية للبنات - قسم التاريخ ، ٢٠٠٤ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(١٥) الورقة ٣١ .

(١٦) نافعة جداً لأدواء الفم وليس في الناس أحد لا يعرفه وكذا أيضاً قد علم الناس أن رب التوت يصلح لأشياء أخر كثيرة مما يحتاج فيها إلى القبض البسير وأما التوت فيلين البطن ويفسد المعدة سريعاً وهو رديء للمعدة وعصارتة أيضاً تفعل مثل ما يفعل الثمر وإذا طبخت في إناء من نحاس أو شملت فيه كانت أشد قبضاً وإن خلط بها شيء يسير من عسل كان صالحاً وقشر أصل التوت إذا طبخ بالماء وشرب أسهل البطن . ابن البيطار ، الجامع ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .

(١٧) الهندباء : زهر الهندباء ، ولها أصل أبيض كثير الشعب إذا شرب عصير هذا النبات أبرأ من النفخ ويدر الاستسقاء وضعف الكبد والطحال وعصارتة يكتحل بها لبياض العين . الجامع لمفردات الاغذية ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ .

(١٨) خيار شنبر : صالح للمعدة ، يفتق الشهوة ، وينفع من القروح والجرب ، مه دهن الورد يعالج الصداع ، الغرغرة به يعالج مشاكل الفم . الرازي ، الحاوي في الطب ، ج ٦ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ .

(١٩) الصندل : أصناف ، منه الابيض والاصفر والاحمر أفضلها الأصفر الدسم ويطل به على الأورام الحارة الأدوية وفي ضمادات الكبد والمعدة . ابن سينا . القانون في الطب ، ج ٣ ، ص ٤٧٧ .

(٢٠) البابونج : من الأدوية المفردة البابونج قريب

من الورد ، مقو للدماغ نافع من الصداع. ابن سينا ، القانون في الطب ، ص ٤٨٤.

(٢١) اكليل الملك : هي حشيشة ذات ورق مدرهم أخضر غص وأغصان دقاق جداً، ولها زهر أصفر صغير . مخفف لالتهاب العين، ومن اسمائه التي عرف بها «الحنثم ، والنفل، وغصن البان، والكركمان، والحدقوقه «. ينظر: الرازي، المنصوري في الطب ، ص ٥٨٣ . ابن البيطار : الجامع ، ص ١٠١.

(٢٢) الحلبة اليابسة منها تسمى قرن الثور وقرن العنز ، وإذا أكلت مع المري قبل الطعام لينت البطن وكثيراً ما تصدع وربما غثت وإذا أكلت مع الخبز قل تليينها للبطن ولم تصدع ولم تغث، وأما الحلبة المطبوخة إذا شربت مع العسل تطلق البطن وتخرج ما في الأمعاء من الأخلاط الرديئة . ابن البيطار ، الجامع ، ص ٤١٤.

(٢٣) اللوز الحلو يجلو الأعضاء الباطنة وينقيها ويعين على قذف الرطوبات ، و يلين الحلق وهو ثقیل طويل الوقوف في المعدة غير أنه لا يسدد بل يفتح السدد ويسكن حرقة البول . الرازي ، الحاوي ، ج ١، ص ٣٧٧. ابن البيطار ، الجامع ، ج ٣، ص ٢٦٥.

(٢٤) الورقة ٣١.

(٢٥) الأسفيداج : يصلح لبياض عيون الحيوان الحادث عن الأوجاع وينفع القروح التي تكون فيها إذا خلط بنظيره من الأدوية وينفع الجراح إذا صنعت منه المراهم ويأكل اللحم المتغير وينبت اللحم الجيد وينفع من حرق النار إذا طلي ببعض الأدهان ولا يكاد موضع الحرق يستحيل إلى البياض. ابن البيطار ، الجامع ، ج ١، ص ٦٧.

(٢٦) اكليل الملك : وهو شجرة الحب ومن اسمائه التي عرف بها (الحنثم ، والنفل ، وغصن البان ، والكركمان ، والحدقوقه. واسمه بالبربرية (تيرازن) وهو نوعان منه شيء له قلوب، يشبه أذناب العقارب ويعرف بإكليل الملك المعقرب، وهو دواء محلل منضج ، وفيه قوة رادعة وكذلك يستعمل محلولاً مخففاً لالتهاب العين . ينظر: الرازي، المنصوري في الطب ، ص ٥٨٣.

(٢٧) الكرنب: عند أهل الأندلس يسمى بقلّة الانصار وعند

أهل المشرق القنبيط، مأؤه يذيب الحصاة في المثانة، بزره يقتل الدود وأكله يسهل البطن، مع الخل ينفع من وجع المفاصل، ورقه إذا أكل منه أحسن لون . الشمري ، تاريخ الطب ، ص ٩٧ .

(٢٨) الورقة ٣١.

(٢٩) كزبرة : له زهر شبيه بزهر الشبث وبزر طيب الرائحة أصفر من بزر البنج. وهو نبات حار وتبلغ حرارته إلى أنه يدر البول. والبزر مسخن مدر للبول يخرج المشيمة ويصلح لوجع الطحال والكلي والمثانة ، والمعدة ، ابن البيطار، ج ١، ص ٢٥٠.

(٣٠) دانق : ذكر بعض العلماء أنه جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عشره في بعض البلاد في الإسلام، وجزء من أربعة وعشرين في بلاد الشام، وهو عند الروم جزء من أربعة وعشرين من أجزاء شيء. وهو من أصل رومي هو «Keration»، ويظهر أن وزنه لم يكن ثابتاً، بل اختلف باختلاف البلدان . علي ، جواد .

المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط ٢ ، طبع بمساعدة جامعة بغداد ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ودار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٧١ م، ج ١٤، ص ٣٤٠.

(٣١) الورقة ٣١.

(٣٢) بجشاً.

(٣٣) بغير بدل يعتبر.

(٣٤) تحدث هذه العلة عن كيموس وهو حامض متجمع، محتقن بالمعدة أو بسبب استقراغ مفرط يحدث في جميع البدن ، وعلامتها الاحساس الدائم بالجوع . وأن أكل صاحبها أثقل من الطعام حتى يتقيأ . ابن رشد القرطبي، الكليات في الطب ، ص ٦٤٩ من الملحق.

(٣٥) الورقة ٣٢.

(٣٦) هو نبات يشبه البلوط ، ويسمى الزوان او الشست ، ينبت في السهول ، يعمل منه مربى بالعسل او السكر ، مع السكنجبين مفيد لأمراض المعدة .

ابن سينا ، القانون في الطب ، ج ٣، ص ٧٢ ، ابن البيطار، الجامع ، ص ٢٢٨.



(٣٧) عود هندي : وهو سعوط لبخر الانف ، هريسه ينفع من النقرس . الرازي ، الحاوي ، ج٧ ، ص ٢٨٧ .
(٣٨) المرزنجوش : يفيد الاورام البلغمية ودهنه ينفع من الفالج ، اذا طلي به الراس نفع من الصداع والشقيقة ، والمغص ، مع الخل يفيد من لسعة العقرب . ابن البيطار ، الجامع ، ص ٧٩ ، ١٦٣ ، ٢٥٥ .
(٣٩) والطيهوج : طائر صغير يشبه الدراج ، اجوده السمين الرطب الخريفي ، يعقل البطن . ابن سينا ، القانون ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .
(٤٠) هو السنبل الهندي ، ويسمى شجرة العرس ، شرب ماء طبيخه ينفع من الحصا ، وينفع لامراض المعدة ، ابن البيطار ، الجامع ، ج ٤ ، ص ٤٨٥ .
(٤١) الورقة ٣٢ .
(٤٢) قداغلي فيه / الورقة ٣٢ .
(٤٣) قداغلي فيه / الورقة ٣٢ .
(٤٤) الورقة ٣٢ .
(٤٥) الورقة ٢٣ .
(٤٦) مامثيا : نبات ورقه شبيه بورق الخشخاش وهو قريب من الارض ثقيل الرائحة مر الطعم كثير الماء ولونه شبيه بلون الزعفران ، ينفع من الاسهال وحبه يسمن جدا مع الخل ينفع من الصداع عصارته تنفع للعين . عقيل ، محسن ، معجم الاعشاب ، منشورات مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣ ، ص ٥٠٠ - ٥٠١ .
(٤٧) قال أبقرط : الكزبرة الرطبة حارة تعقل البطن وتسكن الجشاء الحامض إن أكلت في آخر الطعام وتجلب النوم . وعصارة الكزبرة إذا قطرت في العين مع لبن امرأة نفعت ، والكزبرة الرطبة تمنع الطعام من النزول في المعدة وتوقفه زماناً طويلاً فتتفح لذلك أصحاب زلق الأمعاء والإسهال ومن لا تحتوي معدته على الطعام ، وخاصة إذا أكلت مع الخل والسماق ، وأما الكزبرة اليابسة فإنها

تطيل لبث الطعام في المعدة حتى تجيد هضمه . ابن البيطار ، الجامع ، ج ٣ ، ص ١٨٣ .
(٤٨) الاس : هذا النبات وثمره إذا شربا بالشراب أدرا البول وفتتا الحصى وأدرا الطمث ونفعا من الحصى الذي في المثانة . م . ن ، ج ١ ، ص ٥٩ .
(٤٩) ثمرته تدر البول ، ولذلك قد تخلط هذه الثمرة وهي حب الكاكنج في أدوية كثيرة تصلح للكبد والكليتين والمثانة . حبيش : الكاكنج صنفان جبلي وبستاني ، والجبلي أفضل في العلاج وأشبه بعنب الثعلب البستاني . ابن سينا ، القانون في الطب ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .
(٥٠) سكر طبرزد يفيد إذا كانت الطبيعة غير لينة و ينفع من خشونة الحلق وينفع صاحب الريح من يبس جميع الأعضاء الباطنة . القرطبي ، مختصر في الطب ، ص ٥٠ .
(٥١) العناب حار رطب وهو نافع من السعال والربو ووجع الكليتين والمثانة ووجع الصدر والمختار منه ما عظم حبه ، وإن أكل قبل الطعام فهو أجود . و ينفع حدة الدم الحار وأظن أن ذلك لتغليظه الدم وتلزيجه إياه وغذاؤه يسير وهضمه عسير . ابن البيطار ، ج ٢ ، ص ٤٨١ .
(٥٢) طين لونه أحمر إلى السواد طيب الرائحة ومذاقته ترابية وله تعلق باللسان وهو بارد يابس في الأولى ينفع أصحاب الطواعين إذا شرب منه أو طلي عليها . وبدله وزنه من الطين الحجازي المسمى بالأندلس الإنجبار . الدمشقي : يخرج من المقعدة قشور البواسير ويجبر الكسر . غيره : أجوده المورد الناعم والطين اللامي قريب منه في الفعل وهو نافع من كسر العظام ، مقو لقم المعدة يذهب بالغثي . وقال في كتاب دفع مضار الأغذية : الطين النيسابوري المتنقل به يسكن القيء ويذهب بوخامة الأطعمة الحلوة والدسمة إذا أخذ منه بعد الطعام شيء يسير ولا سيما إن كان مربى . ابن سينا ، القانون في الطب ، ج ٢ ، ص ٨٧ ؛ الرازي ، الحاوي في الطب ، ج ٢ ، ص ٨٢ ، ابن البيطار ، الجامع ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ - ٤٩٤ .

(٥٣) الورقة ٣٢.

(٥٤) هو طائر معروف بالأندلس بالضريس وضاده مضمومة معجمة وراؤه مهمة مفتوحة مشددة والياء ساكنة منقوطة باثنتين من تحتها والسين مهملة. علي بن محمد: هو طائر شبيه بالحجل الصغير غير أن عنقه أحمر ومنقاره ورجله أحمران مثل الحجل وما تحت جناحه أسود وأبيض. الخوز: هو خفيف مثل الدراج ينفع من إسهال البطن إذا جعل مصوصاً بخل. المنهاج: أجوده السمين الرطب الخريفي وهو معتدل الحر يعقل البطن وينفع الناقيين ولا يصلح لمن يعالج الأثقال ولا ينبغي أن يدمن عليه الأصحاء خصوصاً أصحاب الرياضة وينبغي أن يطبخ لهؤلاء هريسة ليغلظ غذاؤه. ابن البيطار، الجامع، ج٢، ٤١٦-٤١٧.

(٥٥) كراويا: هي القرنباد والقرنقار أيضاً، وهو بزر صغير الحبة معروف وفيها حرافة معتدلة يدر البول لا بزره فقط بل جميعه طيب الرائحة مسخن جيد للمعدة يهضم الطعام، طارد للرياح يلطف الأغذية الغليظة مذهبة للتخم، ينفع لوجع المعدة، ويهضم الطعام. ابن سينا، القانون في الطب، ج٢، ص١٠٨؛ ابن البيطار، الجامع، ج٣، ص١٧٣.

(٥٦) الورقة ٣٢.

(٥٧) الورقة ٣٢.

(٥٨) الورقة ٣٢.

(٥٩) بوليموس: هو غشي يعرض بعد الجوع وهو لايدوم كثيراً. الرازي، الحاوي، ج٢، ص٢٣٢.

(٦٠) الورقة ٣٢.

(٦١) الشهوة الكلبية: هو زيادة الشهوة واشتدادها والحرص على المأكولات كما في طبع الكلاب. الهروي، محمد بن يوسف الطبيب الشافعي (كان حياً سنة ٩٣٨هـ/١٥٣٤م)، بحر الجواهر في مصطلحات علماء المواليد الاوائل والاواخر، ص٢٢٧.

(٦٢) الورقة ٣٢.

(٦٣) الرخو وسهولة الريق بدل الدخاني وسهولة الريق الشبيهة بالحماة.

(٦٤) حي العالم: شرابه يخرج ديدان البطن، ودهنه ضماد يعالج الاورام وهو جيد للنقرس، عصارته نافعة من الاسهال، وهو جيد لقرحة المعدة. الرازي الحاوي، ج٢، ص٣٧٦، ٤٢٠، ج٣، ص٣٨.

(٦٥) الورقة ٣٢.

(٦٦) الورقة الثالثة والثلاثون.

(٦٧) ويمسك في فمه من النسخة المقدم ذكرها في القرص اذا جعل حتما.

(٦٨) الورقة ٣٢.

(٦٩) الورقة الثالثة والثلاثون.

(٧٠) الورقة الثالثة والثلاثون.

(٧١) الورقة الثالثة والثلاثون.

(٧٢) الورقة الثالثة والثلاثون.



(diseases of the stomach)

from the book

(evaluation of the perpetuation and management of diseases and
knowledge of the causes and symptoms)

by Abi Zakaria Yahya Bin Jazla

By: Dr. Nihad Neama Majeed



Abstract

The research deals with an important part of the manuscript (evaluation of the perpetuation and management of diseases and knowledge of the causes and symptoms) by Abi Zakaria Yahya Bin Jazla He died in 493 AH. This part is related to the diseases of the stomach and how to prevent them, and then if urged to infection, what is the means of treatment and drugs and drugs useful in it. And his author is (Yahya bin Issa bin Jazlah al-Baghdadi) and his nickname of the best Christians of Baghdad and the most famous doctors of the Abbasid era, even counting in front of medicine in his time.

And a book (evaluation of the perpetuation and management of diseases and knowledge of the causes and symptoms), Manuscripts of many of them in the global libraries, including in the Royal Library in Egypt and the Library of the Jesuit Fathers Beirut Perhaps the manuscript found by Ahmed Zaki Pasha Bastimbol oldest manuscripts of this book as the date of cloning to the year 596 e after the death of Ibn Jizla hundred years.

As for the reason for Ibn Jazla's writing of the manuscript, Qablah makes it clear: "Man is created to work for his children and his family, and he can not do so until he is healthy and healthy after health, and health management is not the end, but the means for doing the work. Except that he has a medicine, but the medicine. "Knowledge of the pathology, its causes, its signs, and the ways of its moderation is one of the essentials of doing the medication".

Putting the book in a new and innovative style to dispense with it from prolonging the doctors in their books to be small in size and large work arranged so that it makes it easier for the reader to have a sense and knowledge guaranteed, and like any book had an introduction and indexing and conclusion.



المجلة العلمية
للطب والصيدلة
والدواء

مخطوطة (المثانة والكلى)

من كتاب (تقويم الأبدان وتدبير الأمراض ومعرفة الأسباب والأعراض)

لأبي زكريا يحيى بن جزلة (ت ٤٩٣ هـ)

* م. د. سندس زيدان خلف الشجيري



● القسم الاول / الدراسة

ـ المؤلف

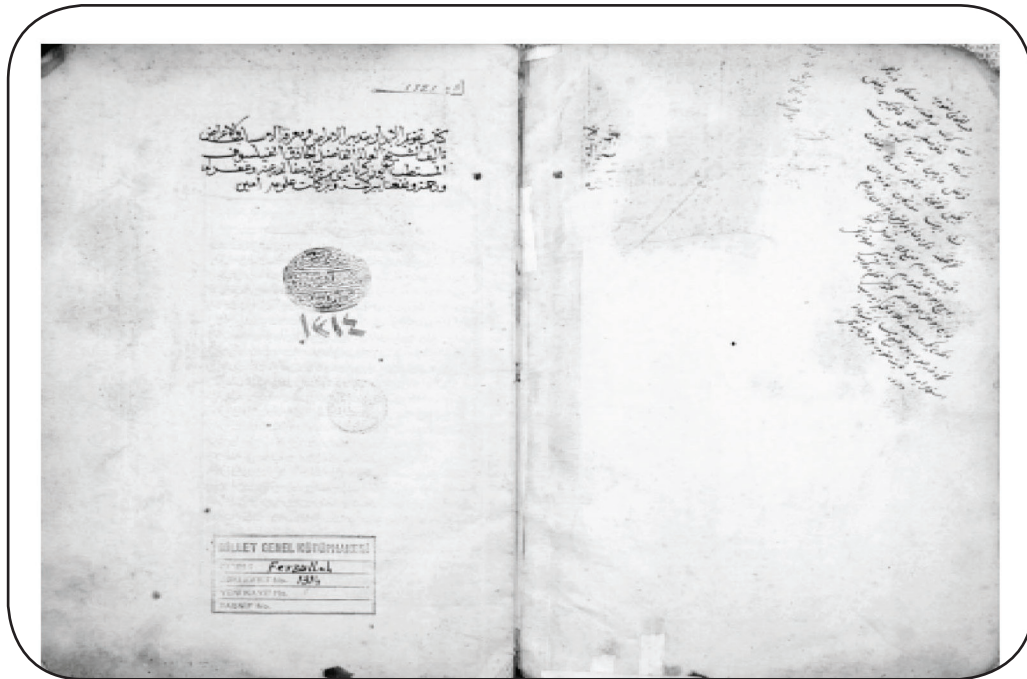
هو يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي وكنيته المحسن وابو زكريا وأبو علي من نصارى بغداد^(١)، عاش في أيام الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧ هـ) ثم في خلافة المقتدي بأمر الله (٤٦٧ هـ-٤٨٧ هـ)^(٢) ذكر أن وفاته سنة ٤٩٣ هـ^(٣) حينذاك يكون ابن جزلة قد أدرك الخليفة الثامن والعشرون وهو المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢ هـ)^(٤)، ألا أن المعلوم أن ابن جزلة قد اتصل بالخليفة المقتدي بأمر الله ولم يتصل بخليفة غيره، وقد بلغ في خلافته شأوا كبيرا وصنف له عدة كتب، ويعد ابن جزلة إمام الطب في عصره^(٥).

● وصف المخطوط

لكتاب (تقويم الأبدان في تدبير الأمراض ومعرفة الأسباب والأعراض)، مخطوطات كثيرة منها في المكتبات العالمية ومنها في المكتبة الملكية بمصر وأخرى بمكتبة الآباء اليسوعيين بيروت وربما تكون المخطوطة التي عثر عليها أحمد زكي باشا باسطنبول أقدم مخطوطات هذا الكتاب إذ يرجع تاريخ استنساخها إلى سنة (٥٩٦ هـ) أي بعد وفاة ابن جزلة بمائة عام^(٦).

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد





● **بداية المخطوط:** «الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، وأمراض وشفى .. من عرف أن الله رسخه بكماله الذي هو صلاح ماله ضمن بعمره أن يغبن في أيامه وتديبره»..^(١٢).

● **نهاية المخطوط:** «.. قال بالثاني وهو أنه كان صالحاً ثم زالت تلك المصلحة بتغير الأمزجة والأزمان، فقد تقدم تفصيل ذلك، والكلام عليه وفساد طريقه إليه، والله تعالى يعين على العلم»^(١٣).

● القسم الثاني- تحقيق النص

– حواشي الورقة الثامنة والثلاثين
امراض المثانة الحصة المتولد فيها والورم والقروح وتقطير البول وقرحته^(١٤) وعسرة وخروجه بغير ارادة فاما الحصة فعلامته الوجع في المثانة واذى فيها وحكة القضيب وتوتر احيانا واسترخاؤه لغير شوهه وفجاجة^(١٥) البول ورققة

وتوجد منه نسخة خطية في المدرسة الاحمدية في الموصل كتبت سنة (٦٥١هـ)^(٧).

كما توجد نسخة قديمة مجدولة في مدرسة الحبيات في الموصل^(٨) ونسخة رابعة في مكتبة عبد الله الجليبي^(٩) وتوجد نسخة منه في المكتبة القادرية في بغداد^(١٠) الا ان الباحثة لم تستطع الحصول على هذه النسخ لذا اضطرت للاعتماد على نسخته واحدة في التحقيق وهي نسخة مصورة عن مايكرو فيلم موجودة في مدرسة يحيى باشا الجليبي بالموصل رقم الفيلم ٣٠ ورقم الكتاب ١٨ وهو موجود في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم ١٩ / طب - صيدلة^(١١).

وتاريخ النسخ فيها هو (القرن ٦ هـ / ١٢م)، وعدد الاسطر ٣٠ - ٣١ سطراً، أما قياس المخطوط فهو: ٢٠,٦ × ٣٠,٨ سم، عدد أوراق المخطوط : ١١٦ ورقة.



وبياضة وعسرة والرمل الخارج معه فان لم يتبين ان في المثانة حصة ودام عسر البول فيستلقي العليل على ظهره ويرفع رجلية ويحركهما حركة شديدة وينظر الماء الحار على المثانة مع تمرخ بالدهن الى فوق لترتفع الحصة الى فوق فان بال جيدا والا فادفع الحصة بالقثاطر^(١٦) فانها تزول ويبول بعد ذلك فاذا كان كذلك علمت ان حصة المثانة والورم يكون معه وجع المثانة وظهور الورم وعسر البول الشديد وتحبس الطبيعة وتخرج المدة من قروح المثانة اكثر مما تخرج من قروح الكلى وتقطيرة اما من ضعف القوة الدافعة عند استرخاء المثانة عن الانضمام الى البول وعسرة ويستدل على ذلك ان يستلقي العليل على ظهره ويصر المثانة فان اندفع البول فهو عن ورم في رقبه المثانة او عضلها او خلط لزج ملجلج^(١٧) في مجرى البول فيحدث سدة ويستدل على ذلك بما تقدم من الاغذية الغليظة للزجة او عن مدة او دم جامد او خلط حاد لذاع ويستدل عليه بجمرة البول وحرقة فيطرف القضيب واما خروج البول لغير ارادة كمن يبول في فراشة فهو لاسترخاء العضلة المحيطة بعنق المثانة وعف القوة الماسكة لرطوبة الاعضاء او زوال القفازة المحاذية^(١٨) للمثانة ومرض الصفاق^(١٩) الفتق والخرق الذي يعرض معه خروج الثرب^(٢٠) والامعاء الى خارج الصفاق ويكون مما يلي السرة او مادونها او في ناحية الحالبين او الى الأنثيين^(٢١) وحدث بغير حركة مفرطة او خلط غليظ وريح نافخة البطن الما او رطوبة لزجة تزلق معها الامعاء والفرق بين هذه وبين الورم ان يستلقي المريض ويغمز^(٢٢) الموضع الناتى^(٢٣) الى داخل باليد فان عاد الى موضوعة وغاب النتوء فهو فتق وان بقي على حالة فهو ورم وما كان منه فوق السرة بيسير

يكون مؤذيا مؤلما وما كان فوق السرة بكثير غير مؤلم وهو السدة فان كان عن ريح كان ملمسة لينا وان كان النتوء عن لحم ضان كان صلبا وان كان عن انخراق شريان كان لونة بنفسجيا وان كان عن رطوبة كان ملمسه رطبا وان لم يؤلم عند الغمز وان كان لخروج المعاء كان معه قرقرة يندفع عند غمزه باليد وتعظم السرة عند دخول الحمام وامراض اعضاء التناسل اما ان تكون في الانثيين او في القضيب او في الرحم وامراض الانثيين اما في نفسها او في صفاقها او فيما بين صفاقها وبين جلدتها او في عروقها او في جلدتها اما الذي يحدث في نفسها فالاورام وذهاب شهوة الجماع او كثرة وسيلان المنى واورامها اما حارة او باردة والباردة سوداوية اوبلغمية والحارة صفراوية او دموية^(٢٤) واسترخاء الرحم اذا خرج منه رطوبة يسيرة وعرض في البطن فيكون خروجها من اسفل.

امراض الكلى الاورام والقروح والحصى والرمل وبول الدم وبول المدة^(٢٥) وذبابيطس^(٢٦) وسلس البول ويسمى المرض الدولابي والبركاري لان المشروب يخرج بسرعه كالدولاب الدائر واورامة اما حارة او باردة والقروح يخرج منها قشور ومدة تشبة فتات اللحم لتاكل لحم الكليتين ويكون البول من غير عسر معتدل القوام والحصى والرمل يحدثان من شدة حرارة الكلى او من خلط غليظ تنشف الحرارة يستحجر على مر الايام خاصة اذا كانت المجاري ضيقة فيصلى رقيق البول ويخرج ويبقى غليظة فيصلب ويجري ذلك مجرى تولد الحجارة والرمل في قدور الحمامات وقد تتولد الحصى في المثانة والمعاء وفي المفاصل والكبد وذكر جالينوس^(٢٧)



انه رأى رجلا كان به سعال فنفت^(٢٨) حجرا فسكن سعاله وحكى عن بعض الجراحين انه اخرج من وجه رجل سلعة^(٢٩) وكانت حجرا وانه اخرج من ظهر كف اخر حجرا وقد تعظم الحجارة فيخرج منها شيء عظيم وقد رايت في البيمارستان العضدي^(٣٠) حجرا اخرج من امراه كان وزنة خمسة عشر مثقالا بعد اخراجه بثلاثة ايام وقد نشف وذكر من اثق بقوله انه وزنة يوم خروجه فكان وزنة نيفا^(٣١) وثلاثين درهما والوان الرمل الخارج اما اصفر متشعب او لون الزرنخ^(٣٢) او لون الرماد فاما بول الدم فيكون اما بسبب من خارج كضربة او سقطا او بسبب من داخل ويكون اما لضعف القوة المغيرة التي في الكلى او لضعف القوة الماسكة^(٣٣) التي في العروق^(٣٤) فلا يصيبها الدم فيخرج مع البول ولا يكون معه في هذه الاحوال وجع وان كان فيسير والمدة اما ان تكون من قرحة الكلى او في المثانة فاعرف ذلك من تورم لحمها او القشعريرة^(٣٥) الحادثة عند تولد المدة وتعرض حميات^(٣٦) مختلفة الادوار.

● الورقة الثامنة والثلاثون

ماكثر فيه من امراض المثانة والكلى، سوء المزاج البارد في الكلى / الامزاج: البارد / الاسنان: الكهول / الازمان: الخريف / البلدان: الغربية السلامة والخوف: غير مخوف الا ان يفرط^(٣٧) / السبب: تناول الاشياء الباردة او غلبة الخلط السوداوي^(٣٨) / العلامة: كمودة^(٣٩) لون البدن او خضرة وقلة العطش او حموضة الفم / الاستفراغ^(٤٠): مطبوخ الافتييمون^(٤١) او مطبوخ كابلي^(٤٢) / التدبير الملوكي: لوز الصنوبر^(٤٣) والفانيذ^(٤٤) والسكنجبين^(٤٥) / التدبير السهل

الوجود: اكل السلق^(٤٦) بخل وخردل^(٤٧) مري^(٤٨). التدبير الشامل: تكمد الكلى على الريق بخل خمر^(٤٩) مع نخالة^(٥٠) وسذاب^(٥١) ثلاثة ايام فان احتاج الى اسهال فيعطى هذا المطبوخ وصفته: اهليلج اسود وشاهترج^(٥٢) ونعناع^(٥٣) وماء ورد وغافت^(٥٤) وانيسون^(٥٥) ورازيانج^(٥٦) ويطبخ باربعة ارطال^(٥٧) ماء حتى يعود الى الخمس ويضاف اليه غاريقيون^(٥٨) وتربد^(٥٩) واياريج^(٦٠) من كل واحد نصف درهم^(٦١) ويشرب سحرا^(٦٢) ويغذى بالطواهيح^(٦٣) والدراريح^(٦٤) بخل ومري وكراويا^(٦٥) ودار صيني^(٦٦) بخبز خشكار^(٦٧) مختمر ويشرب الشراب ويتنقل عليه بحبة الخضراء^(٦٨) او لوز مر وحب الصنوبر ويجتنب الهرايس^(٦٩) والارز بلبن والزلابيه^(٧٠) والقطايف^(٧١) والحبوب.

● الورم البارد في الكلى

الامزاج: الباردة / الاسنان: الكهول / الازمان: الخريف / البلدان: الباردة / السلامة والخوف: غير مخوف / السبب: بلغم^(٧٢) او سوداء^(٧٣) / العلامة: كمودة اللون مع صلابة الورم السوداوي وبياض اللون وتفاوة البلغم / الاستفراغ: مطبوخ الافتييمون .

التدبير الملوكي: سكنجبين البزور^(٧٤) / التدبير السهل الوجود: خردل معجون بعسل يضع على الكلى بقرطاس^(٧٥).

التدبير الشامل: ينبغي ان يعطى قرص من الكبر^(٧٦) مع سكنجبين ويعطى ماء الجبن^(٧٧) المستخرج بسكنجبين ويضمد عليه وبزر كتان^(٧٨) ودقيق شعير وباقلي^(٧٩) واكيل الملك^(٨٠) واشنة^(٨١) وبعر المعز^(٨٢) وبورق^(٨٣) واصل الكبر وعشر تبينات^(٨٤) سود منقع في الخل ممروس^(٨٥) مصفى فان كان

من ربح فيعطى سفوفاً^(٨٦) من حرف^(٨٧) منقح في خل خمر يوما وليلة ثم يجفف ويسحق ويعجن بدقيق بشعير ويخبز في تنور هاديء حتى ينضج ويؤخذ منه جزء وقشور اصل الكبر جزء وسنبل^(٨٨) نصف جزء ويؤخذ منه ثلاثة دراهم بسكنجين.

● الحصة والرمل في الكلى :

الامزاج: الحارة / الاسنان: الشيوخ / الازمان: الخريف / البلدان: الغربية / السلامة والخوف: مخوف اذا عسر خروج بول / السبب: حرارة تنشف خلط غليظا في الكلى فيتحجر / العلامة : خروج البول قليلا بحرقه وفيه رمل ووجع في الخصرة والقطن والعجز / الاستفراغ: القيء بسكنجين منقح فيه فجل وبحب مسهل / التدبير الملوكي: يجعل في اللوزينج^(٨٩) من رماد العقارب^(٩٠) وزجاج محرق^(٩١) في كل يوم منه قيراط^(٩٢).

التدبير السهل الوجود: رماد العقارب المحرقه مع صمغ الاجاص^(٩٣).

التدبير الشامل: يجتنب الاغذية الغليظة ويستعمل الاغذية السريعة الانهضام المحموده الغذاء كالفراريج اسفيداج وزيرياج^(٩٤) بخبز خشكار مختمر ويتناول القثا والخيار والبطيخ و الاكشوت^(٩٥) والرياضة قبل الغذاء والحمام والجلوس في ماء مغلي فيه بابونج واكيل الملك ومرزنجوش^(٩٦) وورق الخطمية وبرسياوشان^(٩٧) ويمرخ^(٩٨) بدهن الشبث ويتناول بعد ذلك سفوف صفته بذرق القثا والخيار والقرع والبطيخ في كل واحد ثلثة دراهم رازيانج نصف درهم تجمع وتدق ويشرب بسكنجين ماء ورد وياخذ مايفتت الحصة كحجر اليهودي^(٩٩) ورماد العقارب اذا اخذ منه بماء الرازيانج وياخذ من سفوف صفته زجاج

محرق وزنجبيل^(١٠٠) من كل واحد ثلاثة دراهم جنطيانا^(١٠١) درهم رماد العقارب درهمين يدق الجميع ويؤخذ منه نصف درهم بماء مغلي فيه حمص اسود^(١٠٢) ويمرخ الموضع بدهن العقارب^(١٠٣) ويكمد بنخالة الجاروس^(١٠٤) بماء فاتر فان لم يسكن الالم فتجذب الحصة بان توضع المحاجم^(١٠٥) على الموضع الفارغ من موضع الحصة ويمص قليلا قليلا وينقل المحجمة الى نحو المثانة الى ان تحصل الحصة في المثانة وتخرج من القضيب^(١٠٦) برفق فان بقيت في المثانة او في القضيب فيجلس في ماء مغلي فيه حلبة وبزر كتان وخبازي وخطمية ويمرخ بدهن البنفسج^(١٠٧) او الشيرج^(١٠٨) المطبوخ حلبة وشحم البط ثم يعاد استعمال الدواء المفتة للحصة.

● الورم الصلب في الكلية

الامزاج: الحارة / الاسنان: الشباب / الازمان: الربيع / البلدان: الجنوبية / السلامة والخوف: مخوف / السبب: دم او صفراء / العلامة: وجع وثقل والتهاب وعطش وحمى وسعال وسهر وقيء وعسر البول / الاستفراغ: بفصد الباسليق^(١٠٩) التدبير الملوكي: ماء الشعير بشراب البنفسج / التدبير السهل الوجود كلعاب بزر قطونا^(١١٠) وبزربقلة^(١١١) وجلاب^(١١٢).

التدبير الشامل: ينبغي ان يضمم ببزر كتان وحلبة^(١١٣) من كل واحد خمسة دراهم بزر خطمي^(١١٤) وخبازي^(١١٥) وشبث^(١١٦) وبابونج^(١١٧) من كل يوم واحد ونصف درهم واشق^(١١٨) وعلك البطم^(١١٩) من كل واحد ثلاثة دراهم تحل الصمغ بماء حار ويدق الباقي ويعجن ويضمم به فان كان هناك حرارة

فاجتنب الصموغ ويصفى لب بزر القثا^(١٢٠) والخيار والقرع وبزر خطمي وخبازي بالسوية يدق ويؤخذ منه ثلاثة دراهم بشراب البنفسج او جلاب وغتذى بمرق القنابر^(١٢١) اسفيداج^(١٢٢) بدهن لوز حلو هذا في معالجة الاورام الصلبة في الكلى والذي بعده في معالجة الاورام الرخوة في الكلى.

● الورم الرخو في الكلى

الامزاج: الباردة / الاسنان: الكهول / الازمان: الخريف / البلدان: الغربية / السلامة والخوف: غير مخوف / السبب: بلغم وسوداء / العلامة: ثقل في البطن من غير وجع / الاستفراغ: مطبوخ الافتيمن / التدبير الملوكي: يضمدمرهم الداخيلون^(١٢٣) / التدبير السهل الوجود: يمرخ الموضع بمخ ساق البقر وشحم الدجاج وراتنج^(١٢٤) محلول بماء حار.

التدبير الشامل: يضمدمدقيق شعير وخطمي وصندل^(١٢٥) وأشياف ما مثيا^(١٢٦) ومغاث^(١٢٧) وماء الهندباء^(١٢٨) وجرادة^(١٢٩) القرع ودهن بنفسج او بالخرق المبردة بماء الهندباء وماء حي العالم^(١٣٠) ودهن بنفسج وورد وماء ويسير خل خمر ويعطي في أول النهار لب بزر القثا والخيار والقرع والبطيخ والبقلة من كل واحد درهم بجلاب وماء بارد وبعده ماء الشعير^(١٣١) بشراب الخشخاش^(١٣٢) والبنفسج وبعده لعاب بزر قطونا وماء بزر بقلة والخيار والبطنج ولب البنفسج واذا بدأ بالنضج يضمدمدقيق الشعير وخطيمية واكليل الملك وحلبة وبزر كتان وبنفسج يابس مع تين يابس مطبوخ بدهن بنفسج وينطل على الموضع الماء الحار المطبوخ فيه ورق الخطمي والبنفسج والحلبة فاذا نضج الورم يشرب ساذق

البذور^(١٣٣) وشراب الخشخاش فان حال انفجار المدة بقرص الكالبخ^(١٣٤) بشراب البنفسج جلاب الخشخاش وشراب اللينوفر^(١٣٥) وشراب الرمان.

– بول الدم

الامزاج: الحارة / الاسنان: الشباب / الازمان: الربيع / البلدان: الحارة / السلامة والخوف: مخوف اذا خرج فتات اللحم / السبب: جرح او ضعف القوة الماسكة^(١٣٦) او بسبب من خارج / العلامة: معروفه / الاستفراغ: فصد الباسليق / التدبير الملوكي: قرص الكهرا^(١٣٧) ماء ورد / التدبير السهل الوجود: نشا وطين ارمني^(١٣٨) بماء السماق^(١٣٩) وماء البقلة.

التدبير الشامل: ينبغي ان يدبر بتدبير من ينفت الدم^(١٤٠) ويعطي قرصا متخذا من بزر البقلة والقثا والخيار من كل واحد خمسة دراهم نشا وكثيرا من كل واحد اربعة دراهم ثم كهرا مئقال^(١٤١) قاقيا^(١٤٢) فطين ارمني من كل واحد درهمين^(١٤٣) يدق الجميع ناعما ويضاف اليه خمسة دراهم بزر قطونا ويعجن بلعاب بزر قطونا ويقرص ويؤخذ منه مئقال بماء لسان الحمل^(١٤٤) او ماء عصا الراعي^(١٤٥) وماء العليق^(١٤٦) او ماء بزر بقلة مع ماء الرجل^(١٤٧) المعتصر ويغتذى بفراريح بسماق او زرشك او انبراريس^(١٤٨) او صفر البيض النيمبرشت^(١٤٩) قد جعل عليه سماق.

– بول المدة:

الامزاج: الحارة / الاسنان: الشباب / الازمان: الربيع / البلدان: الحارة / السلامة والخوف: مخوف اذا افترط وخرج فتات اللحم / السبب: ورم متقدم في المثانة والكلى.

العلامة: وجع في البطن ان كان في الكلى ومعة قشعريرة / الاستفراغ: قرص الكاكنج^(١٥٠) بلبن الاتن^(١٥١) / التدبير الملوكي: فراريح اسفيذباج او حسا متخذ بدقيق سميد^(١٥٢) ونشا وسكر ودهن اللوز / التدبير السهل الوجود: مزورة اسفاناخ^(١٥٣) او وخبازي او ماش^(١٥٤) او عدس او البيض النيمبرشت التدبير الشامل: يعطى هذا السفوف^(١٥٥) وصفة بزر قثا وخيار وبزر كتان من كل واحد ثلاثة دراهم نشا وطين ارمني من كل واحد درهمين خشخاش اربعة دراهم يدق الجميع ويؤخذ منه ثلاثة دراهم بشراب الخشخاش فان لم تنق^(١٥٦) المدة فباقراص خشخاش ولبن الاتن ولبن النساء مع ثلاثة دراهم من هذا السفوف وصفة لب بزر قثا وخيار وقرع وبطيخ من كل واحد اربعة دراهم نشا وصمغ عربي^(١٥٧) من كل واحد درهمين حب الكالبخ الجبلي اربعة دراهم خشخاش ابيض واسود من كل واحد ثلاثة دراهم يدق الجميع ناعما ويؤخذ منه ثلاثة دراهم فان تطال^(١٥٨) ذلك فقرص الكالبخ ولبن الاتن والغذاء مزورة ماش بدهن لوز وسكر وخشخاش.

– سلس البول وهو البركارية :

الامزاج: الحارة / الاسنان: الشباب والكهول / الازمان: الشتاء / البلدان: الغربية / السلامة والخوف: مخوف ان افراط / السبب: حرارة الكلى في شدة حدتها الى المثانة / العلامة: شدة العطش من غير حمى وخروج البول الدائم من غير حرقة مع رقتة وبياضة الشبية بالماء / الاستفراغ / تركه التدبير الملوكي: سماقية^(١٥٩) او زرشكية^(١٦٠) وحصرمية^(١٦١) بلحوم الجدا والحملان والخوخ والكمثري والسفرجل / التدبير السهل الوجود:

البيض النيمبرشت واكل الخلال والانغماس في الماء البارد ان كان صيفا . التدبير الشامل: يسقى ماء شعير وشراب الخشخاش وماء الرمان الحلو وقرص الطباشير^(١٦٢) الحابسة^(١٦٣) بماء التفاح وشراب الريباس^(١٦٤) والسفرجل وربهما^(١٦٥) ولعاب بزر قطونا وجلاب وقرص الكافور^(١٦٦) وان كانت الحرارة اشد فبماء الرمان ويغتنى بالامراق الموسمية الكثيرة للغذاء كادمغة الحملان والجبن الطري والسّمك الطري وياكل بسر^(١٦٧) حلوان وجمار^(١٦٨) وطلع^(١٦٩) وقثا وخيار وبطيخ ويضمّد الكلى بصندل وكافور وورد وبزر قطونا وطين ارمني وجلنار ويدق الجميع ويبل بماء ورق الخس وماء ورد ويسقى من هذا القرص وصفة طباشير وبزر بقلة من كل واحد خمسة دراهم بزر حماض^(١٧٠) وكسفرة يابسة^(١٧١) ورد طين ارمني من كل واحد ثلاثة دراهم صندل ابيض وجلنار وسماق من كل واحد درهمين كافور نصف درهم يعجن بماء البقلة ويقرص ويؤخذ منه مثقال بشراب الحصرم^(١٧٢) وماء الرمان المر.

* الهوامش:

(١) القفطي، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف (ت ٧٧٤هـ)، تاريخ الحكماء، (ليبسك- ١٣٣٠هـ) ص ٣٦٥.

(٢) ابن كثير، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد بن مكرم الجزري (ت ٦٣٦هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: ابو الفدا عبد الله القاضي، ج ١٢، دار الكتب العلمية، (لا م- ١٩٨٧م)، ص ١٥٩، ١٧٧.

(٣) ابن خلكان، احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ج ٦، دار صادر، (بيروت- ١٩٧٢م)، ص ٢٦٧.

(٤) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، ج ١٩، مؤسسة الرسالة، (لا م- ٢٠٠١م)، ص ٣٩٨.



- (٥) ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٥، دار الكتب، (مصر-١٩٦٣م) ص ١٦٦.
- (٦) السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ٢، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع (لا.م-لا.ت)، ص ٥٧٨.
- (٧) احمد، سالم عبد الرزاق، فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل، ج ٢، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، (العراق-١٩٨٢م)، ص ٣٢.
- (٨) احمد، مخطوطات الموصل، ج ١، ص ١٠٨.
- (٩) مخطوطات الموصل، ج ١، ص ١٩٣.
- (١٠) الزركلي، الأعلام، ج ٨، ص ١٦١؛ رؤوف، عبد السلام، الاثار الخطية في المكتبة المكتبة القادرية، ج ٥، دار الرسالة للطباعة، (بغداد-١٩٧٤م)، ص ٤٢٣-٤٢٤؛ الدوسري، هيا، فهرس المخطوطات الطبية المصورة، م ١٣، الامانة العامة للاحتفال بمائة عام على تأسيس المملكة، (لا.م-١٩٨٤م)، ص ٥٨؛ سركيس، معجم المطبوعات، ص ٦٤.
- (١١) عواد، ميخائيل، مخطوطات المجمع العلمي العراقي، ج ٢، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد-١٩٧٣م)، ص ١٢٢.
- (١٢) ابن جزلة: ابو زكريا يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي (ت ٤٩٣هـ)، مخطوطة كتاب تقويم الابدان بتدبير الامراض ومعرفة الاسباب والاعراض، ورقة ١-٢.
- (١٣) ابن جزلة، مخطوطة كتاب تقويم الابدان، ورقة ١١٦.
- (١٤) قرحتة: المجمع قرحات واقراح وقروح، وهو جرح بطني الاندمال يصيب الجلد والانسجة العميقة وتطول مدة شفائه لتقيح فيه او لضعف دوره الدموية، كما يصيب غشاء الانسجة الداخلية نتيجة التهاب موضعي. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، (لا.م-٢٠٠٤م)، ص ١٢٠.
- (١٥) فجاجة: جمل ازهر متفاح اراد انة مخضب في ماء وشجر، فهو لايزال يبول لكثرة اكله وشربة. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان
- العرب، ج ٦، دار صادر، (لا.م-٢٠٠٣هـ)، ص ٢٣٣.
- (١٦) القنطير: هو انبوب لين يتم ادخاله عن طريق الاحليل وصولا الى مثانة المريض ويسمح القنطار بانشاء معبر لخروج عسر البول، والقنطير نوعان دائمة او وقتية يستخدم الانبوب لمرة واحدة ويزال بعدها، ابن البيطار، الجامع لمفردات الادوية، ص ٢١٣.
- (١٧) ملجج: عن ابي زيد يقال الحق ابلج والباطل لجج أي يردد من غيران ينفذ. الزبيدي، محمد بن محمد المرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٣٥، (الكويت-٢٠٠٨م)، ص ١٤٣.
- (١٨) القفازة المحاذية: لم اجد له أي ترجمه في كتب معاجم اللغة او الاعشاب.
- (١٩) الصفاق: غشاء رقيق مشابهة للحريير يبطن الجدار البطني من الداخل ويغطي معظم الاعضاء البطنية ويكون مرضة عبارة عن التهاب بكتيري او فطري يصيب الغشاء. ابن البيطار، الجامع، ص ٨٧.
- (٢٠) الثرب: غشاء شحمي يغطي الكرش والامعاء والجمع ثروب واثررب. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٦٧.
- (٢١) الانثيين: هما الخصيتان. الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٦١٦هـ)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، (بيروت-٢٠١٠م)، ص ٢٣.
- (٢٢) يغمز: وفي حديث الغسل: «اغمزي قرونك» أي اكيسي ظفائر شعرك عند الغسل. الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٨، ص ٩٨.
- (٢٣) الناتيء: الجمع نواتيء، اسم فاعل من نتا تعني بارز، به نتوء. الرازي، مختار الصحاح، ص ١٨٨.
- (٢٤) سوداوية، بلغمية، صفراوية، دموية: الاخلاط الاربعة ناتجة عن اختلاف انواع الاغذية المستهلكة من قبل الانسان ولكل من هذه الاخلاط امزجة واعراض معينة. ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ)، الطب النبوي، مراجعة وتحقيق: عبد الغني عبد الخالق، وضع التعليقات الطبية: عادل الازهرى، خرج الاحاديث، محمود فرج العقدة، دار الفكر، (بيروت-لا.ت)، ص ١٨٩.

(٢٥) المدة: جمع مدد: قيح، ضغط على الدم بشدّة حتى خرجت منه المدة. عمر، احمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، (القاهرة- ٢٠٠٨م)، ص ١٨٥.

(٢٦) ذيا بيطس: كلمة لاتينية تعني داء البول السكري. ابن البيطار، الجامع لمفردات الادوية، ص ١٥٥.

(٢٧) جالينوس: طبيب وفيلسوف يوناني وهو احد اعظم الاطباء في العصور القديمة اثر جالينوس على تطور فروع علوم عدة ومنها علم التشريح علم الامراض علم الادوية علم الاعصاب فضلا عن الفلسفة والمنطق ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص ٥٤.

(٢٨) نفث: نفث البصاق من الفم: رميه او رمى به، نفث الجرح الدم المنزوف من الرئتين او الشعب. عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، ص ٣٠٢.

(٢٩) سلعه: زيادة تحدث في الجسد في العنق وغير وتكون قدر الحمصة او اكبر. معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ١٦٧.

(٣٠) البيمارستان العضدي: (البيمارستان) كلمة فارسية تعني المشفى او دار المرضى، بناها ابو شجاع فناخسرو عضد الدولة بن ركن الدولة البويهى ثاني ملوك بني بويه سنة (٣٧١هـ/ ١٩٢م) في الجانب الغربي في بغداد. معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٥٦.

(٣١) نيفا: عدد من الواحد الى الثلاثة. معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٢٨٥.

(٣٢) الزرنيخ: عنصر كيميائي وهو من اشباه الفلزات لونه رمادي معدني. ويعتبر من اشد المواد السمية ويستخدم في صنع الكثير من انواع المبيدات ويستعمل قليل من مركبات الزرنيخ العضوية في الطب، عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، ص ١٤٢.

(٣٣) القوة الماسكة هي احدى القوة الباطنية التي تمسك بالغذاء ريثما تتصرف فيه القوة المغيرة، الفراسه، ابن البيطار، الجامع، ص ١٠٧.

(٣٤) العروق: هي الشرايين والشعيرات الدموية التي تنتشر في الجسد وتسيل الدماء من خلالها ابن سينا، ابو علي الحسين بن علي (ت ٤٢٨هـ)، القانون في الطب، تحقيق:

محمد امين الضناوي، م ١، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٩٩٩م)، ١٣٥.

(٣٥) القشعريرة: نتوات تظهر في جلد الانسان تنشأ لاراديا عندما يتعرض الانسان لدجات الحرارة المنخفضة او مشاعر قويه مثل الخوف، الحنين، السعادة، الرعب، الاعجاب. عون، احمد محمد، موسوعة الاعشاب الطبية، سلسلة العلم والحياة، ع ٩٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة - لا.ت)، ص ٥٤.

(٣٦) حميات: جمع حمى وهي تقسم الى قسمين عرضية ومرضية وما يعيننا النوع الثاني وهي ثلاثة انواع وهي لاتكون الا في مادة اولى فان كنت مبدا تعلقها بالروح سميت حمى يوم، وان كان مبدا تعلقها بالاخلاط سميت عفنية وهي اربعة اصناف: صفراوية، سوداوية بلغمية، دموية. وان كان مبدا تعلقها بالاعضاء سميت دق وتحت هذه الانواع اصناف كثيرة. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، (بيروت- ٢٠٠٩م)، ص ١٦٥.

(٣٧) يفرط: افراط الشخص جاوز الحد في قول او فعل. عمر، اللغة العربية المعاصرة، ص ٣٣٣.

(٣٨) الخط السوداوي: احد انواع الاخلاط وهي ناتجة عن رطوبة سائلة وعن تحولات الاغذية ويرجع سببها لاطعمة واشربة غليظة وقلة الرطوبة ناتج عنه ترسب ثقل وضعف عمليات تفكيك السموم وزيادة الاملاح. ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١٣٤.

(٣٩) كمودة: كمد يكمد كمدا كمودا، كمد لونة تغير ذهب صفاؤه وبقاء اثره. ابن، منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٢٦٧.

(٤٠) الاستقراغ: مصدر استقرغ، استقرغ ما في البطن التقيء. معجم اللغة، الوسيط، ص ٢٣.

(٤١) الافتيمون: من التركيبات المسهلة، وهو عبارة عن بذور وزهور وقضبان صغار متهمشة يسكن النفخ ويذهب امراض السوداء وينفع من التشنج وهو حاد حريف الطعم احمر. موسوعة الاعشاب الطبية. معجم اللغة، الوسيط، ص ٤٥.

(٤٢) كابلي: هو نوع من الاهليج والفج منه يسمى اهليج

عشبي معمر وله فوائد طبية عديدة. عقيل، معجم الاعشاب المصور، ص ١٠٣.

(٥٢) شاهترج: بقلة الملك والشاهترج او حميرا او ساتراج او شاترج او القسيس او العيسوف من اشهر النباتات الطبية وهي عشبة حولية ضعيفة الجزء المستخدم طبيا النبتة المزهرة. الحلو، سميراسماعيل، القاموس الجديد للنباتات الطبية، دار المنارة للنشر والتوزيع، (لا.م-١٩٩٩م)، ص ١٥٤.

(٥٣) نعناع: او النعنع هو جنس من النباتات الفصيلة الشتوية، وهي عشبة معمره ذات رائحة نفاذة وله انواع كثيرة منها الايلي، السبري، التيفي، المائي، المدب، الهش، عيسى، احمد، معجم اسماء النبات، ط١، المطبعة الاميرية، (القاهرة-١٣٤٩هـ)، ص ٢٧٧.

(٥٤) اغافت: عشبة معمرة من الفصيلة الوردية طولها يصل الى ٢-٣ اقدام وهي عشبة لها فوائد طبية عديدة منها: زامة ومقلصة طاردة للريح مضادة للالتهابات وغيرها من الامراض. عقيل، معجم الاعشاب المصور، ص ١٨.

(٥٥) انيسون: وهو عشب ينتمي الى عائلة الكرفس وله اسماء عديدة منها اليانسون والنيكون والتقده والكمون الحلو والحبة الحلوة وبذوراة تاخذ الشكل البيضاوي ويكون طولها ٣-٤ ملم ولونها رمادي مائل الى البني وله رائحة مقبولة ومذاق حسن. عقيل، معجم الاعشاب المصور، ص ٢٢.

(٥٦) رازيانج: او الشمر او السنوت او البسباس او الشمر الحلو وهو نبات عطري وهو من الفصيلة الخيمية ويستعمل النبات لاغراض طبية منها التهاب الفم ولطرد الغازات وتسكين الالام والسعال وكثير من الامراض. ابن البيطار، الجامع، ص ٨٦.

(٥٧) ارطال: جمع رطل وهو معيار يوزن به او يكال، يختلف باختلاف البلاد، وهو في مصر اثنا عشر اوقية والاقوية اثنا عشر درهما أي يساوي ٤٥٠ غم. هنتس، فالتر، المكايل والاوزان ومايعادلها في الاوزان النظام المتري، ترجمة وتحقيق: كامل العسل، منشورات روائع الجدلاوي، (لا.م-٢٠٠٣م)، ص ١٨.

(٥٨) غاريقون: جنس من الفطريات وله انواع عديدة

اسود او اللالوب او الشعير الهندي او تمر العبيد او اللوز الهندي وهي شجرة نفضية يصل ارتفاعها الى ٣٠ م وجذع يصل عرضه الى ١ م تتبع لجنس ترماليا للشجرة استخدامات طبية عديدة. عقيل، محسن، معجم الاعشاب المصور، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط١، (لا.م-٢٠٠٣م)، ص ١٧٩.

(٤٣) لوز الصنوبر: هي بذور الصنوبر الصالحة للاكل ولها عدة استخدامات طبية. عقيل، معجم الاعشاب المصور، ص ١٩٠.

(٤٤) الفانيذ: ويعرف ايضا بالفانيذ السجزي بالسين والزاء منسوب الى سجستان وفانافساسقلينوس وعلى هذا صنف النبات من الزوفرا. ابن البيطار، الجامع لمفردات الادوية والغذية، ص ٢٠٦.

(٤٥) السكنجين: وهي لفظة فارسية معناها: خل وعسل وقد عربت الى (سكنجين) وهو شراب يراد به حاو وحامض عقدا بالطبخ. ابي الفداء، محمد عزت محمد عارف، ال-١٠٠ وصفة ذهبية في العلاج بالاعشاب الطبية، تصحيح ومراجعة: محمود القيعي، دار الفضيلة، (لا.م-٢٠١٢م)، ص ٩٧.

(٤٦) السلق: نوع من البقل له ساق طويل واصل ذاهب في الارض، وورقه غض طري يؤكل مطبوخا. عقيل، معجم الاعشاب المصور، ص ٨٦.

(٤٧) خردل: نبات ينتمي الى جنس الكرنب ويستخدم منه البذور وهي غير مؤذية عندما تكون جافة الانها تطلق مادة مهيجة عندما تطحن مع الماء، عقيل، معجم الاعشاب المصور، ص ٦٧.

(٤٨) مرى: مسح ضرع الناقه لتدر، امرت هي: در لبنها المصطوفي، حسن، التحقيق في كلمات القران الكريم، ج١، مؤسسة الطباعة والنشر، ط١، (لا.م-١٤١٦هـ)، ص ٧٨.

(٤٩) خل خمر: معنى ذلك انه كان خمرًا وحول خلا. ابن منظور، لسان العرب، ص ٣٤.

(٥٠) نخالة: او الردة هي الطبقة الخارجية الصلبة من الحبوب، مجمع اللغة، الوسيط، ص ٣١٤.

(٥١) سذاب: نبات اخضر يميل الى الزرقة، يصل ارتفاعه الى المتر ويعرف بـ (فيجن حزاء، فيجل، الخفت) وهو نبات

منه ١٩ سامة ومنها صالحه للالكل وهو على شكل كتل اسفنجية ليفية غير منتظمة الشكل ولونة بني من الخارج وطعمة في اولة حلاوة وفي اخرة مرارة يستعمل كمسهل شديد. عقيل، معجم الاعشاب المصور، ص ١٩٧.

(٥٩) تربد: هو نبات يشبه ورق اللبلاب له ثمر كالسنة العصفار له استعمالات طبية عديدة منها عرق النسا ووجع الورك وينقي البدن ويخلص من السعال وغيرها من الامراض، ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص ٣٥.

(٦٠) ايارج: تركيب من مجموعة اعشاب تفيد في تطهير الجسم وخاصة الاعصاب والدماغ وتطهيره من السموم ويستعمل كملين. ابن البيطار، الجامع، ص ٢٥.

(٦١) درهم: هو وزن بمقدار ٤٨ شعيرة أي ٣،١٢٥ غم. مبارك، علي باشا، الميزان في الاقيسة والاوزان، ج ٧٤، مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد - لا.ت)، ص ٣٨١.

(٦٢) سحرا: وهو الوقت الذي يسبق طلوع الفجر، الجمع اسحار وهو اخر الليل قبيل الفجر ابن منظور، لسان العرب، ٨م، ص ١٥٥.

(٦٣) الطواهيح: الابل النجبية السريعة الجري التي تصبر على شدة، مفردا سوهاج. العبودي، محمد بن ناصر، معجم الحيوان عند العامة، ج ٢، مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثانية، (لا.م- لا.ت)، ص ٤٩٢.

(٦٤) الدرايح: طائر بري في ساقية طول وبعضهم يسميه الحجل وبعضهم يسميه دورجان. العبودي، معجم الحيوان، ج ١، ص ٣٣٣.

(٦٥) كراويا: عشب ثنائي الحول من الفصيلة الخيمية له جذر وتدي وساق قائمة متفرعة ثمرته من الافاوية، ويتخذ منه شراب منبه. عون، موسوعة الاعشاب الطبية، ع ٩٥، ص ١٣٤.

(٦٦) دار صيني: هو لحاء لشجر دائمة الخضرة استوائية كثيفة موطنها جنوب شرق اسيا وهذه القشور تحتوي على زيوت طيارة له العديد من الاسماء منها الدون، قرفة، الدارسين ويستخدم في كثير من العلاجات الطبية، عيسى، معجم اسماء النباتات، ص ٦٧.

(٦٧) خبز خشكار: كلمة فارسية تعني الدقيق الذي لم تنزع نخالته أي هو الخبز الاسمر غير النقي. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٩٨.

(٦٨) حبه الخضراء: هي ثمرة شجرة البطم ضخمة معمرة يصل ارتفاعها ٢٠م وعرضها اكثر من ام ولهذه الشجرة رائحة طيبة ولثمرتها فوائد طبية عديدة. عون، موسوعة الاعشاب الطبية، ع ٩٥، ص ٦٥.

(٦٩) الهرايس: وهي جمع كلمة الهريسة وتعني الحب الدقوق بالمهراس من قبل ان يطبخ وتعني ايضا الطعام الذي يطبخ من القمح مع اللحم ابن منظور، لسان العرب، ١٣م، ص ٢٣.

(٧٠) الزلابية: حلواء تصنع من عجينة رقيق تصب في زيت وتقلي ثم تعقد بالدبس. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٨٨.

(٧١) القطايف: هي من اشهر الحلويات العربية الشعبية عبارة عن فطيرة مكونة من عجينة سائلة محشوة بالمكسرات وسميت بالقطايف لان الضيوف كانوا يتقاطفونها بشدة للذتها. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٢٠١.

(٧٢) بلغم: اللعاب المختلطة بالمخاط الخارج من المسالك التنفسية. معجم المعاني الجامع.

(٧٣) سوداء: هو مرض عقلي ويسمى ايضا المنخوليا وينشا من تغلب احد الاخلاط الاربعة. البعلبكي، منير، موسوعة المورد العربية، اعداد: رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت- ٢٠١٣م)، ص ٢٥٤.

(٧٤) البزور: مجموعة من الاعشاب تضاف الى الاسكنجبين وهي (اصول الرازيانج والكرفس والهندباء) من كل اواق مرضوضه ويطبخ ويضاف بالخلو والحامض. داود الانطاكي، التذكرة، ص ٣٥.

(٧٥) قرطاس: ورقة تلف على هيئة القمح ليوضح فيها الحب ونحوه والجمع قراطيس. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ١٠٦.

(٧٦) الكبير: القبارا او الشفاح او الاصف هي شجرة تنتمي للفصيلة القبارية تعيش في حوض البحر المتوسط هي شجرة معمرة شائكة لها فوائد طبية عديدة. ابن البيطار، ابو محمد عبد الله بن احمد ضياء الدين المالقي الاندلسي (ت ١٢٤٨م)، تفسير كتاب دياسقوريدس في الادوية المفردة، تحقيق: ابراهيم بن مراد، بيت الحكمة، (لا.م- ١٩٩٠م)، ص ٢٥٦-٢٦٦.

الى الفصيلة الصليبية وهو عشبة حولية معمرة ولها اكثر من ١٥٠ نوع له فوائد طبية عديدة. عون، موسوعة الاعشاب الطبية، ص ٨٦.

(٨٨) سنبل: الجمع سنابل وهو جزء النبات الذي يتكون فية الحب. ابن منظور، لسان العرب، م ٩، ص ١٩٤.

(٨٩) اللوزينج: من الحلوى شبيهة بالقطائف يؤدم بدهن اللوز. مجمع اللغة، المعجم الوسيط، ص ١٩٥.

(٩٠) رماد العقارب: عشبة حولية توجد في الاماكن الرطبة اوراقها متقابلة بسيطة ذات ازهار وردية تعيش في حوض البحر المتوسط تنبت هذه العشبة في الخريف ولا رائحة لها مذاقها شديد المرارة ولها فوائد طبية عديدة، ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١٢٤.

(٩١) زجاج المحرق: او حشيشة الرمل او حبقالة او عوميا وهو نبات عشبي حولي يرتفع عن الارض في حدود المتر تقريبا، الاوراق خضراء غامقة ازهارها مخضرة والبذور صغيرة غامقة اللون عليل، معجم الاعشاب، ص ٨١.

(٩٢) قيراط: مقياس يستخدم لقياس كتل الاحجار الكريمة والاماس واللؤلؤ ويساوي حوالي ٢٠٠ ملغم أي الغرام الواحد يساوي ٥ قيراط، مبارك، الميزان في الاقيسة، ج ٧، ص ٣٠١.

(٩٣) صمغ الاجاص: يلزق الجروح ويغري ويفتت الحصى وله فوائد طبية عديدة واجود انواعه الصافي النقي الحديث وهو حار رطب، ابن البيطار، تفسير دياسقوريدس، ص ٢٥٥.

(٩٤) زيرباج: هي المرقعة التي تتخذ من الخل والفاكهة اليابسة وتطيب بالزعفران ويطرح فيها الكمون ويحلى ببعض الاشياء الحلوة. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر الاثمة الاطهار، ج ٥٩، مؤسسة الوفاء، (بيروت-لات)، ص ٣٤٢.

(٩٥) الاكشوت: نبات متسلق على شكل خيوط رفيعة جدا ثمرته دائرية ازهاره منها ذات لون ابيض وردي والخليط السوداوي وله عدة اسماء منها كشوت، شكثا، افتيوم، صعته، نافع لعدد من الامراض، عون، موسوعة الاعشاب، ص ١٧.

(٩٦) مرزنجوش: او البردقوش ومردقوش او مردقوش بري مردكوش مرزنجوش، سمق وهو نبات معمري يتراوح ارتفاعه ما بين ٣٠-٦٠ سم ساقه صلبة مضلعة تكسوها شعيرات دقيقة واوراقه تشبه اللسان وازهارها مجموعات مغزلية لونها

(٧٧) ماء الجبن: هو المصل المتبقي من صناعة الجبن. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٢٩٦.

(٧٨) بزر كتان: نبات حولي من المحاصيل الزيتية وهو نبات معمري والاجزاء المستخدمة في النبات الزيت والبذور ولهما استخدامات طبية عديدة، عيسى، معجم اسماء النبات، ص ٢٧.

(٧٩) باقلي: جمع والاقلي الفول وواحدة باقلا او باقلاء، وهو نبات عشبي حولي من الفصيلة القرنية توكل قرونة مطبوخة وكذلك بذورة. ابن منظور، لسان العرب، م ٢، ص ٦٥-٦٧.

(٨٠) اكليل الملك: او الحندقوق وهو نبات من الفصيلة البقولية ويستعمل كعلف للحيوانات وفي علاج العديد من الامراض منها طرد الريح والبلغم وغيرها وشرابة يساعد على الهضم. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ١٢.

(٨١) اشنة: او شبيهة العجوز ومجموعها الاشن وهي فطريات ارضية متعايشة مع طحالب مجهرية وحيدة الخلية خيطية الشكل او على هيئة قشور او صفائح لا زهرية تنمو على الصخور او الاحجار وتعلق باغصان الاشجار. مسعود، جبران، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، (بيروت-١٩٩٢ م)، ص ١٣.

(٨٢) بعير المعز: رجيع ذوات الخف وذوات الطلق الالبقر الاهلي. عمر، اللغة العربية المعاصرة، ص ٢٥.

(٨٣) بورق: الملح الصوديومي لحمض البوريك يذوب بسهولة في الماء الدافئ وبصعوبة في الماء البارد. مسعود، الرائد، ص ٣٦.

(٨٤) تبنات: مفردتها تبن وهو ما تهشم من سيقان القمح والشعير بعد دراسة من تعلقة الماشية. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٧٦.

(٨٥) ممروس: مرس الدواء والخبز في الماء يمرسة مرسا انقعة، والمرس مصدر مرس التمر يمرسة ومرسة يمرسة اذا دلكت في الماء يمرسة مرسا انقعة ويقال للثرديد المريس لان الخبز يما. ابن منظور، لسان العرب، م ١٣، ص ١٧٨.

(٨٦) سفوفا: كل دواء يؤخذ يابسا، وغير معجون. عمر، اللغة العربية المعاصرة، ص ١٤٢.

(٨٧) حرف: او الحزف او الكاردامين جنس نباتي ينتمي

احمر فاتح ولها رائحة عطرية وللنبات استخدامات طبية عديدة، عقيل، معجم النباتات، ص ٣١٢.

(٩٧) برسياوشان: من اسماء الكزبرة وهي كلمة فارسية وتاويله دواء الصدر ويكثر هذا النبات في الاماكن الرطبة وله فوائد طبية عديدة، عيسى، معجم اسماء النبات، ص ٢٥.

(٩٨) يمرخ: من مرخ جسدة: دهنه بالمروخ، مرخة بالدهن يمرخة ورجل مرخ ومريخ كثير الادهان. ابن منظور، لسان العرب، م ١٦، ص ١٤٤.

(٩٩) حجر اليهود: او الزيتون الاسرائيلي او عشبة بني اسرائيل، حصى بني اسرائيل، بذور بني اسرائيل وهي عبارة عن احجار او صخور او حصى صغيره ناعمة جدا ذات لون اسود وبة خطوط ذهبية متقاطعة تتكون في الجبال في فلسطين، ويفيد هذا الحجر في تفتيت حصى المجاري البولية والكلي والمثانة والتخلص من اعراض النقرس، ابن البيطار، الجامع، ص ٩٨.

(١٠٠) زنبيل: احد نباتات المناطق الحارة تستعمل جذاميرة النامية تحت التربة وتحتوي على زيوت طيارة لها رائحة نفاذة وطعم لاذع لونها سنجابي او ابيض مصفرله استخدامات طبية عديدة. عيسى، معجم اسماء النبات، ص ٤٥.

(١٠١) جنطيانا: او كف الذئب، الجذر المرن العشبة المرة، عشبة المرارة لها حوالي ١٨٠ نوع ازهارها مابين الاحمر والازرق والاصفر وسبب تسميتها يرجع الى الملك جنتيوس الذي حكم مدينة اليريا والذي اكتشف فوائد النبتة كمضاد للسموم ومطهر للجروح وهو نبات معمّر يصل طوله ام تقريبا ويحمل اوراق متبادلة النسق فوق ساق واحدة ويستخدم منه الجذر في الاستخدامات الطبية. عون، موسوعة الاعشاب، ص ١٠٣.

(١٠٢) حمص اسود: نوع من النباتات يتبع جنس الحمص من فصيلة البقوليات وهو نوع من النباتات القصيرة الطول يوجد في الغالب في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية وتعتبر بذورة من المصادر الممتازة للبروتين ويحتوي على نسبة عالية من الالياف وله فوائد طبية عديدة، ابي الفدا، الـ ١٠٠٠ وصفة، ص ١٣٥.

(١٠٣) دهن العقارب: وهو الدهن الذي تلقى العقرب فيه

وتترك حتى ياخذ الدهن منها ويجتذب قواها ويكون هذا الدهن مذهباً للاورام الغليظة. ابن عبد ربه، احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ج ٢، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٩٨٣م)، ص ٤٨٤. (١٠٤) الجاروس: نبات حب كحب الارز. مسعود، الرائد، ص ٧٦.

(١٠٥) محاجم: جمع محجم وهي اداة الحجم، وهو عبارة عن قذح او انبوب زجاجي منتفخ يوضع على جسم شخص مريض ويفرغ من الهواء ليحث تحولا موضعيا في الدم. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٣٥٤.

(١٠٦) القضيبي: العضو التناسلي للذكر. ابو العزم، عبد الغني، الغني (م-٢٠١١م)، ص ١٥٦.

(١٠٧) البنفسج: نبات معمّر ينتج ازهار بنفسجية او بيضاء اللون ويوجد منها ٤٠٠-٥٠٠ نوع وتستخدم الازهار في علاجات طبية عديدة. السعدي، محمد، خفايا واسرار النباتات الطبية والعقاقير في الطب القديم والحديث، دار البازوري، (عمان-٢٠٠٦)، ص ٤٥.

(١٠٨) الشيرج: زيت السمسم. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ١٢٦.

(١٠٩) فصد الباسليق: وهو احد العروق الوسطى التي تفصد في الذراع في الجانب مما يلي الابط. اما الفصد فيقصد به احداث شق او قطع في الوريد واسالة الدم منه ابن البيطار، الجامع، ص ٣٤.

(١١٠) قطونا: او لسان الحمل او حشيشة البراغيث، وهو نبات سنوي ذو ساق عشبي له ازهار بيضاء صغيرة وتستهمل البذور والقشرة لاحتوائها على ماد هلامية ودهنية. عقيل، معجم الاعشاب، ص ٧٧.

(١١١) بقلة: بربينيا، الفرفاحينا، حمقة، رجلة، فرفح، بقله حمقاء، ارغليم. وهو نبات اوراقه خضراء ناعمة تحتوي سائلا هلاميا حامض الطعم اغصانة ناعمة بنية اللون سريعة الكسر ذا بذور سوداء. عون، موسوعة الاعشاب، ص ٣٤.

(١١٢) جلاب: عشبة طبية لها استخدامات طبية عديدة منها: مسهل قوي منشط للجهاز الهضمي طعمها حلو في البداية ثم يتحول الى لاذع ورائحته فظة قاسية



القوام، عيسى معجم اسماء النبات، ص ٤٠.

(١١٣) حلبة: نبات عشبي من الفصيلة البقولية لها ساق جوفاء ازهاره صفراء صغيرة تتحول الى ثمار على شكل قرون معقوفة طول كل قرن ١٠ سم وفيها بذور تشبه شكلها الكلية ذا لون اصفر مائل الى الخضار والبذور فوائد طبية عديدة. السعدي، خفايا واسرار، ص ٥٦.

(١١٤) بزر خطمي: نبات ينسب الى الفصيلة الخبازية وهو مخاطي ويسمى ختمية وله استطببات طبية عديدة منها التهاب وحموضة المعدة، السعال خراج الاسنان وغيرها، عقيل، معجم الاعشاب، ص ٢١.

(١١٥) الخبازي: نبات اخضر من الفصيلة الخبازيه فيها انواع بعضها يطهى ورقة وبعضها يستعمل كعلاج. ابن البيطار، الجامع، ص ٨٣.

(١١٦) شبت: نبات عشبي حولي لونه اخضر فاتح وازهاره صفراء زكي الرائحة، يستخدم في العديد من الاطعمه وفي مداواة العديد من الامراض، عون، موسوعة الاعشاب الطبية، ص ١١٣.

(١١٧) بابونج: احدى النباتات العشبية التي تطلق على زهرة الاقحوان ذات اللون الابيض والاصفر له رائحة قوية مميزة يستخدم للتداوي لكثير من الامراض، عيسى، معجم اسماء النبات، ص ٢٧.

(١١٨) اشق: صمغ طبي يستخرج من نوع من النباتات من جنس اليرولة من الفصيلة الخيمية، ويعرف بالكخاو علك الكلك. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ١٧.

(١١٩) علك البطم: صمغ يستخرج من شجرة معمرة ساقطة الاوراق ارتفاعها من ٤-١٠ م وله استخدامات طبية عديدة، ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١٥٦.

(١٢٠) بزر القثا: نبات ينتمي الى جنس القثد وهو نبات عشبي حولي زاحف ازهاره صفراء وثماره طويلة تشبه الخيار له عدة اسماء منها: القشعر المفتى الفتى لثمارة وبذورة استعمالات طبية عديدة. عيسى، معجم اسماء النبات، ص ٣٠.

(١٢١) قنابر: مفردها قنبرة قبرة، طائر من فصيلة القبريات يقتات من الحشرات والبذور البرية وهو صغير القد مستطيل الجناحين دائم التغريد يعيش في معظم البلاد

الحارة والمعتدلة. عقيل، معجم الاعشاب، ص ١٦٣.

(١٢٢) اسفيداج: وهو نوع من الفراريج الرخيصة المسنة. ابن سينا، القانون، م ١، ص ٧٣.

(١٢٣) الدخيلون: لفظه سريانية معناها اللعاب يصنع من بزر خطمي وقطونا وممر وحلبة وكتان ينقع كل واحد على حدته ثلاثة ايام يؤخذ من لعابها بعد عصرها بالصوف اربع اواق ثم يؤخذ مرداسنج اربع اواق يطبخ برطل ونصف زيتا حتى ينحل فيسقى اللعاب شيئا فشيئا حتى يستوعب فينقعد فينزل ويلقى عليه زفت ورماد دم من كل خمسة صدا حديد مثقال ويضرب ويرفع: ينفع في سائر الاورام الحارة وعدد من الامراض. ابن داود الانطاكي، التذكرة، ج ١، ص ٩٧.

(١٢٤) راتنج: صمغ وهو افراز عضوي ناتج من اشجار الصنوبر له استخدامات طبية وصناعية عديدة. البعلبكي، المورد، ص ٩٨٦.

(١٢٥) صندل: شجرة يتراوح ارتفاعها ٨-١٠ م يتطفل على الاشجار القريبة فيتعلق عليها ولها استعمالات طبية عديدة. السعدي، خفايا واسرار، ص ٢٣١.

(١٢٦) ما ميثا: كلمة ذات اصل سرياني وهو نبات من فصيلة الخشخاش. ابن البيطار، تفسير ديسقوريدس، ص ٣٦٧.

(١٢٧) مغاث: نبات عشبي يستعمل منه الجذور وهو قليل الارتفاع لايزيد على المتر مغطى باهداب كالشعر، ويؤخذ اللون الابيض من الجذر بعد تقشيره ويجفف في مكان نظيف معرض للشمس والهواء مع التقليب له ويستعمل كمشروب منشط لاجهزة الجسم وله استعمالات طبية اخرى ويستعمل كتوابل، عون، موسوعة الاعشاب، ص ٣١١.

(١٢٨) الهندباء: الهنبد، الطرخشون، السريس، نبات عشبي حولي ينمو في الاراضي الجافة وله استعمالات طبية عديدة. ابن سينا، القانون، م ٣، ص ١٧٨.

(١٢٩) جرادة: ما يقشر من الشيء. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٩١.

(١٣٠) حي العالم: نبات معمّر تموت اجزائه الخضرية في الشتاء ويعاود النمو في الربيع ازهاره زهرية اللون صغيرة القامة نافع لتصلب الشرايين وللآكزما وعدد من الامراض. عقيل، معجم الاعشاب، ص ٦٣.

(١٣١) ماء الشعير: هو ماء الشعير المغلي وهو نافع لعدد من الامراض ووصفته ان يؤخذ من الشعير الجيد المروض بمقدار من الماء الصافي العذب خمسة امثاله ويلقى في قدر نظيف ويطيخ بنار معتدلة وان يبقى خمساه ويصفى ويستعمل منه مقدار الحاجة. ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص ٣٢١.

(١٣٢) الخشخاش: نبات حولي او نصف حولي ارتفاعه بين ٥٠-١٥٠ سم لونه بين الاخضر الشامي والرمادي يميل الى الزرقة غصونه الرئيسية ملساء اوراقة كبيرة ازهاره بالوان مختلفة منها البنفسجي الاحمر والازرق والابيض والوان اخرى وله استخدامات طبية عديدة واعداد انواع من اطعمه، عقيل، معجم الاعشاب، ص ٨٩.

(١٣٣) ساذق البذور: لم اجد له ترجمة في معاجم اللغة او الاعشاب.

(١٣٤) الكالبخ: وهي من النباتات الربيعية والورود الشتوية، له فوائد طبية عديدة. عيسى، معجم اسماء النبات، ص ١٦٤. (١٣٥) اللينوفر: اسم فارسي معناة النيلي الاجنحة ومعناة النيلي الاجنحة ويسمى كرنب الماء وهو نبات ينبت في الاجام والمياه الراكدة ومنه ما يكون داخل الماء وله ورق كثير من اصل واحد وزهر ابيض شبيهه بالسوسن زعفراني اللون. للنبات فوائد طبية عديدة. السعدي، خفايا واسرار، ص ١٥٥.

(١٣٦) القوة الماسكة: وهي التي تمسك الغذاء ريثما تتصرف فيه القوة المغيرة. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت ٦٠٦هـ)، الفراسة دليل معرفة اخلاق الناس وطبائعهم وكانهم كتاب مفتوح، تحقيق: مصطفى عاشور، مكتبة القران (القاهرة-لا.ت)، ص ٤٣.

(١٣٧) الكهرا: هو المايل، او كاربا قاربا، فهربا، مصابيح الروم، وتعني جاذب التين، وهو صمغ الجوز الرومي، عيسى، معجم اسماء النبات، ص ٩٧.

(١٣٨) الطين الرومي: كان يؤتى به من ارمينيا وهو طين يابس جدا يقرب لونه الى الصفرة. ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١٦٥.

(١٣٩) السماق: من اسمائة الاخرى التتم، العربوب، العتر، سماق الدباغين، شجرتة تشبه شجرة الرمان وثماره تشبه حبات العدس البني بداخلها بذرة واحدة

ذات مذاق حمضي له فوائد طبية منها: مضاد للالتهابات، مضاد للصفراء، للاسهال وغيرها من الامراض. عقيل، معجم الاعشاب، ص ١٥٧.

(١٤٠) ينث الدم: نفث الجرح الدم اظهره، اخرج. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٣٨١.

(١٤١) مثقال: هي وحدة قياس وزن تعادل ٤,٢٥ غم تقريبا لكن يتم معادلته بوزن ٥ غم ويستخدم عادة لقياس الذهب. مبارك الميزان في الاقيسة والاوزان، ج ٧٤، ص ٣٩١.

(١٤٢) قاقيا: دب القرط وهي ثمرة الشوكة المصرية المعروفة بالسنت، عقيل، معجم الاعشاب، ص ١٢٠.

(١٤٣) درهمين: مفردها درهم وهي وحدة وزن جزء من اثنا عشر من الاوقية. هنتس، المكايل والاوزان، ص ٥٤.

(١٤٤) لسان الحمل: لسان الخروف، برد وسلام، ذنب الفار، المصاصة، هو من الاعشاب الشائعة التي تنبت في المروج ويحتوي على العديد من الاحماض الامينية وينفع في علاج العديد من الامراض منها كاتم للجروح، ترياق مضاد للسموم، ينفع في علاج الحمى والالتهابات والامراض الجلدية. ابن البيطار، تفسير دياسقوريدس، ص ١٢٢.

(١٤٥) عصا الراعي: او البطباط، عصا هارون، بفاط، زنجبيل الكلاب، ظرنة، اقتضاب، ام العقد، جنجر، وهي من النباتات المعمرة ثنائية الحول ينمو ويزحف على كل شيء يصادفة، يتراوح طولها ما بين ١-٢ م ويتميز باوراق سهمية الشكل خضراء له ازهار وثمار تشبه شكل سنابل اسطوانية للنبات استخدامات طبية عديدة. عقيل، معجم الاعشاب، ص ١١٥.

(١٤٦) العليق: شجرة شائكة متسلقة يصل ارتفاعها ٤ م لها اوراق راحية الشكل ذاتى ٣-٥ فصوص وله استخدامات طبية عديدة ويستخدم في صنع الطعام والشراب له اسماء عدة منها الصلندة، دركة، كبش اسود، وحب الدبس ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص ٢٢٥.

(١٤٧) الرحلة: هي تسمية اخرى للبقلة وقد تم تعريفها بهامش رقم ٩٨.

(١٤٨) زرشك او انبرياريس: هو جنس من النباتات يتبع الفصيلة البرباريسية وهو اسم لعدد من الشجيرات الشوكية الواطئة لها اوراق حمراء وثمار زاهية في الخريف على شكل



- ثمار لحماية كعناقيد وتستعمل هذه النبتة للزينة ويستخدم هذا النبات في علاج كثير من الامراض وله انواع عديدة. لينوس، كارلوس، عون، موسوعة الاعشاب، ص ٣٣٠.
- (١٤٩) النيمبرشت: البيض المنضج نصف انضاج وهي كلمة فارسية تتكون من مقطعين (من نيم بمعنى نصف، وبرشت بمعنى الشئ او القلي، او السلق). العبودي، معجم الحيوان، ص ١١٢.
- (١٥٠) الكاكنج: او عنب الثعلب او جوز المرج او كرز الشتاء او ربرق او الكشمش الاسود او عنب الذئب، وهو نبات كثير الاغصان وورقة لونة الى السواد، ويستخدم النبات في عمل المربيات والصلصات ويستخدم ايضا في علاج الكثير من الامراض. السعدي، خفايا واسرار، ص ١٠٦.
- (١٥١) لبن الاتن: وهو حليب انثى الحمار الاتان، الاتان هي الحماراة الانثى خاصة، يمتاز بنسبة دهون اقل. ابن منظور، لسان العرب ١م، ص ٢٥٤.
- (١٥٢) سميد: هو لباب الدقيق نوع من الطحين الابيض الخشن يستخدم في صناعة المعكرونة. عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، ص ٨٥.
- (١٥٣) مزورة اسفاناخ: حساء يصنع من للمريض ولكن دون لحم، اما الاسفاناخ فهو معرب عن فارسية هو اسباناخ وباليونانية سرماخيوس. الانطاكي، التذكرة، ج ١، ص ٢٤.
- (١٥٤) ماش: نبات زراعي من البقول ازرق اللون لمع براق شجرتة كشجرة اللوباء يستخدم في صنع الطعام وهو نافع ومقوي. التيفاشي، ابو العباس احمد بن يوسف (ت ٦٥١هـ)، الشفاء في الطب عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، هذبة: محمد بن جلال الدين مكرم ابن منظور، تحقيق: احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، (بيروت - ١٩٨٠م)، ص ١٠.
- (١٥٥) السفوف: كل دواء يابس غير معجون. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ١٨٥.
- (١٥٦) تنق: تخرج او تنبثق. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ص ٥٦.
- (١٥٧) صمغ عربي: هو عصير عشبة السنغال، وهو صمغ طبيعي لالون له ولا رائحة، يذوب في الماء الحار يستخدم في الكثير من الصناعات الغذائية ويستخدم لعلاج عدد
- من الامراض يذوب في الماء الحار يستخدم في الكثير من الصناعات الغذائية. ابي الفدا، ال- ١٠٠٠ وصفه، ص ١٨٩.
- (١٥٨) تطل: طال به الزمن مر عليه زمن طويل. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٤٣.
- (١٥٩) سماقية: اكلة قديمة يدخل فيها السماق كعنصر اساس وتتكون من البصل والسلق واللحم والحمص والدقيق عليل، معجم الاعشاب، ص ١٧٩.
- (١٦٠) زركشية: لم اجد له ترجمة في كتب المعاجم اللغوية ومعاجم الاعشاب.
- (١٦١) حصرمية: اكلة قديمة عبارة عن عصيدة مكونة من الدقيق الابيض والاسمر مع الهيل والزيت. ابن البيطار، الجامع، ص ١٠٤.
- (١٦٢) الطباشير: مادة جيرية بيضاء قليلة الصلابة. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ١٥٠.
- (١٦٣) الحابسة: ممسك للماء. مسعود، الرائد، ص ٤٧.
- (١٦٤) الربياس: نبات معمر ينبت في البلاد الباردة والجبال ذات الثلوج يؤكل ويعصر منه شراب الربياس. عليل، معجم الاعشاب، ص ٧٥.
- (١٦٥) ربهما: لم اجد له ترجمة في كتب المعاجم اللغوية ومعاجم الاعشاب
- (١٦٦) الكافور: شجرة دائمة الخضرة يصل ارتفاعها الى ٥٠ م خشبها شديد البياض يستعمل في غسل الميت وكدواء لعدد كبير من الامراض. عليل، معجم الاعشاب، ص ٢٠٤.
- (١٦٧) بسر: بسر النخل ثمره قبل ان يربط. ابن منظور، لسان العرب، م ٢، ص ١٦٦.
- (١٦٨) جمار: وهو قلب النخل واحدة: جمارة. ابن منظور، لسان العرب، م ٥، ص ٢٦٥.
- (١٦٩) طلع: طلع النخل مادة اخضابة تجمع في غلاف يشبه الكوز ينفث عن حب منضود. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٢٨٧.
- (١٧٠) حماض: او الكزبل نوع من الاعشاب الحولية وثنائية الحول والمعمرة، له انواع عديدة، يستعمل النبات لعلاج العديد من الامراض. ابن البيطار، الجامع، ص ٧٤.
- (١٧١) كسفرة يابسة: البرشاوشان، شعر الكلاب، ساق الاسود، بقلة البئر، جعدة القنا، شعر الارض، نبات معمر

ينتمي الى عائلة السرخسيات ورقة اخضر لامع متشقق الاطراف ومستديرة نوعا ما ولها رائحة عطرية اما اغصانها فديقة وسوداء اللون وقاسية للنبات فوائدها طبية عديدة. ابن البيطار، الجامع، ص ١٧٩.

(١٧٢) الحصرم: هو الثمر قبل النضج، حصرم التمر، لم ينضج. ابن منظور، لسان العرب، م ٦، ص ١٣٥.

● المصادر

ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٩هـ)

الكامل في التاريخ، تحقيق: ابو الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، (١٩٨٧م-١٩٨٧م)

ابن ابي اصيبعة، ابو العباس موفق الدين احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخرجي (ت ٦٦٨هـ)

عيون الانباء في طبقات الاطباء، دار مكتبة الحياة، (بيروت-لا.ت)

الانطاكي، داود بن عمر (ت ١٠٠٨هـ)

تذكرة اولي الالباب والجامع للعجب العجائب، تحقيق: احمد شمس، دار الكتب العلمية، (بيروت-لا.ت)

البغدادي، اسماعيل باشا

ايضاح المكنون في الذيل كشف الظنون، دار احياء التراث، (بيروت ٢٠٠٨م)

ابن البيطار، ابو محمد عبد الله بن احمد ضياء الدين المالقي الاندلسي (ت ١٢٤٨م)

تفسير كتاب دياسقوريدس في الادوية المفردة، تحقيق: ابراهيم بن مراد، بيت الحكمة، (لا.م-١٩٩٠م)

الجامع لمفردات الادوية والاغذية، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت-لا.ت)

ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن (ت ٨٧٤هـ)

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب (مصر-١٩٦٣م)

التيفاشي، ابو العباس احمد بن يوسف (ت ٦٥١هـ)

الشفاء في الطب عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، هذبة: محمد بن جلال الدين مكرم ابن منظور، تحقيق: احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، (بيروت-١٩٨٠م)

ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت ٥٩٧هـ)

المنتظم في تاريخ الملوك والامم، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة وتصحيح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٩٩٥م)

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٨هـ).

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا، دار احياء التراث، (بيروت-٢٠٠٨م)

ابن خلکان، احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ)

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، دار صادر، (بيروت-١٩٧٢م).

الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)

سير اعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، (لا.م-٢٠٠١م)

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت ٦٠٦هـ)

الفراصة دليل معرفة اخلاق الناس وطبائعهم وكانهم كتاب مفتوح، تحقيق: مصطفى عاشور، مكتبة القران (القاهرة-لا.ت)

الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٦١٦هـ)

مختار الصحاح، مكتبة لبنان، (بيروت-٢٠١٠م)

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى

تاج العروس من جواهر القاموس، (الكويت-٢٠٠٨م)

ابن سينا، ابو علي الحسين بن علي (ت ٤٢٨هـ)

القانون في الطب، تحقيق: محمد امين الضناوي، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٩٩٩م)



- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ) (١٩٩٦م)
- الفخري في الاداب السلطانية، دار صادر، (بيروت-٢٠١٢م)
- ابن عبد ربه، احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨هـ)
- العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٩٨٣م)
- ابي الفدا، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد (ت ٧٣١هـ)
- المختصر في اخبار البشر، المطبعة المصرية الحسينية، (لا.م-٢٠١٠م)
- القفطي، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)
- تاريخ الحكماء، (ليبيك-١٣٣٠هـ).
- ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ)
- زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الاناؤوط وعبد القادر الاناؤوط، مؤسسة الرسالة، (بيروت-٢٠٠٩م)
- الطب النبوي، مراجعة وتحقيق: عبد الغني عبد الخالق، وضع التعاليق الطبيه: عادل الازهري، خرج الاحاديث، محمود فرج العقدة، دار الفكر، (بيروت-لا.ت)
- ابن كثير، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد بن مكرم الجزري (ت ٦٣٦هـ)
- البداية والنهاية، تحقيق: ابو الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، (لا.م-١٩٨٧م)
- المجلسي، محمد باقر
- بحار الانوار الجامعة لدرر الاثمة الاطهار، مؤسسة الوفاء، (بيروت-لا.ت)
- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)
- لسان العرب، دار صادر، (لا.م-٢٠٠٣هـ)
- ابن الوردي، زين الدين بن عمر بن المظفر (ت ٧٤٩هـ)
- تتمة المختصر في اخبار البشر، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٩٩٦م)
- المراجع
- احمد، سالم عبد الرزاق
- فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، (العراق-١٩٨٢م)
- البعلبكي، منير
- موسوعة المورد العربية، اعداد: رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت-٢٠١٣م).
- الحلو، سمير اسماعيل
- القاموس الجديد للنباتات الطبية، دار المنارة للنشر والتوزيع، (لا.م-١٩٩٩م)
- الدوري، عبد العزيز
- دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مركز دراسات الوحدة العربية، (لا.م-٢٠١١م)
- الدوسري، هيا
- فهرس المخطوطات الطبية المصورة، الامانة العامة للاحتفار بمائة عام على تأسيس المملكة، (لا.م-١٩٨٤م)
- رؤوف، عبد السلام
- الاثر الخطية في المكتبة المكتبة القادرية، دار الرسالة للطباعة، (بغداد-١٩٧٤م)
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى
- تاج العروس من جواهر القاموس، (الكويت-٢٠٠٨م)
- الزركلي، خير الدين
- الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ١٥، دار العلم للملايين، (بيروت-٢٠٠٢م)
- زيدان، جرجي
- تاريخ التمدن الاسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت-لا.ت)
- السامرائي، كمال
- مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال للطباعة والنشر

والتوزيع (لا.م-لا.ت)

سركيس، يوسف اليان

معجم المطبوعات العربية والمعرية، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة-لا.ت).

السعدي، محمد

خفايا واسرار النباتات الطبية والعقاقير في الطب القديم والحديث، دار البازوري، (عمان-٢٠٠٦).

العبودي، محمد بن ناصر

معجم الحيوان عند العامة، مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثانية، (لا.م-لا.ت)

عقيل، محسن

معجم الاعشاب المصور، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط ١، (لا.م-٢٠٠٣م)

عمر، احمد مختار

معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، (القاهرة-٢٠٠٨م)

عواد، ميخائيل

مخطوطات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد-١٩٧٣م)

عون، احمد محمد

موسوعة الاعشاب الطبية، سلسلة العلم والحياة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة-لا.ت)

عيسى، احمد

معجم اسماء النبات، ط ١، المطبعة الاميرية، (القاهرة-١٣٤٩هـ)

ابي الفداء، محمد عزت محمد عارف

ال-١٠٠ وصفة ذهبية في العلاج بالاعشاب الطبية، تصحيح ومراجعة: محمود القيعي، دار الفضيلة، (لا.م-٢٠١٢م)

فهد، بدري محمد

العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، مطبعة الارشاد، (بغداد-١٩٦٧م)

كحالة، عمر رضا

معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، (لا.م-١٩١٩م)

مبارك، علي باشا

الميزان في الاقيسة والاوزان، مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد-لا.ت)

متز، ادم

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريذة دار الكتاب العربي، (بيروت-لا.ت)

مجمع اللغة العربية

المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، (لا.م-٢٠٠٤م)

مسعود، جبران

الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، (بيروت-١٩٩٢م)

المصطوفي، حسن

التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مؤسسة الطباعة والنشر، ط ١، (لا.م-١٤١٦هـ)

الناصرى، محمد باقر

معالم الفكر السياسي في الاسلام، مؤسسة الاعلمي، ط ١، (بيروت-١٤٠٨هـ)

هنتس، فالتر

المكاييل والاوزان ومايعادلها في الاوزان النظام المتري، ترجمة وتحقيق: كامل العسل، منشورات روائع الجدلاوي، (لا.م-٢٠٠٣م)



Manuscript: (bladder and kidney)

By: Dr.Sundas Zeidan Khalaf Al-Shughairi



Abstract

The manuscript (bladder and kidney) of the book (takwem al abdian wa tidbeer aliamrad wa mareafit alasbab wa alaarath), attributed to Abu Zakaria Yahya bin Isa bin Jazla al-Baghdadi which is mentioned in the first paper of the manuscript.

The manuscript carries a number of medicines and herbs that specialize in diseases of bladder and kidney, in addition to the types of food and drink suitable for each member, and the causes and symptoms of each disease, and how to avoid this disease or others with a statement of the country in which it is spread and the age to be infected.

The study included three main axes: the mention of the conditions that accompanied the life of Ibn Jazla, the author of the manuscript, a profile of his life and his origins, and then the study of the manuscript through the description and the copy of the manuscript, and finally the manuscript, by clarifying the names of the herbs and the statement of authenticity and comparing it with sources.



المجلة الطبية
العلمية
البحرية

بشار عواد

ومنهجه في تحقيق كتاب التكملة لوفيات النقلة

لـ زكي الدين المنذري (ت ٦٥٦هـ)

أ.م. د. زينب كامل كريم* 

● مقدمة:

ولد الدكتور بشار عواد^(١) في الاعظمية في يوم الاربعاء غرة شعبان سنة ١٤٥٩هـ الموافق للاربع من ايلول سنة ١٩٤٠ م كما وجدته مقيدا بخط والده وهو المدون في سيرته الذاتية واخبرني به مشافهة^(٢).

وكان عمه الدكتور ناجي معروف من ابرز المؤرخين العراقيين واثرى المكتبة بمؤلفات قيمة جاوزت الاربعين كتاباً وأبحاثٍ قاربت المئة بحث اكثرها في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية دافع بها عن العروبة والاسلام. وتأثر فيه ابن اخيه الدكتور بشار تأثراً بينا بل انه اختار مسار التاريخ في دراسته بسبب تأثره بعمه^(٣).

التحق الدكتور بشار بكلية الآداب بجامعة بغداد / قسم التاريخ وكان ذلك عن حب لهذا التخصص، وتخرج في صيف ١٩٦٤ م وكان ترتيبه الاول على القسم في السنوات الاربع التي قضاها فيه^(٤).

وفي السنة نفسها قدم طلباً للالتحاق بدراسة الماجستير بجامعة بغداد وكان الدكتور في هذه المدة قد اتصل اتصالاً قوياً بأستاذه العلامة مصطفى جواد، وبدأ يدرس عليه علم تحقيق المخطوطات، لاسيما في كتب التراجم. وكان ان اتفقا على اختيار كتاب التكملة لوفيات النقلة للحافظ المنذري دراسةً وتحقيقاً ليكون الرسالة التي يتقدم بها لنيل الماجستير^(٥).

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

وهو موضع بحثنا هذا، وكتاب التكملة كتاب كبير يتكون من ستين جزءا حديثيا ومخطوطاته مبعثرة في خزائن الخافقين - كما سيأتينا ذلك في ثانيا البحث - ومن الجدير بالذكر ان الدكتور بشار لم يعثر على الجزء الأول من الكتاب يومئذ وفيه المقدمة ووفيات سنة ٥٨١هـ وبعض من سنة ٥٨٣هـ وهي خمسون ترجمة وقد عثر عليه بعد ذلك بسنوات بفضل صديقه العلامة محمد المنوفي خازن كتب الملك الحسن حيث أخبره بوجودها ضمن تركة الكتاني التي اهديت الى الملك وحين ألقى د. بشار الدرس أمام الملك الحسن في رمضان سنة ١٩٨٦م طلب صورة عن هذه النسخة فأمر الملك بذلك وهي معدة للنشر وستظهر قريباً^(٦).

اما اطروحته للدكتوراه فقد كانت عن الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام باشراف الدكتور جعفر حسين خصباك، وفي ربيع سنة ١٩٧٦م نوقشت الاطروحة واجيزت من غير اي تعديلات عليها^(٧).

وهي دراسة متميزة حتى قال عنها عبد الفتاح ابو غدة في تقديمه لرسالة الذهبي فمن اراد التوسع في معرفة الامام الذهبي فليرجع الى هذا الكتاب النفيس^(٨).

● نهج العمل في التحقيق :

قدم الدكتور عواد لتحقيق كتاب التكملة بدراسة وكانت في خمسين صفحة.

وفي مقدمة تحقيقه للكتاب أخذ يطرح رؤيته في منهجية التحقيق وسبل تناول الكتاب المخطوط وأي رؤية يراها هي الأصوب بعد أن يناقش الاسباب التي تستدعي اختيار المنهج المفضل

لديه^(٩) يقول: يسود عالم المحققين رأيان متضاربان حول الطريقة التي يجب اتباعها عند نشر التراث العربي، الاول: يرى الاختصار على اخراج النص مصححا مجردا من كل تعليق وقد أخذت به كثرة كاثرة المتخصصين في هذا الفن.

والثاني يرى أن من الواجب توضيح النص بالهوامش والتعليقات واثبات الاختلافات والتعريف بالمبهم الوارد فيه ولم يأخذ به الاقلية من المحققين نسبيا لما فيه من الوعورة والصعوبة وما يحتاج اليه من وقت وجهد في وقت قل من يتمتع بالنفس الطويل والصبر على مثل هذه الامور.

وأقام الفريق الاول رأيه على جملة امور منها : ان الغاية من التحقيق هو اخراج ما يسمى (بالنص الصحيح) فلا حاجة بعد هذا الى اثقاله بالهوامش والتعليقات من ترجمة للاعلام الواردة فيه والاشارة الى المبهم من الاصطلاحات واسماء البلدان والمواضع وما الى ذلك، وقد فاتهم ان هذه الاشياء كلها هي الطريق الى سلامة النص وصحته.

وينحاز معروف الى اصحاب الرأي الثاني لاسباب هو يشير اليها منها :

١- ان الطريقة الاولى يمكن اتباعها وخاصة اذا توافرت اكثر النسخ الصحيحة الخالية من التصحيف والتحريف لكن هذه الطريقة لاتنفع مع المخطوطات التي تكثر فيها المعلومات والاحبار والمواقع والمواضع والتراجم وغيرها وغالبية مخطوطاتنا من هذا اللون، نراه يقول «ومع كل هذا وذاك كثرت الاخطاء في الكتب التي اعتمد ناشروها على نسخ سليمة لعدم مراجعتهم نصوصها

ومقارنة كل نوع من المادة الواردة فيها بالمؤلفات المعنية بها فانظر مثلاً الى الجزء الرابع من كتاب العبر في خبر من غبر لشمس الدين الذهبي الذي حققه الاستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد تجد فيه كثيراً من الاخطاء التي تأتي عن اهمال مثل هذه الامور فقد قيد لفظ (المعدل) بتشديد الدال وكسرها على صيغة اسم الفاعل في كل المواضع التي ورد فيها من هذا الكتاب مع ان الصحيح هو الفتح اي على صيغة اسم المفعول كما نص على ذلك السمعاني في الانساب وتابعه في ذلك ابن الاثير في اللباب قال السمعاني: بضم الميم وفتح العين والدال المشددة المهملتين وفي اخرها اللام، وهذا اسم لمن عدل وزكي وقبلت شهادته عند القضاة» هذه الامثلة وغيرها لما يقع من تصحيف وتحريف عند التحقيق تحتاج الى المحقق الحذق المطلع صاحب علمية واسعة القادر على تمييز الخطأ وتصحيحه يقول: «ولو راجعت تعليقاتنا على التكملة لوجدت عشرات الامثلة لما وقع من تصحيف وتحريف في هذا الكتاب أشرنا اليها في مواضعها، كما نبهنا الى ما وقع من اخطاء كثيرة في الكتب المعتمدة كثيراً لا سيما (معجم البلدان)».

٢- ان هذه الطريقة المثلى في التحقيق لان جمهرة كبيرة من الكتاب المسلمين لا ينفطون ما يكتبون وحتى ان وجد فالتنقيط لا يعتمد عليه ان الكاتب يعتمد على ما للقارئ من معرفة في الموضوع الذي يقرؤه خاصة في تواريخ الرجال ويصبح مثل هذا الامر على أشده خطورة عند تشابه الحروف في الرسم كالحاء والخاء والجيم والباء والتاء والثاء والياء وغيرها .

٣- هذه الطريقة تيسر الافادة من الكتاب الى اقصى حدودها حتى لا تكون قاصرة على القلة القليلة من العلماء وانما تتجاوزهم الى عدد اكبر من العلماء والباحثين والدارسين ممن لايتسنى لهم الرجوع الى ما رجعنا اليه من امهات المخطوطات المشتتة في خزائن الكتب في انحاء العالم، فليس احد بأقدر من المحقق على سبر اغوار النص واجلاء غموضه لانه خبر الكتاب مع طول معاناته له وللكتب التي اعتمدها في اخراجه.

٤- يقول الاستاذ الدكتور شكري فيصل (ان الاصل في اخراج النص ان ينظر المحقق فيه وفيما حوله، وان يكتشف اثاراته وان يبين عن اشاراته وان يدل على المنازع التي صدر عنها، ومثل هذا الجهد الذي لا بد منه في التحقيق لا بد منه بعد ذلك في الدراسة، فمن الخير اذا ان يندمج هذان الجهدان معا فيتولى محققو النصوص بالذات عمليات الشروح الاولى هذه لكي تصبح جاهزة للبحث الادبي الصرف او للبحث التاريخي الصرف او لهما معا وذلك كله يتيح للباحث ان ينطلق بعد ذلك عنها دون ان يضطر الى معاودة الجهد الذي بذله المحققون.

● منهج تحقيق كتاب التكملة لوفيات النقلة

للمنذري :

كما تقدم الحديث ان كتاب التكملة كتاب ضخم يتكون من ستين جزءاً في تراجم علم الرجال، وفي الكتاب (٣١٦٤) ثلاثة آلاف ومئة وأربع وستون ترجمة ممن توفوا بين (٥٨٢هـ - ٦٤٢هـ) وأغلبهم من نقلة الحديث النبوي الشريف. سار الدكتور بشار عواد وكما اختار المنهج العلمي الدقيق وخطوة بخطوة كما هو معروف عن



خطوات التحقيق فبدأ الكتاب :

١- مفاتيح الكتاب^(١٠) :

قدم الدكتور بشار لتحقيقه بعض الرموز والمختصرات التي استعملها في التحقيق يقول «قد استعملنا في هذا الكتاب كثيراً من المختصرات للدلالة على ما قد يطول ذكره واجتهدنا ان تكون هذه المختصرات اخصر من غيرها شرط وفائها بالمراد» ومن هذه المختصرات (م مجلد، ا.هـ، انتهى، كذا ورد في الاصل وهو غير صحيح، باريس دار الكتب الوطنية في باريس، الاوقاف مكتبة الاوقاف ببغداد، شهيد علي مكتبة الشهيد علي باسطنبول وغيرها من الرموز.

٢- تقديم تحت عنوان محقق التكملة وتحقيقها كتب التقديم لهذا التحقيق العلامة الدكتور مصطفى جواد^(١١) وولد الدكتور المحقق في بيتين كانا خير ما افتتح به العلامة حديثه في هذا التقديم قائلاً:

بشار حقق في التاريخ تكملة

للمنذري فنعم المرء بشار

كانت مفرقة غفلا فجمعها

وزادها وسم ارشاد لمن حاروا

كانت التقديم في شقين الاول في التأصيل لعلم التأليف في التراجم وخصوصاً تراجم الوفيات والشق الثاني في التأصيل لعمل المحقق.

انتقل الدكتور جواد في الشق الاول الى بدايات الكتابة في السير والتراجم وعد الكتابة في هذا الباب هو اصل الكتابة في التاريخ فالتاريخ عندهم هو تراجم كما ترى في تسمية تاريخ البخاري ويسترسل الدكتور في ذكر الامثلة ممن كتبوا في

ذلك ثم بدا بالتأصيل لنوع اخر من التراجم يقول «ومن فنون التاريخ اعني فن التراجم الوفيات وهي تواريخ تذكر الاعيان من المحدثين وغيرهم على حسب سني وفياتهم وشهورها وايامها احياناً» واول من بدأ ابوسليمان الحافظ الذي جمع الوفيات الى سنة ٣٨٨ وسماه وفيات النقلة وبعدها الذبول التي اضيفت عليه جمعها الدكتور بالذكر وازاد الى ان هذا اللون بدأ بجمع وفيات نقلة الحديث لكن تكملة المنذري لم تقتصر على ذلك وانما شملت عدة طبقات سواء من ادباء وشعراء وكتاب ووزراء وملوك وسلاطين وخلفاء ثم يسترسل الدكتور في وصف فضائل كتاب التكملة واهميته في عصره وما بعده لما يحتويه من معلومات واخبار وبذلك اصبح هذا الكتاب من امهات كتب التاريخ لما احتوته من تراجم كان بعضاً منها نادرة لا يجدها الباحث في غير هذا الكتاب.

اما الشق الثاني فقد اشاد الشيخ الدكتور بالمعية تلميذه والمعية عمله حتى قال فيه.

وهيا الله تعالى لها شابا المعيا مولعا بالتراجم دؤوبا على التحقيق والتدقيق والتدقيق فوي الحافظة أيد الذاكرة بارع البحث عالما بكتب التاريخ والمؤرخين (و) ولقي نصبا فوق نصب بذلك الحشد والجمع فضلا عن بذل وافر المال مع عدم تحمل الحال وأقبل على تحريرها واصلاح ما طرأ عليها من غلط النساخ والتعليق على تراجمهم بفرائد الفوائد من ذكر المظان والاستدراكات والتنبيهات ومن حبك تراجمها والاشارة الى مناجمها حتى ظهرت بهذه الهيئة الادبية العلمية

الرائعة وهذه الصفة البارعة النافعة فكأنها نسيج تراجم محكم السدى واللحمة نسجه عبقرى بلغ من فنه أطواراً ولم يترك امراً يؤخذ عليه وحق لمن يتقن عماء الادبي هذا الاتقان.

٣- المقدمة :واشتملت المقدمة على التحقيق في حياة المؤلف الذي هو زكي الدين ابومحمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعيد بن المنذري الشامي ثم ذكر مؤلفاته وجمعها وتصنيفها في الحديث اولاً وبلغت ثمانية عشر مؤلفاً، والفقه ثانياً وبلغت مؤلفين اثنين والتاريخ ثالثاً وبلغت خمسة مؤلفات ثم انتقل الى تلامذته ثم مكانته واخيراً وفاته وكان في كل ذلك متابعاً ومنقبا بما لديه من معلومات وبعد التنقيح الطويل في المظان المختلفة على حد قوله استطاع الوصول الى هذه الدراسة والجمع لمؤلفاته ولطرف من اخبار حياته الا انه لم يفرد لنا عنواناً لشيئوخه الذين اخذ عنهم العلم واكتفى الدكتور عواد بالاشارة لذلك في ثانيا حديثه عن حياة المنذري يقول « واجاز له طائفة كبيرة من مختلف البلدان الاسلامية وكفى هنا ان نشير الى ان معجم شيوخه الذي خرجة لنفسه بلغ ثمانية عشر جزءاً حديثاً ولم يقتصر على الرجال بل سمع من النساء وكتب عنهن وكتبن له الاجازات». وبعد ان انهى الدكتور بشار عواد التحقيق في حياة المؤلف انتقل الى الكتاب وافرد عنواناً وهو (كتاب التكملة لوفيات النقلة وأهميته) بين في هذا العنوان ماهية الكتاب والذي هو تذييل لكتاب شيخه وهو وفيات النقلة للمقدسي والذي وصل فيه لسنة ٥٨١هـ وكان الذيل لسنة ٦٤٢هـ ثم

وصف الكتاب وعدد اجزائه وكان في ٦٠ جزءاً الا ان الجزء الاول لم يتوصل اليه في حينها^(١٣)، ويسترسل الدكتور في وصف الاجزاء وما وصل اليها منها بأي ترجمة بدأت وبأيها انتهت ومع ذكر الترتيب الذي اتبعه المنذري في ايراد التراجم والتي كانت بحسب الوفيات ايضاً باليوم والشهر والسنة ويقول د. بشار ودقق في ذلك تدقيقاً كبيراً لانه كان اساس كتابه فحفظ لنا تواريخ وفيات جماعة ضخمة من الرواة لانجد لها مثيلاً في غيره من الكتب.

كما ورصد المحقق التراجم التي اضيفت بين عامي (٥٨١هـ - ٦٤٢هـ) فكانت اكثر من ثلاثة آلاف ومئتي ترجمة على حد قوله.

واشار الى ان المنذري ضبط تاريخ الوفاة بنسب المترجم والقابه ومكان وفاته ومحل دفنه ومولده ودراسته وشيوخه وتحديثه او تدريسه او تأليفه وابدى رأيه فيها.

ثم تناول نسخ الكتاب^(١٤) التي اعتمدها في التحقيق ودرس كل نسخة بعد ان رمز لكل منها بحرف ووصف كل نسخة الوصف العلمي من حيث الاجزاء والخط وعدد الصفحات وعدد الاسطر في الورقة الواحدة وعدد الكلمات في السطر الواحد كما أعطى وصفاً دقيقاً لنوع الخط من حيث الصعوبة او الوضوح يقول عن نسخة أيا صوفيا «اما الخط فدقيق ضبطت كثير من كلماته بالشكل الا انه صعب القراءة جداً وكاتب هذا القسم وصاحبه احد تلامذة المنذري وهو... ابو بكر الموصلي الدمشقي الشافعي» وعن نسخة الاسكندرية يقول «وجاءت بداية التراجم بخط



عريض اما الخط فهو اعتيادي فيه بعض ملامح الخط المغربي» ويذكر اذا ما تغير نوع الخط في بعض اجزاء المخطوط وكما ذكر ما اصاب النسخ من طمس او تلف او ترميم غير علمي وقد اضر بالنسخة وذكر السماعات والتملكات والاجازات المثبتة على النسخ وقد ذكر الاستاذ بشار نسخة دار الكتب المصرية ورمز لها بالحرف (د) وهي من اكتشافه اذ لم يعرف م فهرسو الدار او غيرهم انها جزء من التكملة اذ ورد في فهرس الدار انها رسالة تشتمل على بعض من توفي من المحدثين في سنة ٦١٢ هـ تأليف احد علماء القرن السابع الهجري .

وهذا جهد علمي واضح جهد المتمكن من ادواته في علم التحقيق ومن أدلة علميته وتفانيه أنه جمع خمس نسخ للكتاب وتفانيه في البحث الطويل عن الجزء الاول الذي لم يوفق لاجاده قال الدكتور مصطفى جواد في ذلك «ولولا ان الجزء الاول من الكتاب لم يقف عليه ولم يتوصل اليه مع استغراقه الطاقة في البحث واستنفاده البحث في الفحص لتمت فوائده ولكن ماله ذنب ولا تقصير فيما فعل الدهر بنفائس المخطوطات العربية وبدائع الآثار الأدبية.

● نهج العمل في التحقيق :

يتميز منهج الدكتور بشار عواد بالخطوات الآتية :
١- وضع المحقق لكل ترجمة رقما ليسهل تسلسل التراجم والرجوع اليها بكل سهولة ويسر وقام بتخريج كل ترجمة أصلية من مظانها الأصلية الا انه اهمل بعض الكتب التي أكثر النقل عنه مثل كتب الذهبي وطبقات الشافعية للسبكي لأنها قلما تركت ترجمة من هذه التراجم من غير ان تنقل فيها عن المنذري .

٢- ضبط النص وتقييد الفاظه بما يفيد فهم معانيه، ووضع الفواصل والفوارز والنقاط وعلامات التعجب والاستفهام ومما هو مألوف في طرائق الكتابة الحديثة (٢٩)

٣- تخريج الآيات القرآنية من المصحف الشريف بذكر اسم السورة والآية.

٤- تخريج الاحاديث النبوية من الكتب المعتمدة في الحديث النبوي ولا سيما الكتب الستة المشهورة (صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي وسنن ابي داود وسنن ابن ماجة وسنن النسائي).

٥- تخريج الاشعار من دواوين الشعر حصرا ان كانت منسوبة لشاعر بعينه ان كان له ديوان وان لم يكن له ديوان مطبوع تخرج الابيات من امهات كتب الادب العربي.

٦- متابعة النصوص المنقولة من مصادرها بالرجوع الى تلك المصادر ومقابلتها مع نصوص التكملة لوفيات النقلة وتدوين الاختلافات اذا كانت كثيرة وإذا لم توجد اختلافات في النص اشار الى الجزء والصفحة من ذلك المصدر من غير تعليق، فالتحقيق العلمي السليم يجعل من الضروري العودة الى النصوص في مظانها الأصلية كلما وجد المحقق الى ذلك سبيلا، ومما يجعل هذا الامر في الغاية من الاهمية ان النسخ التي وقع عليها الدكتور فيها الكثير من مشاكل النسخ والسقط والطمس وما الى ذلك من الامور، وتبعاً لذلك وضع الدكتور بشار منهاجا متشددا في طريقة التحقيق، مثلاً يقول في الترجمة ص ١١١ في الهامش (١٠) انظر ترجمته في ابن الاثير : الكامل ص ١٢-٢٥، ابن الديبشي : التاريخ الورقة ١٢٤ باريس ٥٩٢١.

٧- تخريج ترجمة المترجم له من مصادر عدة قريبة من على الترتيب الزمني لوفيات مؤلفي تلك المصادر الاقدم فالأقدم، تدوين الاختلافات الظاهرة في الاسم وأسماء آباء المترجم وكنيته ولقبه ونسبه وشهرته، وما سقط من تلك الاسماء والاحالة الى المصادر التي ثبتت تلك الاختلافات، نراه يقول في المقدمة « فجمعت نسخ الكتاب المبعثرة في خزائن الكتب العلمية ودرستها وقمت بمقارنتها وأثبتت الاختلافات في الهوامش بعد ما ثبت ما بدا لي صحيحا ولم أشر الى الاخطاء الواضحة جدا والواقعة في بعض النسخ كما لم أثبت الاختلافات الحاصلة من جراء الاختلافات في النقط لان تنقيط الناسخ لا يتخذ اساسا خاصة في مثل هذه الكتب بل رجعت الى الكتب المختصة بهذا الفن وحذفت عناوين الاجزاء وما جاء معها من ذكر اسم المؤلف وما الى ذلك واكتفيت بذكر الجزء فقط»^(١٦).

٨- جعل تراجم لمن يرد ذكره من اسماء الرجال في ثانيا الترجمة التي يترجم لها المنذري، مثلا يقول ووالده الكمال ابن الشهرزوري^(١٧) يضع هامشا ويترجم للكمال يقول هو قاضي القضاة كمال الدين وبعد ان يترجم ويذكر مصادر الترجمة التي اختصرها في سطرين يثبت مصادر ترجمته بالمؤلف وعنوان الكتاب بالمختصر مثلا يقول الصفدي: الوافي ج ٣/ ص ٣٣١.

٩- التعريف بالكتب التي ذكرها المؤلف والاشارة الى المخطوط منها والمطبوع وان لم يكن ذلك في جميع أجزاء الكتاب مثلا يقول في ترجمة ابو البركات محمد بن الموفق الحبوشاني الصوفي « ووضع في المذهب كتابا » يعلق د. بشار في الهامش فيقول «هو كتاب

تحقيق المحيط» ويقع في ١٦ مجلدة كما في طبقات السبكي^(١٨).

١٠- التعريف بالمواضع والاماكن بتعريفات موجزة دالة على المقصود من التعريف دون التوسع في ذلك، وربما ترك التعريف لتعريف المؤلف المنذري ببعض المواضع والاماكن في نهاية الترجمة واكتفى به، يقول عن اول ترجمة في الكتاب (ودفن من الغد بالجبل^(١٩)) يذكر د. بشار يعني جبل قاسيون بدمشق وكانت فيه مقبرة عظيمة، ياقوت : معجم البلدان ١٣/ ١٤٤ والتخريج هاهنا في موضعه لان كلام المؤلف غير معلوم عن اي جبل يتحدث، اما اذا كانت المعلومة واضحة فهي لا تحتاج لتوضيح وان وضح اختصر بما يفيد بايجاز دون اقتضاب او استرسال وكأنه يزن المعلومة ويضعها في حجمها وقياسها من مثل ذلك تعليقه على موضع كلواذى يعلق في الهامش ما نصه : انظر ياقوت : معجم البلدان ٤/ ٣٠١-٣٠٢ قال اخره الف تكتب ياء مقصورة .. وهي الآن خراب أثرها باق بينها وبين بغداد فرسخ^(٢٠).

١١- تخريج الامثال العربية من مصادرها الاساسية وهي قليلة جدا ومع هذا لم يهملها المحقق لقلتها .

١٢- كثيرا مايضبط المنذري في كتابه (التكملة لوفيات النقل) أنساب المترجمين وألقابهم أو شهرتهم، وذلك بالرجوع الى كتاب الانساب للسمعاني واللباب في الانساب لابن الأثير الجزري وغيرهما من الكتب المعنية بهذا الشأن^(٢١).

١٣- للتأكد من صحة ضبط المنذري لعدد من اسماء المترجمين وشهرتهم ولاسيما الأسماء الغريبة او التي تلتبس مع غيرها او تشتبه بمثيلاتها وذلك



بالرجوع الى كتب المشتبه في اسماء الرجال للذهبي وشرحيه لابن ناصر الدين وسماه توضيح المشتبه وتبصير المشتبه بتحريير المشتبه لابن حجر العسقلاني، وتكملة اكمال الكمال للصابوني وغيرها^(٢٢).

١٤- اهتم د. بشار بالمقارنات زيادة في التثبث والتي من المؤكد أغنت التحقيق وجعلته متينا يقول « وقارنت النص بما اطلعت عليه من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لابن النديم » الذي ضمن كتابه معظم الحليين الواردين في التكملة^(٢٣).

كما وقارنت تراجم الأندلسيين بكتاب (التكملة لكتاب الصلة لابن الابار وثبت الاختلافات والواقع أنني لم اترك تاريخا محليا تناول هذا العصر الا وقارنته بنص التكملة ..) وتستمر قائمة مصادر المقارنات عند الدكتور وكل ذلك يبين عن قدرته الفائقة وحبه الجمل للعمل في هذا الفن المضني الا انه ينجز كل ذلك برغبة صادقة واضحة في تحقيقاته كلها، كما امتدت مقارناته بكتب القراء والمفسرين مثل طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي والكتب التي اعتنيت بالأدباء مثل ارشاد الأريب الى معرفة الأديب للحموي وكتب النحاة واللغويين مثل كتاب انباه الرواة على انباه النحاة للقفطي واعتمدت ايضا معاجم شيوخ المحدثين ومشايختهم وهي من الكتب الدقيقة في مادتها لان مؤلفيها يكتبون عن شيوخ لهم عارفين بأخبارهم وسيرهم العلمية منها مشيخة النعال البغدادي .

١٥- تميز بتعليقاته ومناقشاته لآراء علماء وهذه الامكانية المنطلقة من خبرته الواسعة وتعمقه الدقيق في علم الرجال^(٢٤)، يقول عن أبي الفتح محمود في الهامش : هو جد المؤرخ المحدث جمال الدين ابي حامد محمد بن علي بن محمود المحمود المعروف بابن الصابوني صاحب تكملة الاكمال المشهور نسب ابو القتح بالمحمودي لاتصاله بالسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي توفي سنة ٥٨١هـ انظر ابا شامة الروضتين : ج٢/ ص٦٨.

١٦- تميز باضافاته المجزية الملتزمة بالخط الذي اتبعه المؤلف، فمثلا يقول في الهامش الاول من الصفحة (١٣٦) ما بين العضادتين اضافة من عندي، وهو على الرسم الذي وضعه المؤلف والاضافة هي بقية ست وثمانين وخمسة مئة ١٧-صنع الفهارس المتعددة في نهاية الكتاب بحيث اصبح المجلد الرابع هو المجلد الخاص بالفهارس التي اشتملت على فهارس الآيات القرآنية والاحايث الشريفة والاشعار والامثال والمترجمين على سني الوفيات والمترجمين على نسق حروف المعجم العربي وفهرس الكتب وفهرس المواضع والاماكن وفهرس الالفاظ التي قيدها المنذري وفهرس المصادر والمراجع الذي رتبته على المخطوطات اولا ثم المطبوعات . ١٨- قدم المحقق للكتاب بمقدمة جميلة قسمت على قسمين الاول دراسة المؤلف المنذري، والثاني : دراسة الكتاب والحق بدراسة الكتاب وصف النسخ الخطية وطريقة الناسخ في الكتابة ومنهج العمل في تحقيق الكتاب .

* الهوامش :

- (١) د. احمد دودين، سيرة علمية مختصرة للعلامة الاستاذ الدكتور بشار عواد معروف ص ١: وما بعدها، د. بشار عواد، برنامج صفحات من حياتي، نشر على صفحات الانترنت.
- (٢) المصدر نفسه : ص ٢.
- (٣) وليد الأعظمي، تاريخ الاعظمية : ص ٢٣١، هاشم الدباغ، الاعظمية والاعظميون : ص ١٩٧.
- (٤) احمد دودين، السيرة العلمية : ص ٦ وما بعدها.
- (٥) د. بشار عواد، برنامج صفحات من حياتي.
- (٦) المصدر نفسه : ص ١٤.
- (٧) د. بشار عواد، مقدمة تاريخ الاسلام للذهبي: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م
- (٨) د. احمد دودين : ص ٣١.
- (٩) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، تح : د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨١م : ص ٣٢ وما بعدها
- (١٠) المنذري، التكملة : ص ٩.
- (١١) المصدر السابق : ص ١١.
- (١٢) ومن الجدير بالذكر ان الدكتور بشار لم يعثر على الجزء الأول من الكتاب يومئذ وفيه المقدمة ووفيات سنة ٥٨١هـ وبعض من سنة (٥٨٣هـ) وهي خمسون ترجمة وقد عثر عليه بعد ذلك بسنوات بفضل صديقه العلامة محمد المنوفي خازن كتب الملك الحسن حيث أخبره بوجودها
- ضمن تركة الكتاني التي اهديت الى الملك وحين ألقى د. بشار الدرس أمام الملك الحسن في رمضان سنة ١٩٨٦ م طلب صورة عن هذه النسخة فأمر الملك بذلك وهي معدة للنشر وستظهر قريباً.
- (١٣) المنذري: التكملة : ص ٢٤ وما بعدها.
- (١٤) ينظر في سبيل المثال ج ١/ ص ٢٣٧-٢٣٩-٢٦٣.. الخ.
- (١٥) ينظر المنذري، التكملة: ج ١/ ص ١٣٦.
- (١٦) ينظر مقدمة المحقق: ج ١/ ص ٣٥.
- (١٧) ينظر التكملة، ج ١/ ص ١٣٧.
- (١٨) ينظر، ج ١/ ص ١٦٢.
- (١٩) ينظر المصدر السابق، ج ١/ ص ٥٥.
- (٢٠) ينظر المصدر السابق : هامش ٦، ج ١/ ص ٧٥.
- (٢١) ينظر، ج ١/ ص ١٥٩.
- (٢٢) ينظر المقدمة، ج ١/ ص ١٥٩.
- (٢٣) ينظر الترجمة ١٨١ من التكملة وانظر بغية الطلب : م ١/ ص ٧٣-٧٦-٧٨-٩٤-٩٥.
- (٢٤) ينظر محاورته ومناقشته لمسالة ولادة الفقيه ابو الحسن علي ابن محمد بن علي المقرئ الضيرير هامش ٨، ج ١/ ص ١٣١ والتي ختمها بقوله «وهذا ايضا ضرب من التخمين فضلا عن ان ابن النجار» نقل عن ابن الجوزي وابن مشق انه ولد سنة ٤٨٦ هـ فتأمل ذلك جيداً.



Bashar Awad

and his methodology in investigation book (Al- Takmela)

By: Dr. Zainab Kamel Karim



Abstract

This research is to study the big investigator Bashar Awad and his methodology in investigation and especially in his book (Al takmela lewafiat al nakla) , the first topic includes: The life of investigator, his name, his family and every think of his scientific activities with his membership in committees.

Then the researcher studied his researches and investigation in history science and Hadith science and his books in investigation and methodology , like this book (Tahkik alnosos bain al moaalefen wa eslah al rowat wa alnussak wa al muhakiken) In the other hand . the second topic was includes an analytic study to his methodology in investigation of the book (Altakmela lewafiat al nakla) and befor entering to that subject I present to th most important known methodology in investigation.

I proved that Bashar Awad was one off those of the school that say it must explain the texts with margins , comments , and improve the difference and definition to the unclear that contain in it , he never take till little of investigators as a percent to what it has difficulties and what it need of time and efforts in a time we found little persons whom have a long spirit and patience on this matters then I finished the research with abstract and margins.



مكتبة دار الفکر
الطبعة الأولى: ٢٠١٨

النتائج العلمية والأدبية

في كتاب الفوائد البهية للكنوي (ت ١٣٠٤هـ)

(دراسة تحليلية)

* أ.د. فاطمة زبار عنيزان 

● المقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن حياة اللكنوي ومؤلفاته وعلميته ومنهجه في هذا الكتاب، وتأتي أهمية الموضوع من كون اللكنوي واحدا من المفكرين الذين نبغوا في مجالات عدة كالحديث والفقه والتاريخ وغيرها من العلوم، وكان لكتابه هذا أهمية في التاريخ الإسلامي من كونه خاصا بالسير والتراجم ومن أشهر مؤلفاته فهو جامع للتراجم لطبقة من أعيان عصره.

مؤلف هذا السفر هو: عبد الحي محمد بن عبد الحليم بن أمين الله بن محمد أكبر بن أحمد أبي الرحم بن محمد بن يعقوب بن عبد العزيز بن محمد بن الشيخ الشهير قطب الدين الأنصاري السهالوي اللكنوي الهندي^(١)، وكنيته التي اشتهر بها هي أبو الحسنات التي كناه بها والده، كما يقول عن نفسه «كناني به والدي بعد بلوغي» (م.ن، ص ١٥). ولد في بلدة «باندا» في السادس والعشرين من ذي القعدة يوم الثلاثاء من السنة الرابعة والستين بعد الألف والمائتين (م.ن، ١٥، ٣٠).

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

● نشأته:

نشأ اللكنوي في بيت والده محمد بن عبد الحليم صاحب التصانيف الشهيرة والمكانة العلمية والدينية المعروفة، كما يقول عنه «الذي كان يفتخر بوجوده أفاضل الهند والعرب والعجم، ويستند به أمثال العالم، الفائق على أقرانه وسابقه في حسن التدريس والتأليف، البارع السابق على أهل عصره ومن سبقه في قبول التصنيف» (م.ن، ص ١٥)، وتلقى تربية دينية قائمة على أساس التعلم والاكتساب لمختلف العلوم والمعارف، ويظهر إن أولاد هذا البيت كانوا يوجهون منذ نعومة أظفارهم لمثل هذا الاتجاه، وذلك عن طريق ملازمة الأبناء لأبائهم، وهذا تماما ما عرف به اللكنوي، إذ تلقى علومه الأولى على يد والده الذي كان مدرسا في بلده (باندا) في مدرسة النواب ذي الفقار الدولة^(٢)،

● مؤلفاته:

حصل اللكنوي على شهرة واسعة لكونه واحدا من المصنفين الذين عرفوا بغزارة النتاج العلمي، إذ صنف عددا كبيرا من المؤلفات التي نالت ثناء واستحسان العلماء من محدثين وفقهاء جعلت منه مؤلفا يشار له بالبنان، وقد وصفت مؤلفاته بأنها ذات طبيعة خاصة حملت بصمات ثقافية فقد عالجت موضوعات متعددة ومتنوعة، إلا إن السائد منها جاء في علم الفقه والسير والحديث متطابقا وميوله فقد كان محدثا وحفظ من الحديث ماتفوق به أهل عصره وتشير بعض الدراسات إلى أن مؤلفاته تجاوزت المائة مؤلف في علوم عدة منها في علم الصرف والنحو والمنطق والحكمة والمناظرة والتاريخ وعلم الفقه والسير والحديث^(٣). توفي اللكنوي ليلة بقيت من ربيع الأول سنة ١٣٠٤ هـ، ودفن بمقبرة أسلافه^(٤).

● النتاج العلمي والأدبي في كتاب الفوائد البهية:

أولى اللكنوي ذكر المؤلفات التي ألفها أصحاب التراجم من العلماء وغيرهم عناية كبيرة حتى حصلت لديه نتيجة لذلك ثروة كبيرة من المؤلفات في شتى فروع العلم والمعرفة، تصلح أن تستل وتوضع في مؤلف منفرد، وعلى الرغم من انه أشار في اغلب الأحيان إلى ابرز المؤلفات عدا المصنفات التي أشار إليها ولم يسميها، نحو قوله في ترجمة إبراهيم بن إسماعيل الصفار «وله التصانيف»^(٥)، وأحمد بن إبراهيم السروجي «وصنف التصانيف المقبولة» (م.ن، ص ١٣)، وأحمد بن سلمان الرومي «وله تصانيف كثيرة معتبرة» (م.ن، ص ٢٢، ١٠٧، ١٢٤، ١٥٦)، وأحمد بن محمد الطحاوي «وله تصانيف جلييلة معتبرة» (م.ن، ص ٣٢، ٣٤)، وعبد الرحمن بن أحمد «وله تصانيف كثيرة» (م.ن، ص ٨٦، ص ١٢٣)، وعبد الرحيم أبو الفتح «صاحب الفصول الاستروشينة» (م.ن، ص ٩٣)، وأحمد بن حفص «صاحب الصحيح البخاري» (م.ن، ص ١٨)، وعبد العزيز بن نصر بن أحمد «وصنف التصانيف» (م.ن، ص ٩٦)، و«وصنف تصانيف كثيرة» (م.ن، ص ١٠٧)، و«وله تصانيف حسنة» (م.ن، ص ١٥٠)، و«له التصانيف التي سارت بها الركبان» (م.ن، ص ١٤٨).

— عدد المصنفات :

كان اللكنوي في بعض الأحيان يشر إلى عدد مصنفات المترجم له بالعدد أو الكمية وهذا جزء من منهجه الذي سار عليه من خلال تعامله مع النصوص الواردة إليه من غير أن يوضح اتجاهه هذا، نحو قوله في ترجمة أحمد بن محمد البغدادي «وصنف التجريد في سبعة أسفار» (م.ن، ص ٣٠)، وأحمد بن

محمد «ينسب إليه كتاب اللؤلؤيات وهو مجلد ضخيم» (م.ن، ص ٤٠)، و«وقيل انه صنف قريبا من مائة مصنف» (م.ن، ص ١٥)، و«لقد وقفت بمصر على تأليف لرجل من عظماء هراه من بلاد خراسان» (م.ن، ص ١٣٧)، و«يقال إن مصنفاته زادت على خمسين» (م.ن، ص ١٣٣)، و«صنف تسعمائة وتسعين كتابا» (م.ن، ص ١٤٨)، و«رسائل كثيرة في فنون عديدة لعلها تزيد على ثلاثمائة» (م.ن، ص ٢٢).

– إشارته إلى المصنفات التي لم تكتمل:

وفي أحيان أخرى نراه يثبت مصنفات المترجم له التي لم تكتمل بعد من غير أن يوضح سبب هذا من قبل المترجم له، نحو قوله في ترجمة احمد بن إبراهيم السروجي «... وضع كتابا على الهداية سماه الغاية ولم يكمله وبلغني انه بلغ فيه إلى الإيمان في ستة مجلدات...» (م.ن، ص ١٣)، و«احمد بن سلمان الرومي... وله تفسير القرآن وحواش على الكشف وحواش على أوائل البيضاوي وشرح الهداية ولم يكمل...» (م.ن، ص ٢٢)، و«احمد بن عثمان المارديني... وصنف في الفقه والأصولين والحديث والعربية والعروض والهيئة وغالبها لم يكمل» (م.ن، ص ٢٦)، و«احمد بن علي الدمشقي المختار في الفقه وسماه التحرير وعلق عليه شرحا ولم يكمله» (م.ن، ص ٢٩).

وكان يشير في كتابه (الفوائد البهية) إلى شهرة المترجم له العلمية من خلال تصانيفه من حيث انتشار علمه وانفراده في نشر العلم في إحدى الجهات وكان إماما في انتشار تصانيفه في البلاد واشتهار تصانيفه في فنون مختلفة وان تصانيفه كانت بحر لا يماثل له احد، نحو قوله في ترجمة احمد بن اسحاق «وكترت تصانيفه وانتشر علمه بها» (م.ن، ص ١٤)، و«احمد بن

سلمان الرومي» وكان في كثرة التأليف وسعة الاطلاع في الديار الرومية كالجلال السيوطي في الديار المصرية» (م.ن، ص ٢٢)، و«جعفر بن محمد النسفي «صنف التصانيف لم يكن بما وراء النهر في عصره من يجري مجراه في التصنيف» (م.ن، ص ٥٧)، وغيرها من الأمثلة التي يمكن إيرادها على هذا النحو، منها قوله «كان إمام الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق ملأ الكون بتصانيفه» (م.ن، ص ١٢٢)، و«تقدم في الفنون واشتهر بذلك وطار صيته وانتفع الناس بتصانيفه» (م.ن، ص ١٣٦)، و«وكل تصانيفه تنادى على انه بحر بلا ساحل و«بحر بلا مماثل» (م.ن، ص ١٣٧).

● رأي اللكنوي في مصنفات مترجميه:

وأسهب اللكنوي في عرض مؤلفات مترجميه مظهرا آراءه فيها من خلال اطلاعه عليها إذ أشار صراحة إلى هذا الأمر الذي يعزز من دقة روايته في هذا الباب أي مابين الإعجاب في بعض الأحيان مستعملا ألفاظا وعبارات دالة على ذلك كل حسب منهجه فيها منها مفيدة، أو نفيسة، أو مطرية في بابها، أو جلية، أو صغيرة في حجمها عظيمة في علمها، نحو قوله في ترجمة احمد بن سلمان «وله تصانيف كثيرة معتبرة» (م.ن، ص ٢٢)، و«احمد بن علي بن تغلب... وله مصنفات في الفقه وأصوله وفي الأدب مفيدة» (م.ن، ص ٢٧)، و«احمد بن محمد الطحاوي» قد طالعت من تصانيفه معاني الآثار وقد سمي شرح معاني الآثار فوجدته مجمعا للفوائد النفيسة والفرائد الشريفة» (م.ن، ص ٣٢-٣٣)، وقوله «وله كتاب مفيد» (م.ن، ص ٢٨)، و«وقد طالعت من تصانيفه... كلها نفيسة مشتملة على فوائد مطرية» (م.ن، ص ٣٨)، و«وقد طالعت تأليفه المقدمة وهو مصغر حجا



مكبر علما» (م.ن، ص ٤٠)، و«وهو تصنيف لطيف» (م.ن، ص ١٢٣)، و«وله التصانيف الجلية» (م.ن، ص ١٣٠)، و«... قد طالعت من تصانيفه جملة في فنون عديدة وكلها مقبولة متداولة تنادى على شدة ذكائه وإصابة رأسه...» (م.ن).

وفي أحيان أخرى كان يوجه نقده لبعض المصنفات التي اطلع عليها مستعملا ألفاظا وعبارات دالة على ذلك منها له مخالفة، أو النقل من الكتب المتداولة، أو الغلط في بعض الأحيان وغيرها، نحو قوله في ترجمة احمد بن محمد «قد طالعت من تصانيفه معاني الآثار وقد سمي بشرح معاني الآثار فوجدته مجمعا للفوائد النفيسة والفرائد الشريفة ينطق بفضل مؤلفه وينادى بجهارة مصنفه قد سلك فيه مسلك الإنصاف وتجنب عن طريق الاعتساف إلا في بعض المواضع» (م.ن، ص ٣٣)، والياس بن يحيى «قد طالعت من تصانيفه التبين وغاية البيان فوجدته كما قال الكفوي شديد التعصب في مذهبه بسيط اللسان على مخالفه» (م.ن، ص ٥٠)، وطاهر بن إسلام الخوارزمي «قدم الروم ثم عاد إلى مصر فألفه فيها ناقلا من الكتب المتداولة» (م.ن، ص ٨٤-٨٥)، وعبد الغفور بن لقمان «فلا يكاد يصح أن يضيف أبو الفاخر على الاخسيكني شرحا» (م.ن، ص ٩٨)، و«صنف التصانيف... وطالعت مجموعاته في الحديث ورأيت فيها الغلط وتغير الأسماء وإسقاط بعضها شيئا كثيرا» (م.ن، ص ١٥٠). وفي بعض الأحيان يكون موقفه محايدا في عرض مصنفات المترجم له وهذا جزء من منهجه الذي اختطه لنفسه في هذا الاتجاه، نحو قوله في ترجمة احمد بن محمد «... قد طالعت من تصانيفه شرح الزيادات وانتفعت به وهو

مختصر ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل» (م.ن، ص ٣٦)، و«ولم أصنف شيئا للمؤاخذين على المصنفين» (م.ن، ص ١٢١).

● المصنفات العلمية:

كان للمصنفات في العلوم أهمية كبيرة عند اللكنوي إذ كان يشير إلى تلك المصنفات في بعض الأحيان بصورة عامة من غير أن يحدد نوع العلم، نحو قوله في ترجمة عبد الغفور بن لقمان «طلب العلم وروى الكثير وصنف الكتب في أبواب العلم وكان ثقة مأمونا حجة» (م.ن، ص ١٠٤)، و«كان مصنفا في العلوم» (م.ن، ص ١٨٣)، و«... له تصانيف في العلوم...» (م.ن)، و«وله تصانيف جلية واجل مصنفاته مفتاح العلوم المشتمل على اثنتي عشر علما» (م.ن، ص ٢٣١)، و«كان بارعا في العلوم وقل مايوجد من الأول فيه مصنف أو مصنفات» (م.ن، ص ٢٢).

● دوافع التأليف:

وفي بعض الأحيان كان يشير إلى دوافع تأليف الكتاب بغض النظر عن الحالة العلمية التي كان عليها المترجم له كان تكون بأمر من الخليفة، نحو قوله في ترجمة احمد بن عمر الخصاف الذي ألف كتابه للخليفة المهدي «وصنف للمهدي بالله كتاب الخراج» (م.ن، ص ٢٩)، أو كان التأليف دافعا لتنفيذ أمر السلطان كما هو الحال في ترجمة علي عمران الطوسي «ولما فتح محمد خان بن مراد خان قسطنطينا... أمر المولى الطوسي والمولى خواجه زادة مصلح الدين مصطفى أن يصنف كتابا محاكمة بين تهافت الفلاسفة للغزالي وبين الحكماء فكتبه خواجه زادة في أربعة أشهر وكتبه الطوسي في ستة أشهر وسمى كتابه بالذخيرة فأعطى السلطان لكل منهما عشرة آلاف درهم وزاد خواجه بغلة نفيسة» (م.ن، ص ١٤٥)، أو صنف مصنفاته

لأجل والده، نحو قوله في ترجمة محمد بن محمد بن فخر الدين جمال الدين الاقصراني «كان للإمام فخر الدين الرازي ولد اسمه محمد ولأجله صنف أكثر مصنفاته وذكر اسمه فيها» (م.ن، ص ١٩٢).

● التأليف إثناء الرحلة:

وأشار أيضا إلى رحلة المترجم له إلى بلاد ما وتأليفه المصنفات في إثناء تلك الرحلة، نحو قوله في ترجمة طاهر بن إسلام الخوارزمي «وله جواهر الفقه كتاب لطيف صنفه في بلاد الروم»^(٦). و«وشرع في تصنيف حبيب السير في شهور سنة سبع وعشرين وتسعمائة وانتقل في شوال سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة من هراة إلى قندهار ثم سافر إلى الهند سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة» (م.ن، ص ١٣)، و«انتقل إلى سمرقند وألف في تلك البلاد شرح المصابيح وغيره» (م.ن، ص ٤٠)، و«أقام بماردين ودرس وصنف وأفتى إلى أن مات بها في رمضان سنة ٧٢١هـ» (م.ن، ص ١٧٥)، و«ثم ارتحل سنة ثمان وأربعين وثمانمائة إلى ممالك الروم وصنف هناك سنة خمسين وثمانمائة شرح مصابيح البغوي» (م.ن، ص ٩٣).

● النتائج المبكرة:

وفي بعض الأحيان يظهر اهتماما ملفتا للنظر في التنويه بالنتائج المبكرة للمترجم له أو فراغه منها أو عدم تصنيف المترجم له للمصنفات رغم شهرته العلمية العالية، نحو قوله في ترجمة طاهر بن إسلام «... وفرغ منه بغرة رمضان سنة إحدى وسبعين وسبعمائة...» (م.ن، ص ١٥)، وعبد الرحيم أبو الفتح «... وفرغ من تأليف الفصول العمادية في شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة بسمرقند...» (م.ن، ص ٩٣)، و«فرغ من تصنيفه سنة ست وثمانمائة وكان

شرحا لطيفا وتصنيفا تعيسا...» (م.ن، ص ١١٣)، و«... وفرغ من تصنيف شرح الزنجاني حين بلغ عمره ست عشرة سنة في شعبان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وشرح التلخيص المطول في صفر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بهراه ومن اختصاره سنة ست وخمسين وسبعمائة بغجد ومن شرح الرسالة الشمسية في جمادى الأخرى سنة سبع وخمسين وسبعمائة بمزار حام...» (م.ن، ص ١٣٧)، وكان يشير إلى بداية شروع المترجم له في التصنيف، نحو قوله «وشرع في تصنيف حبيب السير سنة سبع وعشرين وتسعمائة...» (م.ن، ص ١٣٣).

● أمور متفرقة:

- عدم التصنيف:

على الرغم من علمية بعض مترجميه العالية إلا أنه لم يصنف ولم يشتغل في هذا المجال من غير أن يوضح سبب ذلك، نحو قوله في ترجمة مصطفى بن أوحده الدين قراعلي محمد... أنه كان فاضلا في العلوم كلها قد اعترف العلماء بفضل له لكنه لم يشتغل بالتصنيف ولذلك كانت مؤلفاته قليلة...» (م.ن، ص ٢١٣)، وترجمة سعد الدين بن شمس الدين الديري... ولم يشتغل بالتصنيف مع كثرة اطلاعه» (م.ن، ص ٨٠).

- السبق في التصنيف:

كما أشار إلى من كان له السبق في التصنيف في بلد ما، نحو قوله في ترجمة يحيى بن زكريا بن أبي رائدة الكوفي «... أنه أول من صنف الكتب بالكوفة...» (م.ن، ص ٢٢٤).

- الرزق في التصنيف:

وأشار إلى من كان يرتزق من التصنيف فضلا عن الأسباب والدوافع الأخرى التي دفعته إلى هذا الاتجاه، نحو قوله في ترجمة عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل «... وكان مرزوقا في الجمع والتصنيف...» (م.ن، ص ١٥).



- إعطاء صورة مختصرة لمصنفات المترجم

له:

وفي بعض الأحيان كان اللكنوي في كتابه «الفوائد البهية»، يعطي صورة مختصرة لمؤلفات المترجم له، نحو قوله في ترجمة إبراهيم بن علي «وصنف الفتاوى» (م.ن، ص ١٠)، واحمد بن علي بن ثعلب «... وله مصنفات في الفقه وأصوله وفي الأدب مفيدة...» (م.ن، ص ٢٧)، و«... صنف كتباً في النحو بالفارسية ثم في العلوم العقلية والنقلية» (م.ن، ص ١٢٥-١٢٦)، و«... صنف التصانيف في الفقه والحديث» (م.ن، ص ١٥٠).

- عدم تأثر المترجم له بالناحية المذهبية:

وكان أيضاً يشير إلى عدم تأثر مترجمه بالناحية المذهبية في تصنيف كتبهم وسلوكهم مسلك الإنصاف وعدم التأثر، نحو قوله في ترجمة علي بن محمد الجرجاني «... من كبار علماء الشافعية ومع ذلك له آثار جلية في أصول الحنفية وكان من محاسن الزمان...» (م.ن، ص ١٣٥)، ومحمد بن عبد الواحد السيواسي «... وقد سلك في أكثر تصانيفه لاسيما في فتح القدير مسلك الإنصاف متجنباً عن التعصب المذهبي والاعتساف» (م.ن، ص ١٨١).

- تصحيح النتائج:

كما نجد إن اللكنوي كان وبدافع علمه يصحح بعض نتائج أو مصنفات المترجم التي تسببت بالغلط لغيرهم وهذا جزء من منهجه النقدي على النصوص التي اطلع عليها مظهراً رأيه فيها، نحو قوله في ترجمة احمد بن عمران «صنف كتاباً يقال له الحجيج والمشهور إن الحجيج من تصنيف عيسى ابن إبان لكن لامانع من الجمع» (م.ن، ص ١٤).

- إعارة المصنفات:

وأورد اللكنوي في كتابه (الفوائد البهية)، إلى من كان من مترجميه يعير مصنفاته لغيره لسبب أو لآخر، نحو قوله في ترجمة احمد بن أبي حفص النسفي «... وكان يعير الكتب والأجزاء» (م.ن، ص ٢٣).

* الهوامش:

(١) - عبد الحي بن محمد بن عبد الحليم (ت ١٣٠٤هـ)، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، حققه عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢، حلب، المطبوعات الإسلامية ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م)، ص ١٥، ٣٠ والفوائد البهية في تراجم الحنفية، عني بتصحيحه وتعليق الزوائد عليه السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت)، ص ٢٤٨ حاشية رقم ٢.

(٢) - اللكنوي: الفوائد البهية، ص ٢٤٨ حاشية رقم ٢؛ السيوطي: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (ت ٩١١هـ)، لب الباب في تحرير الأنساب، (مكتبة المثنى، د.ت)، ص ٢٥٢.

(٣) - البغدادي اسماعيل باشا محمد الباباني (ت ١٣٣٩هـ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بغداد، مكتبة المثنى، ١٣٧٨هـ)، ج ٣ / ص ١١٤؛ وهديّة العارفين - أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (استانبول، وكالة المعارف، ١٩٥٥م)، ج ٦ / ص ٣٨٥؛ الصالح: صبحي، علوم الحديث ومصطلحه، (دمشق، جامعة دمشق، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م)، ص ٩٤؛ سركيس: يوسف أليان، معجم المطبوعات العربية والمعرية، (القاهرة، سركيس، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م)، ص ١٥٩٥-١٥٩٧؛ الأنيس: عبد السميع محمد، الحافظ السخاوي ومنهجه في كتابه فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، (جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، ص ٢٧٢-٢٧٣. يوسف أليان، معجم المطبوعات العربية والمعرية، (القاهرة، سركيس، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م)، ص ١٥٩٥-١٥٩٧.

الأئيس: عبد السميع محمد، الحافظ السخاوي ومنهجه في كتابه فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، (جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، ص ٢٧٢-٢٧٣.

٤- اللكنوي: الرفع والتكميل، ص ٣٤.

٥- اللكنوي: الفوائد البهية، ص ٩.

٦- م.ن، ٨٤-٨٥، وانظر أيضا الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ)

أبو عمر عثمان، علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر (بيروت، المكتبة العلمية، د.ت)، ص ٢٢٢؛ الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ص ١٦ وما بعدها؛ السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق محمد حامد الفقي، تقديم الدكتور طه حسين، (القاهرة، السنة المحمدية، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م)، ٣/ ٨٨.

* ثبت المصادر والمراجع:

• الأئيس، عبد السميع:

الحافظ السخاوي ومنهجه في كتابه فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

• البغدادي، اسماعيل باشا محمد الباباني (ت ١٣٣٩هـ): إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بغداد، مكتبة المثنى، ١٣٧٨ هـ).

هدية العارفين- أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (اسطنبول، وكالة المعارف، ١٩٥٥م).

• الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (٤٦٣هـ)

الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

• سركيس: يوسف آليان

معجم المطبوعات العربية والمعرية، (القاهرة، سركيس، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م).

• السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)

فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق محمد حامد الفقي، تقديم الدكتور طه حسين، (القاهرة، السنة المحمدية، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م).

• السيوطي: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (ت ٩١١هـ)، لب اللباب في تحرير الأنساب، (بغداد، مكتبة المثنى، د.ت).

• الصالح: صبحي، علوم الحديث ومصطلحه، (دمشق، جامعة دمشق، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).

• ابن الصلاح: أبو عمر عثمان الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ)، علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، (بيروت، المكتبة العلمية، د.ت).

• اللكنوي، عبد الحي بن محمد بن عبد الحليم (ت ١٣٠٤هـ):

الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، حققه عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢ (حلب، المطبوعات الإسلامية، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م).

• الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عني بتصحيحه وتعليق الزوائد عليه أبو فراس النعساني، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت).



Scientific and literary productions in the book Benefits Gorgeous for Conway

By: Dr. Fatima Zubar Aneesan



Abstrsct

This study tagged aimed ((scientific and literary productions in the book benefits Gorgeous for conway"Die. 1304 AH" / analytical study)), to reveal the life and writings and scientific Allknua and approach in this book, and the importance of the subject from the fact that Allknua one of the thinkers who Nbgua in Mhalat several Kalhadi and jurisprudence, history and other sciences, and had a book of this importance in Islamic history of being a special walk and translations and buy his books is inclusive of translations of a layer of notables of his time, here it is, the study of this trend has had a post in the historical and intellectual construction of curriculum writers, especially that he works his translations are careful and detailed somewhat, and this represents an important historical fact have an impact to participate in the study of intellectual life in this era in which it emerged many scientists and authors in various branches of science and knowledge.



المجلة العلمية
للدراسات الإسلامية

تحليل منهج وموارد طبقات المفسرين

للسيوطي (ت ٩١١ هـ)

أ.م.د. الاء نافع جاسم* 

● تقديم:

صاحب الكتاب هو: أبو الفضل عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين أبي بكر بن الفخر عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخُضيري الاسيوطي^(١). وحول لقب «الخُضيري» يقول السيوطي في كتابه طبقات المفسرين «...وأما نسبتنا الخُضيري فلا أعلم ما يكون إليه هذه النسبة الا ان الخُضيرية محلة ببغداد وقد حدثني من أتق به أنه سمع والدي رحمه الله يذكر أن جده الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق فالظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة»^(٢)

● منهجه:

لقد حظيت كتب الطبقات خلال العصور السابقة باهتمام كبير نظراً لأهمية هذا النوع من الدراسة التي تلقى الأضواء على ترجمة مشاهير العلماء، والباحثين، والأدباء، والمفسرين ووضعهم في إطار يتضمنن البارعين الذين يسر الله لهم.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

وإنَّ ظهور التأليف على الطبقات قديم يعود تاريخه إلى ظهور تاريخ التدوين والتصنيف، وهناك العديد من ألف كتب الطبقات منهم: محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ) في كتابه (الطبقات الكبرى)، وأبو زكريا يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ)، وخليفة بن خياط شباب العصفري (ت ٢٤٠هـ) في كتابه (الطبقات)، والشيرازي (ت ٤٧٦هـ) في كتابه (طبقات الفقهاء)، وأبي يعلى الفراء (ت ٥٢٦هـ) في كتابه للحنابلة (طبقات أبي يعلى)، والقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) في كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك إلى معرفة أصحاب مالك) الذي تناول فيه تراجم للمالكية، والسبكي (ت ٧٧١هـ) في كتابه (طبقات الشافعية الكبرى)، وعبد القادر بن أبي الوفاء القرشي (ت ٧٧٥هـ) في كتابه (طبقات الحنفية)، وابن قاضي شعبة (ت ٨٥١هـ) في كتابه (طبقات ابن قاضي شعبة).

والفائدة من كتب الطبقات لتسهيل التمييز بين الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وذلك لمعرفة الحديث المرسل أو المنقطع وتمييزه عن الحديث المُسند وفي التمييز بين الأسماء المتفقة والمتشابهة^(٣).

- أتبع السيوطي منهجاً كغيره من المؤرخين في ترتيب تراجمه مرتباً على الأحرف الأبجدية ذاكراً فيه الأسم والكنية واللقب والشهرة كقوله بترجمة «ابراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد أبو طاهر السُّلَّامس الواعظ»^(٤)، وقوله بترجمة «علي بن عبدالله بن موهب الجُدَّامي أبو الحسن» (م. ن، ص ٢٤) أي إنه يذكر أسم الجد الخامس والسادس أحياناً كقوله بترجمة «الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي الأديب أبو هلال العسكري» (م. ن، ص ١٠)، وقوله بترجمة «عبدالكريم بن هوازن بن عبدالله بن طلحة بن محمد الإمام أبو القاسم القشيري النيسابوري» (م. ن).

ن، ص ٢١) وأحياناً أخرى يصل إلى الجد الرابع عشر حسب أهمية الشخصيات التي تناول ترجمتها كقوله بترجمة «عمر بن ابراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو البركات الحسين الكوفي الحنفي الزيدي» (م. ن، ص ٢٦). - إن تناول السيوطي الأعلام المشهورين بالتفسير يكون بدقة وبشكل مختصر من خلال ذكر سماعاتهم، وشيوخهم، وتلاميذهم، ومصنفاتهم، ومهنتهم، ورحلاتهم، وولادتهم، ووفاتهم كقوله بترجمة «أحمد بن محمد بن ابراهيم أبو اسحاق النيسابوري الثُّغَلبي» (م. ن، ص ٥٥) يقول «روى عن أبي طاهر محمد بن الفضل بن خزيمة وأبي محمد المخلدي»، وقوله بترجمة «أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن أفلح بن زرقون...» (م. ن، ص ٤٣) يقول «... سمع من أبي عبدالله بن الفرّج الطلاعي، وأبي علي الغساني وأخذ القراءات عن أبي الحسن بن الجرار الضرير...»، وقوله أيضاً بترجمة «أحمد بن اسماعيل بن يوسف أبو الخير الطالقاني» (م. ن، ص ٣) يقول «ودرس ببلدة وبينداو، وحدث بالكتب الكبار وولى تدريس النظامية». وفي بعض الأحيان يذكر السيوطي مكان سماع صاحب الترجمة لشيوخة أثناء رحلاته كقوله بترجمة «أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي عيسى بن يحيى بن عمر المعافري» (م. ن، ص ٥) يقول «... أخذ القراءة عن ابن غليون، وأخذ بمصر عن أبي بكر الأدفوي، وأبي القاسم الجوهري، وبافريقيّة عن ابن أبي زيد»، وقوله بترجمة «بقي بن مُخلد بن يزيد» (م. ن، ص ٩) يقول «أخذ عن بن يحيى الليثي ورحل إلى المشرق ولقى الكبار يسمع بالحجاز أبا مُصعب الزهري وابراهيم بن المُنذر الحزامي

وبمصر يحيى بن بكير وأبا الطاهر ابن السراج ودمشق هشام بن عمار وبغداد ابن أحمد بن حنبل، وبالكوفة يحيى بن عبد الحميد الجُماني، وأبا بكر بن أبي طيبة...»، وأحياناً لا يذكر تلاميذ صاحب الترجمة بل يقتصر على ذكره «متزاحم عليه الطلبة وتخرجوا به وانتشرت تلامذته في الآفاق...» (م. ن، ص ١٨).

– أما بالنسبة لمصنفات صاحب الترجمة فأحياناً يذكر مصنفاته كقوله بترجمة «أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي صاحب المُجمل» (م. ن، ص ٤) يقول «... ولهُ من التصانيف جامع التأويل في تفسير القرآن أربع مجلدات كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب المُجمل في اللغة، كتاب فقه اللغات، كتاب غريب أعراب القرآن، كتاب دارات العرب، كتاب الليل والنهار....»، وقوله بترجمة «أحمد بن عمار أبو العباس المنهدي» (م. ن، ص ٥) يقول «ألف كُتُباً مفيدة» وقوله أيضاً بترجمة «عمر بن أحمد بن أسماعيل بن محمد بن لقمان النّسفي ثم السمرقندي» (م. ن، ص ٢٧) يقول «وبلغت تصانيفه المائة...».

– وتطرق السيوطي أيضاً إلى الأجازة التي يمنحها صاحب الترجمة لغيره كقوله بترجمة «عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل...» (م. ن، ص ٢١) يقول «وأجاز لأبي محمد بن حوط الله..» وقوله «... كان مجازفاً مُتساهلاً كتب إليّ بالأجازة» (م. ن، ص ٣٦)، وكما هو في ترجمة «عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد...» (م. ن، ص ١٥) يقول «روى عنه أبو الوقت عبد الأول وخلّاق أحدهم بالأجازة أبو الفتح...».

– وأشار السيوطي في كتابه إلى مجالس الأملاء والقراءات لبعض تراجمه كقوله بترجمة «اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر

الحافظ» (م. ن، ص ٣١) يقول «.. وكان يحضر مجلس إملائه الأئمة والحفاظ والمُسَدون وبلغ عدد اماليه نحواً من ثلاثة آلاف وخمسمائة مجلس...» وقوله بترجمة «محمد بن الحسن بن موسى أبو عبد الرحمن السلمي الدمشقي» (م. ن، ص ٢٩) يقول «وحدّث أكثر من أربعين سنة إملاء وقراءة» وقوله أيضاً بترجمة «علي بن محمد بن عبد الصمد العلامة علم الدين أبو الحسن الهمداني السخاوي» (م. ن، ص ٢٥) يقول «... وقرأ القراءات على الإمام أبو القاسم الشاطبي وأبي الحسين الكندي وجماعة وتصدر للإقراء بجامع دمشق وإزدحم عليه الطلبة وقصوده من البلاد وكان يفتي على مذهب الشافعي أخذ عنه القراء جماعة لا تحصى ولا أعلم أحداً في الدنيا من القراء أكثر اصحاباً منه».

– أما بالنسبة إلى الجرح والتعديل قلما يستعمله السيوطي لتراجمه لربما يرجع إلى إختياره الجيد للمفسرين الذين تناول سيرهم كما جاء قوله بترجمة «علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح أبو الحسن السلمي الدمشقي الفقيه الشافعي الفرضي» (م. ن، ص ٢٦) يقول «وكان ثقة ثبتاً موثقاً في الفتاوى...».

– وحول الولادة والوفاة لصاحب الترجمة فبعضها يحدده السيوطي كغيره من المؤرخين بالسنة فقط والبعض الآخر بالشهر والسنة أو إستعماله لبعض الألفاظ عند عدم تأكده للسنة التي ورد ذكرها كقوله «ولد سنة أثنى عشرة وخمسمائة» (م. ن، ص ٣) وقوله «ولد في ولد في حدود السبعين وأربعمائة» (م. ن، ص ٤) وقوله أيضاً «ولد تقريباً سنة ثمان أو عشرة وخمسمائة» (م. ن، ص ٨).

وكما هو الحال لوفاة صاحب الترجمة يقول «ومات بنحوي في جمادي الآخرة سنة ست وتسعين وأربعمائة» (م. ن، ص ٣)، وفي الأحيان



يحدد الوقت والشهر والسنة والعمر كقوله «مات ساجداً في صلاة الفجر في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة» (م. ن، ص ٢٦) وقوله «ومات عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة وأجتمع في جنازته خلق لا يحصون وصلى على قبره عدة شهود ورثاه خلق...» (م. ن، ص ٣٠)، وجاء قوله أيضاً «مات في محرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وهو في عشر التسعين» (م. ن، ص ١٨).

– ولسعة إطلاق السيوطي وتبحره بالشعر إنه سار على نهج غيره من المؤرخين الذين سبقوه للأستشهاد بالشعر والذي أعتبر صفة ملازمة لأكثر المؤلفات التاريخية التي غالباً ما يقرن الحدث بالأستشهاد بالشعر، ومنها يكون الشعر لصاحب الترجمة أو يكون مُستقى من أحد المصادر التي اعتمد عليها السيوطي مع ذكر بحوره الشعرية كقوله بترجمة «أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي» (م. ن، ص ١٠) يقول:

يَارِب، إِنَّ ذُنُوبِي قَدْ أَحْطَتْ بِهَا

عَلِمْنَا وَبَيَّ وَبَاعِلَانِي وَإِسْرَارِي
أَنَا الْمُوَحَّدُ لَكُنِّي الْمُقَرَّبُ بِهَا

فَهَبْ ذُنُوبِي بِتَوْحِيدِي وَإِقْرَارِي
وقوله بترجمة «اسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن اسماعيل أبو عثمان الصابوني النيسابوري» يقول «ورثاه الإمام أبو الحسن الداودي» (م. ن، ص ٧) بقوله (الكامل)

أودى الإمامُ الحبرُ إسماعيلُ

لهفي عليه ليس منه بديلُ
أعدِ يَأْنِي التي سَقَطَتْ مِنْ إسمي

فيلي في الحساب يُعَدُّ عشرا
وفضلاً عن ذلك أستشهد السيوطي بأبيات شعرية لصاحب الترجمة من المصادر التي أستقى منها كقوله بترجمة «الحسن بن محمد بن حبيب

بن أيوب أبو القاسم النيسابوري» (م. ن، ص ٢٨) يقول «شعر أوردته ياقوت» (الوافر)

رَضَى بِالدهرِ كيف جَرَى وَصَبْرِهِ

ففي أَيامِهِ جَمَعَ وعِيدُ
ولم تخشى عليك قُضِيَتْ عُودُ

من الأَيامِ إِلَّا لَأَن عَرُدُ

وقوله أيضاً بترجمة «محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري...» (م. ن، ص ٢٠) يقول «ورثاه خلق في ذلك قول أبي سعيد بن الأعرابي» يقول (الخفيف)

حَدَّثَ مُفْطَعٌ وَخَطْبٌ جَلِيلُ

نُقِ عَنْ مثله أَصْطَبَارُ الصُّبُورِ

قَامَ نَاعِرُ العُلُومِ أَجْمَعَ لَمَّا

قَامَ نَاعِرُ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ
– وأختلفت التراجم في كتاب السيوطي من حيث الحجم فهناك تراجم من بضعة أسطر ولا يخوض التفاصيل عنهم، بل يشير إلى إسمه ووفاته كقوله بترجمة «محمد بن عبدالله بن عمر وأبو جعفر الهروي الفقيه صاحب التفسير... مات سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة» (م. ن، ص ٣٧)، وهناك تراجم يذكر فيها تفاصيل أكثر كقوله بترجمة «محمد بن علي بن اسماعيل الإمام أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير...» (م. ن، ص ٣٦).

– وحول الأحوال لم نستدل إلى وجود الإحالة وإنما يكتفي السيوطي بنقل المعلومات فقط .

– وبالنسبة إلى آرائه ونقده للروايات لم نستدل إلى وجود نقد، وإنما يكتفي بنقل المعلومات فقط .

– وأشار السيوطي أيضاً عند إستقائه للمعلومات لغيره من المصادر كان أسلوبه كغيره من المؤرخين فاحياناً يذكر أسم المؤلف والكتاب كقوله «قال الدارقطني في كتاب التصحيح» (م. ن، ص ٣٠) وهذا يسهل على الباحث عند تخريجه للنص،

وأحياناً أخرى يذكر أسم المؤلف فقط كقوله «قال ياقوت» (م. ن، ص ٤)، و «قال ابن حزم» (م. ن، ص ٩)، وهذا يصعب على الباحث في إخراج النص.

وفضلاً عن تراجع المفسرين الذين ذكرهم، إلا إن السيوطي ذكر في نهاية كتابه ترجمة لسيرته، ولؤلؤاته معللاً لذلك بقوله «وإنما ذكرت ترجمتي في هذا الكتاب اقتداءً بالمحدثين فقل أن ألف أحد منهم تاريخاً إلا وذكر ترجمته فيه وممن وقع له ذلك الإمام عبدالغافر الفارسي في تاريخ نيسابور، وياقوت الحموي في معجم الأدباء، ولسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطة، والحافظ تقي الدين الفاسي، في تاريخ مكة، والحافظ أبو الفضل بن حجر في قضاة مصر، وأبو شامة في الروضتين...» (م. ن، ص ٤).

● موارد:

تختلف نوعية الموارد التي يعتمد عليها المؤرخون في كتابة توارخهم، فكل مؤرخ يحدد موارده ومصادره التي منها يستقي معلوماته ورواياته سواء أكانت هذه المعلومات مدونة أو غير مدونة كنقل الروايات شفاهة من الأشخاص أو قد يكون المؤرخ شاهد عيان لعصره فعندئذ تكون رواياته لهذه الأحداث على قدر كبير من الوثوقية والصدق^(٥)، وهناك عدد ليس بقليل من المؤرخين ممن لم يعاصر أو يواكب ما يكتب بل نقلت إليه الأحداث أما عن طريق شيوخه أو اعتماداً على المصادر المتوفرة في عصره، وجمال الدين السيوطي واحد من هؤلاء المؤرخين.

ومما زاد في أهمية (طبقات المفسرين) وقيمتها العلمية هو إن جلال الدين السيوطي اعتمد على مصادر موثوقة وذات قيمة وإن ما استقاها من مادة تتعلق بكتب الفضائل أو الأدب أو التاريخ والسير والتراجم وغيرها من أفضل المصادر

وأوفاهها، وإن كثرة الكتب إن دل على شيء فأنا يدل على سعة إطلاعه على مصادر الثقافة العربية الإسلامية، وتميزه بالدقة العلمية في نقله للنصوص والروايات والأخبار. وذلك لكتابة كتابه (طبقات المفسرين)، ذكر فيه المفسرين والصحابه والتابعين وتابعي التابعين، ولكنه لم يتناول جميع المفسرين والتابعين.

ويكون إسناد الأخبار عند السيوطي في ذكره للخبر والرواية إنه اعتمد على كثير من المصادر التي أستقى منها معلوماته إلا إنه كخبره من المؤرخين لم يلتزم بمنهجية واحدة كالآتي:

– الأسناد إلى المصدر مصرحاً بأسم المؤلف من دون تسمية كتابه كقوله بترجمة «علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح أبو الحسن السلمي الدمشقي الفقيه الشافعي الفرضي جمال الإسلام» يقول «قال ابن عساكر» وقوله «وحكى إن الغزالي قال...» وقوله أيضاً «قال الذهبي»^(٦).

أي إن السيوطي يعتمد بأستقاء معلوماته أحياناً للترجمة الواحدة على أكثر من إسناد وذلك لتكون أكثر توثيق. ولربما لمكانة صاحب الترجمة يجعله الاعتماد على أكثر من إسناد.

وقوله بترجمة «اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر» يقول «قال ابن السمعاني» وقوله «قال السلفي...» وقوله أيضاً «قال أبو موسى في معجمه...» (م. ن، ص ٨).

وهكذا كانت إشارات السيوطي إلى المصادر قد انحصرت في ذكر أسم المؤلف، وهي الأكثر استعمالاً، ولكن دون ذكر عنوان كتابه وقد أحصيت عدد الإشارات الواردة عن مصادر المعلومات في كتابه بدون ذكر اسم الكتاب أي ذكر اسم المؤلف وأحياناً أخرى يكون الأسناد إلى المصدر مصرحاً



باسم المؤلف مع تسمية اسم كتابه كقوله بترجمة «الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب أبو القاسم النيسابوري الواعظ المفسر» يقول «وقال البيهقي في شعب الأئمان ...» (م. ن، ص ١٢)، وقوله بترجمة «محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر» يقول «..كما ذكره العلماء قاطبة منهم النووي في تهذيبه» (م. ن، ص ٣٠)، وقوله أيضاً بترجمة «محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلي ثم البغدادي...» يقول «وقال الدارقطني في كتاب التصحيف» (م. ن، ص ٢٢)، وقوله بترجمة «علي بن أحمد بن الحسن بن ابراهيم التجيبي» يقول «... مات سنة سبع وثلاثين وستمائة هذا كلام الذهبي في تاريخه وذكره في الميزان...» (م. ن، ص ٢٦).

لذا فالإشارات التي ذكر فيها السيوطي اسم الكتاب والمؤلف قد بلغت (٦ نصوص). وأما بالنسبة إلى طريقة الاقتباس من المصادر المعتمدة في الكتاب فإن الإشارة إليها كانت قليلة ومتباينة هذا من جهة ومن جهة أخرى لما كان جلال الدين السيوطي يعتمد في إقتباسه للنصوص على الإشارة للمؤلف غالباً فسوف أتناول طريقة الإقتباس وحجمه عن طريق أسماء المؤلفين مراعية في ترتيبهم تسلسل سنوات الوفيات لكل واحد منهم.

١- الحميدي:

عبد الله بن الزبير بن عيسى أبو بكر الأزدي المكي (ت ٢١٩ هـ، ٨٣٤ م)^(٧)، من المحدثين قال عنه ابن سعد: «هو ثقة كثير الحديث» (م. ن). أخذ السيوطي عنه (نصين)^(٨) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الأندلسي أبو حفص الكاتب» (م. ن، ص ٦) بقوله «قال الحميدي: مليح

الشعر بليغ الكتابة من أهل بيت أدب»، وتناول ترجمة «القاسم بن الفتح بن يوسف أبو محمد بن الردولي الأندلسي» (م. ن، ص ٢٨) بقوله «قال الحميدي: هو فقيه مشهور عالم زاهد يتفقه بالحديث».

٢- ابن خزيمة:

محمد بن اسحاق بن خزيمة ابن مغيرة بن صالح بن بكر السلمي أبو بكر النيسابوري (ت ٣١١ هـ، ٩٢٣ م)^(٩)، الحافظ الكبير الثبت شيخ الاسلام الفقيه. قال عنه ابن حبان: ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها، له «المسائل المصنفة»^(١٠).

أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(١١) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر» (م. ن) بقوله «... ما أعلم على اديم الأرض...».

٣- ابن يونس:

أبو سعيد ابن يونس عبدالرحمن بن أحمد بن يونس بن عبدالأعلى الصدي المصري (ت ٣٤٧ هـ، ٩٥٨ م)^(١٢)، الحافظ الثبت صاحب «تاريخ مصر» (م. ن).

أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(١٣) بصيغة (قال) مصرحاً باسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن موسى أبو علي الواسطي» (م. ن) بقوله «قال ابن يونس في تاريخ مصر كان عائماً بالفقه والتفسير ويتفقه على مذهب أهل الظاهر...».

٤- ابن درستويه:

أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان الفارسي (ت ٣٤٧ هـ، ٩٥٨ م)^(١٤) كان عالماً نحويّاً راوياً للأحاديث، وتصانيفه في غاية

الجودة والأتقان (م. ن).

أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(١٥) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي الجبائي البصري» (م. ن) بقوله «اجتمعت مع أبي هاشم فألقى عليّ ثمانين مسألة من غريب النحو ما كنت أحفظ...».

٥- أبو محمد الفرغاني:

عبدالله بن أحمد بن جعفر بن خديان التركي (ت ٣٦٢هـ - ٩٧٢م)^(١٦) مؤرخ ومحدث حدث بدمشق عن ابن جرير وغيره، ومن آثاره التاريخ المذيل على تاريخ محمد بن جرير. (م. ن) أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(١٧) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى أسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الطبري» (م. ن) بقوله «قال أبو محمد الفرغاني كان بن جرير ممن لاتأخذه في الله لومة لائم...».

٦- الدارقطني:

أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي (٣٨٥هـ - ٩٩٥م)^(١٨) شيخ الإسلام حافظ الزمان الشهير، قال عنه الخطيب: كان فريد عصره، وإمام وقته وأنتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدق والثقة صاحب «السنن والعلل والأفراد» (م. ن) أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(١٩) بصيغة (قال) مع الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون» (م. ن) بقوله «قال الدارقطني في كتاب التصحيف...».

٧- ابن الفريسي:

أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبي (ت ٤٠٣هـ - ١٠١٢م)^(٢٠) كان فقيهاً عالماً في فنون العلم والحديث والرجال ومؤرخ وحافظ أندلسي، وقد ألف عدداً من الكتب منها

«تاريخ علماء الأندلس والمؤتلف والمختلف» (م. ن). أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(٢١) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم الكتاب، حين تناول ترجمة «يحيى بن مجاهد بن عوانة أبو بكر الفراري الأندلسي الألبيري» (م. ن) بقوله «قال ابن الفريسي عني بعلم القراءات والتفسير وأخذ نصيباً...».

٨- الحاكم:

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري (ت ٤٠٥هـ - ١٠١٤م)، الحافظ الكبير، إمام المحدثين وإمام عصره في الحديث، العارف به حق معرفته الحديث صالحاً ثقة «صاحب المستدرک والتاريخ وعلوم الحديث والأكليل»^(٢٢). أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(٢٣) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى أسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن علي بن اسماعيل الإمام أبو بكر الشاشي الفقيه» (م. ن) بقوله «قال الحاكم كان أعلم ما وراء النهر بالأصول وأكثرهم».

٩- أبو حامد الأسفرائيني:

أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الأسفرائيني الفقيه الشافعي (ت ٤٠٦هـ - ١٠١٥م) الذي كان من علماء بغداد في الأدب والدين، وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلاثمائة فقيه.^(٢٤) أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(٢٥) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى كتابه تناول ترجمة «محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر» (م. ن) بقوله «قال الشيخ أبو حامد الأسفرائيني شيخ الشافعية...».

١٠- البرقاني:

أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي (ت ٤٢٥هـ - ١٠٣٣م)^(٢٦) الحافظ شيخ الفقهاء والمحدثين. قال عنه الخطيب البغدادي «كان ثقة ورعاً ثابتاً لن ر في شيوخنا أثبت منه عارفاً



بالفقه كثير الحديث»^(٢٧).

أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(٢٨) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلي ثم البغدادي» (م. ن) بقوله «قال البرقاني في كل حديث النقاش منكر..»

١١- الداني:

أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي القرطبي (ت ٤٤٤ هـ، ١٠٥٢ م)^(٢٩) الإمام الحافظ المقرئ الحاذق عالم الأندلس له عدد كبير من المصنفات في علوم شتى «التيسير في القراءات السبع وجامع البيان في القراءات السبع» وغيرها (م. ن) أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(٣٠) بصيغة (قال) دون ذكر أسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفرج الشنبوذي» (م. ن) بقوله «قال الداني مشهور ضابط نبيل حافظ ماهر».

١٢- أبن حزم:

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف الفارسي الأصل اليزيدي الأموي (ت ٤٥٧ هـ، ١٠٦٤ م)^(٣١) العلامة الحافظ الفقيه، كان صاحب فنون وورع وزهد له «المجلي في الفقه والمثل والنحل» (م. ن).

أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(٣٢) بصيغة (قال) دون ذكر اسم كتابه تناول ترجمة «بقي بن مخلد بن يزيد» (م. ن) بقوله «قال أبن حزم أقطع إنه لم يؤلف في الإسلام».

١٣- البيهقي:

أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجدي (ت ٤٥٨ هـ، ١٠٦٥ م)^(٣٣) الحافظ العلامة شيخ خراسان، كتب الحديث وحفظه من صباه وبرع وأخذ في الأصول، وأنفرد بالأتقان والضبط والحفظ من مصنفاته «السنن الكبرى والسنن الصغرى» (م. ن).

أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(٣٤) بصيغة (قال) مع ذكر اسم كتابه تناول ترجمة «الحسن بن محمد بن حبيب» (م. ن) بقوله «قال البيهقي في شعب الأئمان: أنشدنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيبة في تفسيره...».

١٤- الخطيب البغدادي:

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي (ت ٤٦٣ هـ، ١٠٧٠ م)^(٣٥) الحافظ الكبير محدث الشام والعراق من كبار الشافعية آخر الأعيان، معرفة وحفظاً وإتقاناً وضبطاً للحديث وتفناً في علله وأسانيده ومن مصنفاته «التاريخ والجامع» وغيرها (م. ن) أخذ السيوطي عنه (٣ نصوص) (م. ن) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن الحسن» (م. ن، ص ٣١) بقوله «قال الخطيب: في حديثه مناكير بأسانيد مشهورة» وترجمة «محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر» (م. ن، ص ٣٧) بقوله «قال الخطيب: لم أر مثله في معناه إلا أنه لم يتمه..» وترجمة «محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفرج الشنبوذي»^(٣٦) بقوله «قال الخطيب: تكلم الناس في روايته وسألت عنه...».

١٥- أبو إسحاق الشيرازي:

أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦ هـ، ١٠٨٣ م)^(٣٧) شيخ الإسلام ومدار العلماء الأعلام في زمانه صنف التصانيف المفيدة منها «طبقات الفقهاء والمهذب في المذهب» (م. ن)، أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(٣٨) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن علي بن اسماعيل الإمام أبو بكر الشاشي الفقيه» (م. ن) بقوله «قال أبو إسحاق الشيرازي له مصنفات كثيرة ليس لها مثل..»

١٦- الغزالي:

أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الشافعي (ت ٥٠٥ هـ، ١١١١ م).^(٣٨) اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الرازكاني، وجد في الإشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، وصار من الأعيان (م. ن). أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(٣٩) بصيغة (حكي) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح أبو الحسن السلمي الدمشقي» (م. ن) بقوله «وحكي إن الغزالي قال خَلَفْتُ بالشام شاباً إن عاش كان له شأن فكان كذلك».

١٧- أبو الغنائم النرسي:

أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون بن محمد النرسي الكوفي (ت ٥١٠ هـ - ١١١٦ م)^(٤٠) المقرئ مُحدث أهل الكوفة الملقب بأبي النرسي لجودة قراءته (م. ن).

أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(٤١) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «عمر بن ابراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو البركات الحسيني الكوفي الحنفي الزيدي» (م. ن) بقوله «قال الحافظ أبو الغنائم النرسي وهو جارودي المذهب...».

١٨- السمعاني:

أبو بكر محمد بن أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي (ت ٥١٠ هـ، ١١١٦ م)^(٤٢)، الحافظ الأوحى برع في الأدب والفقه وزاد على أقرانه بعلم الحديث، ومعرفة الرجال، والأنساب، والتاريخ. (م. ن)، أخذ السيوطي عنه (٧ نصوص)^(٤٣) بصيغة (قال السمعاني) وبلغت (٧ نصوص، دون الإشارة إلى أسم كتابه تناول ترجمة «أحمد

بن علي بن أبي جعفر صالح الإمام أبو جعفر البيهقي» (م. ن، ص ٤) بقوله «قال السمعاني كان إماماً في القراءة والتفسير والنحو واللغة له مصنفات المشهورة منها كتاب تاج المصادر...»، وترجمة «عبدالله بن عبد الكريم بن هوازن» (م. ن، ص ١١) بقوله «قال السمعاني كان رضيع أبيه في الطريقة وفخر ذويه» وترجمة «عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار» (م. ن، ص ٢٦) بقوله «قال السمعاني كان أحد المعمرين والفضلاء المقدمين» وترجمة عمر بن ابراهيم بن محمد بن احمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب أبو البركات الحسيني الكوفي الحنفي الزيدي» (م. ن، ص ٢٧) بقوله «قال السمعاني شيخ كبير فاضل له معرفة بالفقه والحديث واللغة والتفسير والنحو» وترجمة «عمر بن عثمان بن الحسين بن شعيب أبو حفص الجنزي الاديبي» (م. ن، ص ٣٦) بقوله «قال السمعاني لازم أبا المظفر الابيوردي مدة وذاكر الفضلاء وبرع في العلم» وترجمة «محمد بن عبد الرحمن بن احمد العلامة أبو عبد الله البخاري» (م. ن، ص ١٤) بقوله «قال السمعاني كان إماماً مفنناً قيل انه صنف في التفسير» وترجمة «الحسن بن محمد بن حبيب» (م. ن، ص ١١) بقوله «كان أولاً كراماً من المذهب ثم تحول شافعيّاً»

١٩- عبد الغافر:

عبد الغافر بن اسماعيل بن أبي الحسين عبد الغافر بن محمد أبو الحسن الفارسي النيسابوري (ت ٥٢٩ هـ، ١١٣٤ م)^(٤٤) الحافظ المفيد اللغوي، كان من أعيان المحدثين له «تاريخ نيسابور» (م. ن). أخذ السيوطي عنه (نصين)^(٤٥) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «الحسن



بن حبيب» (م. ن، ص ١٥) بقوله «قال عبدالغافر إمام عصره في معاني القرآن وعلومه...»، وترجمة «عبد الله بن محمد بن علي بن محمد» (م. ن، ص ١٥) بقوله «قال عبدالغافر كان إماماً كاملاً في التفسير...».

٢٠- أبْن السمعاني:

أبو سعد السمعياني عبدالكريم أبْن معين الدين أبي بكر محمد بن المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي المروزي (ت ٥٦٢ هـ، ١١٦٦ م)^(٤٦)، الحافظ البارِع العلامة تاج الإسلام له مصنفات كثيرة، من كتبه «الأنساب والذيل وتاج مرو» (م. ن).

أخذ السيوطي عنه (٨ نصوص)^(٤٧) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى أسم كتابه تناول ترجمة «اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر» (م. ن، ص ٨) بقوله (قال أبْن السمعاني هو أستاذي في الحديث...»، وترجمة «عبدالكريم بن هوازن» (م. ن، ص ٢١) بقوله «قال أبْن السمعاني لم يرَ أبو القاسم مثل نفسه في كماله...»، وترجمة «عبدالله بن ابراهيم بن أبي بكر الإمام أبو بكر» (م. ن، ص ٢٢) بقوله «قال ابن السمعاني كان إماماً مفنناً مفسراً محدثاً»، وترجمة «عمر بن محمد بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن لقمان النسفي ثم السمرقندي» (م. ن، ص ٢٦) بقوله «قال ابن السمعاني كان إماماً فاضلاً مبرزاً متقناً...»، وترجمة «محمد بن علي بن اسماعيل» (م. ن، ص ٢٧) بقوله «قال أبْن السمعاني من مصنفاته دلائل النبوة ومحاسن الشريعة»، وترجمة «محمود بن أحمد بن الفرَج الإمام أبو المحامد السمرقندي السغدِي الساعِرجي» (م. ن، ص ٣٦) بقوله «إمام بارِع مبرز في أنواع الفصل والتفسير والحديث والأصول...»، وترجمة «محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي» (م. ن، ص ٤١) بقوله «قال ابن السمعاني

كان ممن برع في الأدب والنحو واللغة لقي الكبار...».

٢١- أبْن عساكر:

أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين الدمشقي الشافعي (ت ٥٧١ هـ - ١١٧٥ م)^(٤٨) حافظ الشام بل حافظ الدنيا الثقة الثبت الحجة ثقة الدين له «تاريخ دمشق وأطراف السنن الأربعة» (م. ن).

أخذ السيوطي عنه (٣ نصوص)^(٤٩) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «بقي بن مُخلد بن يزيد» (م. ن، ص ١٠) بقوله «قال ابن عساكر لم يقع إلى حديث مسند من حديثه» وتناول ترجمة «علي بن مسلم بن محمد بن علي بن الفتح أبو الحسن السلمي الدمشقي» (م. ن، ص ٢٦) بقوله «قال أبْن عساكر كان عالماً بالتفسير والأصول والفقه والتذكر والفرائض»، وترجمة «عمر بن ابراهيم» (م. ن) بقوله «قال أبْن عساكر سئل عن مذهبه في الفتوى».

٢٢- السلفي:

أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الأصبهاني (ت ٥٧٦ هـ، ١١٨٠ م)^(٥٠)، الحافظ العلامة شيخ الإسلام، كان حافظاً ناقداً متقناً ديناً، خيراً إنتهى إليه علو الأسناد له «معجم شيوخ أصبهان ومعجم شيوخ بغداد» (م. ن).

أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(٥١) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «اسماعيل بن محمد بن الفضل» (م. ن) بقوله «قال السلفي كان فاضلاً في العربية ومعرفة الرجال حافظاً للحديث...»

٢٣- أبْن الأبار:

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي الأندلسي البلنسي الكاتب المنشئ (ت ٦٥٨ هـ، ١٢٥٩ م)^(٥٢)، مُحدث بارِع حافظ وكاتب بليغ وأديب وأعتنى بالرواية متقناً في

الحديث والآداب. (م. ن)

أخذ السيوطي عنه (٣ نصوص) ^(٥٣) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرحال...» (م. ن، ص ٢٠) بقوله «قال ابن الأبار: كان من أهل المعرفة بالقرآت والحديث والكلام...» وتناول ترجمة «عبد الصمد بن عبد الرحمن بن أبي رجا» (م. ن) بقوله «قال ابن الأبار: كان راوية مكثرًا وأعظمًا عالمًا بالقرآت»، وتناول ترجمة «عبد الكبير بن محمد بن عيسى» ^(٥٤) بقوله «قال ابن الأبار: كان فقيهاً حافظاً مشاركاً في الحديث».

٢٤- ياقوت الحموي:

أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي المنشأ (ت ٦٢٦هـ - ٨٤٠م) (م. ن) الرومي الأصل الحموي المولى ويدعى مولاهُ عسكرياً. ^(٥٥)

أخذ السيوطي عنه (٧ نصوص) (م. ن، ص ٤) بصيغة (قال، وأورده، وذكره) تارةً يذكر السيوطي اسم كتابه وتارةً أخرى لا يذكره كما هو في ترجمة «أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي» (م. ن، ص ٤) بقوله «قال في معجمه ذكره السلفي في (شرح مقدمة معالم السنن للخطابي)» (م. ن، ص ٤) وقوله أيضاً «قال ياقوت: وهو كتاب جليل لم يصنف مثله» (م. ن، ص ٢٤) وقوله أيضاً «قال ياقوت: وقال قبل وفاته بيومين»، وتناول ترجمة «علي بن عبد الله بن موهب الجذامي أبو الحسن» (م. ن، ص ٣٢) بقوله «قال ياقوت: له تأليف عظيم في تفسير القرآن»، وتناول ترجمة «محمد بن عبد الله بن سليمان أبو سليمان السعدي» (م. ن، ص ٣٣) بقوله «قال ياقوت: ذكر في كتاب الشام وقال هو المفسر» وتناول ترجمة «محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل المرسي أبو عبد الله» (م. ن، ص ٣٥) بقوله «قال ياقوت: أحد أدباء عصرنا ومن أخذ من النحو والشعر بأوفر نصيب» وتناول ترجمة «محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين العلامة جاه الدين أبو عبد الله البلخي» ^(٥٦) بقوله «وذكره ياقوت: فقال أبو المحامد الملقب شمس العارفين ترجمه البيهقي في الوشاح وأورده له».

٢٥- ابن أبي طي:

يحيى بن حميد بن ظافر بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن الحسن بن صالح بن علي بن سعيد بن أبي الخير الطائي الغساني الحلبي أبو الفضل (ت ٦٣٠هـ، ١٢٢٣م) (م. ن) عالم من أهل حلب، وكان فقيهاً نحويًا مؤرخاً، عارفاً بأخبار الصحابة والعرب وغيرهم، أديباً مؤلفاً ومن مؤلفاته «طبقات العلماء وحوادث الزمان ومختار تاريخ المغرب» ^(٥٧). أخذ السيوطي عنه (نص واحد) (م. ن) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن علي بن شهرآسرب بن أبي نصر أبو جعفر السهروري المارندرانى» ^(٥٨) بقوله «وقال ابن أبي طي: مازال الناس تخب...».

٢٦- ابن نقطة :

أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن أبي نصر البغدادي الحنبلي (ت ٦٢٩هـ ، ١٢٣١م) (٥٩) الإمام العالم الحافظ المتقن الرجال وصنف كتاب «التقييد في معرفة رواة الكتب والمسانيد» (م. ن)، أخذ السيوطي عنه (نص واحد) ^(٦٠) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله أبو بكر الطائي الحاتمي» (م. ن) بقوله «قال ابن نقطة له كلام وشعر غير إنه لا يعجبني...».

٢٧- ابن الديبشي:

أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي سعيد بن يحيى بن علي بن الحجاج الواسطي الشافعي (ت ٦٣٧هـ ، ١٢٣٩م) ^(٦١)، الثقة المقرئ مؤرخ العراق ، له معرفة بالحديث وله «تاريخ واسط و تاريخ بغداد» (م. ن) . أخذ السيوطي عنه (نص واحد) (م. ن) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «أحمد بن اسماعيل بن يوسف أبو الخير» ^(٦٢).



٢٨- أبْن النجار:

محب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي (ت ٦٤٣هـ، ١٢٤٥م) (م. ن)، الحافظ البارع مؤرخ العصر مفيد العراق، وله كتاب «التاريخ المجدد لمدينة السلام والدرة الثمينة في أخبار المدينة»^(٦٣)، أخذ السيوطي عنه (٥ نصوص) (م. ن، ص ٣) بصيغة (قال وذكره) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «أحمد بن اسماعيل بن يوسف أبو الخير الطالقاني القزويني الشافعي» (م. ن، ص ١٩) وتناول ترجمة «عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بNDAR» (م. ن، ص ٣٢) بقوله «قال أبْن النجار: كان طويل اللسان ولم يكن محققاً...»، وتناول ترجمة «محمد بن علي بن يحيى بن يونس بن الحسين بن محمد بن عبيدالله بن هبيرة أبو الرضى النسفي» (م. ن، ص ٣٩) بقوله «مات في محرم سنة عشروخمسمائة ذكره ابن النجار»، وتناول ترجمة «مسعود بن محمود بن أحمد بن عبد المنعم» (م. ن، ص ٤٩) بقوله «قال ابن النجار: كان إماماً حافظاً قيماً بالمذهب والخلاف والتفسير»، وتناول ترجمة «محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله الإمام فخر الدين أبو عبد الله بن تيمية الحراني»^(٦٤) بقوله «... وتيمية أم جدة محمد كانت واعظة فنسب إليها وعُرف بها قال أبْن النجار».

٢٩- القفطي:

جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن أحمد بن محمد الشيباني (ت ٦٤٦هـ، ١٢٤٨م) (م. ن)، كان وزيراً واحد الكتاب المبرزين في النثر والنظم، وكان عارفاً باللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والمنطق

والحكمة والنجوم والهندسة والتاريخ.^(٦٥)

أخذ السيوطي عنه ((نص واحد) (م. ن) بصيغة (ذكره) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين العلامة جمال الدين أبو عبدالله البلخي»^(٦٦) بقوله «... له تفسير حسن وكتاب علل القراءات وكتاب الوقف والإبتداء ذكره القفطي مختصراً وقال في وسط المائة».

٣٠- أبْن مُسَدَّى:

أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف الأزدي الهلبي الأندلسي الغرناطي (ت ٦٦٣هـ، ١٢٦٤م) (م. ن) الحافظ العلامة الرحال كان من بحور العلم ومن كبار الحُفَافِظ.^(٦٧)

أخذ السيوطي عنه ((نص واحد)^(٦٨) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله أبو بكر الطائي الحاتمي» (م. ن) بقوله «وقال ابن مُسَدَّى له كلام مُريب وكان ظاهري».

٣١- أبو شامة:

شهاب الدين أبو القاسم عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي (ت ٦٦٥هـ، ١٢٦٦م)^(٦٩)، الدمشقي العلامة ذو الفنون المقرئ النحوي الفقيه المحدث. (م. ن)، أخذ السيوطي عنه (نص واحد)^(٧٠) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابه تناول ترجمة «يحيى بن الربيع بن سليمان بن حرار العلامة مجد الدين» (م. ن) بقوله «قال أبو شامة: كان إماماً عالماً بالمذهب الشافعي والخلاف والحديث والتفسير».

٣٢- أبْن خلكان:

شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر البرمكي الأربلي (ت ٦٨١هـ - ١٢٨٢م)^(٧١) قاضي قضاة الشام، ومن بيت معروف بالعلم من ذوي المناصب الدينية قال عنه اليونيني «كان فقيهاً إماماً عالماً بارعاً متقناً، معدوم النظير في علوم شتى، حجة فيما نقله،

محققاً لما يورده، متفرداً في علم الأدب والتاريخ» (م. ن، ص ٣٩).

أخذ السيوطي عنه (نصين) (م. ن، ص ٤١) بصيغة (قال) دون ذكر اسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري»^(٧٢) بقوله «قال ابن خلكان: فيه فريد عصره ونسيج وحده شهرته تغني...» وتناول ترجمة «محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري» (م. ن) بقوله «قال ابن خلكان: كان إمام عصره وكان متظاهراً بالإعتزال داعية».

٣٣- الذهبي:

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني ثم الدمشقي المقرئ (ت ٧٤٨ هـ، ١٣٤٧ م)^(٧٣)، الحافظ محدث العصر، وخاتمة الحفاظ، ومؤرخ الإسلام، وله مصنفات «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، وسير أعلام النبلاء» (م. ن، ص ٣).

أخذ السيوطي عنه (٢١ نص) (م. ن، ص ٤) بصيغة (قال وذكره) فأحياناً يشير إلى اسم كتابه وأحياناً أخرى لا يشير إليه وهي الغالبة في نقولات السيوطي تناول ترجمة «أحمد بن اسماعيل بن يوسف أبو الخير الطالقاني» (م. ن، ص ٨) وتناول ترجمة «أحمد بن فارس بن زكرياء» (م. ن، ص ١١) بقوله

«مات سنة خمس وتسعين وثلاثمائة» وتناول ترجمة «اسماعيل بن محمد بن الفضل» (م. ن، ص ١٧) بقوله «...ولهذا تكلف زايد بن أبي موسى فإنه لم يشتهر...» وتناول ترجمة «الحسن بن محمد بن حبيب» (م. ن، ص ٢٢) بقوله «سمع أبا حيان وجماعة وروى»، وتناول ترجمة «عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيدالله» (م. ن، ص ٢٥) بقوله «كان مبرزاً في التفسير وفي الوعظ وفي التاريخ...» وتناول ترجمة «علي بن أحمد بن الحسن بن ابراهيم التجيبي» (م. ن، ص ٢٦) بقوله «...مات سنة سبع وثلاثين

وستماتة هذا كلام الذهبي في تاريخه وذكره في الميزان...» وتناول ترجمة «علي بن محمد بن عبدالصمد العلامة علم الدين أبو الحسن الهمداني السخاوي المصري» (م. ن، ص ٢٧)، بقوله «قال الذهبي: كان إماماً علامة مقرئاً محققاً بصيراً...»، وتناول الترجمة «علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح أبو الحسن السلمي الدمشقي» (م. ن، ص ٢٧) بقوله «قال الذهبي: سمع ابن عبدالعزيز الكناني والفقيه نصر وجماعة»، وتناول ترجمة «عمر بن عثمان بن الحسين بن شعيب» (م. ن، ص ٢٨) بقوله «القاسم بن الفتح بن يوسف أبو محمد بن الردولي الأندلسي» (م. ن، ص ٣٠) بقوله «قال الذهبي: كان عالماً بالحديث عارفاً باختلاف الأئمة...» وتناول ترجمة «محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبدالله القرطبي» (م. ن، ص ٣١) بقوله «قال الذهبي: إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف...» وتناول ترجمة «محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون» (م. ن، ص ٣٢) بقوله «قال الذهبي: متروك ليس بثقة على جلالته...» محمد بن الحسن بن موسى أبو عبد الرحمن السلمي» (م. ن، ص ٣٨) بقوله «قال الذهبي: في تاريخه كتابه حقائق التفسير ليته لم يصنفه فإنه تحريف...» وتناول ترجمة «محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله الإمام فخر الدين أبو عبدالله بن تيمية الحراني» (م. ن، ص ٣٨) بقوله «قال الذهبي: كان إماماً في التفسير إماماً في الفقه إماماً في اللغة...»، وتناول ترجمة «محمد بن علي بن أحمد الإمام أبو بكر الأذفوي» (م. ن، ص ٣٨) بقوله «قال الذهبي: منه نسخة بمصر توقف القاضي الفاضل...»، وتناول ترجمة «محمد بن الفضل أبو بكر المفسر...» (م. ن، ص ٣٨) بقوله «كذا ذكره الذهبي ثم قال بعد ذلك محمد بن الفضل بن محمد...».



وتناول ترجمة «محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله أبو بكر الطائي الحاتمي» (م. ن، ص ٣٨) بقوله «قال الذهبي: ولد في رمضان سنة ستين وخمسائة بمرسية»، وتناول ترجمة «محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله أبو بكر الطائي الحاتمي» (م. ن، ص ٤٢) بقوله «قال الذهبي: كأنه يشير إلى مافي شعره من الاتحاد...»، وتناول ترجمة «محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله أبو بكر الطائي الحاتمي» (م. ن، ص ٤٣) بقوله «قال الذهبي: في الاعتذار عنه كان رجلاً قذّصّوف وأنعزل...».

وتناول ترجمة «يحيى بن محمد بن موسى أبو زكرياء التّجيبى التلمساني» (م. ن) بقوله «قال الذهبي: حجّ وجاور وسمع بمكة...»، وتناول ترجمة «يحيى بن الربيع بن سليمان بن حرار العلامة مجد الدين» (م. ن) بقوله «قال الذهبي: كان عالماً بالمشافعي والخلاف والحديث والتفسير.

* الهوامش:

(١) يُنظر ترجمته: السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر (ت ٩١١هـ)، طبقات المفسرين، طهران، ١٩٦٠، ص ٤، السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت ٩١١هـ) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مطبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، ج ٤، ص ٦٥-٧٠، أبْن إِيَّاس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الزهور، تحقيق، محمد مصطفى، القاهرة، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ط ٢، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م، ج ٤، ص ٨٣-٨٤، ابن العماد، أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، مطبعة دار السيرة، ١٤٠٠هـ-١٩٧٩م، ج ٨، ص ٥١-٥٥، الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت، مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، ج ١، ص ٣٢٨-٣٣٥.

(٢) م. ن، ص ٤.

(٣) داود، نبيلة عبدالمنعم، دراسة في السير والتراجم والطبقات، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، ١٤١٩هـ-١٩٠٨م، ص ٢١.

- (٤) السيوطي، طبقات المفسرين، ص ٢٤.
- (٥) جعفر، نوري، التاريخ مجالهُ وفلسفته، بغداد، مطبعة المعارف، ١٣٧٥-١٩٥٥م، ص ٤٤.
- (٦) السيوطي، طبقات المفسرين، ص ٢٦.
- (٧) أبْن سَعْد، محمد بن سعد بن منيع الزهرري البصري (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د، ت، ج ٥، ص ٥٠٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٦١٦.
- (٨) السيوطي، طبقات المفسرين، ص ٦، ٢٨.
- (٩) ينظر: أبْن حَبَّان، أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، الثقات، المطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، أعاد تصويره مطبعة دمشق، دار الفكر، ط ١، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، ج ٩، ص ١٥٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٣٦٥.
- (١٠) الثقات ج ٩، ص ١٥٦.
- (١١) السيوطي، طبقات المفسرين، ص ٣.
- (١٢) أبْن خُلَّكَان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، القاهرة، ١٩٤٨م، ج ٣، ص ١٣٧.
- (١٣) السيوطي، طبقات المفسرين، ص ٣٩.
- (١٤) بن خُلَّكَان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٤.
- (١٥) السيوطي، طبقات المفسرين، ص ٣٣.
- (١٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ١٧٧، كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج ٦، ص ٢٢.
- (١٧) السيوطي، طبقات المفسرين، ص ٣١.
- (١٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٣٤، الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الاناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ١٩٩٤م، ج ١٦، ص ٤٤٩.
- (١٩) السيوطي، طبقات المفسرين، ص ٣٠.
- (٢٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ١٧٩.
- (٢١) السيوطي، طبقات المفسرين، ج ٢، ص ٤٢.
- (٢٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٤٧٣.
- (٢٣) السيوطي، طبقات المفسرين، ص ٣٦.
- (٢٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٢٢٠.
- (٢٥) السيوطي، طبقات المفسرين، ص ٣١.
- (٢٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٣٧٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٤٦٤.



- (٢٧) تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٧٣.
- (٢٨) السيوطي، طبقات المفسري، ص٢٩-٣٠.
- (٢٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٧٨-٨٣.
- (٣٠) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٧.
- (٣١) أبْن خُلْكَان، وفيات الأعيان، ج٣، ٣٢٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٨٤.
- (٣٢) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٩.
- (٣٣) أبْن خُلْكَان، وفيات الأعيان، ج١، ص٧٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٦٣.
- (٣٤) السيوطي، طبقات المفسرين، ص١٢.
- (٣٥) أبْن خُلْكَان، وفيات الأعيان، ج١، ص٩٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٧٠.
- (٣٦) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٠.
- (٣٧) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، صفوة الصفوة، تحقيق: محمود فاحوري، د محمد رواس، ط٢، دار المعرفة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ج٤، ص٦٦.
- (٣٨) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٦.
- (٣٩) أبْن خُلْكَان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢١٦-٢١٩.
- (٤٠) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٢٦.
- (٤١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٧٤-٢٧٥.
- (٤٢) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٢٦.
- (٤٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٣٧٢.
- (٤٤) السيوطي، طبقات المفسرين، ص١٩، ٢٦، ٢٧، ٣٦، ١١، ١٤.
- (٤٥) ابن خُلْكَان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٢٥.
- (٤٦) السيوطي، طبقات المفسرين، ١١، ١٥.
- (٤٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٥٦٤، أبْن كَثِير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مطبعة المعارف، ط١، بيروت، ١٩٦٦م، ج١٢، ص١٧٥.
- ١٣٣-م، ن.
- (٤٨) السيوطي، طبقات المفسرين ص ٨، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٣٦، ٤١.
- (٤٩) ابن خُلْكَان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٠٩، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٢٣٩.
- (٥٠) السيوطي، طبقات المفسرين، ص١٠، ٢٦، ٢٦.
- (٥١) أبْن خُلْكَان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٥٠، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٢٥٥.
- (٥٢) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٨.
- (٥٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٣٣٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٧٥.
- (٥٤) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٢٠، ٢٠، ٢٠.
- (٥٥) أبْن خُلْكَان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٢٦-١٢٧.
- (٥٦) السيوطي، طبقات المفسرين ص ٤، ٤، ٤، ٢٤، ٣٢، ٣٣، ٣٥.
- (٥٧) أبْن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، ط٢، بيروت، ١٩٧١م، ج٦، ص٢٦٣.
- (٥٨) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٧.
- (٥٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص٣٤٧-٣٤٩.
- (٦٠) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٨.
- (٦١) أبْن خُلْكَان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٩٤.
- (٦٢) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣.
- (٦٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص١٣١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٦٩.
- (٦٤) السيوطي، طبقات المفسري ص ٣، ١٩، ٣٢، ٣٩، ٤١، ٤٢.
- (٦٥) أبْن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص٢٣٦.
- (٦٦) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٢.
- (٦٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٩٧-٢٠٠.
- (٦٨) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٢٨.
- (٦٩) اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان، ط٢، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ج٤، ص١٦٤.
- (٧٠) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٤٣.
- (٧١) اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد البعلبكي الحنبلي (ت٧٢٦هـ)، ذيل مرآة الزمان، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ج٤، ص١٤٩.
- (٧٢) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٩، ٤١.
- (٧٣) أبْن كَثِير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٢٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص١٥٣.

Analysis of the methodology and resources of the interpretive layers of Siouti

By: Dr. Alaa Nafie Jassim



Abstract

Historical studies are studies that have been concerned with the heritage of the Arab nation and the flags of Arab and Islamic thought. Studies on Muslim historians are one of the most important historical studies in Islamic thought issues and their contribution to the advancement of Arabs and Muslims to other nations and peoples.

The study of history reveals an important episode of the intellectual heritage of the nation and the identification of the features of Arab Islamic history and the consolidation of the foundations of the Arab-Islamic historical research method. Such studies require the introduction of the methods of historians, their methods and their resources, and then a means of revealing their sources of information and indicating the contributions of historians and scientists in life. Intellectual through the ages.

The importance of these studies has returned to the study of the flags and spokespersons of Arab Islamic thought, who carried the torch of culture and the brigade of free thought of the most important historical studies civilized nation no matter how elevated in the ladder of civilization can not forget its scientists and thinkers and give them a great share in the present and future.

The study included highlighting one of the scholars of the eleventh century, Suyuti (T 911H) who contributed to the intellectual and cultural life, and that his book layers of the interpreters of the important books that addressed the interpreters, scholars and modernists.

The books of the classes of different ages have received great attention due to their importance and the meanings of the translations of the famous commentators, companions, followers and followers of the narrators of Hadith, grammarians, linguists, writers and preachers.

The interpreters are the pioneers of this science and its men who rely on them to show the truth and publish it among the people. The interest in interpreting its men and classifying its layers was expressed in the folds of literature, history and class books.



مركز الدراسات والبحوث
الاسلامية والعلوم الإنسانية

لامية العرب للشنفرى

(قراءة تراثية معاصرة)

أ.م.د. صبيح مزعل جبار *

● مقدمة:

حظيت (لامية العرب) للشنفرى وهو أحد الشعراء الصعاليك في عصر ما قبل الاسلام بإهتمام أدبي ونقدي كبير ليس من قبل العرب وحدهم، بل ومن قبل العديد من المستشرقين، والباحثين القدماء والمحدثين. واللامية المكونة من (ثمانية وستين بيتاً) وبنيت على (البحر الطويل) ترجمت الى لغات عديدة، وتناولتها دراسات نقدية عديدة، فهي اي اللامية شكلت انعطافة مهمة في مسيرة الشعر الجاهلي، وكانت عنواناً لشعر شعراء تيار شعبي جاهلي واسع، اطلق عليه تسمية تاريخية، ظلت ترددها دراسات الحياة الادبية لأجيال عديدة، ولأكثر من خمسة عشر قرناً.

واللامية شرحها قديماً، الخطيب (التبريزي) والزمخشري، وابن الشجري وابن اكرم وغيرهم، وترجمها حديثاً ريدهوس الى الانجليزية، وعلق عليها وترجمت الى الفرنسية، وشرحت كما ترجمت الى اليونانية والايطالية والى لغات اخرى حية، كما عني بدراساتها المستشرق تيودور نولدكه فحققها ويصفها (عمر فروخ) في تاريخ الادب العربي، بان (لامية العرب) قد بلغت في الحسن والفصاحة مبلغاً عظيماً، ويعد الشنفرى من اشهر الصعاليك في العصر الجاهلي.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



ومن ألمع شعرائهم والصلوك في لغة العرب: الفقير، الذي لا مال له، ولا إعتد، وقد تصعلك المرء اذا صار كذلك، قال حاتم طي في هذا المجال: **غنيا زماناً بالتصعلك والغنى**

فكلاً سقانه بكأسيهما الدهر
أي عشنا زماناً، وتصعلكت الإبل، أي خرجت أوبارها وانجردت، وطرحتها أي سقطت أوبارها، فالصلوك لغة : هو الفقير الذي لامال له، ولا إعتد، والتصعلك ظاهرة عرف بها العصر الجاهلي، وقام بها أفراد ومجموعات احتقرهم المجتمع القبلي، فعاشوا على هامشه. أن الصلعة ظاهرة اجتماعية واسعة، ينطوي تحت لوائها مئات كثيرة من المجتمع غير متجانسة، ولكن يجمعهم الفقر والتهميش والنظرة الدونية. والصلعة لاتخص الشعراء وحدهم بل تضم فئات اجتماعية متنوعة يجمعها ظلم قوانين القبيلة وتقاليدها، وصرخات الجوع، واهات الألم.

وهبات التمرد على القبيلة، وتقاليدها وعدم مراعاتها النظرة العادلة بين أفرادها. وسواء أكان الصلوك شاعراً أم غير شاعر، خليعاً أو منبوذاً لسواد بشرته، فإنه يجد نفسه غريباً، ووحيداً في مواجهة العالم، محروماً من عطف القبيلة وحدها ورعايتها، وليس له من يرد عنه غائلة الجوع والتهميش ففي شعر السليك بن السلكة يظهر ان الجوع كان يستبد به في الصيف حتى ان قام، فانه يشعر بالاغماء الشديد، فيريه الدنيا ظلاماً من أثر الجوع^(١).

وحين انسلخ الصعاليك من العصبية القبلية حرّموا منها، ان العصبية القبلية كانت ضماناً لكل فرد من افراد العصر الجاهلي، لذلك نشأت بينهم رابطة عصبية شدد بعضهم الى بعض، فقد كان الصلوك يجذب على رفاقه

ويساعدهم، مخاطراً بنفسه في سبيل انقاذهم ويقسمّ لهم قسماً من الرزق، الذي يحص عليه، واللافت ان الصلوك كان يخاطر بنفسه في سبيل الحصول على الغنيمة، ويعود فيبدها على رفاقه. فالروح الرفاقية تسود بين الصعاليك، وتهيمن بينهم أخوة العيش والمصير، فيسعون معاً ويقاتلون معاً، ويرثون من يموت منهم، كما فعل تأبط شراً عندما رثى الشنفري فقد قال:

**على الشنفري ساري الغمام ورائح
غزير الكلى من صيّب الماء باكر**

لقد إستطاع الصعاليك، بفضل المسار الذي خطوه لانفسهم ان يضيفوا على تسميتهم السلبية (الصعاليك) أبعاداً جديدة، ويرتفعوا بها بحيث صارت اسم علم يدل على حركة حظيت باهتمام الباحثين المحدثين والمعاصرين اهتماماً يفوق الاهتمام الذي عومل به هؤلاء الصعاليك ابان حياتهم، فخصهم بعض الدارسين بدراسة مستقلة، واعدوهم ثائرين متمردين^(٢).

انّ الواقع التاريخي يثبت من خلال تحليل بنية المجتمع القبلي في المرحلة الاخيرة من العصر الجاهلي الاتي :

١- ظهور علامات الإنحلال في النظام البدائي للانتقال من الاقتصاد الطبيعي الى الاقتصاد البضاعي حتى التبادل النقدي، ومن ابرز هذه العلامات : تقلص المشاعية البدائية وظهور الملكية الخاصة لوسائل الانتاج.

٢- بداية تحول سلطة رئيس القبيلة عن اساسها القديم، وهو مراعاة التقاليد القبلية فقط الى اساس جديد، هو مراعاة الوضع الاقتصادي للرئيس الى جانب الوضع القبلي التقليدي.

٣- زوال الوضع الامومي (الطوممي) في العلاقات العائلية، وسيادة العلاقات الابوية (البطيركية).

وأضافة الى الظواهر الاقتصادية والاجتماعية السابقة يجب النظر الى الاهمية البالغة لوجود لغه عربية، وشعر عربي في المرحلة الاخيرة للجاهلية، هما على مستوى متطور يكاد يتخطى مستوى النظام الاجتماعي القبلي في تلك المرحلة، بالرغم من كونهما - اي اللغة والشعر- يحملان انعكاسات أمينة لمختلف ظاهرات هذا النظام^(٣).

الظروف التي أفرزت هذه الظاهرة:

ان الملكية الجماعية البدائية كانت الاساس الذي يقوم عليه المجتمع القبلي، ولكن الملاحظ من تاريخ الجاهلية ان هذا الاساس يقترب من الانهيار كلما اقترب مجتمع الجاهلية من نهايات القرن السادس واشرف على بدايات القرن السابع الميلادي، ففي هذه الفترة ذاتها تكاد تكون اشكال الملكية الجماعية هذه تنحصر في شكل واحد، هو ملكية المراعي، وبعض الابار والعيون، يبدو انه ملكية مشاعة لبعض القبائل^(٤).

من هنا بدأت تظهر بين القبائل في البادية علامات بارزة للتفاوت في ملكية الثروة، حيث أخذت تتكون فئات عليا من الرؤساء وعائلاتهم تملك الاعداد الكثيرة من أصناف الماشية، ولا سيما الابل على نحو يفوق كثيراً ما يملكه بعض افراد القبيلة مع كون افراد آخرين لا يملكون شيئاً، وكذلك شأن ملكية العبيد أحياناً، وهذا الفارق استتبع ان ييسط الرؤساء سيطرتهم على المراعي والتجمعات المائية لمنافعهم الفئوية، وان يبتكرون السند الحقوقي لهذه السيطرة باسم حق الاولوية لهم كفئة متميزة.

لقد كان التمايز الاجتماعي بين الفئة العليا من القبيلة والفئات الدنيا منها، يتجلى في مظاهر كثيرة من ابرزها : تميز الرؤساء بنصب خيامهم

في المرتفعات المشرفة على خيام سائر ابناء القبيلة، وبافضلية هذه الخيام من حيث القيمة النوعية، وبامتياز مقتنياتهم المنزلية، كالسجاجيد النفيسة والوانسي المعدنية والزجاجية الغالية الاثمان، وبافضل الاسلحة، واجمل أسرجة الخيل والابل في حين كان فقراء القبيلة يعانون الشقاء المادي.

ولم تكن ظاهرة الصعلة المعروفة عن هذه الفترة من الجاهلية سوى نتيجة مباشرة لهذا الشكل من التفاوت والتمايز الاقتصادي- الاجتماعي. ولم يكن الصعاليك سوى فئة من فقراء القبائل المختلفة عبرت بانسلاخها من جماعاتها القبلية وتفردوا في الصحراء للغزو والسلب عن واقعين اثنين لهما دلالة واحدة : عبرت اولاً عن خروجها على الانتماء الذي يلزمها الالتصاق بحياة القبيلة والانقياد لأوضاعها وأعرافها مهما لقيت من عوز واضطهاد وعبرت ثانياً عن حاجة مادية لم تستطع احتمالها في ظل القبيلة، اما دلالة ذلك فهي ان التمايز الاجتماعي قد بلغ من تأثير على الفئات المستضعفة حداً يدفع بعضها الى تفكيك علاقاتها القبلية، وهذه الدلالة تشكل علامة بذاتها على الانحلال الذي يتسرب الى داخل النظام القبلي^(٥).

إن هذه الفوارق الاقتصادية - الاجتماعية، كانت قد بدأت تحدث اشكالا أولية من التملل والتمرد (الصعاليك، الطرداء) كعلاقة على بدء تحول هذه الفوارق الى تناقضات فعلية، تصبح أساساً لانقسام المجتمع الى طبقات، وان بصورة جنينية^(٦).

الشنفري ولاميته : انشودة الصحراء:

(لامية العرب) قصيدة الشنفري الطويلة، إذ بلغ عدد أبياتها (ثمانية وستين بيتاً) وبنيت على (البحر الطويل) وقد حظيت بشروحات عديدة قديماً وحديثاً، ونالت قسطاً كبيراً من الاهتمام



العربي والاستشراق الغربي والشرقي والقصيدة تبدأ بالآتي:

- ١- أقيموا بُني أُمي صُدورَ مَطِيكُم
فإني إلى قوم سواكُم لَأُمِيلُ
- ٢- فَقَدْ حَمَّتِ الحاجاتُ و اللَّيلُ مُقَمَّرُ
و شُدَّتْ لطياتِ مطايا وأرْحَلُ
- ٣- وإنْ مُدَّتْ الايدي الى الزاد لم اكنْ

باعجلهم إذ أجشع القوم أعجل
يبدأ الشنفرى قصيدته أو (لاميته) بمخاطبة رفاقه أو قومه (بنو أُمي) بأن تقف أبلهم تجاه اي شطر تيممون، فهو اي الشاعر يستهويه صحبة قوم غير قومه، وصدور الابل، تعني الجهة التي يراد الوصول اليها. والقيام هنا يعني الوقوف، والشاعر هنا كان قد اختار، واتخذ قراره بالبراءة من قومه واعتزالهم، وانه قد اختار قومًا سواهم^(٧).

ومطلع قصيدة (لامية العرب) مطلع خطابي موجه الى قومه وهذا يعني أن خطابه مسموع لدى قومه، وقوم الشنفرى معروفون، اي (الصعاليك) وهم الفقراء والمهمشون فهو يوجه الخطاب اليهم ويعدمهم قومًا، وهم كذلك او هم فئة كبيرة، او جماعات شعبية واسعه الانتشار، توحدهم المعاناة وشغف العيش، والاذلال والقمع والاضطهاد، وبنوا الام هم بنو البشر بمعنى اخر.

وفي استعراضنا (للامية العرب) بأبياتها (الثمانية والستين) وجدنا لزماً علينا ان نتوقف عند بعض القضايا الكبرى، التي تثيرها اسئلة القصيدة في واقعها التاريخي، الذي كنا قد استعرضناه في ماسبق من البحث، فما أثارهما البيتان الاتيان ينبغي التوقف عندهما قليلاً، لتأمل طبيعة التفكير والوعي، الذي انتج مثل هذه القضايا الاجتماعية والسياسية والعقلية :

وفي الارض منأى للكريم عن الانى
وفيها لمنْ خافَ القلي متعزلُ

لعمرك ما في الارض ضيق على امرئ
سرى راغباً او راهباً وهو يعقلُ
منذ مطلع القصيدة يتبين لنا، ان الشاعر (الصعلوك) هذا لم يكن وحيداً في ساحة الدفاع عن النفس، وتحقيق الحقوق المستلبة بل هو قائد لهذا التيار الشعبي العريض وشاعرُ تجاوز السائد والمألوف من اشعار تلك الحقبة الزمنية القاسية، وثقافة مثقفها.. ففي البيتين الانفي الذكر نلتقي بقصيتين مهمتين:

الاولى: اسلوبا الترهيب والترغيب، اللذان يمارسهما أصحاب السلطة والنفوذ مع كل من يخالف القوانين الجائرة، التي يفرضها رؤساء القبائل والمتنفذون على مرؤسيهم، وهما أسلوبان مورسا في العصر الحديث من قبل سلطات الاستبداد والقمع مع كل من يعارض سلطاتها.

فالشنفرى يذكرنا بالاساليب التي مارستها معه ومع (بنو أُمه) السلطة القبلية الاستبدادية وقوانينها الجائرة، الامر الذي يحتم عليه أن يبحث عن طريق آخر يستطيع من خلاله ان يحافظ على حياته. وهذا الطريق هو طريق الهرب واللجوء الى المنافي البعيدة، وكانت هذه المنافي في ذلك الوقت هي الصحراء البعيدة الواسعة، ومجتمعها الحيواني المتوحش الذي فضله على غيره.

والقضية الثانية: هي قضية العقل (وهو يعقل). وهنا تعبير عن ثقافة الشعراء وموقفهم من العقل وحرية التفكير، واتخاذ القرارات استجابة لحرية الراي واحترام العقل البشري، الذي تعرض للالغاء من قبل بعض (السلفيين) الاسلاميين منذ النصف الثاني من القرن الاول

الهجري على يد (الجبريين) وموقفهم الرافض للعقل، ولأصحاب حرية الرأي، والعقلانية أي (القدريين)، وهذا يعني أن مثقفي ما قبل (السلفيين) هم أكثر وعياً وأكثر احتراماً للعقل وأهمية في حياة الانسان.

وفي البيتين السابع والثامن يتحدث الشاعر (الصعلوك) عن قضيتين أساسيتين، يدخلان في هذا الصراع الدامي، ويطبعانه بطابعهما التناقضي الحاد، وهما قضية الشجاعة والبسالة أولاً، التي يشعر بوجودها، وهي تغطي كل كيانه، وتستحوذ على مشاعره. والقضية الثانية، هي قضية القناعة والجشع وهما أمران متضادان ومرتبطان بالشجاعة والبسالة ايضاً، التي يتميز بهما الصعلوك، وقد عبر الشنفرى عن الشجاعة والقناعة في قولة:

وكلُّ أبي باسلٌ غيرُ أنني
إذا عُرِضتْ أولى الطرائد أبسلُ

وأنْ مدَّتْ الأيدي إلى الزاد لم اكن
بأعجلهم إذ أجشعُ القوم أعجلُ^(٨)

فالشنفرى يرى في نفسه، وفي نفس كل صعلوك مطارِد، يرى الشجاعة والبسالة متوجتين بالقناعة والشهامة والمتضادتين مع الجشع والطمع، المدفوعين بدوافع العجلة والتسرع.

فالشجاعة أوالبسالة، التي يتميز بها الصعلوك أصبحت صفة ملازمة لمن ينتمي الى صفوف هذه الجماعات التي خلعتها القبائل في الصحراء، وحاربها واستعبدها الأغنياء في المدن العربية في عصر الجاهلية، وهذه الجماعات تصافت على الوفاء بينها وبين قضيتها الأساس، وهي قضية الوجود الانساني في واقعه التاريخي، والحفاظ على استمرارية الحياة.. وكثيراً ما وجدنا الشعراء الصعاليك يحثون على مقاطعة المتخاذلين من بين صفوف هذه

الجماعات الواسعة، ويحرضون النساء على عدم الارتباط والتعاون معهم، وتحديد الجبناء من بين صفوفهم، وفي هذا السياق يقول السليك بن السلكة^(٩).

فلا تصلي بصعلوك نؤوم

إذا أمسى يُعدّ من العيال
ولكن كل صعلوك ضروب

بنصل السيف هامات الرجال
وفي البيتين الرابع والعشرين والخامس والعشرين من (اللامية) يتحدث الشاعر (الصعلوك) عن نفسه، وعن إرادته الحرة، يتحدث عن هذا التحول في مسيرة حياته الغارقة في الازلال والتهميش والجوع، ويتحدث عن اتخاذ لقراره الاخير، الذي ألزمه حمل السلاح، والانخراط المباشر في مقارعة قوانين القبيلة ونواميسها الجائرة وهو القائل :

ولكن نفساً مرة لا تقيم بي
على الذام الارثما تحول

وأطوي على الخمص الحوايا كما
أنطوت خيوطة ماري تغار وتقتل^(١٠)

وواضح أن رجع الحديث في هذين البيتين يعود الى المجتمع وناسه ومواصفاته ومعاييره، وكأنه يضيف الى ماسبق ونوه به من ان ميله عن قومه ومجافاته لهم، لم تكن بسبب انحراف في نفسه، وزيف عن الصواب، وانما كان بسبب انحراف في هذا المجتمع ذاته، وزيف عن مسالك الحق، وان هذا الانحراف في سلوك المجتمع القبلي لم يكن وليد الصدفة، وانما نابع من قوانين ونواميس القبيلة، التي يقرها الرؤساء، ويلتزم بها الرؤوسين، وكأنها شئ منزل من السماء والخروج عليها يعد خروجاً عن قوانين القبيلة وعاداتها وتقاليدها، التي تحكم اعضاء



القبيلة، سواء اكانت هذه القوانين جائرة ام غير جائرة.

وعلى هذا الاساس جاء قرار (الشنفرى) بالحرب، وحمل السلاح ضد قوانين الظلم والاستعباد، وتجويع فئات واسعة من المجتمع واذلالهم لاسباب لم يكونوا يوماً ما طرفاً فيها، فمن اجبر الآباء على ان يتزوجوا (إمات) سود ثم يتخلون عن أبنائهم ومن بينهم أبناء برزوا في الشجاعة ومنهم من تميز بالشعر، وبرع فيه ؟

لقد ارتفع الشنفرى في لاميته، التي تسمى بـ(لامية العرب) في تصوير الحياة الجاهلية، الى مستوى الخلق الفني الموهوب، حتى أضحت لاميته، من اهم وثائق الفن والحياة المعبرة عن نموذج المعيشة الجاهلية.

إن الشنفرى حين اختار الصحراء منفى له كان ينطلق من فلسفته الخاصة ونظرتة الى طبيعة الحياة في ظل مجتمع تسيره وتحكمه أهواء القبيلة وعاداتها وتقاليدها، التي لاتساوي بين أبنائها، الذين هم من قبيلة واحدة، الامر الذي يتعارض مع فلسفة الشنفرى ورؤيته للحياة، فهو يرفض التمييز ولايقبل الاهانة والسكوت عليها، وهو الشاعر (البارز) والفتى الشجاع، الذي يرفض الاذلال، لذلك اختار له منفى بعيداً عن ظلم القبيلة انطلاقاً من قوله في اللامية :

لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ

سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل
وهو يعقل، وهذا أمر هام، وإشارة نادرة تدل على التفكير والوعي العقلي في زمن تميز بالجاهلية أولاً، وبالخيال الشعري ثانياً وفي زمن طغى فيه ضنك العيش، بالنسبة للشنفرى، وامثاله، كما تميز

بإنسحاق الانسان، وشل قدراته على التفكير والتعقل.

وفي قول الشنفرى في اللامية أيضاً :

وفي الأرض منأى للكريم عن الاذى

وفيهما لمن خاف القلى متعزل

فالشنفرى هنا كان يرى بان كريم النفس يجد في التنقل في الارض ما يبعد به عن أن يتحمل الضيم، او ان يلحقه الاذى، وان من خاف بغض الناس له يستطيع أن يعتزلهم، ويبتعد عما يفعلون.

فحرية الانسان المضطهد يمكن ان تكون في هذه الارض الواسعة، اذ ان الارض لاتضيق على امرئ عاقل، شد الرجال سواء أكان هذا المرء راغباً في الرحيل، مقبلاً عليه ام راهباً له، متحسباً عواقب المجهول، الذي يصاحبه.

ويبدو ان الترهيب والتعذيب كان سائداً في عصر الجاهلية، مثلما هو سائد في عصرنا الراهن، لانهما مرتبطان بالخير والشر، والاثنان صفة ملازمة للانسان منذ الخليقة وحتى الان، فان من يتخذ مثل هذا القرار عليه ان يختار مجتمعاً - اذا كانت هناك فرصة للاختيار - آخر يجد فيه الاطمئنان على حياته، وعدم الاعتداء على كرامته كما يجد فيه حرية التعبير عن مواقفه وعن آرائه وسلوكه الشخصي، والشنفرى حين اختار مجتمع الصحراء، كان مقتنعاً بخياره هذا، فقد قال في لاميته :

هم الاصل لامستودع السرّ ذائع

لديهم ولا الجاني بما جرّ يخذل

إن مطلع هذا البيت (هم الاصل) يحمل دلالات عميقة جداً، أثارت ضجة عالمية في عصرنا الحديث، ويدخل العلم طرفاً أساسياً فيها. وان هؤلاء الاهل الجدد لا يذيعون في الناس ما

يستودع لديهم من اسرار، ولايخذلون العائد بهم، وإن كان ذا جرائم، وهو يرى بانه ليس عبثاً على هؤلاء الاهل الجدد، ولا على صحبته لهم، وهو ليس بالذي يستغل منها شمائلها التي يحبها وكانت (اللامية) قد افتتحت بمخاطبة الاهل والاصدقاء من ابناء جلدته المهمشين :

**أقيموا بني امي صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لأمّيل**
إذن فهو قد اختار (اجناساً) أخرى بدلاً من ابناء جلدته، من ابناء البشر الذين ينتمي اليهم، إذ أن إلفته للارض التي اختارها، وما فيها من وحوش، ليست إلفة تعشق ومحبة لذاتها، لكنها اللفة بقرار يأئس ممن حوله، وهي اللفة فيها عنت ومشقه، ولكنه يصبر نفسه عليها.

وبالتالي، فإن حياة المجتمعات، وما حصل فيها من تحولات تاريخية، عبر مراحل التطور المادي للتاريخ كانت محط اهتمام الادب والفن. فالادب والفن يشكّلان إبداعاً واحداً، يؤرخ لحياة المجتمعات وأزماتها وصراعاتها وتحولاتها، وهذا ما يؤكد عليه هاينه عندما قال: ((غريبة هي نزوة الناس، انهم يطلبون تاريخهم من يد الشاعر، وليس من يد المؤرخ، إنهم يطلبون ليس تقريراً أميناً عن حقائق مجردة، بل تلك الحقائق التي انحلت عائدة الى الشعر الاصلي الذي جاءت منه))^(١١).

* الهوامش:

- (١) ظاهرة الغربة والحنين في الشعر العربي : د. صبيح الجابر: ص ٤٤، ٤٣.
- (٢) ديوان الشنفرى : اعداد وتقديم : طلال حرب : ص ٢٠، ٢١.
- (٣) المصدر نفسه : ص ٢١٨.

(٤) المصدر نفسه : ص ٢٤١.

(٥) المصدر نفسه: ص ٢٤٩.

(٦) ينظر : المصدر نفسه : ص ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٢.

(٧) ينظر : المهمشون في التاريخ الاسلامي : د. محمود اسماعيل: ص ١٦، ١٧.

(٨) ينظر : في التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى: ١٢ وديوان الشنفرى (لامية العرب) اعداد وتقديم : طلاب حرب: ص ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥.

(٩) ديوان الشنفرى : لامية العرب : ص ٥٦.

(١٠) المصدر نفسه : ص ١٥.

(١١) ينظر : ظاهرة الغربة والحنين في الشعر العربي : د. صبيح الجابر : ص ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥.

المصادر والمراجع:

- ١- النزعات المادية في الفلسفة العربية - الاسلامية / د. حسين مروة / بيروت - لبنان / ط ١، ٢٠٠٢ - ط ٢ - ٢٠٠٨ / اربعة مجلدات.
- ٢- المهمشون في التاريخ الاسلامي / د. محمود اسماعيل / رؤية للنشر والتوزيع / القاهرة - ط ١ - ٢٠٠٤.
- ٣- تاريخ الادب العربي / د. عمر فروخ / دار العلم للملايين / بيروت - ط ٦ / ١٩٩٢ / ستة مجلدات.
- ٤- ديوان الشنفرى / اعداد وتقديم : طلال حرب / الدار العالمية - بيروت - لبنان ط ١ - ١٩٩٣.
- ٥- ظاهرة الغربة والحنين في الشعر العربي / د. صبيح الجابر / دار ومكتبة عدنان / بغداد - شارع المتنبى / ط ١ - ٢٠١٣.
- ٦- في التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى / محمد علي ابو حمدة / مكتبة الاقصى / عمان - الاردن / ط ١ - ١٩٨٢.
- ٧- من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام / بندلي جوزي / دار الاداب.



Lamiyat Al-Arab by Al-Shenfary

(Contemporary literary reading)

By: Dr. Sabeih Mezal Jaber



Abstract

The study of (Lamiyat Al-Arab) to Al-Shenfary in a light of the historical material approach or in scientific one that will discover the nature ,social, economical, cultural life through its historical reality ,or through the second Jahiliya and also the last one concerned with Islamic call from many deep questions that presented Epic poem which had great effect on the history and the heritage of Arabic literature ,specially the poetic field. This poem to Al-Shenfary made the Russian Kratechkovesky represented it as (the desert chant)that had differ from ignorant consideration an ignorant poetry as (tribe poetry) whereas (Al-lamiya) had considered from the raids ,this would rebel against tribe , its traditions ,its laws and others.



المجلة
العلمية
والاجتماعية
الاسلامية

هاشمية الأنبار

في ضوء التنقيبات الأثرية

د. سعدي إبراهيم الدراجي * 

● المقدمة:

تعد الأنبار مدينة قديمة إذ يعتقد بعض الباحثين بأنها من المدن البابلية، وقد تطورت في العهد الساساني حتى أصبحت شهرتها في العراق تلي شهرة مدينة طيسفون. وقد سورت وحصنت لتكون قلعة أمام غارات الرومان المستمرة على حدود هذه المملكة من ناحية الفرات. وموقعها على نهرين هما الفرات وعيسى اكسبها أهمية خاصة. أما هاشمية الأنبار التي بناها أبو العباس السفاح سنة (١٣٤هـ)، فإنها بنيت بجانب الأولى، وبها قبره، وقد سكنها من بعده المنصور قبل أن يشيد عاصمته الجديدة بغداد. وعلى الأرجح أن هاشمية الأنبار بقيت قائمة حتى نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي استناداً إلى اللقى الأثرية التي عثر عليها المنقبون في المدينة. وهي اليوم عبارة عن مجموعة من التلويح الكبيرة فيها بعض الأطلال التي تشير إلى بنائها بالآجر واللبن. وتقع شمال غرب مدينة الفلوجة بمسافة لا تزيد عن ٦ كم. وقد قامت دائرة الآثار والتراث ولأول مرة في عام (١٩٩٩م) بالتنقيب في نقاط منتخبة منها ولأربعة مواسم استمرت حتى عام (٢٠٠٢م)^(١).

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

الحق^(٨)، وآخرون^(٩) ويذكر شمس الدين ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) رواية عن الهاشمية تناقض ما جاء في النصوص السابقة^(١٠)، ويكررها في صفحة أخرى من كتابه^(١١). ومهما تكن درجة الاختلاف في روايات المؤرخين حول الموضوع القديم للأنبار أو للهاشمية، فعلى الأرجح إن الهاشمية بنيت بقرب الأنبار العتيقة أو شمالها كما سيأتي ذكره، وتوسعت في العصر العباسي حتى ذابت الأولى فيها. ويؤكد هذا الرأي بعض النصوص التاريخية كما عند الطبري^(١٢) حين ذكر السفاح^(١٣).

● إخطاط هاشمية الأنبار وأبرز معالمها الحضارية:

لم تسهب مصادرنا العربية في طريقة إخطاط هاشمية الأنبار، كما فعلت مع الأمصار والمدن العربية الأخرى مثل البصرة والكوفة والقيروان وواسط وبغداد.... بيد إن المصادر نفسها تتفق على أن الخليفة أبو العباس السفاح قد اختط مدينة جديدة قرب الأنبار القديمة عرفت بالهاشمية، ويعد أبو حنيفة احمد الدينوري (ت ٢٨٢هـ) أقدم من فصل في إخطاط المدينة في زمن أبو العباس السفاح الذي «سار من الحيرة في جموعه حتى أتى الأنبار، فإستطابها، فابتنى بها مدينة بأعلى المدينة عظيمة لنفسه وجموعه، وقسمها خططاً بين أصحابه من أهل خراسان، وبنى لنفسه وسطها قصرًا عاليًا منيفًا، فسكنه، وأقام بتلك المدينة طول خلافته، وتسمى إلى اليوم (القرن ٣هـ) مدينة أبي العباس»^(١٤) ويفهم من النص الذي أورده الدينوري إن أبو العباس ابتنى الهاشمية بأعلى الأنبار القديمة أو شمالها، وقسمها بين

كشفت في أثنائها عن أدوار حضارية متعاقبة تمثلت بطبقات سكنية قوامها مجموعات من الوحدات البنائية وجد فيها لقى أثرية متنوعة بعضها جرار فخارية وأخرى مزججة ومسارج وأدوات حجرية ونحاسية وزجاجية مختلفة الاستعمالات، فضلاً عن المسكوكات الذهبية والفضية والنحاسية، يعود بعضها إلى أواخر العصر الساساني وهي دراهم تحمل صور لكسرى وبعضها الآخر من العصر العباسي مضروبة في عصر الخلفاء أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي والرشيد والأمين والمأمون. ودنانير ذهبية من زمن الناصر لدين الله. كما وجدت مجموعة من الدراهم بلغت أكثر من (٢٠٠) درهم تعود للحقبة التيمورية وهي مؤرخة بين (٨٣٠ - ٨٥٣هـ).

● آراء المؤرخين في موقع الهاشمية والأنبار:

أختلف المؤرخون والجغرافيون العرب في موضع هاشمية الأنبار التي بناها أبو العباس السفاح سنة (١٣٤هـ)، إذ رجح بعضهم بأنها بنيت على الأنبار القديمة ومنهم البلاذري (ت ٢٧٩هـ) الذي أتى برواية تفيد في تأسيس الهاشمية على عهد أبو العباس السفاح^(١٥) ويتفق الطبري (ت ٣١٠هـ) مع البلاذري بأن أبو العباس السفاح بنى هاشميته في الأنبار القديمة^(١٦)، وكذلك ابن الفقيه الهمداني (ت ٣٦٥هـ)^(١٧) وكذلك فعل ياقوت الحموي^(١٨).

وهناك فريق آخر من المؤرخين يعتقد بأنها بنيت بجانب الأولى أو بقربها، وفي كتابه المشهور (الأخبار الطوال) قدر الدينوري (٢٨٢هـ) تبعد المسافة بين المدينتين - الهاشمية والأنبار - نصف فرسخ^(١٩). وفرق أيضاً بعض المتأخرين بين المدينتين ومنهم ابن شاکر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)^(٢٠) وابن عبد

أصحابه بعد أن جعل قلب المدينة ووسطها له ولخاصته، فبنى على الأرجح لنفسه قصراً ومسجداً جامعاً كما فعل خليفته أبو جعفر المنصور من بعده في بغداد. وهو في السياق نفسه الذي أورده اليعقوبي^(١٥). وذكره ابن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ) في العقد الفريد^(١٦).

ويبدو أن السفاح أقام في الأنبار مصانع وقصور عديدة حيث تذكر بعض المصادر «انه لما بنى (السفاح) مدينة الأنبار دخلها مع أبي جعفر أخيه وعبد الله بن الحسن، وهو يسير بينهما ويريهما بنيانه وما أقام فيها من المصانع والقصور...»^(١٧) ومن هذه القصور قصر الخلافة الذي يقع في وسط المدينة وكان منيفاً ويعرف بـ (الرصافة) وهذا الاسم يطلق أحياناً على الهاشمية بأسرها كما يذكر ابن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ). والحقيقة ليس لدينا معلومات عن قصر الخلافة في الهاشمية توضح شكله وتخطيطه وكل ما نملكه عنه انه كان واسعاً ومنيفاً في بنائه^(١٨).

أما المسجد الجامع في الأنبار فلم يكن من بناء السفاح، بل هو بناء قديم، لذلك عده بعض المؤرخين ثالث مسجد أسس في سواد العراق وكان أول مسجد بني بالسواد هو المسجد الذي بناه سعد بن أبي وقاص وأصحابه بالمدائن وقد وسع وجدد واحكم بناءه على يد حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ)، يليه مسجد الكوفة الذي أخطه سعد عام (١٧هـ)، ثم مسجد الأنبار^(١٩). إذن المسجد الأول في الأنبار بني من قبل سعد بن أبي وقاص بعد تحرير المدينة بسنوات قليلة وعلى الأرجح هو جامع بسيط في عمارته وتخطيطه لا يختلف

عن تخطيط الجوامع المعاصرة له في كل من البصرة والكوفة. وهو غير المسجد الذي بناه أبو العباس السفاح في الهاشمية، والأخير نال عناية كبيرة حيث نقل إليه مواد وزخارف من الجامع الأموي في حلب، وذات المواد هي من جملة الآثار الأموية التي نقضها بني العباس من بلاد الشام^(٢٠). وموقعه في وسط المدينة قرب قصر الخلافة.

وحول تخطيط الجامع وعمارته فعلى الأرجح إنه يشبه جامعي الكوفة وواسط إذ يتكون من صحن مكشوف يحيط به بيت صلاة ومجنبتان ومؤخرة. مبني بالأجر والجص وأروقته مسقفة بالخشب مثل باقي بيوت المدينة، وربما سقوفه المستوية تستند على أعمدة حجرية لها تيجان مزينة بزخارف نباتية وهندسية كما في جامعي الكوفة وواسط. ولعل التنقيبات الأثرية التي من المؤمل أن تستأنف في المستقبل تكشف عن بقايا هذا الجامع، لاسيما وأن الصور الجوية الملتقطة لتلول الأنبار في عام (١٩٣٤م) توضح ملامح من أطلال لبناء في وسط المدينة يشبه الجامع كما يظن بعض الباحثين^(٢١).

إن جامع الأنبار كان مدرسة كبيرة طيلة العصر العباسي درس فيها عدد من العلماء ورواة الحديث المشهورين في عصرهم، ومنهم على سبيل المثال خطيب الأنبار علي بن محمد بن محمد الشيباني الانباري (ت ٤٨٦هـ)^(٢٢)، والمحدث محمد بن أحمد ابن الخلال وكان إماماً لجامع الأنبار (ت ٥٤٦هـ)^(٢٣). وينسب إلى الأنبار عدد كبير من العلماء ورد ذكرهم في تراجم الرجال، عاشوا في هذه المدينة في العصر العباسي أو بعده وهؤلاء الأعلام لا يحدهم الحصر.



ومن المعالم الحضارية البارزة في مدينة الأنبار دير قديم للنصارى تحدث عنه مصادرنا بشيء من الإسهاب عرف بدير العمر أو دير الغراب^(٢٤) ويقال له دير ماريونان نسبة إلى راهب بهذا الاسم كان قادما من جزيرة قبرص في نهاية القرن الرابع الميلادي وبعد موته دفن في الأنبار وبنيت فوق قبره كنيسة^(٢٥)، ويذكر ياقوت الحموي أن دير ماريونان كان يعرف أيضا بدير عمر ماريونان. وكان كبيرا ومحصنا بسور وهو مجاور لجامع المدينة^(٢٦).

وهو ما أجاد الشاشبشتي (ت ٣٨٨ هـ) وصفه^(٢٧). وقد وصفته الشعراء وذكرته في قصائد كثيرة^(٢٨).

● الهاشمية بعد وفاة السفاح:

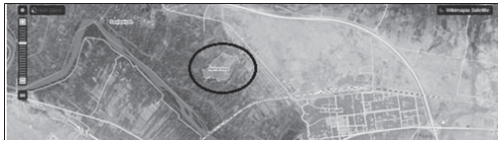
على الرغم من إن المنصور قد تركها بعد أن آلت إليه الخلافة وانصرف عنها لبناء مدينة بغداد، إلا أن الهاشمية بقيت مزدهرة لقرون بسبب موقعها السوقي على الفرات وقربها من العاصمة ومكانتها الاقتصادية. لذلك لا غرو أن يصفها أبي إسحاق الاصطخري (ت ٣٤٦ هـ) في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بأنها «مدينة عامرة أهلة ذات نخل وزرع وشجر»^(٢٩) ووصفها آخر بأنها «مدينة نزهة وعامرة ذات نعمة غاصة بالسكان»^(٣٠). وفي القرن السادس الهجري وصفها الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ) بأنها مدينة صغيرة متحضرة لها سوق وبها قلعة وفيها خيرات وفواكه كثيرة^(٣١).

ومما زاد من أهمية الأنبار موقعها الاستراتيجي على الفرات وقربها من بغداد عاصمة الخلافة، إذ تعد أولى المحطات الرئيسة للمسافرين إلى الشام في العصر العباسي، كما تعد أحيانا آخر المحطات للقادمين إلى بغداد عبر الفرات أو مع القوافل

عبر الطريق الصحراوي^(٣٢). لذلك لا غرو أن يمر فيها الخلفاء والوزراء والأمراء وكبار رجال الدولة. بل أتخذها بعض الخلفاء العباسيين متنزهاً ومنهم الخليفة العباسي المهدي الذي كان يخرج إليها للتنزه والصيد^(٣٣). وممن نزلها من الخلفاء أيضاً هارون الرشيد سنة (١٨٥ هـ)^(٣٤)

● موقع المدينة وطبيعة التل الأثري:

تقع هاشمية الأنبار إلى الغرب من مدينة بغداد بمسافة تقدر بـ (٦٨ كم). وهي جنوب الصقلاوية بقليل وشمال مدينة الفلوجة بـ (٦ كم) فقط. وموضعها في الوقت الحاضر ليس على كتف الفرات كما هو الحال في المدن المعاصرة لها في العصر العباسي مثل دما، والفلوجة العليا، وصرصر، وكوشي. وجميعها تقع على الضفة الشرقية لنهر الفرات، أما الأنبار فتبتعد عن كتف النهر بمقدار (٢ كم) تقريباً. وتقع عند تقاطع دائرة عرض (٢٢ - ٣٣٠) شمالاً وخط طول (٤٣ - ٤٣٠) شرقاً. وهي اليوم ضمن الحدود الإدارية لناحية الصقلاوية التابعة لقضاء الفلوجة المرتبط بمحافظة الأنبار. (الصورتان - ١، ٢)



(الصورة - ١) موقع الأنبار وبعده عن الفلوجة



(الصورة - ٢) حدود موقع الأنبار الأثري

● بداية الكشف الاثري:

دلت التنقيبات والمجسات التي عملت في النقاط المختارة من التل الاثري إن هاشمية الأنبار كانت معززة بأسوار دفاعية لم يبق منها الكثير سوى أجزاء غير مكشوفة في الجهة الشرقية من المدينة، وذلك بسبب الانتهاكات والتجاوزات المستمرة من قبل أصحاب المزارع القريبة منها. أو بسبب الفيضانات التي طالما كانت تهدد بغداد بالغرق فتهب السلطات الحاكمة لدرء الفيضان في هذه المنطقة من خلال تعزيز السدود بالحجارة والأتربة التي تؤخذ من بعض المواقع القريبة ومنها الأنبار. وآخر اعتداء شهدته تلّول الأنبار كان في ربيع عام (١٩٦٨م)، حيث شهد الفرات ارتفاعا مهولا في منسوب مياهه فهرعت السلطات إلى تعزيز السدود الواقعة غرب تلّول الأنبار بالأتربة المخلوط بكسر الآجر من موقع هاشمية الأنبار. ومما زاد الطين بله إن حمل الأتربة والآثار كان بوساطة الجرافات (الشفلات) الأمر الذي أضاع أجزاء مهمة من المدينة لاسيما المعالم التي تقع في أطرافها.

والحقيقة لم تختلف المعالم البارزة في موقع هاشمية الأنبار إلا بعد تأسيس مدينة الفلوجة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، والفلوجة في أول أمرها قرية تابعة إلى ناحية الصقلاوية ثم أصبحت ناحية في العام (١٣١٨هـ / ١٩٠٠م). إن جميع منشآت الصقلاوية والفلوجة كانت مشيدة بأجر الأنبار الذي ينقل على ظهور الدواب من قبل النّقاب لبيع للراغبين بالبناء حتى عام (١٩٣٤م). حيث منع قائممقام الفلوجة آنذاك الأهالي من نقل الآجر وبيعه بعد

أن كتب كتابا إلى متصرف لواء الدليم بتاريخ (٨/٥/١٩٣٤م) يعلمه بأنه منع الناس من النبش وأخذ الآجر من موقع الأنبار وطلب منه مفاتحة مديرية الآثار القديمة في بغداد لإيفاد متخصصين للكشف عن الموقع بغية معرفة أهميته التاريخية ليتسنى لهم الاستمرار بالمنع أو السماح للناس بنقل الطابوق من المدينة الأثرية.

لاسيما وإن أهالي الصقلاوية والفلوجة اعترضوا على قرار القائمقام بحجة انه لا يوجد محل آخر قريب يتزودون منه بمواد رخيصة الثمن تعينهم على بناء مساكنهم وقد اعتادوا منذ عقود على نقل الآجر من هذا الموقع، وفعلا فقد استجابت مديرية الآثار القديمة لطلب متصرفية الأنبار على عجالة وأوفدت فريق من الخبراء بتاريخ (٢٦/٥/١٩٣٤م) إلى موقع الأنبار وعلى رأسهم مدير الآثار آنذاك الألماني (يوردن) والذي كتب بدوره تقريراً إلى مرجعه معالي وزير المعارف يخبره عن طبيعة الموقع وأهميته التاريخية وقد شجع على تأييد قرار قائممقام الفلوجة في منع الأهالي من نقل الآجر منه بوصفه يمثل إحدى العواصم العباسية^(٣٥).

● طوبوغرافية التل وبداية التنقيب:

لقد بينت الصور الجوية الملتقطة للمدينة الأثرية في عام (١٩٣٤م) والخرائط الكونتورية التي رسمت قبيل البدء في التنقيب إن المدينة غير منتظمة الأبعاد، طولها يربو على (٢كم) وعرضها (١كم) تقريبا. وإن أعلى نقطة فيها ترتفع في الوقت الحاضر عن السهل المجاور بحدود (١٣م) (الخارطة - ١) وقوام المدينة الأثرية اليوم سلسلة من التلال المترابطة المتباينة



واستمر إلى نهاية كانون الأول من السنة نفسها. وقد أسفرت التنقيبات الأولية في الموقع عن تعيين أربع نقاط للتنقيب للموسم الأول في العام (١٩٩٩م)، تم اختيارها وفق معطيات علمية وفنية. الأولى في الجهة الجنوبية الغربية وتمثل الحفريات الرئيسية والثلاث الباقية توزعت على الجهات الشمالية والجنوبية والغربية. وتقع في المربعات الموشرة في الخارطة الكونتورية للموقع E.9, H.10, C.10, C.9 .

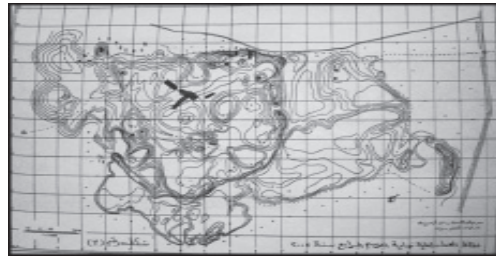
● العمارة ومواد البناء:

على الرغم من استمرار التنقيبات لأربعة مواسم في الهاشمية، فإنها لم تكشف إلا جزءاً يسيراً من المساحة الكلية للمدينة الكبيرة. كما إن التنقيبات فيها لم تقتصر على نقطة معينة من التل الأثري ثم التوسع منها أفقياً وعمودياً، بل تشتت الجهود في نقاط عدة اختيرت بناء على معطيات علمية وفنية على أمل أن تسفر أحداها عن نتائج طيبة توصل المنقبين إلى أهم معالم المدينة ومنشآتها وسورها ومداخلها وتكشف عن أول استيطان فيها. كما ان الصورة التي رسمتها التنقيبات للأحياء السكنية لم تكتمل بسبب حجم الدمار الهائل الذي أتى على المدينة جراء التنقيب عن الآجر من قبل سكان المنطقة وإعادة استعماله في البيوت الحديثة. وهناك سبب آخر أسهم في النباش أيضاً هو اتخاذ بعض التل في المدينة الأثرية مقابر لدفن المسلمين من أهل المنطقة لقرون طويلة ما ساعد على تخريب الكثير من جدران وأرضيات الطبقات البنائية.

والحقيقة إن التنقيبات قد أخفقت في الوصول إلى المنشآت العامة في المدينة مثل المسجد الجامع ودار الإمارة كما إنها لم تكتشف قصور كبيرة، وجميع المكتشفات اقتصر في المواسم الأربعة

في الارتفاع. يخلو سطحها من الأبنية والجدران باستثناء ضريحين. ولا شك في أن خلو المدينة من المنشآت كان بسبب الدمار الهائل الذي تعرضت له في العهدين العثماني والمكي، وقد بنيت في طابوق الأنبار مدينتين هما الصقلاوية والفلوجة كما أسلفنا.

تنتشر على التل اليوم آلاف الكسر من الطابوق والفخار معظمه خال من التزجيج وقطع أخرى من الزجاج الملون فضلا عن قطع من المسكوكات النحاسية المتآكلة بفعل الرطوبة والأملاح. وتوجد في الجهة الغربية من الموقع مقبرة حديثة ومزارين تعلوهما قباب حديثة البناء، أحدهما يقع خارج حدود المدينة يسمى (أبو الفياض) والثاني ضمن حدود التل الأثري يسمى (أبو خمرة). والموقع محاط بالمزارع من بعض الجهات مما سهل على الفلاحين التجاوز عليه ولاسيما من الجهتين الشمالية والشمالية الغربية.



(الخارطة - ١)

الخارطة الكونتورية لموقع الأنبار عن دائرة الآثار والتراث وعلى الرغم من أهمية المدينة من الناحيتين التاريخية والحضارية فإنها لم تكن على جدول الأولويات في الخطط المعدة في دائرة الآثار والتراث بوصفها المعنية في الكشف الأثري، حتى تموز عام (١٩٩٩م). حيث بدأ الموسم الأول للتنقيب

على بيوت السكن وكانت بسيطة لعامة المواطنين. تتكون من مجموعة حجرات تنفتح على صحن مكشوف، ويفصل بين هذه البيوت أزقة ضيقة أحياناً لا يزيد عرضها عن مترين أو ثلاثة.



ص(الصورة - ٣) جانب من تنقيبات الأنبار

لقد كشفت التنقيبات في المواسم الأربعة عن بيوت سكن كثيرة، ومعظم هذه البيوت صغيرة المساحة والقليل منها تتمتع بمساحات واسعة. كما ان الوحدات البنائية التي تتوزع في داخل هذه البيوت صغيرة ومتباينة في المساحة. منها حجرات أبعادها لا تتعدى (٢,٥ × ٢م) ومنها واسع نسبياً، وتربو أبعادها على (٤,٢٠ × ٤م)،

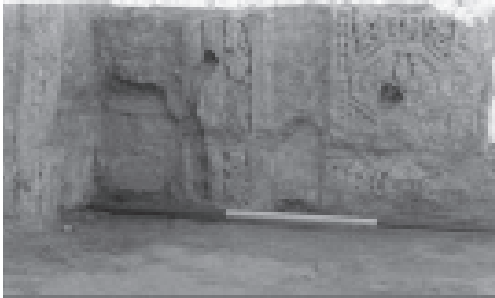
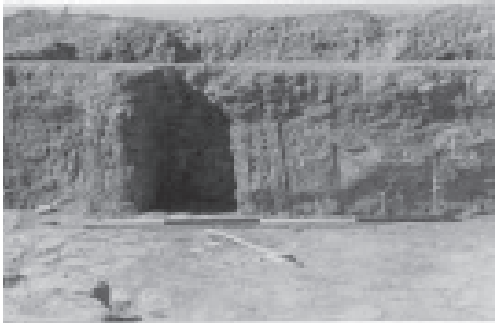
نجدها مزودة أحياناً بدكة من البناء (١,٢٠ × ٢م) هي بمثابة سرير ثابت للنوم والجلوس. بيد إن تنقيبات الموسم الرابع عام (٢٠٠٢م) كشفت عن بيوت واسعة، ومنها على سبيل المثال دار في وسط المدينة لها أهمية خاصة بوصفها ذات مساحة واسعة وحجراتها كبيرة، وموقعها على الخارطة الكنتورية ضمن المربع (H.8). وتصميم الدار تقليدي لا يختلف عن تصميم البيوت الأخرى المكتشفة. يتوسطها صحن مكشوف (٥,٦٠ × ٤,٦٠م) مغطى بالآجر (٢٠ × ٢٠ × ٥ سم) في وسط الصحن بالوعة لتصريف المياه^(٣٦).

إن بعض جدران هذه الدار مبنية باللبن على أسس من الآجر وبعضها الآخر مبني بالآجر فقط، ومجصصة من الداخل والخارج. وتضم الدار المذكورة خمسة حجرات واحدة منها كبيرة أبعادها (٣,٣٠ × ٧م) كسيت أرضيتها بالجص وزخرفت جدرانها الأربعة بإزالة من الزخارف الجصية ولا نعلم ارتفاعها لانقطاعها بسبب عمليات التخريب وقلع الآجر، وارتفاع المتبقي منها متر تقريباً. وقوام الزخرفة عناصر نباتية تمثل أغصاناً وأوراقاً متنوعة تتشكل داخل أطر هندسية لترسم لوحات فنية تذكرنا بزخارف سامراء المشهورة.

ولا شك في أن وجود الزخارف في عدد من البيوت السكنية يعكس أهمية هذه البيوت، ويؤكد استمرار استعمال هذا الأسلوب من الزخرفة في العراق. وفي الوقت نفسه يؤرخ إلى طبقات البناء عند مقارنتها بالزخارف المكتشفة في المدن العراقية الأخرى مثل البصرة والكوفة وواسط وسامراء. ويقينا لو قدر



النخيلية (البالميت) وقد ظهرت في أحد البيوت مكررة في أحد الأشرطة التي تزين جانبي النوافذ وأبواب



(الصورة ٤- زخارف جصية)

ومن الأهمية بمكان عند دراسة هذه الزخارف وتحليل عناصرها أن نلاحظ طريقة الحفر حيث أعتمد الفنان على أسلوب الحفر العميق الفاصل بين العناصر وخلفياتها ليحقق نوعا من التباين بين الظل والضوء.

للتنقيبات أن تستمر سنوات أخرى لكشفت عن بيوت وقصور كبيرة جدرانها مزينة بالزخارف الجصية. ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى الجبس الذي قامت به هيئة التنقيب أثناء الموسم الرابع (٢٠٠٢م)، وكان في أعلى نقطة من المدينة، إذ كشفت فيه عن وحدات سكنية وجدت ضمن الطبقة الخامسة على عمق (٩م)، كانت جدرانها مزينة بالزخارف الجصية، ما يدل على قدم الزخارف الجصية في هذه المدينة. وبصورة عامة فإن الزخارف القليلة المكتشفة في بيوت هذه المدينة تعتمد على عناصر نباتية محددة بأطر هندسية، بعضها مجرد خطوط مستقيمة ناتئة تتقاطع لترسم مربعات مكررة ذات خطوط مزدوجة تضم في داخلها منحنيات ودوائر بارزة في غاية من البساطة. وهذه الزخارف وجدت في الطبقة الخامسة من النقطة الشمالية ج. وهو ما يؤكد قدمها. وهناك نوع ثان من الزخرفة وجدت في نقاط عدة منها النقطة الوسطية بـ ضمن المربع (H.8) في الدار السالفة الذكر، وزخارفها تشبه زخارف سامراء من الطراز الأول والتي تعتمد بالدرجة الأولى على العناصر النباتية مصورة بشكل قريب من الطبيعة داخل اطر هندسية، وتتمثل العناصر النباتية بورقة العنب الثلاثية أو الخماسية الفصوص ذات حفر بسيطة أصطلح عليها بـ (العيون). وهي تنطلق من أغصان ملتوية تحمل معها ما يشبه العناقيد. وبجانب ورقة العنب هناك ورقة أخرى اعتمدت بالزخرفة هي الورقة الرمحية المرتبطة بالساق وجعلها الفنان تتوسط اللوحة داخل الأطر المثمنة وحولها أوراق العنب، وهناك المراحل

وهذا الأسلوب معروف في الطراز الأول من زخارف سامراء وتاريخها يرجع إلى منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي. وأمتاز هذا الطراز أيضاً بصغر العناصر الزخرفية التي اعتمدت على ورقة العنب وعناقيدها وقربها من الطبيعة، لأن فن التجريد لم يظهر في زخارف سامراء على نحو واضح إلا في الطراز الثالث.

● مواد البناء:

أسفرت التنقيبات في المواسم الأربعة عن أرضيات كثيرة داخل بيوت السكن ومنها أرضيات الصحن والحجرات ومعظمها مبلط بالآجر المربع من الحجم الكبير المعروف بالفرشي ($32 \times 32 \times 7$ سم)، وهناك آجر من النوع الفرشي أكتشف بكميات محدودة يغطي أرضيات بيوت أبعاده ($37 \times 37 \times 7$ سم)، وهذا النوع يختلف عن الآجر المستعمل في بناء الجدران والأقبية والآبار والأخير أبعاده ($20 \times 20 \times 5$ سم). والآجر محلي مصنوع في المدينة نفسها. حيث اشتهرت المنطقة منذ القدم بإنتاج أنواع جيدة من مواد البناء ولاسيما الآجر والجص. علماً أن ثخن معظم الجدران المبنية بالآجر (60 سم).

ومن المفيد ذكره أن هناك صعوبة في معرفة أشكال الآجر والتثبت من قياساته عبر العصور التاريخية لحضارة بلاد الرافدين، فمثلاً اختلف شكله اختلفت أبعاده أيضاً. ولم يقتصر تباين الآجر بين المدن وأدوارها الحضارية بل تعداها إلى أن يظهر الاختلاف خلال طبقة واحدة تعود لفترة زمنية معينة. وعلى الرغم من التباين المذكور فقد سادت في بعض العصور أشكال متشابهة تقريباً هدت

الأثريين إلى التعرف على بعض الأدوار التي مرت بها بعض المدن العراقية القديمة^(٣٧).

وبجانب الآجر اعتمد المعمار في بناء البيوت على اللبن وبشكل كبير حيث أظهرت التنقيبات جدراناً مبنية باللبن المربع ذي أبعاد مختلفة منها كبير الحجم ($27 \times 27 \times 7$ سم)، ومنها بحجم الآجر نفسه. أما المواد اللاصقة فتشمل الجص والطين، وفيما يخص الجص فالمناطق القريبة من الأنبار غنية بالحجر الكلسي، كما أنها ذات غطاء نباتي طبيعي ينتشر على شكل شجيرات تغطي مساحات واسعة أستغلها الناس في هذه المناطق للوقود، ليس هذا فقط بل أن جمع الحطب في هذه المناطق وبيعه أصبح مهنة أثناء العصر العثماني. حيث كان الناس ينقلون حزم الحطب كل يوم إلى بغداد بالزوارق عبر نهر عيسى لبيعه هناك.

ومن المعروف إن الحطب هو من أقدم أنواع الوقود المستعمل في صناعة الآجر. وافتقار العراق إلى الغابات دفع الناس إلى الاعتماد على النباتات الصغيرة والأدغال المتوفرة في الأراضي المهملات والتي يكثر فيها أنواع عديدة من الشجيرات الصالحة لهذا الغرض وجمعه وحمله إلى الأفران مناط عادة بالنساء اللواتي يتقاضين أجور زهيدة على ذلك. فضلاً عن روث الحيوانات أو فضلاتها التي تصلح كوقود بعد تجفيفها^(٣٨).

لقد شجع توافر الحجر الكلسي والوقود بكثرة في المناطق القريبة من الأنبار الناس على إنتاج أرقى أنواع الجص في العراق وهي مستمرة حتى يومنا هذا. حيث تنتشر الأفران الخاصة بهذه



الصناعة قرب الأنبار، وهي أفران تقليدية تعرف محلياً ب (الكور)، ومفرها كورة،^(٣٩) واللفظة ترد بالكتابات الاكدية بمعنى فرن لشي الطابوق أو الفخار وتلفظ كورو (kuru)^(٤٠).

ولعل كثرة الأفران الصناعية (الكور) داخل البيوت السكنية في الأنبار تؤشر نشاطاً اقتصادياً وصناعياً مهماً داخل المدينة، ومعظمها أفران صغيرة دائرية الشكل قطرها متر واحد مبنية بالأجر وتكون في العادة عميقة لشي الفخار بالدرجة الأساس والزجاج. فعلى سبيل المثال أظهرت الحفريات ضمن الموسم الثاني (٢٠٠٠م) والتي أجريت في النقطة (E. 9) عن فرنين الأول بيضوي قطره (٢م) ذي سقف مقبب وقد سقط جراء العبث والتقادم، والثاني بمواصفات الفرن الأول نفسها، وهو دائري قطره متر واحد مبني بالطابوق، وقد وجد بالقرب من هذين الفرنين بقايا كتل كبيرة من عجينة الزجاج. كما وجدت كميات من اللبن حول الفرن الأول لعلها كانت مهياة للشي. كما أظهرت حفريات الموسم الرابع في المربع (G.H.8) فرنًا لشي الفخار قطره (٩٠سم) فيه آثار حرق وداخله بعض المخاريط الفخارية التي تستخدم لتثبيت الأواني أو تعليقها أثناء الفخر مزود بفتحة أيقاد صغيرة تتجه نحو الشمال الغربي. وبصورة عامة يمكن القول إن الأفران التقليدية في العراق من اخص الطرائق لشي الأجر والفخار وإيقادها يعتمد على الدغل والحطب الذي ينبت بالأراضي المهملة، ولا يختلف تصميم الأفران في العصر العباسي عن مثيلاتها في العصر العثماني تعلوها قباب مزودة بمدخل واحد يغلق عند الإيقاد ولا يفتح إلا بعد إنهاء عملية الشي.

● اللقى الاثرية المكتشفة ودلالاتها:

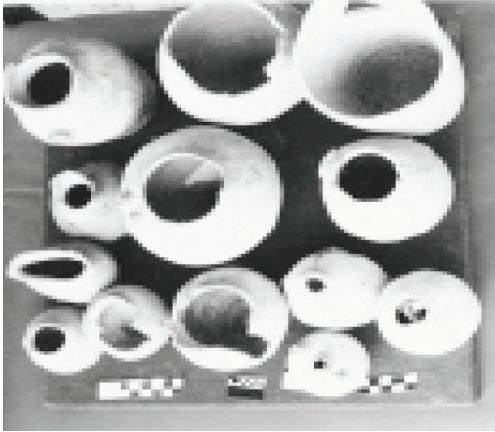
ظهرت أثناء التنقيبات مجموعة من المقتنيات الفخارية والزجاجية والمعدنية والعاجية ومسكوكات ذهبية وفضية ونحاسية. وهذه المقتنيات تعكس شيئاً من طبيعة الحياة لدى سكان المدينة ومستوى معيشتهم، وهي بحد ذاتها شكل من أشكال الفن لها خصائصها وطرزها، وكذلك تساعد على معرفة الفترة التاريخية للطبقات الأثرية ولاسيما بعد مقارنتها بمثيلاتها التي وجدت في مدن ومواقع إسلامية أخرى.

١- الصناعات الفخارية: (الصورة - ٥)

تتصف فخاريات الأنبار بشكل عام بالخشونة حيث صنعت من طينة مخلوطة بشيء من الرمل المخلوط أحياناً بالحصى الناعم وهي لا تخلو من الشوائب والأملاح. وقد أظهرت التنقيبات أشكالاً متعددة من الفخار بعضه مزجج ومعظمه غفل عن ذلك، وتمثلت بالجرار ذات الأحجام المختلفة والأواني والصحون والمسارج (المصابيح) والدمى. وجميعها من مستلزمات الحياة اليومية في المنزل.

وهناك مجموعة من الجرار الصغيرة المزججة باللون الأخضر أو الأزرق مخروطية الشكل أو ذات بدن دائري مصنوعة بعناية تشبه جرار سامراء التي تعود إلى القرن الثالث الهجري^(٤١). كذلك أظهرت الحفريات جراراً متوسطة وأخرى كبيرة الحجم غير مزججة ذات أبدان كروية منفوخة أو بيضوية، بعضها مكسي بمادة القير من الداخل مما يدل على استعمالها في حفظ السوائل. وأخرى اسطوانية الشكل خالية من القاعدة والمقبض تحمل على مساند. فضلاً عن ذلك فقد أنتج الفخارون في مدينة

والأخيرة على سبيل المثال مكتوبة باللون القرمزي على قاعدة مزججة باللون الأصفر. كما ظهرت بعض الأسماء مكتوبة بالمداد الأسود منها جرة كبيرة ارتفاعها ٧٠ سم وقطرها ٥٠ سم تحمل اسم صاحبها أو صانعها (سبيل الإبراهيمي). وهناك كتابة أخرى بالسريانية وجدت على ثلاثة أوان من الفخار مما يشير إلى إن بعض سكان الأنبار كانوا يدينون بالنصرانية ولهم فيها أديرة. ومن أهمها دير العمر او ماريونان^(٤٣)، كما أسلفنا.



(الصورة - ٥) مجموعة من الأواني الفخارية المزججة وغير المزججة

٢- صناعة الزجاج:

لكثرة ما عثر على كسر الزجاج في موقع الأنبار أخذ المنقبين يعتقدون إن صناعة الأواني الفخارية الصغيرة قد أهملت لانتشار صناعة الزجاج في المدينة. حيث عثر في الجزء الغربي من المدينة على كتل كثيرة من العجينة الزجاجية بألوان متعددة وعدد من الأفران، مما يدل على إن هذه المدينة كانت لها الريادة في هذه الصناعة، لاسيما ان المواد الأولية وعلى رأسها السيليكات متوافرة

الأنبار أنواعا أخرى أبدانها مزخرفة بوساطة القالب أو اللصق والزخرفة الأخيرة تعرف عند المختصين بـ (الباربوتين) وهي تعود إلى أواخر العصر العباسي. أما الزخارف فكانت متنوعة بعضها هندسية ونباتية وأخرى رسوم حيوانية مثل الغزال والأسد والقط.

لقد عثر على عدد من جرار الباربوتين الكبيرة والمتوسطة، ارتفاع أحدها كان (٧٢ سم) وقطر بدنها (٥٢ سم) ليس لها قاعدة وذات فوهة دائرية ولها ثلاثة مقابض مزينة بصفيرة من الباربوتين وعلى بدنها خطوط متموجة ومتقاطعة. كما عثر في حفريات الأنبار على أوان وصحون دائرية مزججة ومزينة بأنواع الزخارف الهندسية والكتابات. وهي ذات ألوان متعددة منها الأزرق والأخضر والأسود والأصفر. وهي على الأرجح تعود للقرنين السادس والسابع الهجريين^(٤٢).

وبين الصناعات الفخارية التي عثر عليها المصابيح أو المسارج المزججة وغير المزججة، وكانت تعد من أهم وسائل الإنارة لرخص ثمنها وسهولة صناعتها حيث وجد منها أشكال متنوعة. ومن بين المقتنيات الفخارية في الأنبار الدمى التي تصنع لعب للأطفال على شكل فرسان على صهوات الجياد أو أشكال حيوانية. فضلا عن الصور الآدمية حيث عثر في حفريات الموسم الرابع على لوح فخاري أبعاده (١٨×٩×١ سم) مرتب على هيئة امرأة بارزة المعالم ترتدي قميصاً وعلى رأسها غطاء ولها جدائل مدلات إلى الأمام.

إن بعض الآتية الفخارية أو كسر الفخار المزجج التي عثر عليها في الموسم الثاني كانت تحمل كتابات بسيطة بعضها بالخط الكوفي منها عبارة (محمد رسول الله) و (علي رض) و (الرسول محمد ص)

في المنطقة. كما عثر على مجموعة طيبة من القناني والقوارير والأواني الزجاجية الصحيحة والمكسورة، وهي متقنة الصنع بعضها شفاف أو نصف شفاف وبعضها معتم وهي ذات لون رصاصي أو أزرق فاتح أو أبيض. ومعظمها ذات بدن اسطواني أو كروي أو مربع. وبجانب القناني والصحون وجدت بعض الاساور ومراود الكحل.

٣- المسكوكات: (الصورة - ٦)

لا شك في أن للمسكوكات أهمية كبيرة في تحديد عمر الطبقات الأثرية، وهي مصدرا من مصادر التاريخ السياسي والاقتصادي للدولة والمدن التي تسك فيها العملات. وهاشمية الأنبار من بين المدن الإسلامية التي ضربت فيها المسكوكات في العصر العباسي، ما يعكس أهميتها التاريخية والحضارية. لذلك لا غرو أن يعثر فيها المنقبون على مجموعة من الدنانير والدراهم والفلوس. ففي الموسم الأول (١٩٩٩م) عثر على مجموعة من المسكوكات معظمها نحاسية وعدد منها فضية تعود إلى مختلف العصور الإسلامية أموية وعباسية وواحدة أيوبية وأخرى ايلخانية تحمل اسم اباقا خان ابن هولاكو، فضلا عن العثمانية



(الصورة - ٦) دنانير ذهبية من الموسم الرابع

كما عثر في الموسم الثاني (٢٠٠٠م) على مجموعة أخرى أهمها كنز من الدنانير الذهبية عيار (٢٤)، محفوظ بقاعدة أثناء فخاري مزجج ومغطى ببدن قنينة زجاجية حمراء داكنة اللون تراوحت أوزانها بين (٤,٥ - ١٢,٥ غم). وهي تحمل مكان الضرب مدينة السلام وتاريخها بين (٦٠٠ - ٦١٨ هـ)، أي أن جميعها مضروب في عهد الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ). كما عثر على مجموعة أخرى من المسكوكات الفضية بلغ عددها (٢٤) مسكوكة محفوظة في جرة فخارية معظمها يعود إلى عصر الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠ هـ).

أما المجموعة الثالثة فتتمثل بالفلوس النحاسية وهي مجموعة طيبة لما تحمل من مادة علمية قيمة بدلالات تاريخية وجدت مبعثرة على سطح التل وبين طبقاته البنائية. وهي أموية وعباسية وايلخانية وعثمانية.

أما في الموسم الثالث فنحن لا ندري ما اكتشف من مسكوكات فيه لاختفاء التقارير الخاصة بتتبعيات هذا الموسم حيث تعذر علينا الحصول عليها كما أسلفنا. أما الموسم الرابع (٢٠٠٢م) وهو الأخير، فقد اكتشف فيه كنوز من المسكوكات المهمة، بوصفها تعكس النشاط الاقتصادي والاجتماعي لهذه المدينة، وفي الوقت نفسه تؤرخ للطبقات وتحدد أدوارها التاريخية. وأهم مجموعة عثر عليها من هذه المسكوكات هي مجموعة من الدراهم الفضية بلغ عددها (٢٨٥) درهماً، منها (٨٥) مؤرخة في القرنين الأول والثاني الهجريين. أي أموية وعباسية مبكرة، والأموية بعضها ضرب في مدينة واسط وتبدأ من خلافة الوليد بن عبد الملك

وتنتهي بخلافة مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية. وهي تحمل على الوجه عبارة التوحيد وعلى الظهر سورة الإخلاص. أما العباسية فتبدأ بخلافة أبي العباس السفاح مروان بالمنصور والمهدي والرشيد والأمين وتنتهي بخلافة المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ)، مضروبة بالكوفة وواسط ومدينة السلام.

والجدير ذكره إن هذه المجموعة من الدراهم فيها مسكوكات فضية ساسانية بعضها يحمل على الوجه صورة الملك الساساني كسرى الأول وعلى الظهر دكة النار المجوسية وعليها كتابات بالفهلوية. وبعضها الآخر يحمل على الوجه اسم الملك كسرى الثاني وصورته ومعه اسم الوالي الحجاج بن يوسف، وعلى الطوق بسم الله الرحمن الرحيم، وهذا النوع من المسكوكات مصنف عند المختصين على أنه إسلامي على الطراز الساساني، وهي مضروبة في بداية تعريب المسكوكات. لذلك تعد ذات أهمية عند متابعة مراحل التعريب التي نضجت في عهد عبد الملك بن مروان.

وهناك مجموعة أخرى لا تقل أهميتها عن المجموعة الأولى، وقوامها دراهم فضية بلغ عددها أكثر من مائتي درهم وجدت في حالة جيدة من الحفظ في جرتين من الفخار. تعود للفترة التيمورية مؤرخة في السنوات (٨٣٠ - ٨٥٣هـ). وهي تحمل أسماء السلاطين التيموريين كما يحمل بعضها مدن الضرب مثل مدينتي كاشان وسمرقند.

ومن المفيد ذكره، أن هذه المسكوكات التيمورية تؤكد حقيقة مهمة مفادها إن هاشمية الأتبار كانت نابضة بالحياة أثناء القرن التاسع الهجري. ولاسيما إنها وجدت في الطبقة الأولى

التي تمثل أعلى نقطة بالتل الأثري، وعلى بُعد نصف متر فقط من سطح التل، أي وجدت ضمن الطبقة الأحدث عهداً، والتي ترتفع عن السهل المحيط بالمدينة بـ (١٣ م) كما هو مؤشر على الخارطة الكنتورية للموقع الممثل بالمربع (N.9).

وعلى الأرجح إن هذه النقطة سلمت من النباش العشوائي الذي كان يقوم به سكان المناطق القريبة بقصد الحصول على الآجر في العصر العثماني وبعده، وذلك لكونها مقبرة قديمة استعملت لدفن المسلمين من أهل المنطقة لفترات طويلة من التاريخ حيث ظهرت قبورها أثناء التنقيبات بين الطبقات البنائية وبأعماق مختلفة.

وعلى هذا فإن الهاشمية لم تُهجر قبل منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وربما استمر فيها السكن حتى أواخر القرن التاسع الهجري، أي قبيل العصر العثماني الذي بدأ في عام (٩٤١هـ / ١٥٣٤م)، والحقيقة لم يكن لهاشمية الأتبار دور يُذكر في بداية العصر العثماني، في حين شاع ذكر الفلوجة العليا التي تقع جنوب الأتبار بحدود (٣٠ كم). والأخيرة محطة مهمة لإستقبال البضائع القادمة من الشام عبر نهر الفرات، حيث كانت تنقل إلى الفلوجة بالشخاتير ثم تنقل مرة ثانية على ظهور الحيوانات إلى بغداد^(٤٤).

الهوامش:

- (١) تعذر على الباحث من الحصول على تقارير الموسم الثالث (٢٠٠١) من دائرة الآثار والتراث لاختفائها.
- (٢) البلاذري، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٨١.
- (٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، دار الكتب



- العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ص ٣٧٥.
- (٤) ابن الفقيه الهمداني، البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٢١٦.
- (٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، دار صادر، ط ٢، بيروت، ١٩٩٥، ص ٢٥٧.
- (٦) الدينوري، احمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٣٩٠.
- (٧) ابن شاکر الكتبي، فوات الوفيات، ج ٢، تحقيق أحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٤، ص ٢١٥.
- (٨) ابن عبد الحق، الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج ١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢، ص ١٢٠.
- (٩) الحميري، محمد بن عبد الله، الروض المعطار في أخبار الأقطار، ج ١، تحقيق إحسان عباس، دار السراج، بيروت، ١٩٨٠، ص ٥٩١.
- (١٠) ابن خلكان، شمس الدين احمد، وفيات الأعيان وإنبياء أبناء الزمان، ج ٢، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠، ص ٢٩٠.
- (١١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٤.
- (١٢) الطبري، المصدر السابق، ج ٧، ص ٤٧٠.
- (١٣) القرمانى، احمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج ٢، دراسة وتحقيق احمد حطيط و فهمي سعيد، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٧٤.
- (١٤) الدينوري، المصدر السابق، ص ٣٧٥.
- (١٥) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢، ص ٢٠.
- (١٦) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج ٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ص ٢٩٣.
- (١٧) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٣٣.
- (١٨) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق احمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٢-١٩١٤، ص ٣٨٨.
- (١٩) البلاذري، المصدر السابق، ص ٢٨٤. ابن الفقيه الهمداني، البلدان، ص ٢٦٣.
- (٢٠) الغزي، كامل بن حسين الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ٢، دار القلم، ط ٢، حلب، ١٤١٩هـ، ص ١٨١.
- (٢١) أنظر التعلق الذي كتبه سالم اللوسي عن الأنبار، في مجلة سومر، م ١٧، ١٩٦١م، ص ١٥٣، هامش ٣٧.
- (٢٢) الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ١٠، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٥٦٦.
- (٢٣) المصدر نفسه، ج ١١، ص ٨٩٥.
- (٢٤) ابن عبد الحق، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٧٧.
- (٢٥) موسيل، الفرات الأوسط رحلة وصفية ودراسات تاريخية، ترجمة صدقي حمدي و عبد المطلب عبد الرحمن داود، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤١١-١٩٩٠، ص ٥٨٧.
- (٢٦) ياقوت الحموي، المصدر السابق، م ٢، ص ٥٣٧.
- (٢٧) الشابشتي، ابو الحسن علي بن محمد، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، دار المدى، بغداد، ٢٠٠٨، ص ٦٣.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ٦٣.
- (٢٩) الاصلطخري، المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت، ص ٥٤.
- (٣٠) كاتب مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ج ١، تحقيق وترجمة الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ص ١٦٣.
- (٣١) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩، ص ٦٥٦.
- (٣٢) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، ج ٢، دار الشرق العربي، د.ت، ص ٥٠٣.

(٣٣) - ابن الجوزي، جمال الدين، المنتظم في تاريخ الامم ٤٠، ١٩١٤، ص ١٦١.

والمملوك، ج ٨، تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى (٣٩) الكُورُ: للكلمة مدلولات ومعان كثيرة في معاجم اللغة

عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢ - وجمعها أَكُورٌ وَأَكُورٌ وَكِيرَانٌ، والكور هو مَجْمَرَةُ الحَدَّاد

١٩٩٢، ص ٢١١. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢، ٢٩٧.

(٣٤) الدينوري، المصدر السابق، ص ٣٩٠.

(٣٥) دائرة الآثار والتراث / قسم التوثيق / أضرابة رقم الحداد. ينظر ابن منظور، لسان العرب ، م ٤، دار صادر،

بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٥٦ م، مادة كور. الفيروز آبادي، ٣٩ / ٥ تلؤل الأنبار.

الحقيقة لم نطلع على الصور الجوية البالغ عددها خمسة القاموس المحيط، ج ٢، المطبعة المصرية، مصر، ١٩٥٢،

عشر كما ورد في إحدى المراسلات التي دارت بين وزارة ص ٢٢٣.

(٤٠) د. صلاح رشيد الصالحي، الكلمات الاكديّة في الدفاع ومديرية الآثار القديمة عام ١٩٣٤، وان الاضرابة

الخاصة بموقع الأنبار والتي يحتفظ بها قسم التوثيق اللهجة التراثية البغدادية، ندوة البيوت التراثية البغدادية،

بدائرة الآثار اليوم ليس فيها سوى صورتين. مركز إحياء التراث، جامعة بغداد، ١٩١٢ م، ص ١٣٠.

(٣٦) تقرير أولي عن هيئة التحري والتنقيب في مدينة (٤١) هيرسفيد، تنقيبات سامراء، ج ٢، ترجمة علي يحيى

الأنبار الأثرية، الموسم الرابع ٢٠٠٢، قسم التوثيق، دائرة منصور، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٦

(٤٢) حيدر فرحان حسين، فخاريات مدينة الأنبار الأثرية الآثار والتراث.

(٣٧) عباس علي التميمي، الطابوق صناعته وقياساته في تنقيبات الموسم الأول ١٩٩٩، سومر، م ٥٣، ص ٤٣٠.

العراق القديم، سومر، ج ١-٢، م ٣٨، ١٩٩٢ م، ص ٢٧٩. (٤٣) الشابشتي، المصدر السابق، ص ٦٣.

(٣٨) سعدي إبراهيم الدراجي، صناعة الأجر (الطابوق) (٤٤) سعدي إبراهيم الدراجي، الفلوجة العليا في المصادر

في العراق أواخر العصر العثماني «دراسة في الأساليب الجغرافية وكتب الرحلات، المورد، العدد ٣، ٢٠١٦، ص ٩٧

وتقنيات العمل» مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد - ١٣٠.



Hashimiyat Al-Ambar through heritage inspecting

By: Dr. Saadi Ibrahim Al- Daraji 

Abstract

Ancient Ambar was as Babylon city as some researchers thought and it may be developed through the Sasan reign until it became famous in Iraq after Taysafon city . it had surrounded to be as a castle against Rome . it sited beside Euphrates and Jesus which gave it special importance

Hashimiyat Al Ambar that had built by Abu Al Abbas Al safah in 134 AH it would be built beside the first one and it had lived by Al·Mansur before he built his capital (Baghdad) it also had stayed until the end of 9th century /the fifteenth M .it appears today as group of that sited in the north of Fallujah in a distance about 6 KM . The office of heritage tried to inspect in some choice points for four seasons arrived to 2002 . through inspecting it can discovered the civilization role as building units there in addition to gold cooper and silver money which can be back to Susan reign that was as Dirhams that printed Cesar photo in it and also founded many kinds of dirhams in it.



المجلس الأعلى للثقافة
البحر في التراث والتاريخ

قلعة أربيل

دراسة في المصادر الأثرية والتاريخية



* م.د. لقاء شاكر خطار



● المقدمة :

يناقش البحث قلعة أربيل وفقاً للمصادر الأثرية والتاريخية، وكونها من أقدم المدن المحصنة والمأهولة بالسكان، كما كانت شاهداً على مراحل تاريخية عدة منها السومرية والآكدية والبابلية والآشورية والميدية والساسانية والإسلامية، مما أعطى ذلك للباحث دافعاً لدراسة الموضوع

أن أهمية الدراسة تكمن في إعطاء فكرة واضحة عن تاريخ بناء القلعة، فضلاً عن ذكر أهم المصادر الأثرية والتاريخية التي تركت لنا وصفاً شاملاً عن القلعة والمدينة المحيطة بها.

● الموقع الجغرافي :

تقع مدينة أربيل (٣٠٠) كم شمال بغداد، وهي مدينة تاريخية قديمة تشتهر بقلعتها، ويرجع بعض المؤرخين تاريخ وجود قلعة أربيل إلى ما قبل أكثر من ٦٠٠٠ سنة، وهي بذلك من أقدم المراكز الحضرية الحية التي سكنها الناس ومنذ أقدم العصور، كما أنها عاصمة منطقة إقليم كردستان^(١).

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



وتوصف جغرافية أربيل بأنها معقدة كونها تقع في منطقة الأراضي المتموجة والمحاذاة للمنطقة الجبلية الشمالية الشرقية من جهة ومنطقة السهول الجنوبية والجنوبية الغربية من جهة أخرى^(٣).

أما ارتفاع القلعة عن مستوى سطح البحر فيبلغ ٤١٥ م وتتربع على مرتفع لسطح المدينة يبلغ ارتفاعه حوالي ٢٦ م بمساحة تقرب من ١٠٩ ألف متر مربع، مما يجعلها منطقة تمتاز بالرطوبة^(٣) وعن حدودها فيمكن القول انها يحدها من الشمال تركيا وقسم من محافظة نينوى ومن الجنوب محافظة التأميم، ومن الشرق إيران وقسم من محافظة السليمانية، ومن الغرب محافظة نينوى^(٤) وتبعد مدينة أربيل حوالي (٨٧) كم الى الجنوب الشرقي من مدينة الموصل وحوالي (٩٦) كم الى شمال مدينة كركوك، كما وتبعد حوالي (٣٤٦) كم عن مدينة بغداد وتقع المدينة على خط طول (٤٤) درجة شرقا وعلى خطي عرض ٣٦،٥ و ٣٦،٥ درجة شمالا^(٥) وتقدر مساحة الأرض المشغولة في المدينة حوالي (١٥٤٠) هكتارا^(٦).

● الجذور التاريخية لقلعة أربيل :

أن تسمية مدينة أربيل هي في الحقيقة تسمية قديمة ، وهذا ما أشار اليه الكثير من الباحثين في كتاباتهم لاسيما الباحث الاثري المعروف (طه باقر)، أذ جاء ذكرها لأول مرة في كتابات الملك السومري (شولكي) أو شومكي بحدود (٢٠٠٠ ق. م) بصيغة (أوربيلم)، ووردت أيضا بصيغة (أربيل بالفتح)، حيث كانت ضمن امبراطورية أور الثالثة^(٧).

وذكرت أربيل أيضا في الكتابات البابلية والاشورية بصيغة (أربلا) ، وورد أسم معبدها في الكتابات المسمارية بصيغة (أي - كشان - كلاما) ومعناه بيت سيدة الاقليم^(٨) ويوجد فيها معبد مهم للاله أشور^(٩).

أما النقوش الفارسية المكتوبة بالخط المسماري فسمتها بأسم (أربيرا) بينما ذكرت المصادر اليونانية القديمة بأسم (أربيل)، في حين أطلقت عليها المصادر العربية والبلدانيون العرب أسم (أربل) أي الأرض المخضرة^(١٠) ومن المحتمل أن الموقع الممتاز للمدينة قد أضفى أهمية جديدة عليها وذلك لوقوعها في سهل أربيل على ملتقى العديد من الطرق المهمة التي تربط شمال القطر بوسطه وجنوبه، ومنها يتم الدخول الى المنطقة الجبلية ذات الأهمية الاقتصادية الكبيرة، ونظرا لهذه الميزة، فقد أصبحت المدينة مركزا تجاريا لطرق القوافل عبر قرون طويلة، الأمر الذي حافظ على المدينة وأسمها القديم من الأندثار في حين أندثرت مدن آشورية كثيرة كانت يوما ما مشهورة^(١١) وتميزت مدينة أربيل بأحداثها التاريخية منها احتفال الملك الاشوري (ناصر بال ٨٨٥ - ٨٦٠ ق. م) بأعدام الملك (كيرخي) وتعليق جثته على اسوارها، وقيام سنحاريب سنة (٦٨١ ق. م) بأبصال الماء اليها خلال قناة تمتد من وادي باستورة لمسافة (٢٠) كم وما زالت آثار هذا المشروع باقية^(١٢). وتجدر الاشارة الى أن اربيل أشتهرت بالمعركة التي وقعت بين الاسكندر المقدوني من جهة وداريوس ملك الفرس من جهة أخرى عام (٣٣١ ق. م)، تلك المعركة التي عرفت في التاريخ القديم بمعركة (أربيل)، وفيها انتصر الاسكندر المقدوني على الجيش الفارسي وبسط سيطرة المقدونيين فيما بعد على أرض الامبراطورية الفارسية، الامر الذي حدد مصير قسم كبير من اسيا لفترة كبيرة من الزمن^(١٣) ويقال ان داريوس الملك الاخميني بعد خسارته الحرب أتجه نحو أربيل وترك في قلعتها كنوزه ثم هرب، وقتل على يد بعض أتباعه، وفي نهاية القرن الثالث الهجري أصطدم الهذبانويون الاكراد بنفوذ الدولة العباسية محتفظين بأمارتهم في أربيل واتخذوا من قلعتها كرسيا لهم طيلة عهد السيطرة البويهية على العراق (٣٣٤-٤٤٧هـ)^(١٤).

حافظت قلعة أربيل على وضعها المميز فيما بعد، وخلال فترة الحكم الإسلامي، حتى بلغت أوج عظمتها في القرن الخامس الهجري، في عهد الدولة الاتابكية (٥٢٢-٦٢٦هـ)^(١٥). وقد ورد ذكر قلعة أربيل ووصفها من قبل العديد من الشخصيات أمثال ياقوت الحموي المتوفى سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) أن أربيل هي قلعة ومدينة كبيرة في فضاء واسع من الأرض، وإنها شبيهة بقلعة مدينة حلب إلا أن قلعة أربيل أكبر وأوسع رقعة، وإنها محاطة بخندق عميق، وهي كانت مدينة كاملة فيها أسوار ومنازل، وجامع للصلاة وكذلك فيها المدرسة التي بناها الأمير (سرفتكين الزيني) نائب زين علي كجك، وسميت بمدرسة القلعة، وقد أصبحت القلعة المقر الرسمي للأمير ألتابكي سنة (٥٣٩هـ)^(١٦) ويعتقد الاثريون أن القلعة ليست إلا بقايا مدينة آشورية مهمة تعرف بأسم (أربا - أيلو) ومن المحتمل جدا أن القلعة كانت تضم كل المدينة كل المدينة يوما ما ومع التطور التاريخي أصبحت تقع على طرف المدينة^(١٧)، وقد بقيت القلعة مسورة في العهود الإسلامية وكانت تضم مركز للسكن وحصنا للدفاع كما كانت تضم في العديد من جهاتها بعض الابراج ومكامن الدفاع، لم يظفر بها المغول في هجماتهم المتوالية على أربيل، وبقيت القلعة طيلة العهود التالية التي تلت الاحتلال المغولي الأخير سنة (٦٥٦هـ) حصنا قويا للدفاع، وآخر ذكر للقلعة كمركز دفاع عسكري كان عند احتلال نادر شاه لأربيل سنة (١٧٣٢م) حيث حاصرها لمدة ستين يوما قبل أن يفتحها^(١٨).

ولقد وصف سائح مر بأربيل سنة (١٧٦٦م) القلعة « أنها أجمعت عليها البيوت ولاسيما حول حافة التل بصورة متماسكة فلا يستطيع احد أن ينفذ خلالها الى داخل المدينة (القلعة) » إلا من داخل باب القلعة^(١٩) نستنتج من ذلك أن السائح كان يطلق على أربيل اسم القلعة الأمر الذي يشير

الى أنه حتى ذلك التاريخ كانت القلعة تضم معظم الفعاليات البشرية رغم انه من الممكن جدا وجود فعاليات قرب القلعة ولكن خارج أسوارها^(٢٠) أن ماتقدم يشكل مادة أساسية للاعتقاد أن القلعة مرت بثلاثة أدوار مكانية هي :

الأول: أن القلعة كانت هي المدينة بأكملها .

الثاني: أن القلعة كانت القسم الأكبر من المدينة .

الثالث: أن القلعة جزء صغير من المدينة^(٢١).

قلعة أربيل في كتب الرحالة العرب والأجانب:

وصف السائح الذي مر بأربيل عام (١٧٦٦م) القلعة بأنها كانت كل المدينة أو قسما منها، كما كانت ذات كثافة سكانية عالية كما وصفها الرحالة الألماني الاصل (نيبور) عام (١٧٣٣-١٨١٥م) أثناء رحلته من البصرة الى أربيل عام (١٧٦٦م) أن ذكر في وصفها مانصه:

« أنها أجمعت عليها البيوت ولاسيما حول حافة التل بصورة متماسكة فلا يستطيع أحد أن ينفذ خلالها الى داخل القلعة إلا من داخل باب القلعة »^(٢٢) مما يوضح ذلك أن القلعة كانت تمتاز بفعاليات بشرية بمختلف النشاطات، كما ورد ذكر القلعة في رحلة (جيمس ريج) التي قام بها الى أربيل عام (١٨٢٠م) وكان الهدف من الرحلة لأربيل الحصول على مسح شامل للمنطقة في إطار بعثة علمية^(٢٣)، وورد ذكر القلعة في رحلة (المنشيء البغدادي) وهو محمد بن أحمد الحسيني الذي كتبها عام ١٨٢٢م، وأورد فيها معلومات عن عدد سكان القلعة وماحولها الذي بلغ (٥٠٠٠) نسمة منها (٤٠٠٠) نسمة في داخل القلعة و(١٠٠٠) نسمة خارجها^(٢٤)، كما وصف ياقوت الحموي قلعة أربيل كانت عبارة عن مدينة كاملة تتم فيها كافة الفعاليات البشرية^(٢٥).

يتضح مما تقدم أن هذه المعلومات التي دونت من قبل الرحالة العرب والأجانب عن قلعة أربيل قد شكلت جانبا غزيرا من المعلومات الاثرية و



التاريخية والجغرافية والسياسية وتأتي أهمية اربيل من اهمية القلعة التي حافظت على المدينة وحمتها في كل المراحل التاريخية، وبعض الكتاب اشار الى أنه لولا القلعة لتعرضت المدينة الى تغير حتى في مكانها، وهذا طبيعي، إذ لا يوجد ما يمنع انتقال القلعة الى مكان آخر، لأنها لا تقع على نهر يحول دون هذا الانتقال وكذلك لا يحيط بها عائق كالجبل، بل ان المدينة ومن ثم القلعة واقعة وسط سهل مترامية الاطراف، كما هو معروف ولهذا فأن هذه القلعة حافظت على استمرار بقاء مدينة اربيل وفي هذه البقعة، واستمرار الحياة فيها، بل وبقاء المدينة محتفظة بأسمها القديم^(٢٦)، فعلاقة القلعة بالمدينة كانت علاقة قوية من حيث استيعابها السكان ومؤسساتهم الوظيفية انذاك، وأصبحت القلعة اليوم رمزا أثريا وتاريخيا للمدينة من حيث نسيجها الحضري والتراثي.

● أسباب بناء القلعة :

كان الدافع وراء بناء القلعة هو وسيلة دفاعية بالدرجة الاساس، ولذلك تعد قلعة اربيل التي بنيت على شكل دائري، وفق أغلب المصادر التاريخية إحدى أقدم المدن المستوطنة في التاريخ القديم، إذ بدأ السكن فيها منذ آلاف السنين^(٢٧)، وهي كانت شاهد على حضارات قديمة منها السومرية والاكديّة والبابلية والاشورية والميدية والفارسية والرومانية والساسانية والاسلامية، ويقول أكثر الباحثون بأن القلعة تقع وسط مدينة اربيل ويعود تاريخ بنائها الى فترة ما قبل تدوين التاريخ، وبنيت أصلاً لأغراض دفاعية^(٢٨)، ويظهر ذلك من شكلها الاسطواني، والقلعة تدور حولها الكثير من القصص، منها إن القلعة كانت عبارة عن تلة من الارض، قام الناس ببناء بيوتهم عليها بشكل دائري حفاظاً على أرواحهم ووممتلكاتهم، ويحيط بالقلعة سور من جميع الجهات، وتمتاز القلعة بشوارع ضيقة لاتكاد تكفي لعبور المارة والحيوانات، كما توجد بعض

الطرق التي تسمح بمرور العربات التي تجرها الخيل^(٢٩)، إذ كانت القلعة تفتقر الى الشوارع العريضة والمستوية، فغلب عليها طابع الخصوصية من حيث وجود الأزقة الضيقة والمتعرجة، وبنيت القلعة على شكل يتيح التجمعات السكانية^(٣٠).

أما بالنسبة للسور الذي يحيط بالمدينة فقد أثر بشكل أو آخر على اتجاهات ومقاييس الشوارع والازقة والوحدات السكنية مما أثر بدوره على أستغلال مساحة المدينة بشكل مكثف عن طريق تقليص مساحات الشوارع والبيوت والتوسع العمودي، مثل أنشاء بيوت ذات طبقتين، إضافة الى أنشاء السرايب فيها، بغرض الافادة منها في خزن المواد الغذائية أو للقبولة فيها أيام الصيف الحارة، اما بالنسبة لسوق القلعة فهو يمتد على طول القلعة^(٣١) ويمكن القول أن القلعة مرت بثلاثة أدوار مكانية، حيث كانت المدينة بكاملها في بادئ الامر، ومن ثم أصبحت القسم الأكبر من المدينة، واخيراً أصبحت الجزء الأصغر من المدينة^(٣٢) وأهم ما يميز القلعة هو مسألة الصعود اليها الذي لا يتم الا من خلال بابين قديمين هما:

الأول: الباب الجنوبي المواجه لسوق المدينة، كان عبارة عن برج قديم يعود تاريخ بناءه الى عام (١٨٦٠م)، وكان منظره يوحي بأنه كان حصناً منيعاً، وكان امتداد الباب الى داخل القلعة يضيء الى سراي الحكومة ومدرسة ومستوصف ودار للعجزة^(٣٣)، الا أنه هدم عام (١٩٦٠م)، وتم تشييد الباب الجنوبي الجديد من قبل المكتب الاستشاري العراقي^(٣٤)، والذي لاعلاقه له بالباب القديم في كل ادواره التاريخية^(٣٥).

الثاني: الباب الشمالي المواجه لقصبة عنكاوه، وكان الباب الرئيس للقلعة الواقع في الجهة الجنوبية منها يمثل برجاً عظيماً، كان منظره يدل على أنه كان حصناً للقلعة، وقد هدم هذا الباب خوفاً من أنهاره **تتكون القلعة من ثلاثة أحياء مشهورة هي :**

١- حي السراي: الحي الاول كان يعرف بـ (السراي)، لأن أغلب دوائر الدولة في العهد العثماني، كانت موجودة في هذا الحي، ويقع عند البوابة الرئيسية الجنوبية، وكان الحي عبارة عن أزقة ضيقة (كوجه) ويقع في هذا الحي زقاق الاغوات، وكان يسكن فيه وجها وأشرف أربيل، ويقع فيه ايضا مسجد ومدرسة الحاج أبراهيم أفندي، وتكية شيخ زاده، وهي أقدم التكايا القادرية في أربيل، ويعود تاريخ انشائها الى العهد الاتابكي، كما يوجد في هذا الحي دار وديوان الحاج ويسى أغا) وهو جد الوجيه الاربيللي التركماني الشهير (عطا أغا)، وديوان رشيد أغا، ودار الشيخ جميل افندي، والحاج قاسم أفندي، والحاج عبد القادر جلبي، وشهاب جلبي، ومحمود جلبي، وأحمد جلبي، وسنان جلبي، ومسكن شيخ أغا، كما يوجد دار وديان الأربيللي المعروف (علي باشا دوغرامجي)، ودار الشاعر التركماني الكبير عبد الرزاق أغا، وغيرهم من وجهاء أربيل^(٣٦)، وتشير بعض الأحصائيات الى أن نسبة السكان في هذا الحي تبلغ (١٧٧٩)، وان عدد الدور يبلغ ١٩٩ دار، وان اعلى نسبة سكان كانت في هذا الحي^(٣٧).

٢- حي التكية: هذا الحي يقع في الجهة الشمالية الغربية من القلعة، وهناك أراء عدة حول تسميته بهذا الاسم، فهناك من يقول سمي بالتكية نظرا لوجود تكية الشيخ إبراهيم الكيلاني، التي تقع في هذا الحي، وهناك من يقول أنه سمي كذلك لوجود تكية الشيخ عبد الله المؤذن المتوفى سنة (١٨٣٩م)، والاحتمال الاخير ارجح استنادا الى تاريخ التكية الموغل في القدم^(٣٨)، وقد أندثرت آثار هذه البناية القديمة بعد شق وتبليط الشارع الذي يربط البوابة الجنوبية بالبوابة الشمالية^(٣٩). ومن الجدير بالذكر أن من أقدم الآثار الدينية في هذا الحي هو الجامع الكبير في القلعة أو كما يطلق عليه

بملا أفندي جامعي وحمام القلعة، كما ويقع في هذا الحي (دار بروغ) أي الزقاق الضيق، وسمي بهذا الاسم لضيق طريق هذا الزقاق، وزقاق الامام (أمام كوجسي)، وسمي بهذا الاسم لوقوع ضريح الشيخ الكيلاني وزقاق (يدي قزلار)، أي الفتيات السبعة وزقاق الخرابة (خرابا كوجسي)، وسمي بهذا الاسم لوجود موقع لأبنية مهمة فيها، وموضع لجمع النفايات^(٤٠)، كما يوجد في هذه المحلة العديد من المدارس الدينية الصغيرة مثل مدرسة ومسجد ملا رسول أفندي^(٤١) واشتهر حي التكية ببعض الدور السكنية مثل دار قاسم أغا، التي تعود ملكيتها الى المرحوم العلامة ملا رشاد المفتي، كما تقع في هذا الحي دور عائلة اليعقوبي، والقارئ الكبير سيد مروان كركولي، والحاج ألياس أفندي^(٤٢)، والحاج خضر ومحمد سلطان ترزي، وأحمد أفندي وملا عبد الكريم قهوهجي والسيد يحيى والسيد قادر ودار الحاج ملا خضر ودار ياسين وجرجيس طوبال وعثمان قادر جلبي ومحمد رجب حلوجي وملا عثمان وسيد كريم دهمرجي والحاج قاسم نونو، وآخرين^(٤٣). ويذكر أن عدد الدور السكنية في محلة التكية هو (١٣٨) دارا، ويبلغ عدد نفوسها حسب أحصاء ١٩٧٧ م، بـ (١١٤٢) نسمة^(٤٤).

٣- حي الطوبخانه: يقع هذا الحي في الجهة الشمالية الغربية من القلعة، وترجح غالبية المصادر بأنه أكتسب هذا الاسم لوجود مدفع (طوب)، نصب فيه منذ زمن العثمانيين، وكان المدفع يطلق الطلقات عند أذان المغرب وعند الامساك طوال أيام شهر رمضان المبارك من كل عام، ويوجد في هذا الحي (حرم كوجه سي) أي زقاق الحرم و) كنيسة كوجه سي) أي زقاق الكنيسة، وسمي بهذا الاسم لوجود الكنيسة القديمة، ويوجد ايضا في هذا الحي مسجد أسعد أفندي، ومسجد كور عمر أغا وتكية الحاج ملا صالح يكن (يكن تكة سي)، ومزار قرخلار، وبيعة اليهود (يهودلار كنيسه سي)، ويوجد في هذا الحي دار وديوان محمد أغا وعمرأغا، إضافة الى



دورالعوام ومنها ، دار الحاج حسن وحسين أغا ومعروف الحاج وداود أغا (قصاب باشي) ومحمد طورجي ومحمد أمين سلطان أغا وعبد الكريم أفندي وعبد الرزاق أفندي وشكر بربر وغيرهم^(٤٥). وعدد الدور السكنية (١٦٥) دارا^(٤٦). ويذكر إحصاء أجرته سلطات الانتداب البريطاني في عام ١٩٢٠ م ، أن مجموع سكان أربيل كان يبلغ (١٠٦) ألف نسمة ، وقد توزع السكان فيها وفقا للمجموعات الدينية التالية : (مسلمين ٩٠,٧٥ ، مسلمين ، يهود ٤,٥ ٪ ، مسيحيين ٣,٩ ٪ ، أيزيديين وديانات أخرى ٠,٩) ^(٤٧) ، ويمكن القول وفقا لهذه الاحصائية أن أربيل كان يسكنها غالبية مسلمة، أضافة الى أطيايف دينية أخرى.

أهم المعالم الاثرية في أربيل :

أولا : منارة جولي وتقع غرب المدينة ، ويبلغ ارتفاعها ٣٧ م ، واهم مايميزها طريقة بناءها با لأجر والجص ومزينة بزخارف تضاهي زخارف منارة (سنجار) وزخارف منارة الجامع النوري (الحدباء) في الموصل ومنارة داقوق ، وتوصف منارة جولي بأنها قائمة على قاعدة مثمثة ولها بابان مغلقان يفضي كل منهما الى سلم ، ويوجد في بطن المنارة أسطوانة يدور حولها السللمان اللذان يدخل المراء اليها من البابين المذكورين ، ويبلغ عدد درجات السلمين ١٣٢ ، درجا من كل جانب لا ألتقاء بينهم الا في بداية ونهاية المنارة ، بحيث يمكن لشخصين أن يصعدا أو ينزلا دون أن يرى أحدهما الآخر^(٤٨) ، ويبلغ أرتفاع هذه المنارة خمس واربعين مترا^(٤٩).

ثانيا : تل قالينج أغا ، الذي يقع جنوب المدينة ، وتدل البقايا من قطع الفخار والزجاج وغيرها في التربة السطحية على أن الموضع كان مستوطنا بشكل ما منذ عصور ما قبل التاريخ لاسيما في الالف الخامس ق. م ووجد في التل عددا من الجرار الكبيرة ، ومتنوعة الاحجام ، قسم منها كانت تحتوي على بقايا حلي مصنوعة من الخزف الملونة

والاحجار الكريمة والملونة مثل حجر اللازورد والعقيق وقليل من الحلي الذهبية ، كما عثر على نفق بعمق ٦ أمتار تقريبا وبأتجاه الشمال ، يقول بعض المؤرخين أنه يتصل بالقلعة^(٥٠).

ثالثا : السوق الكبير : أي سوق القيصرية في مدينة أربيل ، ويعد هذا السوق من الاماكن القديمة ويتكون من ثلاثة طوابق ، أحده تحت الارض ، ويعتبر السوق من المراكز التجارية الحيوية لحد الان وللسوق أكثرمن عشرة مداخل مثل مدخل (سوق القصابين) و(سوق الصاغة) وبابين بأتجاه الشرق وباب بائعي الاجبان شمالا وباب النجاريين ، وباب أخرلجانب الحرفيين شرقا بالقرب من جامع التي برماغ وباب البزازين شرقا ، وباب التنكجية ، وباب الصفارين والحدادين جنوبا عند جامع الحاج نوري ، ومدخل عند باب القلعة شمالا ، وهناك باب القيصرية الكبير جنوبا يؤدي الى سوق الصاغة والملابس الرئيسين^(٥١)

* الهوامش :

- (١) عبد الرزاق الحسني : العراق قديما حديثا ، لبنان ، ١٩٥٦ ، ص ٤.
- (٢) أسماعيل زبير بلال : أربيل في أدوارها التاريخية ، النجف الاشرف ، ١٩٧٠ ، ص ٦٢ .
- (٣) طه باقر : المرشد الى مواطن الآثار والحضارة ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص ٤.
- (٤) دورثي مكاي : مدن العراق القديمة ، ترجمة يوسف يعقوب ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ١٤٧ .
- (٥) محسن محمد حسين : موضوعان في التاريخ الكردي ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٣٥.
- (٦) عبد الباقي عبد الجبار : التجديد الحضري لقلعة أربيل ، رسالة ماجستير ، مقدمة الى مركز التخطيط الحضري الاقليمي ، جامعة بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٥٢.
- (٧) المصدر نفسه ، ص ٥٥.
- (٨) المصدر نفسه ، ص ٥٦.
- (٩) المصدر نفسه ، ص ٥٧.
- (١٠) صلاح حميد الجنابي : التركيب الداخلي لمدينة أربيل ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٣١٨ .

- (١١) خليل حسن الزركاني : قلعة أربيل من القلاع الشامخة في التاريخ ، بحوث المؤتمر العلمي الثاني ، أربيل ، شباط ، ٢٠١٣ ، ص ٥٧ .
- (١٢) عبد الرزاق عباس : نشأة مدن العراق وتطورها ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٨٨ .
- (١٣) جيمس ريج : رحلة ريج في العراق سنة ١٨٢٠ ، ترجمة بهاء الدين نوري ، بغداد ، ١٩٥١ .
- (١٤) المنشئ البغدادي : رحلة المنشئ البغدادي عام ١٨٢٢ ، بغداد ، ١٩٤٨ ، ص ٧١ .
- (١٥) صلاح الجنابي : التركيب الداخلي لمدينة أربيل ، دراسة مقارنة في جغرافية المدن ، مجلة الجمعية ، الجغرافية العراقية ، المجلد الحادي عشر ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٣١٧ .
- (١٦) عبد الباقي عبد الجبار : مصدر سابق ، ص ٥٥ .
- (١٧) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .
- (١٨) هاشم خضر الجنابي : مدينة أربيل دراسة في جغرافية الحضر ، الموصل ، ١٩٨٨ ، ص ٧٠ .
- (١٩) المصدر نفسه ، ص ٧١ .
- (٢٠) المصدر نفسه ، ص ٧٠ .
- (٢١) عبد الله حداد : مجلة كاروان الاكاديمية ، أربيل خلال القرنين الماضيين ، العدد ٥٠ .
- (٢٢) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .
- (٢٣) نيبور : رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، مراجعة وتقديم سالم الالوسي ، مؤسسة الوراق ، ٢٠١٢ ، ص ٥٨ .
- (٢٤) عبد الباقي عبد الجبار ، المصدر السابق ، ص ٥ .
- (٢٥) نيبور : المصدر السابق ، ص ٤٤ .
- (٢٦) سعيد احمد : قلعة أربيل في التاريخ ، الحوار المتمدن ، العدد ٥٥٥٠ ، لسنة ٢٠١١ .
- (٢٧) المصدر نفسه .
- (٢٨) سعدي أبراهيم الدراجي : أثر التجوية على الحجارة المستخدمة في تغليف الواجهات الداخلية للبيوت التراثية في قلعة أربيل ، بحوث المؤتمر العلمي الثاني ، أربيل ، ٢٠١٣ ، ص ٩٢ .
- (٢٩) عبد الله حداد : المصدر السابق ، ص ٤٠ .
- (٣٠) المصدر نفسه .
- (٣١) المصدر نفسه .
- (٣٢) وزارة البلديات ، مديرية التخطيط ، التصميم الاساسي لمدينة أربيل ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ١٠ .
- (٣٣) المصدر نفسه .
- (٣٤) عبد الباقي عبد الجبار ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .
- (٣٥) المصدر نفسه .
- (٣٦) المصدر نفسه .
- (٣٧) عبد الرزاق الحسني ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .
- (٣٨) المصدر نفسه .
- (٣٩) المصدر نفسه .
- (٤٠) محسن محمد حسين : أربيل في العهد الاتابكي ، بغداد ، ص ٢٨ .
- (٤١) المصدر نفسه .
- (٤٢) المصدر نفسه .
- (٤٣) المصدر نفسه .
- (٤٤) احمد حسين : أربيل بوابة الحضارة ، الحوار المتمدن ، لسنة ٢٠١١ .
- (٤٥) المصدر نفسه .
- (٤٦) المصدر نفسه .
- (٤٧) المصدر نفسه .
- (٤٨) المصدر نفسه .
- (٤٩) عبد الباقي عبد الجبار : المصدر السابق ، ص ٥٢ .
- (٥٠) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .
- (٥١) أحمد حسين : المصدر السابق ، الحوار المتمدن .



Erbil Castle

Study in archaeological and historical sources

By: Dr. Liqaa Shaker Khattar



Abstract

The Castle of Erbil is among the archaeological and historical sites in the world, which is still inhabited by humans. Historians date back 6000 years. The importance of the castle is that it was a monument to the succession of civilizations in this ancient region. The citadel passed many Sumerian, Babylonian and Assyrian civilizations, In addition to the Islamic civilization, civilizations that had an interest in Mesopotamia, and this fortress was composed in the time of the Ottomans from three areas, namely the Serail, which includes the important circles of state in the Ottoman era, and most of the circles were located at the main gate south and inhabited The city's dignitaries were supervisors, traders, clerics and the Tikkiyyah sect, which is located in the north-west of the citadel. The neighborhood of Tikkiyah was known by the name of Sheikh Al-Muezzin Abdullah Al-Mutafi in 1893. This neighborhood is located in the north-west of the castle. The neighborhood gained this name in relation to the existence of a brick cannon that was erected there since the time of the Ottomans. It used to fire shots at the ears of Morocco. The citadel also encircled its markets, which included merchants and merchants. The dwellings are built in an intensive manner, and You are composed of several floors, the most important of which is the basement, which served as a sanctuary protecting from the heat, in addition to the storage of feeders and food supplies, and still some of the effects of this role so far tells the story of the first urban home and archaeological in ancient history.

